

كتاب
الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وإشراف

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تفتتح في

٢ جَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الْكَيْدِ ، وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرِفَةِ
نَسْبًا ، وَبَيْنَ الصِّدْقِ مَبِيبًا ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ التَّثَبُّتَ ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ
الْإِنْصَافَ ، وَأَذَاقَكَ حَلَاوَةَ التَّقْوَى ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ
بَرْدَ الْيَقِينِ (١) وَطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الْيَأْسِ ، وَعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الذَّلَّةِ ،
وَمَا فِي الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ .

ولعمري لقد كان غيرُ هذا الدعاء أصوبَ في أمرِكَ ، وأدلَّ عَلَى
مقدارِ وزنِكَ ، وعلى الحال التي وضعتَ نفسك فيها ، ووسمتَ عرضَكَ
بها ، ورضيتها لدينِكَ حظًّا (٢) ، ولمروءتِكَ شِكْلًا ؛ [فقد انتهى إلى
مَيْلِكَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ ، وَحَمَلِكَ عَلَيْهِ ، وَطَعْنِكَ عَلَى مَعْبَدٍ ، وَتَنَقَّصَكَ
لَهُ فِي الَّذِي كَانَ جَرَى بَيْنَهُمَا فِي مَسَاوِي الدِّيكِ وَمَحَاسِنِهِ ، وَفِي ذِكْرِ مَنَافِعِ
الْمَكْلَبِ وَمَضَارِّهِ ، وَالَّذِي خَرَجَا إِلَيْهِ مِنْ اسْتِقْصَاءِ ذَلِكَ وَجَمْعِهِ ، وَمَنْ تَتَّبِعِهِ
وَنَظْمِهِ ، وَمَنْ الْمَوَازَنَةَ بَيْنَهُمَا ، وَالْحُكْمَ فِيهِمَا . ثُمَّ عِبْتَنِي بِكِتَابِ حِيلِ
الْأَلْصُوصِ ، وَكِتَابِ غِشِّ الصَّنَاعَاتِ ، وَعِبْتَنِي بِكِتَابِ الْمَلْحِ وَالطَّرْفِ ،
وَمَا حَرَّرَ مِنَ النُّوَادِرِ وَبَرْدُ ، وَمَا عَادَ بَارِدَهُ (٣) حَارًّا لَفَرَطَ بَرْدَهُ حَتَّى

(١) في ط : « البر واليقين » . وما أثبتته في ل ، ١٠ من وهو الصواب .

(٢) كذا في ل ، ١٠ من وهو تصحيح ما في ط « ورضيتها لعرضك حظا » .

(٣) في ل : « وعاد باردها » وما هنا عن م .

أمتعَ بأكثرَ من إمتاعِ الحارِّ ، وعبتني بكتابِ احتجاجاتِ البخلاء ،
ومناقضتِهم للسُّمحاء ، والقولِ في الفرقِ بين الصدقِ (١) [إذا كان ضارًّا
في العاجل ، والكذبِ إذا كان نافعاً في الآجل ، ولمَ جعلَ الصدقُ أبداً
محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرقُ بين الغيرةِ وإضاعةِ الحرمةِ ،
وبين الإفراطِ في الحميةِ والأنفةِ ، وبين التقصيرِ في حفظِ حقِّ الحرمةِ ، وقلةِ
الاكتراثِ لسوءِ (٢) القالةِ ؛ وهل الغيرةِ اكتسابٌ وعادةٌ ، أم بعضٌ ما يعرض
من جهةِ الديانةِ ، وبعضُ التزيُّدِ فيه والتحسُّنِ به ، أو يكونُ ذلكُ في طباعِ
الحريةِ ، وحقيقةِ الجوهريةِ ، ما كانتِ العقولُ سليمةً ، والآفاتُ منفيَّةً (٣)
والأخلاقُ معتدلةً .

وعبتني بكتابِ الصُّرحاءِ والمُهجناءِ ، ومفاخرةِ السُّودانِ والحميرانِ ،
وموازنةِ ما بين حقِّ الخنولةِ والعمومةِ ؛ وعبتني بكتابِ الزرعِ والنخلِ
والزيتونِ والأعنابِ ، وأقسامِ فضولِ الصناعاتِ ، ومراتبِ التجاراتِ ؛
وبكتابِ فضلِ ما بين الرجالِ والنساءِ ، وفرقِ ما بين الذكورِ والإناثِ ،
وفي أيِّ موضعٍ يغلبنِ ويفضُلنِ ، وفي أيِّ موضعٍ يكنُّ المغلوباتِ والمفضولاتِ ،
ونصيبِ أيِّهما في الولدِ أوفرَ ، وفي أيِّ موضعٍ يكونُ حقُّهنَّ أوجبَ ، وأيِّ
عملٍ هو بهنَّ أليقُ ، وأيِّ صناعةٍ هنَّ فيها أبلغُ .

وعبتني بكتابِ القحطانيةِ و [كتابِ] العدنانيةِ في الردِّ على

(١) سقت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضا ما عدل و م .
(٢) في ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال في القاموس « ما أكثرث له :
مأبأى به » وقال الزبيدي : الأصل فيه ألا يستعمل إلا في النوى وشد ، استعماله
في الإثبات .
(٣) هذا ما في ل . وفي ط : « منيفة » وبذلك يفسد المعنى .

القحطانية ، وزعمتَ أنّي تجاوزتُ فيه حدَّ الحميّة إلى حدِّ العصبية ،
وأنّني لم أصل^(١) إلى تفضيل العدنانية إلا بتنقُص^(٢) القحطانية . وعبّنتي^٣
بكتاب العرب والموالي ، وزعمتَ أنّي بخصّتِ المواليَ حقوقَهم ، كما أنّي أعطيتُ
العربَ ما ليس لهم . وعبّنتي بكتاب العرب والعجم ، وزعمتَ أنّ القولَ
في فرقِ ما بين العرب والعجم ، هو القولُ في فرقِ ما بين الموالي والعرب ،
ونسبتني إلى التكرار والترداد ، وإلى التكثير ، والجهل بما في المُعاد من
الخطل ، وحملِ الناسِ المؤن .

وعبّنتي بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة
العرب إيّاها ، وكيف اختلفا في جهة العلة^(٣) مع اتّفاقيهما على جملة الديانة ،
وكيف صار عبّاد البُدّة^(٤) والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام
المنجورة ، أشدَّ الديّانين إلفاً لما دانوا به^(٥) ، وشغفاً بما تعبّدوا له^(٦) ،
وأظهِرهم جيّداً ، وأشدّهم على من خالفهم ضيغنا ، وبما دانوا ضيناً^(٧) ،
وما الفرق بين البُدِّ والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق بين

(١) في ل : « أصر » ومؤداها واحد .

(٢) في ط : « بتنقيص » والمثبت هنا في ل . وفي القاموس « وهو يتنقصه :
يقع فيه ويذمه » .

(٣) في ط : « العلسة » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط : « عبادة البُدرة » وهو تصحيف صوابه ما في ل . والبُدرة: جمع بد
- بضم الباء - وهو الصنم ، معرب « بت » ، وجمعه بددة وأبداد .

(٥) في ل : « أشد الناس إلفاً لما دانوا به » .

(٦) في ط : « وشغفاً لما » وصوابه ما أثبتته عن ل . يقال شغف بالشيء إذ
علق قلبه به .

(٧) في ل : « صباية وعجبا » .

الدُّمِيَّة والجِنَّة ، ولمَّ صَوَّرُوا في محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صَوَّرَ
عظائمهم ورجالِ دَعْوَتهم ، ولم تَأْتَقُوا في التصوير ، وتجوَّدوا^(١) في إقامة
التركيب ، وبالغوا في التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أَوْلِيَّة تلك
العبادات ، وكيف اقترفت تلك النُّحل ، ومن أَىِّ شكل كانت خُدَع تلك
السدنة ، وكيف لم يزلوا أَكثَرَ الأَصْنَافِ عدداً ، وكيف شمل ذلك المذهب
الأجناسَ المختلفة .

وعبئني بكتاب المعادن ، والقولِ في جواهر الأرض ، وفي اختلاف
أجناس الفلِيزُ والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف
يسرع الانقلاب إلى بعضها ، ويُبْطِئُ عن بعضها ؛ وكيف صار بعضُ
الألوان يَصْبُغُ ولا ينصبغ ، وبعضها يَنْصَبِغُ ولا يصبُغُ ، وبعضها يصبُغُ
وينصبغ ، وما القولُ في الإكسير والتلطيف .

وعبئني بكتاب فرق ما بين هاشمٍ وعبد شمس ، وكتاب فرق ما بين
الجنِّ والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجنِّ ، وكيف القولُ في معرفة
الهدهد واستطاعة العفريت^(٢) ، وفي الذي كان عنده عِلْمٌ من السكاتب ،
وما ذلك العلم^(٣) ، وما تأويل قولهم : كان [عنده اسم الله الأعظم]

(١) في ط : « تجردوا » بالراء . وصوابه ما في ل . وتجود : فعل الجيد .

(٢) في ط : « وكيف القول في استيلاء العفريت على سليمان وفي الهدهد » ، وهو
كلام مشوه محرف وضعت بدله ما في ل . ومعرفة الهدهد هي التي يشير إليها
القرآن الكريم بآية « وجنتك من سبأ نبأ يقين » . وأما استطاعة العفريت فهو
ما في قوله تعالى « قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك » .
يعني عرش بلقيس .

(٣) في ط : « وما الذي هو ذلك العلم » وهو تحريف صوابه في ل .

وعبّنتي بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ في الأرزاق والإنفاقات
[وكيف أسباب التثمير والترقيح ^(١)] ، وكيف يَجتلب ^(٢) التجار الحرفاء ،
وكيف الاحتيال للودائع ، [وكيف التسببُ إلى الوصايا ، وما الذي يوجب
لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذكرنا غشَّ
الصناعات والتجارات ، وكيف التسببُ إلى تعرف ما قد مستروا وكشف
ما موَّهوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبّنتي برسائلي [
وبكلِّ ما كتبت [به] إلى إخواني وخُلطائي ، من مزحٍ وجدِّ ، ومن إفصاح
وتعريض ، ومن تغافلٍ وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال ميسمه باقياً ، ومديح
لا يزال أثره نامياً ؛ ومن مَلحٍ تُضحك ، ومواعظ تُبكي .

٤

وعبّنتي برسائلي الهاشميات ، واحتجاجي فيها ، واستقصائي معانيها ،
وتصويري لها في أحسن صورة ، وإظهاري لها في أتم حلية . وزعمت أنّي
قد خرجتُ بذلك من حدِّ المعتزلة إلى حدِّ الزيدية ، ومن حدِّ الاعتدال في
التشيع والاعتقاد فيه ، إلى حدِّ السرف والإفراط فيه . وزعمت أنّ مقالة
الزيدية خطبة مقالة الرافضة ^(٣) ، وأنّ مقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية ^(٤) .
وزعمت أنّ في أصل القضية والذي جرّت عليه العادة ، أن كلَّ كبير فأولُّه
صغير ، وأنّ كلَّ كثير فإنما هو قليل جُمع [مِن] قليل ، وأنشدت قول
الراجز ^(٥) :

(١) ترقيح المال : إصلاحه والقيام عليه .

(٢) في ط : « تجرد » وصوابه في ل .

(٣) في ط : « خطبة مقالة الرافضية » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط : « خطبة مقالة الغالية » وصوابه ما في ل .

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز في المحاسن والأضداد ٤٤ .

قد يَلْحَقُ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ وَإِنَّمَا الْقَرَمُ مِنَ الْأَفِيلِ
وَسُحُقُ النَّخْلِ مِنْ الْفَسِيلِ

وَأَنشَدْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ (١) :

رَبِّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ وَفِي الْبُحُورِ تَغْرَقُ الْبُحُورُ
وَقُلْتَ : وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ (٢) :

فَاعْلَمْ بُنَى فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيحُ لَهُ الْعَظِيمُ

وَقُلْتَ : وَقَالَ الْآخَرُ :

صَارَ جِدًّا مَا مَزَحْتَ بِهِ رَبِّ جِدِّ سَاقِهِ اللَّعْبُ

وَأَنشَدْتَ قَوْلَ الْآخَرِ (٣) :

مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةَ فِيكُمْ تُقْضَى الْأُمُورُ وَرَهْطُ وَرْدَةَ غَيْبٌ (٤)
قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبُ
وَقَالَتْ كَبْشَةَ بِنْتُ مَعْدٍ يَكْرَبُ :

(١) البيت في المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامي عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذي ينشد شعرا كأنه من أعمارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم أشهد أن عمي ولده ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام في الحماسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) في ط : « قول الآخر وهو قول عترة » ، وعبارة « وهو قول عترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها في ل مثبتة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد مثبتان في ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخرزانه الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هي أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما اقتصم أعماله المال ظلّموا أمه . . ماتنظرون : أي تنظرون .

جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْفَ^(١) قَوْمِهِ بِنِي مَازَنَ أَنَّ سَبَّ رَاعِيِ الْمُحَزَّمِ^(٢) «
وقال الآخر^(٣) :

أَيَّةَ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ وَأَيَّ جِدِّ بَلَغَ الْمَازِحُ
وتقول [العرب] : « الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ ، وَلَا تَلِدُ الْحَيَّةَ إِلَّا حَيَّةً^(٤) » .

وعبت كتابي في خلق القرآن ، كما عبت كتابي في الرد على المشبهة
وعبت [كتابي] في القول في أصول الفتيا والأحكام ، كما عبت كتابي
في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه . وعبت معارضتي
للزيدية وتفضيلي^(٥) الاعتزال على كل نخلة ، كما عبت كتابي في الوعد
والوعيد ، وكتابي على النصراني واليهود^(٦) ثم عبت جملة كتبي في المعرفة
والتمس تهمينها بكل حيلة ، وصغرت من شأنها ، وحططت من قدرها ،
واعترضت على ناسخها والمتنفعين بها ، فعبت كتاب الجوابات ، وكتاب
المسائل ، وكتاب أصحاب الإلهام ، وكتاب الحجّة في تثبيت النبوة ،
وكتاب الأخبار ، ثم عبت إنكارى بصيرة غنام المرتد ، وبصيرة كل
جاحد وملحد ، وتفريقي بين اعتراض الغم^(٧) ، وبين استبصار الحق ، وعبت

(١) في ط : « آناف » وأثبت ما في ل ، س ، ١٠ س . وأنف يجمع على أنوف .
وأنف وآناف .

(٢) في ط ، ل ، س ، ١٠ س : « المحزم » بالخاء ، وتصحيحه من الخزائن
بضبط البغدادي ٣ : ٧٧ . والبيت من أبيات ستة رواها البغدادي وذكر لها قصة
طويلة طريفة .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هاني كما في البيان والبيان ٣ : ١٩٨ .

(٤) في ط : « حية » ويغلب أن يكون تصحيف طبع .

(٥) في ط : « تفضيل » والوجه ما في ل .

(٦) في ط : « النصراني واليهودي » وأثبت ما في ل .

(٧) هذا ما في ل ، س ، ١٠ س . وفي ط « القمر » وهو تحريف . والغمر :

الجاهل الذي لم يجرب الأمور .

كتاب الردّ على الجهميّة في الإدراك ، وفي قولهم في الجهالات^(١) ، وكتاب الفرق ما بين النبيّ والمنبجى ، والفرق ما بين الحيل والمخاريق^(٢) ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام الباهرة^(٣) . ثمّ قصدت إلى كتابي هذا بالتصغير لقدرة والتهجين لنظمه ، والاعتراض^(٤) على لفظه ، والتحقيق لمعانيه ، فزريت على نختيه وسبكه ، كما زريت على معناه ولفظه ، ثمّ طعنت في الغرض الذى إليه نزعنا ، والغاية التى إليها قصدنا^(٥) . على أنه كتاب معناه أنبه من اسمه ، وحقيقته آتق من لفظه ، وهو كتاب يحتاج إليه المتوسط العامى ، كما يحتاج إليه العالم الخاصى^(٦) ، ويحتاج إليه الرّيس كما يحتاج إليه الحاذق : أما الرّيس فللتعلم والدرّبة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرين وتمكين العادة ؛ إذ كان جليله يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدّماته مرتبة وطبقات معانيه منزلة . وأما الحاذق فلكفاية المؤنة ؛ لأن كل من التقط كتابا جامعاً ، وباباً من أمّهات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرّمه ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كده ، مع تعرّضه لمطاعن البغاة ، ولاعتراض المنافسين ، ومع عرضيه عقله المسكود على العقول الفارغة ، ومعانيه على الجهايزة ، وتحكيمه فيه المتأولين والحسدّة . ومتى ظفر بمثله صاحب علم ، أو هجم عليه طالب فقه ، وهو وادع رافه ، ونشيط جام ،

(١) ماعدال : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ و ٤ : ٢٨٨ .

(٢) فى ط : « المخارق » .

(٣) فى ل : « القاهرة » وفى ط « الباصرة » وصوابها ما فى ص ، ١٠ س .

(٤) فى ط : « والاعتراض » .

(٥) فى ل : « أجرينا » .

(٦) « هذا ما فى ل . وفى ط : « كما يحتاج إليه الخاص » .

ومؤلفه مُتَعَبٌ مكدود ، فقد كُنِيَ مُؤَوَّنَةً جمعه وخزَنِهِ ، وطلبِهِ وتبَعِهِ ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر وفَلَّ الحَدَّ ، وأدرك أفضى حاجته وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أن له عند ذلك أن يجعلَ هُجُومَه عليه من التوفيق ، وظفره به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأمم ، وتشابهه فيه العُربُ والعجمُ ، لأنه وإن كانَ عَرَبِيًّا أعرابِيًّا ، وإسلاميًّا جَماعِيًّا ، فقد أخذَ من طُرُقِ الفلاسفة ، وجمع بين معرفة السماعِ وعلمِ التجربة ، وأشركَ بين علمِ الكتاب والسنة ، وبينَ وجدانِ الحاسَّة ، وإحساسِ الغريزة . ويشتهيه الفتيان كما يشتهيه الشيوخ ، ويشتهيه الفاتكُ كما يشتهيه الناسكُ ، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللُّهُو كما يشتهيه المجدُّ^(١) ذو الحزم ، ويشتهيه الغُفْلُ كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبيُّ كما يشتهيه الفطن .

وعبَتَنِي بحكاية قولِ العُثمانيَّة^(٢) والضَّرَّارِيَّة ، وأنتَ تسمعي^(٣) أقول في أوَّل كتابي : وقالتِ العُثمانيَّة والضَّرَّارِيَّة ، كما سمعَتَنِي أقول : قالتِ الراضية والزيدية ، فحكمتَ عليَّ بالنصبِ لحكايتي [قولِ العُثمانيَّة] ، فهلَّا حكمتَ عليَّ بالثَّشيعِ لحكايتي [قولِ الراضية] !! وهلاكنتُ عندك من الغاليَّة لحكايتي حججِ الغالية ، كما كنتُ عندك من الناصبِ لحكايتي قولِ الناصبِ ! ! وقد حكينا في كتابنا قولَ الإباضيَّة والصُّفريَّة ، كما حكينا قولَ الأزارقة والزيدية . وعلى

(١) في ل : « الجدي » نسبة إلى الجد ضد الهزل .

(٢) في ط : « بحكاية سر قول العُثمانيَّة » ، وكلمة « سر » هذه لاجتماعها في جميع النسخ المخطوطة .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « كما سمعني » .

هذه الأركان الأربعة بُنِيَتِ الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، ومحمولٌ عليها . وألاً كُنَّا عندك من الخارجية ، كما صرنا عندك من الضَّرَّارِيَّةِ والناصِبَةِ . فكيف رضيتَ بأن تكونَ أسرعَ من الشيعة ، أسرعَ إلى أعراضِ الناسِ من الخارجية^(١) ، اللهم إلا أن تكونَ وجدتَ حكايَتي عن العُمانيَّةِ والضَّرَّارِيَّةِ أشبعَ وأجمعَ ، وأتمَّ [وأحکم] ، وأجود [صنعة ، وأبعد غاية . ورأيتني قد وهنتَ حقَّ أوليائك ، بقدر ما قويتُ باطل أعدائك ! ولو كان ذلك كذلك ، لكان شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على مادعيتِ واضحا] .

وعبئني بكتاب العباسية ، فهلاً عبئني بحكايةِ مقالةٍ من أبي وجوبِ الإمامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن تركَ النَّاسِ سُدىً بلا قيمٍ أردُّ عليهم ، وهماً بلا راعٍ أربحُ لهم ، وأجدراً أن يجمع لهم ذلك بين سلامةِ العاجل ، وغنيمةِ الآجل ، وأنَّ تركهم نَشْراً لا نظامَ لهم ، أبعُدُ من المفسادِ ، وأجمعُ لهم على المرشدِ !! بل ليس ذلك بك ، واسكتَه بهرك ما سمعتَ ، وملاً صدرك الذي قرأت ، وأبعلكَ وأبطركَ ، فلم تتَّجه للحجَّةِ وهي لك معرضة ، ولم تعرفِ المقاتل وهي لك بادية^(٢) ، ولم تعرفِ بابَ المخرجِ إذ جهلتَ بابَ المدخلِ ، ولم تعرفِ المصادرِ إذ جهلتَ المواردِ .

رأيتَ أن سبَّ الأولياءِ أشقى لدائك ، وأبلغَ في شفاءِ سقمك ؛ ورأيتَ أن إرسالَ اللسانِ أحضرُ لذَّةً ، وأبعُدُ من النَّصَبِ ، ومن إطالةِ الفسكرة ، ومن الاختلافِ إلى أربابِ هذه الصناعة .

(١) في ل : « فكيف رضيتَ بأن تكونَ الشيعة إلى أعراضِ الناسِ أسرعَ من المارقة » .

(٢) في ط : « وهي لك معرضة ، ولم تعرفِ المقابل وهي لا بادية » .

ولو كنتَ فطِنتَ لعجزك ، [و^(١)] وصلتَ نقصكَ بتمامِ غيرك ،
واستكفيتَ من هو موقوفٌ على كفايةِ مثلك ، وحيسٌ على تقويمِ أشباهك ٧
كان ذلكَ أزينَ في العاجِلِ ، وأحقَّ بالثبوتِ في الآجِلِ ، وكنتَ إنْ
أخطأتَكَ الغنيمَةُ لم تُخطِطِ السلامة ، وقد سلِمَ عليكِ المخالفُ بقدرِ ما ابتلي
[به] منكِ الموافقِ . وعلى أَنَّهُ لم يُبتَلِ منكِ إلا بقدرِ ما ألزمتَهُ من مُؤنَةٍ
تتقيفكِ ، والتشاغلِ بتقويمكِ . وهل كنتُ في ذلكِ إلا كما قال العربيُّ :
« هَلْ يَضُرُّ السَّحَابَ نَبْحُ الكلابِ » .

وإلا كما قال الشاعر :

هَلْ يَضُرُّ البَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِمَجْرٍ^(٢)

وهل حالنا في ذلكِ إلا كما قال الشاعر^(٣) :

مَاضِرٌ تَغْلِبَ وائِلٌ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلْتِ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَانِ

وكما قال حسانُ بنُ ثابت^(٤) :

مَا أَبَالِي أَنْبَ بِالْحَزَنِ تَيْسٌ أَمْ لِحَانِي بظَهْرِ غَيْبٍ لَثِيمٌ

وما أشكُ أَنكَ قد جعلتَ طولَ إعراضنا عنكِ مَطِيَّةً لك ، ووجهتَ حِلْمنا

عنكِ إلى الخوفِ منكِ ، وقد قال زُفَرُ بنُ الحارثِ لبعضِ مَنْ لم يرحقْ

الصفح ، فجعل العفو سبباً إلى سوء القول :

(١) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٤٨ . والرواية هناك « ما يضير » .

(٣) هو الفرزدق ديوانه ٨٨٢ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزانة ٢ : ٥٠١ .

(٤) ديوانه ٣٧٨ .

فَإِنْ عَدْتَ وَاللَّهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ مَنَحْتُكَ مَسْنُونَ^(١) الْغِرَارِينَ أَرْقَا
فَإِنْ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطَّلِي وَأَنْ يُغْمَسَ الْعَرِيضُ حَتَّى يَغْرِقَا^(٢)
وقال الأول :

وَضَعَانٍ دَاوَيْتَهَا بِضَعَانٍ حَتَّى شَفَيْتُ وَبِالْحُقُودِ حُقُودًا
وقال الآخر :

وَمَا نَفَى عَنكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمِثْلِ وَقَكَ جُهَالًا بِجُهَالِ^(٣)
فَاعْعَسْ إِذَا حَدِبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَعَسُوا وَوَازِنِ الشَّرَّ مَثَقَالًا بِمِثْقَالِ
فإننا وإن لم يكن عندنا سنان زفر بن الحارث ، ولا معارضة هؤلاء الشرر بالشرر ، والجهل بالجهل ، والحقد بالحقد ، فإن عندى ما قال المسعودى^(٤) :
فَمَسًّا تَرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا وَفِيهِ الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تَرْجِعَا فَتَسْلُمَا فَمَا كَسَى الْأَفْوَاهُ شَرًّا مِنَ الْكِبْرِ^(٥)

(١) في ط : « مصقول » . و غرار السيف أى حده لا يوصف بالصقل ، وإنما يوصف بالحدة . فالوجه (مسنون) كما في ل وكما في البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلي وأن تلمس العريض حتى يغرقا هكذا ورد البيت في ط وهو تحريف أصلحته من ل ومن البيان للجاحظ . والطلا : الأعناق أو أصولها ، جمع ظلية أو طلاة ، بضم الطاء في كل منهما . والعريض كسكيت : الذى يتعرض للنام بالشر .

(٣) جاء البيت في ط على هذه الصورة :

وَمَا تَمَى عَنكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ رَقْمَكَ جُهَالًا بِجُهَالِ
وصحناه من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ ومجالس ثعلب ٤٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى في أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها ، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) في الأمال : « فاحشى الأقسام » وفي جمع الجواهر : « فاحشى الإنسان » . وفي ل ، س « ولا تعجبا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، كما في الخبر ٢٩٧ .

فلوشئتُ أدلِّي^(١) فيكما غير واحد علانيةً أو قالَ عندى في السرِّ
فإنَّ أنا لم آمرُ ولم أنه عنكما ضحكْتُ له كيما يلجُ ويسنْشري^(٢) ٨
وقال النمر بن تولب :

جزى الله عنى بجمرة ابنة نوفلٍ جزاءً مُغلِّلاً بالأمانةِ كاذبٍ^(٣)
بما خبرت عنى الوشاةَ ليكذبوا على وقد أوليتها في النوائبِ

يقول : أخرجت خبرها ، فخرج [إلى^(٤)] من أحب أن يعاب عندها .

ولو شئت أن نعارضك لعارضناك في القول بما هو أقبحُ أراً وأبى
وسماً ، وأصدقُ قبلاً ، وأعدلُ شاهداً . وليس كلُّ من ترك المعارضة فقد
صفح ، كما أنه ليس من عارض فقد انتصر ، وقد قال الشاعر قولاً ، إن
فهتمته فقد كفيتنا مئونة المعارضة ، وكفيت نفسك لزوم العار ، وهو قوله^(٥) :

إن كنت لا ترهبُ ذئبي لما تعرفُ من صفحي عن الجاهلِ
فاخشَ سكوتي إذ أنا منصت فيك لمسموعِ خناً القائلِ^(٦)
فالسامعُ الذمُّ شريكُ له ومُطعمُ المأكولِ كالآكلِ

(١) في ط : «أولى» ، وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س والأمالى . وفسرها المرتضى بقوله : معناه لو شئت اغتابك عندي غير واحد .

(٢) في ط «يلج» بالخاء ، وأثبت ما هو في أمالي المرتضى و ل ، ١٠ س والبيان .

(٣) كذا في ل ، ١٠ س وغل وأغل بمعنى خان وفي ط «مقل» وتحريفه ظاهر .

وفي س : «مخل» وجمرة بالجمع اسم زوجته ، كما في الأغاني ١٩ : ١٥٨ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . والمعنى أنها أظهرت سر الحب ، فداع حتى وصل إلى الوشاة الذين يتسمى هو أن يعابوا عندها .

(٥) نسب إلى العتابي في الأغاني ١٢ : ١٠ ولباب الآداب ٣٦٠ ورسالة فصل ما بين العداوة والحسد . ونسب إلى كعب بن زهير في الخزانة ٤ : ١٢ .

(٦) كذا في الخزانة وجمع الجواهر ٣ وشرح بانة سعاد ٣ والشريثي ٢ : ١٥٠ . وفي ل ، س «فاخش سكوتي آذنا منصتا» . وآذنا : مصغياً .

مقالةُ السوءِ إلى أهلها أسرعُ من مُنحدرِ سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ
فلا تهجُ إن كنتَ ذا إريّةٍ حربُ أخى التجربةِ العاقلِ
فإنَّ ذا العقلِ إذا هجته هجتَ به ذا خبلِ خابلِ
تُبصرُ في عاجلِ شدّاته عليك غبَّ الضررِ الآجلِ

وقد يقال : إنَّ العفوَّ يُفسد من اللّيم بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد
قال الشاعر :

والعفوُّ عندَ لبيبِ القومِ موعظةٌ وبعضه لسفيهِ القومِ تدريبُ
فإن كُنَّا^(١) أسأنا في هذا التقرّيعِ والتوقيفِ ، فالذى لم يأخذَ فينا بمُحْكَمِ
القرآنِ ولا بأدبِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام ، ولم يفزعَ إلى ما في الفِطْنِ
الصحيحةِ ، وإلى ما توجههُ المقاييسُ المطرّدةُ ، والأمثالُ المضروبةُ ، والأشعارُ
السائرةُ ، أولى بالإساءةِ وأحقُّ باللأئمةِ ، قال الله عزَّ وجل : ﴿ وَلَا تَزِرُ
وَأَزِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ . وقد قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام : « لَا تَجْنِ
يَمِينِكَ عَلَى شِمَالِكَ » .

وهذا حكمُ الله تعالى وآدابُ رسوله والذي أنزلَ به الكتابُ ودلَّ
عليه من حُججِ العقولِ .

فأمَّا ما قالوا في المثلِ المضروبِ [« رَمَتْنِي بِدَأْمِهَا وَأَنْسَلْتُ » ، وأمَّا]
قولُ الشعراءِ ، وذمُّ الخطباءِ لِمن أخذَ إنساناً بذنبِ غيره ، وما ضربوا في ذلك
من الأمثالِ ، كقولِ النابغة حيث يقول في شعره :

وَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتَهُ كَذِي العُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

(١) في ط : « فانا كنا » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

وكانوا إذا أصابَ إيلَهُم العرَّ كَوُوا السليمَ ليدفعه عن السقيم ، فأسقمُوا
الصحيحَ من غير أن يُبرِثُوا السقيم .

وكانوا إذا كثُرَتْ إبلُ أحدهم فبَلَغَتْ الألف ، فقَثُوا عَيْنَ الفحل ،
فإن زادت الإبلُ على الألف فقَثُوا العينَ الأخرى ، وذلك المفقأُ والمعَمَى اللذان
سمعتَ في أشعارِهِم .

قال الفرزدق :

غلبتكَ بالمفقئِ والمعنىِ وبيتِ المُحتسبيِ والخافقاتِ^(١)

[وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف^(٢) والغارة ،

فقال الأَوَّل :

فقاتُ لها عَيْنَ الفَحِيلِ عِيافَةً وفيهِنَّ رَعْلَاءُ المِسامِعِ والحامى^(٣)

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب ، ويبعد من مثل الجاحظ أن يفكر في الاستشهاد به
في هذا الموضوع إذ لا علاقة له به ، وإنما يشير الفرزدق بكلمة « المفقأ » إلى قصيدته
التي يقول فيها مهاجياً لجرير :

ولست وإن فقات عينك واجدا أبالك إن عد المساعي كدارم
وبكلمة « المعنى » إلى قوله :

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى ياجرير المكلف
و « بيت المحتبي » إشارة إلى قوله :

بيتاً زارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
و « الخافقات » يريد قوله :

وأين تقضى المالكان أمورها بحق وأين الخافقات اللوامع
انظر ابن سلام ٣٢٩ - ٣٣٠ والنقائض ٧٦٨ ليدن ولسان العرب (عنى) .
وقد ورد البيت مصحفاً على الوجه الآتي :

غلبتكَ (بالمفقأ والمعنى) وبيت (المحتبي) والخافقات

(٢) السواف : الموثان يقع في الإبل ، يقال بالفتح وبالضم .

(٣) البيت في البيان ٣ : ٥٤ . والفحيل : المنجب في ضرابه ، وعنى بالعيافة التفاؤل .

الرعاء : التي تشقّ أذنها وتترك مدلاة ، لسكرمها [.

وكانوا يقولون في موضع السكفارة والأمدية ، كقول الرجل : إذا بلغت إيلي كذا وكذا وكذلك غنمي ، ذبحت عند الأوثان كذا وكذا عتيرة . والعتيرة من نُسك الرجيبة والجمع عتائر - والعتائر من الطباء - فإذا بلغت إيل أحدهم أو غنمه ذلك العدد ، استعمل التأويل وقال : إنما قلت إني أذبح كذا وكذا شاة ، والظباء شاء كما أن الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربان شاء كله مما يصيد من الطباء ، فلذلك يقول الحارث بن حلزة الإشكري :
عنتاً باطلاً وظلماً كما تُعترُّ عن حجرة الربيص الطباء
بعد أن قال :

أَمْ عَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ، إمّا لكدر الماء ، أو لقلّة العطش ، ضربوا الثور ليقتحم الماء ، لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل ، وكما تتبع أن الوحش الحمار . فقال في ذلك عوف بن الخرج (١) :

تَمَنَّتْ طِيٌّ جَهْلًا وَجُبْنًا وَقَدْ خَالَيْتُهُمْ فَأَبَوْا خِلَافِي (٢)
هَجَوْنِي أَنْ هَجَوْتُ جِبَالَ سَلَمَى كَضْرَبِ الثَّوْرِ لِلْبَقْرِ الظَّمَاءِ
وقال في ذلك أنس بن مذك في قتله سليك بن السليكة :

إِنِّي وَقَتْلِي سَلَيْكًا ثُمَّ أَعْقَلَهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِمَا عَافَتِ الْبَقْرُ (٣)
أَنِفْتُ لِلْمَرْءِ إِذْ نَبِكَتْ حَلِيلَتُهُ وَأَنْ يُشَدَّ عَلَيَّ وَجَعَاءُهَا الثَّفْرُ (٤)

(١) في ط : « عوض بن الخرج » ، وهو على الصواب الذي أثبتته ، في ل ، س

١٠ س .

(٢) خاليتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتنعت عن شرب الماء .

(٤) الوجعاء : الاست . والثفر بالتحريك : السير في مؤخر السرج .

وقال الهَيَّبَانُ الفَهْمِيُّ^(١) :

كَمَا ضُرِبَ الْيَعْسُوبُ أَنْ عَافَ بَاقِرٌ وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ الْمَاءَ بَاقِرٌ
وَمَا كَانَ الثَّورُ أَمِيرَ الْبَقْرِ ، وَهِيَ تَطِيعُهُ كَطَاعَةِ إِنْثَاءِ النَّحْلِ لِلْيَعْسُوبِ ، سَمَّاهُ
بِاسْمِ أَمِيرِ النَّحْلِ .

وَكَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْجِنَّ هِيَ الَّتِي تَصُدُّ الشَّيْرَانَ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى تُمَسِكَ الْبَقْرُ
عَنِ الشَّرْبِ حَتَّى تَهْلِكَ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْأَعَشِيُّ :

فَأَنْبَى وَمَا كَلَّفْتُمُونِي - وَرَبِّكُمْ - لِأَعْلَمُ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْوَبَا^(٢)
لِكَالْثَّورِ وَالْجِنِّيِّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ الْمَاءَ مَشْرَبًا
وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ الْمَاءَ بَاقِرٌ وَمَا إِنْ تَعَافَى الْمَاءُ إِلَّا لِيُضْرَبَا^(٣)
كَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ يُضْرَبُ أَبْدَأُ لِأَنَّهَا عَافَتِ الْمَاءَ ، فَكَأَنَّهَا إِذَا عَافَتِ الْمَاءَ لِيُضْرَبَ .

وقال يحيى بن منصور الذُّهْلِيُّ فِي ذَلِكَ :

لِكَالْثَّورِ وَالْجِنِّيِّ يَضْرِبُ وَجْهَهُ وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ كَانَتِ الْجِنَّ ظَالِمَهُ
وقال نَهْشَلُ بْنُ حَرَّيٍّ^(٤) :

أَتَتْرِكُ عَارِضٌ وَبَنُو عَـلْدِيٍّ وَتَغْـرَمَ دَارِمٌ وَهُمْ بَرَاءٌ
كَدَابِ الثَّورِ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِيِّ إِذَا مَا عَافَتِ الْبَقْرُ الظَّمَاءَ^(٥)
وَكَيفَ تَسْكَدُ الشُّعْرَى سُهَيْلاً وَبَيْنَهُمَا الْكُوكَابُ وَالسَّمَاءُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْهَيْتَانُ » . وَانظُرِ الْإِصَابَةَ ج ٢ ص ٩ وَالْقَامُوسُ « هَيْب » . وَفِي ط ، س :

« الْفَقْمِيُّ » صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) فِي ط ، س ، ١٠ س : « أَحْرَبًا » بِالرَّاءِ . . وَمَا أَثْبَتَهُ عَنْ ل .. يُقَالُ حَابٌ بِكَذَا :

أَثْمٌ ، وَالْمَصْدَرُ الْحُوبُ بِفَتْحِ الْهَاءِ وَتَضَمُّ . وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ « إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا » .

(٣) بَاقِرٌ : اسْمٌ جَمْعٌ لِلْبَقْرِ . وَمِثْلُهُ بَتِيرٌ وَبَيَقُورٌ وَبَاقُورٌ وَبَاقُورَةٌ .

(٤) لَهُ تَرْجِمَةٌ فِي خِزَانَةِ الْبَغْدَادِيِّ ١ : ٢٨٤ بُولَاق .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « بِالْبَرَارِيِّ » ، صَوَابُهُ مِنْ حِمَاسَةِ الْبَحْتَرِيِّ ٣٥٣ .

وقال أبو نُؤيرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيوب بذنب العَطْرَق (١) :

أبا يوسُفٍ لو كنتَ تَعَلَّمُ طاعِيً ونُصْحِي إِذْنُ ما بَعْتَنِي بِالْمَلْحَقِّ (٢)

ولا ساقَ سَرِّاقِ العِرافَةِ صالحٌ (٣) بَنِيَّ ولا كَلَّفْتُ ذَنْبَ العَطْرَقِ (١)

وقال خِداش (٤) بن زُهَيرٍ حين أُخِذَ بِدِماءِ بَنِي مَحارِبٍ (٥) :

أُكَلِّفُ قَتْلِي مَعَشَرَ لَسْتُ مِنْهُمُ ولادارُهُم داري ولا نصرُهُم نصري

أُكَلِّفُ قَتْلِي العِيسِ عِيسٍ شواحِطٍ وذلك أمرٌ لم تُشَفِّ له قِدرِي (٦)

وقال الآخر :

١١ إذا عَرَكَتِ عِجْلُ بنا ذَنْبَ طِيٍّ عَرَ كُنَّا بِتِمْ اللاتِ ذَنْبَ بَنِي عِجْلٍ

ولما وَجَدَ اليهودِيُّ أبا حنِيبِضٍ (٧) الضبابيَّ في منزله فَخَصَّاه فَماتَ ، وأخَذَ

حنِيبِضَ بَنِي عَبَسٍ بِجَنائِيَةِ اليودِيِّ ، قال قيسُ بن زُهَيرٍ : أتأخِذُنا بِذَنْبِ

غَيرِنا ، وتَسألُنا العَقْلَ والقاتِلُ يهوديُّ من أهلِ تِمْاءَ ؟ فقال : والله أن لو

قَتَلْتَهُ الرِّيحَ ، لو دَيْتُمُوهُ ! فقال قيسُ لبني عَبَسٍ : الموتُ في بَنِي ذُبيانَ

خَيْرٌ من الحِياةِ في بَنِي عامرٍ ! ثم أنشأ يقول :

أُكَلِّفُ ذا الحِصِيِّينَ إِنْ كانَ ظالِماً

وإن كنتُ مظلوماً وإن كنتُ شاطِئاً (٨)

(١) في ط « العَطْرَف » بالفاء ، وصوابه في ل ، س ، ١٠ س .

(٢) ماعدا ل و ١٠ س « إِذْنُ هاديتني » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفي

الخزانة : « والمَلْحَقُ الضمبي ولاء الحكم بن أيوب سفوان » .

(٣) في ط : « سراق العرافة » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

(٤) في ط : « خراش » وما هنا عن ل . وخداش شاعر جاهلي ، من أشراف بني عامر

(٥) في ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكما يتضح من الشعر .

(٦) في ط : « عيس شواهد » وهو تحريف ما في ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك

« لم يكلف له » وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س . وثق القدر : وضع لها الأثافي

وانظر معجم البكري ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .

(٧) ماعدا ل « أبا حنِيبِض » ، صوابه في ل والميداني ٢ : ٥٩

(٨) شاطِئاً : بعيداً نائياً .

خصاه امرؤ من آلِ تيماء طائر
ولا يَعْدُمُ الْإِنْسِيَّ وَالْجَنُّ كَانَتْ^(١)
فَهَلًّا بِنِي ذُبْيَانَ - أُمِّكَ هَابِلٌ -
رَهَنْتَ بِفَيْفِ الرِّيحِ إِنْ كُنْتَ رَاهِنًا^(٢)
إِذَا قُلْتَ قَدْ أَفَلْتُ مِنْ شَرِّ حَنْبِضٍ
أَتَانِي بِأُخْرَى شَرِّهِ مُتَبَاطِنًا
فَقَدْ جَعَلْتَ أَكْبَادَنَا تَجْتَوِيكُمْ
كَمَا تَجْتَوِي سُوقَ الْعِضَاهِ الْكَرَازِنَا^(٣)

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قتل لقمان بن عاد ابنته - وهي صُحْرَأَخْتُ لُقَيْمٍ - قال حين قتلها:
أَلَسْتُ امْرَأَةً ! وذلك أنه قد كان زوج عِدَّة نساء ، كلهنَّ خُتَّةً في أَنْفُسِهِنَّ ،
فلَمَّا قَتَلَ أَخْرَاهِنَّ وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ ، كان أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّاهُ صُحْرُ ابْنَتِهِ ، فَوَثَبَ
عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا وَقَالَ : وَأَنْتِ أَيْضًا امْرَأَةٌ ! وكان قد ابْتُلِيَ بِأَنَّ أُخْتَهُ كَانَتْ
مُحْمِقَةً^(٤) وكذلك كان زَوْجُهَا ، فقالت لإحدى نساء لُقَيْمَانَ : هذه لَيْلَةٌ
طُهْرِي وَهِيَ لَيْلَتُكَ ، فدَعَيْنِي أَنَامُ فِي مَضْجَعِكَ ، فَإِنَّ لُقَيْمَانَ رَجُلٌ مُعْجِبٌ ،

(١) في ل : « من آل تيماء طابن » وفيها « طابنا » موضع « كائنا » .

(٢) في الأصل : « بهيف الريح » تحريف . وانظر خبر يوم فيف الريح في الأغاني ١٥ : ٧٠
وأمثال الميداني ٢ : ٣٥٨ والكامل لابن الأثير ١ : ٣٨٧ .

(٣) الكورن وقد يكسر والكرزين : الفأس الكبير .

(٤) المحمقة والمحق أيضا : المرأة تلد الحمق . قال السيوطي في شرح شواهد المغني ٦٧ :
وكانت تحت رجل أحق .

فَعَسَى أَنْ يَقَعَ عَلَيَّ فَأُنَجِّبَ . فَوَقَعَ عَلَيَّ أَخْتَهُ فَحَمَلَتْ بِلِقِيمٍ . فَهُوَ قَوْلُ
النَّمِيرِ بْنِ تَوَلِّبٍ (١) :

لُقِيمٌ بْنُ لُقَيْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنَ أُخْتٍ لَهَا وَإِنَّمَا
لَيْلِيَّ حَمَقٌ فَاسْتَحْصَنَتْ عَلَيْهِ فَغَرَّ بِهَا مُظْلِمًا (٢)
فَأُحْبِلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا (٣)

فَضْرِبَتِ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الْمَثَلِ بِقَتْلِ لُقَيْمَانَ ابْنَتَهُ صُحْرًا ، فَقَالَ خُفَّافُ
ابْنِ نَدْبَةَ فِي ذَلِكَ :

وَعِيَّاشٌ يُدِبُّ لِي الْمَنِيَا وَمَا أُذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرٍ (٤)
وَقَالَ فِي ذَلِكَ ابْنُ أُذَيْنَةَ (٥) :

أَتَجْمَعُ تَهِيَامًا بَلِيلِي إِذَا نَأَتْ وَهَجْرَانَهَا ظُلْمًا كَمَا ظَلِمَتْ صُحْرُ
وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عَبَّادٍ :

قَرَّبًا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِئِنِّي لَقِيحَتْ حَرْبًا وَائِلِيَّ عَنْ حِيَالٍ (٦)
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِيمَ اللَّـهِ هُوَ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِي
وَقَالَ الشَّاعِرُ ، وَأُظْنَهُ ابْنَ الْمُقَفَّعِ :

(١) شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثا ، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وقرسانهم .

(٢) في ط « فعريه » . وغربها : خدع بها . ومظلمًا : في الظلام .

(٣) المحكم : المنجب الذي يلد حكيمًا ، ويقابله الحمق : الذي يلد الحمق .

(٤) في ثمار القلوب ٢٤٥ « وعيَّاش يمدد لي المنيا » وفي ل « وعيَّاش يدب إلي » . وأدبها :
جعلها تدب .

(٥) هوعروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى . شاعر مقدم من أهل المدينة
ويعد في الفقهاء والمحدثين أيضا ، ولكن غلب عليه الشعر ، وله ترجمة مستفيضة في الأغاني

٢١ : ١٠٥ - ١١١ .

(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حِيَالٍ : أي بعد انقطاع عن الحمل . والمعنى أنه قد
جد الجد .

فلا تَلَمْ المرءَ في شأنِهِ فربَّ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ
وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُدْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ وَكَمْ لَأَمٍّ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ (١)

(حديث سننار)

وقال بعض العرب ، في قتل بعض المملوك (٢) لِسِنَارِ الرومي ؛ فإنه لما
علا الخورنق ورأى بُنياناً لم ير مثله ، ورأى في ذلك المستشرف ، وخاف
إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثل ذلك البنيان لرجلٍ آخر من المملوك ،
رمى به من فوق القصر ، فقال في ذلك الكلبي (٣) في شيء كان بينه وبين
بعض المملوك :

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
سِوَى رَصِّهِ الْبِنْيَانَ سَبْعِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكْبِ (٤)
فلما رأى البُنيانَ تَمَّ سُحُوقَهُ

وَأَصَّ كَمِثْلِ الطَّوْدِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّعْبِ (٥)

وظنَّ سِنَارًا بِهِ كُلَّ حَبْرَةٍ وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمُودَةِ وَالشَّرْبِ (٦)

(١) كذا ، وحفظي أن الشعر الأول عجز ، صدره كما في الميداني ٢ : ١٢٦ :

تأن ولا تعجل بلومك صاحباً

(٢) قال الميثم بن عدي : إنه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي . وقال ابن الكلبي :
هو بهرام جور بن يزدجرد .

(٣) في ثمار القلوب ص ١٠٩ أنه شراحيل الكلبي . وفي أمالك ابن الشجري ١ : ١٠٢
أنه عبد العزيز بن امرئ القيس .

(٤) القراميد : مفردة قرمد كجعفر وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، ويجرك .
وفي ثمار القلوب « عشرين حجة » وفي معجم البلدان « ستين حجة » .

(٥) في معجم البلدان « كمثل الطود والشامخ الصعب » .

(٦) في ل : « حبرة » بمعنى المرور .

فقال اقدِفُوا بِالْعُجِّ مِنْ رَأْسِ شَاهِقٍ فَذَلِكَ لِعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْخُطْبِ
وجاء المسلمون ، يروى خَلْفٌ عَنْ سَلْفٍ ، وَتَابِعٌ عَنْ سَابِقٍ ، وَآخِرٌ عَنْ
أَوَّلٍ ، أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي عَيْبِ قَوْلِ زِيَادٍ^(١) : « لَأَخْذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ ،
وَالسَّمِيَّ بِالسَّمِيِّ ، وَالْجَارَ بِالْجَارِ » ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي لَعْنِ شَاعِرِهِمْ حَيْثُ يَقُولُ :
إِذَا أُخِذَ الْبَرِيُّ بِغَيْرِ ذَنْبٍ تَجَنَّبَ مَا يُحَاذِرُهُ السَّقِيمُ
قال : وَقِيلَ لِعَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ : إِنَّ فُلَانًا لَمَّا قَدَّمَ رِجْلًا لِيُضْرَبَ عُنُقَهُ ،
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ! فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ الْمَجْنُونَ يَلِدُ عَاقِلًا لَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قَالَ :
فَقَالَ عَمْرٍو : مَا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ إِلَّا بِالْحَقِّ !

١٣

وَمَا قَالَتِ النَّغْلِيَّةُ لِلْجَحَّافِ ، فِي وَقْعَةِ الْبِشْرِ^(٢) : فَضَّ اللَّهُ فَاكَ
وَأَعْمَاكَ ، وَأَطَالَ سُهَادَكَ ، وَأَقَلَّ رُقَادَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَ إِلَّا نِسَاءَ أَعَالِيهِنَّ
ثُدَيٍّ ، وَأَسَافِلُهُنَّ دُمِيَّ ! فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا أَنْ تَلِدَ هَذِهِ مِثْلَهَا لَخَلَّيْتُ
سَبِيلَهَا ! فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ فَقَالَ : أَمَّا الْجَحَّافُ فَجَدْوَةٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .
قال : وَذَمَّ رَجُلٌ عِنْدَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسِ السَّكَمَاءَةِ بِالسَّمَنِ ، فَقَالَ
عِنْدَ ذَلِكَ الْأَحْنَفِ : « رَبُّ مَذْمُومٌ لِأَذْنَبَ لَهُ^(٣) » .

فِيهِذِهِ السَّيْرَةَ سَرْتَا فِينَا .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٤) :

وَإِنَّ أَمْرًا أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

(١) هو ابن أبيه. والكلام في خطبته البتراء المعروفة. انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) في ط : « البسر » وهو تصحيف ، والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات. وانظر
المعجم والأغانى ١٩ : ١٣٠ .

(٣) الخبر في البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلت : وما بال أهل العلم والنظر، وأصحاب الفسك والعبر، وأرباب التحل، والعلماء وأهل البصر بمخارج الملل، وورثة الأنبياء، وأعوان الخلفاء، يكتبون كتب الظرفاء والملحاء، وكتب الفراغ والخلفاء، وكتب الملاهي والفكاهات، وكتب أصحاب الخصومات، وكتب أصحاب المراء، وكتب أصحاب العصبية وحمية الجاهلية ! ! ألا أنهم لا يحاسبون أنفسهم، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم، ولا يخافون تصفح العلماء، ولا لأئمة الأرباب^(١)، وشف الأكفاء، ومشنأة^(٢) الجلساء ! ؟

فهلأ أمسكت - يرحمك الله - عن عيبها والطعن عليها، وعن المشورة والموعظة، وعن تخويف مافي^(٣) سوء العاقبة، إلى أن تبلغ حال العلماء، ومراتب الأكفاء ! ؟

فأما كتابنا هذا، فسنذكر جملة المذاهب^(٤) فيه، وسنأتي [بعد ذلك] على التفسير، ولعل رأيك عند ذلك أن يتحوّل، وقولك أن يتبدل، فتثبت أو تكون قد أخذت من التوقف بنصيب، [إن شاء الله] .

(١) كذا في ل . وفي ط « ولأئمة الأدباء » .

(٢) في ط : « شنأة » وصوابه شنأة، وأثبت مافي ١٠ س وأما في ل فهي « مساء » . والشف .

بالتحريك وكذا المشنأة بمعنى، هو البغض .

(٣) في ل : « مافي » .

(٤) في ط : « المذاهب » والوجه ما أثبتته من ل، س .

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنَّ العالمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متفق ،
ومختلف ، ومتضادٌّ ؛ وكلُّها في جملة التبولِّجِ جَمَادٌ ونامٍ . وكان حقيقة القولِ
في الأجسام من هذه القِسْمَةِ ، أن يقال : نامٍ وغيرُ نامٍ . ولو أنَّ الحكماءَ وضعُوا
لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعُوا للنَّامِي اسماً ، لا تَبَعْنَا أَرْهَمُ ؛ وإنما
ننتهي إلى حيثُ انتهوا . وما أكثرَ ما تكونُ دلالةُ قولِهِم جَمَادٌ ، كدلالةِ
قولِهِم مَوَاتٌ . وقد يفتَرِقان في مواضعَ بعضَ الافتراق . وإذا أخرجت (١)
من العالمِ الأفلاكَ والبروجَ والنجومَ والشمسَ والتمرَ ، وجدتها غيرَ نامية ،
ولم تجدهم يسمون شيئاً منها بجَمَادٍ ولا مَوَاتٍ ، وليس لأنها تتحرَّكُ من تلقاءِ
أنفُسِها لم تُسمَّ مَوَاتاً ولا جَمَاداً .

وناسٌ يجعلونها مدبَّرة غير مدبَّرة ، ويجعلونها مسخَّرة غير
مسخَّرة (٢) ، ويجعلونها أحياء من الحيوان ؛ إذ كان الحيوانُ إنَّما يَحْيَا
بإحيائها له ، وبما تُعطيه وتُعيره . وإنما هذا منهم رأْيٌ ، والأُمُّ في هذا
كلُّه على خلافِهِم ، ونحنُ في هذا الموضعِ إنَّما نعبِّرُ عن لُغَتنا ، وليس
في لُغَتنا إلا ما ذكرنا .

والناسُ يسمون الأرضَ جَمَاداً ، وربَّما يجعلونها مَوَاتاً إذا كانت لم

(١) في ط : « خرجت » .

(٢) ما عدل و س : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة »
وما هنا صوابه .

تُنْبِتُ قَدِيمًا ، وهى مَوَاتِ الأَرْضِ ، وذلك كقولهم : مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا
فَهِيَ لَهُ .

وهم لا يجعلون الماء والنار والهواء ، جماداً ولا مَوَاتًا ، ولا يسمونها
حيواناتاً ما دامت كذلك ، وإن كانت لانضاف إلى النماء والحس .

والأَرْضُ هِيَ أَحَدُ الأَرْكَانِ الأَرْبَعَةِ ، التى هِيَ الماء والأَرْضُ والهواء
والنار ، والاسمان لا يتعاوَرَانِ عندهم إلا الأَرْضُ .

(تقسيم النامي)

ثمَّ النَّامِي عَلَى قَسْمَيْنِ : حيوان ونبات ، والحيوانُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ :
شَيْءٌ يَمْشِي ، وشَيْءٌ يَطِيرُ ، وشَيْءٌ يَسْبَحُ ، وشَيْءٌ يَنْسَاحُ ^(١) . إِيَّا أَنْ كُلُّ
طَائِرٍ يَمْشِي ، وليس الذى يَمْشِي ولا يَطِيرُ يَسْمَى طَائِرًا . والنوعُ الذى يَمْشِي
عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : نَاسٌ ، وَبَهَائِمٌ ، وَسَبَاعٌ ، وَحَشْرَاتٌ . عَلَى أَنَّ الحَشْرَاتِ
رَاجِعَةٌ فِي المَعْنَى إِلَى مَشَاكِلَةِ طَبَاعِ البَهَائِمِ والسَّبَاعِ . إِيَّا أَنْنَا فِي هَذَا كُلِّهِ
نَتَّبِعُ الأَسْمَاءَ القَائِمَةَ ^(٢) المَعْرُوفَةَ ، البَائِنَاتِ بِأَنْفُسِهَا ، المَتَمِيزَاتِ عِنْدَ سَامِعِهَا ،
مِنْ أَهْلِ هَذِهِ اللُّغَةِ وَأَصْحَابِ هَذَا اللِّسَانِ ، وَإِنَّمَا نُنْفِرِدُ مَا أَفْرَدُوا ،
وَنَجْمَعُ مَا جَمَعُوا ^(٣) .

(١) ينساح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإنما يفرد ما أفردوا ويجمع ما جمعوا » .

(تقسيم الطير)

والطيرُ كلُّ سَبْعٍ وبهيمة وهمج . والسباعُ من الطير على ضربين :
فنها العتاقُ والأحرارُ والجوارحُ ، ومنها البغاثُ^(١) وهو كلُّ ماعظمَ من
الطير : سباعاً كان أو بهيمة ، إذا لم يكن من ذواتِ السلاحِ والمخالبِ
المعقَّفة ، كالنُّسورِ والرَّخَمِ والغربانِ ، وما أشبهها من لثامِ السباعِ .
ثم الحشاشُ ، وهو ما لطفَ جرمُه وصغُرَ شخصه ، وكان عديمَ السلاحِ
[ولا يكون^(٢)] كالزَّرَقِ^(٣) واليُؤيُؤِ^(٤) والبادنجارِ^(٥) .

فأما الهمج فليس من الطير ، واسكنه مما يطير . والهمجَ فيما يطيرُ ،
كالخشراتِ فيما يمشى .

والحياتُ من الحشرات ، وأىُّ سبعٍ أَدخَلَ في معنى السَّبْعِيَّةِ مِنَ
الأفاعيِ والثعابينِ ؟ ولكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانت من ذواتِ
الأنيابِ وأكالةِ اللحومِ وأعداءِ الإنسِ وجميعِ البهائمِ ، ولذلك تأكلُها
الأوعالُ^(٦) والخنازيرُ والقنَافِذُ والعقبانُ^(٧) والشاهمُركُ^(٨) والسنانيرُ ، وغير
ذلك من البهائمِ والسباعِ . فَمَنْ جَعَلَ الحياتِ سِباعاً ، وسَمَّاهَا بذلك عندَ
بعضِ القولِ والسببِ فقدُ أصابَ ، ومن جَعَلَ ذلك لها كالاسمِ الذي هو العلامةُ

(١) في القاموس ، البغاث مثلثة : طائرٌ أغبرُ جمعه كغزلان ، وشرار الطير .

(٢) كلمة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزرق : طائرٌ يصاد به ، بين البازي والباشق ، وفيه ختل وخبث .

(٤) اليؤيؤ : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا في ط وس و ١٠ س . وفي ل « الباذنجان » . وأراها محرفة عن « الباشق » . انظر

الحيوان ٢ : ١٨٨ .

(٦) في ط « الأوغال » وتصحيحه من ل ومن الحيوان للجاحظ ٢ : ٥٢ و ٦ : ٥٥ .

(٧) في ط « الغريان » .

(٨) الشاهمرك : الفئى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل ، وهو معرب شاه مرغ ، ومعناه

ملك الطير . الديرى .

كالكلب والذئب والأسد فقد أخطأ :

ومن سباع الطير شكلٌ يكون سلاحه المخالب كالعقاب وما أشبهها ، ١٥
وشيءٌ يكون سلاحه المناقير كالذئسور والرخم والغربان ، وإنما جعلناها سباعاً
لأنها أكلة لحوم .

ومن بهائم الطير ما يكون سلاحه المناقير كالكرأكي وما أشبهها ، ومنه
ما يكون سلاحه الأسنان كالبوم والوطواط وما أشبهها ، ومنه ما يكون
سلاحه الصياصي كالديكة ، ومنه ما يكون سلاحه السلح (١) كالخباري (٢)
والثعلب أيضاً كذلك .

والسبع من الطير : ما أكل اللحم خالصاً ، والبهيمة : ما أكلت الحب
خالصاً . وفي الفن الذي يجمعها من الخلق المركب والطبع المشترك ، كلامٌ
سنأتي عليه في موضعه إن شاء الله تعالى .

والمشترك عندهم كالعصفور ؛ فإنه ليس بندي مخلب معقف ولا منسر (٣)
وهو يلقط الحب ، وهو مع هذا يصيد النمل (٤) إذا طار ، ويصيد الجراد ،
ويأكل اللحم ، ولا يزق فراخه كما تزق الحمام ، بل يلقمها كما تلقم
السباع من الطير فراخها . وأشباه العصافير من المشترك كثير ، وسند كر
ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) السلح والسلاح كغراب : النجو .

(٢) في ط « كالجاري » والصواب « كالجباري » كما في ل . وهي من الطيور التي
سلاحها سلاحها .

(٣) المنسر كجلس ومنبر : متقار الطير الجراح .

(٤) في ط « النحل » والصواب « النمل » كما في ل فإن النحل طائر بطبعه ، وأما النمل فيعرض
له الطيران حين الكبر ، قال أبو العتاهية :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

وليس كلُّ ما طار بجناحين فهو من الطير ؛ قد يطير الجِعْلَانُ والجَحْلُ
والْيَعَاسِيْبُ والذَّبَابُ والزَّنَابِيرُ والجِرَادُ والنَّمْلُ والفَرَّاشُ والبَعُوضُ والأَرْضَةُ
والنَحْلُ وغيرُ ذلك ، ولا يسمَّى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذكور
والسبب . وقد يسمُّون الدجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجراد ، والجِرَادُ
أَطِيرٌ ^(١) ، والمثلُّ المضروبُ به أشهر ، والملائكةُ تطيرُ ، ولها أجنحةٌ وليست
من الطير . وجعفر بن أبي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ،
وليس جعفرٌ من الطير .

واسم طائرٍ يقع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجناح . وليس
بالريش والقوادم ^(٢) والأباهر ^(٣) والحوافى ^(٤) ، يسمَّى طائراً ، ولا بعده
يسقط ذلك عنه . ألا ترى أن الحفَّاشَ والوَطواطَ من الطير ، وإن كانا أمرطين
ليس لهما ريشٌ ولا زغبٌ ولا شكيرٌ ولا قصب ^(٥) وهما مشهوران بالحمل
والولادة ، وبالرضاع ، وبظهور حجم الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامة
ذات ريشٍ ومنقارٍ وببيضٍ وجناحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كلُّ عامٍ سمكة ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من
معانيه . ألا ترى أن في الماء كذب الماء ، وعنز الماء ، وخزير الماء ؛
وفيه الرقُّ ^(٦) والسُّلْحَفَاةُ ، وفيه الضفدع وفيه السرطان ، والبَيْنِبُ ^(٧) ،

(١) في ط « طير » والصواب ما في ل . وأطير : أشد طيرنا .

(٢) القوادم والقدامى - كجبارى - أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . الواحدة قادمة .

(٣) الأبهير : الجانب الأقصر من الريش ، جمعه أباهر .

(٤) الحوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من
صغار الريش .

(٦) قال الدميري : بكسر الراء وبالضاد : ضرب من دواب الماء يشبه التمساح . والرق
أيضاً : العظيم من السلاحف ، وجمعه رقوق .

(٧) ورد هذا الاسم محرّفاً في جميع النسخ فهو في ط « التبتل » وفي ل « البنبيل » وفي س « التبتل »
وصوابه في الدميري قال : « على وزن فيعيل سمك بحري معروف عند أهل البحر » .
وانظر معجم المملوف ٢٥١ .

والتَّمساحُ والدُّخسُ والدُّلْفِينُ واللَّحْمُ والبَنبِكُ^(١) ، وغيرُ ذلك من الأصناف .
والكُوسَجُ والدُّ اللُّحْمُ ، وليس للكُوسَجِ أبٌ يُعرَفُ . وعامَّةُ ذَا يَعِيشُ في الماءِ ،
ويبيتُ خارجاً من الماءِ ، وَيَبْيِضُ في الشَّطِّ ، وَيَبْيِضُ بيضاً له صُفْرَةٌ ، وقِيضُ
وغيرُ قِيٍّ ، وهو مع ذلك ممَّا يكون في الماء مع السمك .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم ، كذلك
يقال في الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يصنع صمناً قطُّ ولا يجوز عليه
خلافه ، والناطق لما لم يتكلم قطُّ ، فيحملون ما يرغو ، ويثغو ، ويهق ،
ويصهل ، ويشحج ، ويحور ، ويبنغم ، ويعوي ، وينبح ، ويزقو ،
ويضغو ، ويهدر ، ويصفير ، ويصوي ، ويثوقي ، وينعب ، ويزار ،
وينزب^(٢) ، ويكش^(٣) ، ويعج^(٣) ، على نطق الإنسان إذا جمع بعضه على بعض .
ولذلك أشباهُ ، كالذكور والإناث إذا اجتمعا ، وكالعير التي تسمى لطيمة ،

(١) في الأصل : « البلب » والصواب ما كتبه عن القاموس وعن معجم المثلوف
٢٢٥ قال الفيروزبادي « والبنيك ، كقنفذ وجندل : دابة كالدلفين ، أو سمك يقطع
الرجل نصفين فيبلعه » .

(٢) في ط « يترب » وفي « ينبر » وهو تحريف ما أثبت .

(٣) الرغاء للإبل ، والثغاء للشاة ، والبهيق للحمير ، والصهيل للخيل ، والشحج
للبغال ، والحوار لثيران ، والبنغام للظباء ، والعواء للذئاب ، والنباح للكلاب ،
والزقاء للديكة ، والضغاء للسنانير ، والهدير للفحول ، والصفير للسنور ،
والصوأة للجراء ، والثوقاة للدجاج ، والنعب للغربان والبوم ، والزير للأسد ،
والزيب للظباء أو ذكورها خاصة ، والكشيش للأفاعى تحدته بجلودها .
والمعجج : الصياح ، وأحسب هذه الكلمة « يفتح » والفتح صوت الأفاعى
تحدته بأنواها .

وكالظُّعَن ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِذَا وَجَدَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، أَوْ أَخَذَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، سُمِّيَتْ بِأَنْبِهِ النَّوْعَيْنِ ذِكْرًا ، وَبِأَقْوَاهِمَا . وَالْفَصِيحُ هُوَ الْإِنْسَانُ ، وَالْأَعْجَمُ كُلُّ ذِي صَوْتٍ لَا يَفْهَمُ إِرَادَتَهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جِنْسِهِ . وَلِعَمْرَى إِنَّا نَفْهَمُ ^(١) عَنِ الْفَرَسِ وَالْحِمَارِ وَالسُّكْبِ وَالسَّنَّوْرِ وَالْبَعِيرِ ، كَثِيرًا مِنْ إِرَادَتِهِ وَحَوَائِجِهِ وَقَصُودِهِ ^(٢) ، كَمَا نَفْهَمُ إِرَادَةَ الصَّبِيِّ فِي مَهْدِهِ وَنَعْلَمُ ^(٣) - وَهُوَ مِنْ جَلِيلِ الْعِلْمِ - أَنَّ بَكَاءَهُ يَدُلُّ عَلَى خِلَافٍ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ضِحْكُهُ . وَحَمْحَمَةُ الْفَرَسِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْخَلَاةِ ^(٤) ، عَلَى خِلَافٍ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَمْحَمَتُهُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْحِجْرِ ، وَدُعَاءُ الْهَرَّةِ الْهَرَّ خِلَافُ دُعَائِهَا لَوْلَدِهَا ، وَهَذَا كَثِيرٌ .

وَالْإِنْسَانُ فَصِيحٌ ، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْفَارْسِيَّةِ أَوْ بِالْهِنْدِيَّةِ أَوْ بِالرُّومِيَّةِ ، وَلَيْسَ الْعَرَبِيُّ أَسْوَأَ فَهْمًا لِطَمَطَمَةِ الرَّومِيِّ [مِنَ الرَّومِيِّ] لِبَيَانِ لِسَانِ الْعَرَبِيِّ . فَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ يُقَالُ لَهُ فَصِيحٌ ، فَإِذَا قَالُوا : فَصِيحٌ وَأَعْجَمٌ ، فَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي قَوْلِهِمْ أَعْجَمٌ ، وَإِذَا قَالُوا الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ وَلَمْ يَلْفِظُوا بِفَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ ، فَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى يَرِيدُونَ ، إِنَّمَا يَعْنُونَ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَفْهَمُ عَنْهُ . وَقَالَ كَثِيرٌ :

فَبُورِكَ مَا أَعْطَى ابْنَ لَيْلَى بِنِيَّةٍ وَصَامَتْ مَا أَعْطَى ابْنَ لَيْلَى وَنَاطِقُهُ

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . . وَفِي ط « إِنْ التَّمَعِيمِ » .

(٢) فِي الْأَصُولِ « وَقَصُودِهِ » بِالرَّاءِ وَلَمْ يَظْهَرِ مَعْنَاهُ ، فَكُتِبَتْ مَكَانَهُ « قَصُودِهِ » جَمْعُ قَصْدٍ .

(٣) فِي ط : « وَنَفْهَمُهُ » . وَانظُرِ الْبَيَانَ ١ : ١٦٢ .

(٤) فِي ط « الْفَحْسَلِ » وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ . وَالْوَجْهُ مَا فِي ل ، وَوَرَدَ فِي ط زِيَادَةً

« مِنْ » قَبْلَ « حَمْحَمَةِ » وَإِثْبَاتُهَا يَفْسِدُ التَّرْكِيبَ .

ويقال « جاء بما صأى^(١) وصمت ». فالصامت مثل الذهب والفضة ، وقوله صأى^(١) يعنى الحيوان كله ، ومعناه نطق وسكت ؛ فالصامت فى كل شئ سيوى الحيوان .

ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة ، ووجدنا الحكمة على ضربين : شئ جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشئ جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة . فاستوى بذلك الشئ العاقل وغير العاقل ١٧ فى جهة الدلالة على أنه حكمة ؛ واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل ، فكل مستدل دليل وليس كل دليل مستدلا ، فشارك كل حيوان سوى الإنسان ، جميع الجماد فى الدلالة ، وفى عدم الاستدلال^(٢) ، واجتمع للإنسان أن كان دليلاً مستدلاً .
ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسموا ذلك بياناً .

(وسائل البيان)

وجعل البيان على أربعة أقسام : لفظ ، وخط ، وعقد^(٣) ، وإشارة ،

(١) فى ط « صأى » بالصاد ، وهو تصحيف صوابه ما فى ل ، س .
(٢) فى ط « وفى عدم الاستدلال وسموا ذلك بياناً » . و « وسموا ذلك بياناً » عبارة إضافية لامعنى لها .
(٣) تحدث الجاحظ عن العقد فى البيان ١ : ٢٧ ، ٧٦ ، وقال : إنه الحساب دون اللفظ والخط ، وقد علق الجاحظ عليه أهمية كبرى إذ يقول « وفى عدم اللفظ وفساد الخط ، والجهل بالعقد فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع » . فيظهر أن ذلك الضرب من الحساب كان شائعا فى عصره . ووجدت للبغدادى كلاماً فى (العقد) ٣ : ١٤٧ بولاق ، قال « واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد ، وقد ورد منه فى الحديث : وعقد عقد تسمين . وقد ألفوا فيه كتباً وأراجيز » . وانظر الخزانة .

وَجُعِلَ بَيَانُ الدَّلِيلِ الَّذِي لَا يَسْتَدِلُّ تَمَكِينُهُ الْمَسْتَدِلَّ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاقْتِيَادَهُ كُلَّ
مِنْ (١) فَكَّرَ فِيهِ إِلَى مَعْرِفَةٍ مَا اسْتُخْزِنَ مِنَ الْبِرْهَانِ ، وَحُشِيَ (٢) مِنَ الدَّلَالَةِ ،
وَأُودِعَ مِنْ عَجِيبِ الْحِكْمَةِ . فَالْأَجْسَامُ الْحُرْسُ الصَّامِتَةُ ، نَاطِقَةٌ مِنْ جِهَةِ
الدَّلَالَةِ ، وَمُعْرَبَةٌ مِنْ جِهَةِ صِحَّةِ الشَّهَادَةِ ، عَلَى أَنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ التَّدْبِيرِ
وَالْحِكْمَةِ ، مَخْبَرٌ لِمَنْ اسْتَخْبَرَهُ ، وَنَاطِقٌ لِمَنْ اسْتَنْطَقَهُ ، كَمَا خَبَرَ الْمُرَالُ
وَكُسُوفِ اللَّوْنِ ، عَنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَكَمَا يَنْطِقُ السَّمْنُ وَحُسْنُ النَّضْرَةِ ، عَنْ
حَسَنِ الْحَالِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ [وَهُوَ نَصِيبٌ] :

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وقال آخر :

مَتَى تَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ تُتَخَبَّرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

وقد قال العُكْلِيُّ (٣) فِي صِدْقِ شَمِّ الذُّبِّ وَفِي شِدَّةِ حَسَّةٍ وَاسْتِرْوَاخِهِ :

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مَقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْعِ (٤)

وقال عَنْرَةَ ، وَهُوَ يَصِفُ نَعِيبَ غُرَابٍ :

حَرِقُ الْجَنَاحِ كَأَنَّ لِحْيَ رَأْسِهِ جَلَمَانٍ بِالْأَخْيَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ (٥)

(١) فِي ط « وَاقْتِيَادَهُ فَكُلُّ » وَأَصْلُهَا الْعِبَارَةُ مِنْ ل .

(٢) فِي ط « وَحُشِيَ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ ظَاهِرٌ تَوْجِيهٌ فِي ل .

(٣) هُوَ أَبُو الرَّدِّيِّ الْعُكْلِيُّ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ . وَانظُرِ اللَّسَانَ (مَخْرَجُ) .

(٤) قَالَ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ : الْمَقْرَاعُ : الْفَأْسُ الَّتِي يَكْسِرُ بِهَا الصَّخْرَ . وَالْمَوْعُ : الْمَخْدُ .

(٥) فِي ط « حَرِقُ » بِالْهَاءِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، صَوَابُهُ فِي ل وَفِي الْبَيَانِ . قَالَ الْجَاهِظُ

فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ : « الْحَرِقُ : الْأَسْوَدُ ، شَبِهُ لِحْيَتِهِ بِالْجَلْمَانِ لِأَنَّ الْغُرَابَ يَخْبِرُ

بِالْغَرَبَةِ وَالْفَرَقَةِ ، وَيَقْطَعُ كَمَا يَقْطَعُ الْجَلْمَانُ » . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ رَشِيقٍ هَذَا الْبَيْتَ فِي

الْعَمْدَةِ ١ : ٢٠٢ وَجَعَلَهُ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ الْعَقْمِ ، الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ أَصْحَابُهَا إِلَيْهَا وَلَا تَعْدَى

أَحَدٌ بَعْدَهُمْ عَلَيْهَا .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه (١) : سَلَّ الْأَرْضَ ، فَقُلَّ : مَنْ شَقَّ
أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثِمَارَكَ ؛ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَاراً ،
أَجَابَتْكَ عَابَاراً .
فموضوعُ الجسمِ ونصبتُه ، دليلٌ على ما فيه وداعيةٌ إليه ، ومنبهةٌ (٢) عليه .
فالجمادُ الأَبْكُمُ الأخرسُ من هذا الوجه ، قد شارك في البيان الإنسان الحيُّ
الناطق . فَبِنَ جَعَلَ أقسامَ البيانِ خمسةً ، فقد ذهبَ أيضاً مذهباً له جوازُ في اللغة ،
وشاهدٌ في العقل . فهذا أحدُ قِسَمَيِ الحِكمةِ ، وأحدُ مَعْنَيِ (٣) ما استخزنها (٤) ١٨
اللهُ تعالى من الودِعة .

(ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأخرى ما أودعَ صدورَ صنوفِ سائرِ الحيوانِ ، مِنْ ضُرُوبِ (٥)
المعارفِ ، وفطرها عليه من غريبِ (٦) الهداياتِ ، وسخرَ حناجرَها له من
ضروبِ النَّغمِ الموزونة ، والأصواتِ المَلْحَنَةِ ، والمخارجِ الشَّجِيصَةِ ،
والأغاني المطربة ؛ فقد يقال إنَّ جميعَ أصواتها معدلةٌ ، وموزونة موقعةٌ ،
ثمَّ أَلذِي سَهَّلَ لها من الرفقِ العجيبِ في الصنعة ، مما ذلَّلَه اللهُ تعالى
لمناقيرها وأكفِّها ، وكبفَ فَتَحَ لها من بابِ المعرفةِ على قدر ما هيأَ لها
من الآلةِ ، وكيفَ أعطى كثيراً منها مِنَ الحسِّ اللطيفِ ، والصنعةِ
البدِيعَةِ ، من غيرِ تأديبٍ وثقُفٍ ، ومن غيرِ تقويمٍ وتلقينٍ ، ومن غيرِ
تدريجٍ وتمرينَ ، فَبَلَّغَتْ بِعَفْوِها وبمقدارِ قوَى فِطرتها ، من البِدِيعَةِ

(١) انظر البيان ١ : ٨١ .

(٢) في ط « ومهيمنة » والوجه ما في ل .

(٣) في الأصل « معنى » والصواب التثنية .

(٤) في الأصل « استخزنها » والضمير راجع إلى « الحكمة » .

(٥) في ط « ضرب » وصوابه في ل .

(٦) في ط « غريب » وهو تصحيف ظاهر .

والارتجال ، ومن الابتداء والاختصاب ، ما لا يَقْدَرُ عليه حُدَّاقُ رجالِ
الرأى ، وفلاسفة علماء البشر ، بِيَدٍ ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناس
أَكْمَلُهُمْ حصالاً وأَتَمَّهُمْ خلاً ، لا من جهة الاختصاب والارتجال ، ولا من
جهة التعسّف والافتدّار ، ولا من جهة التقدّم فيه ، والتأثّي فيه ، والتأثّي له .
والترتيب لمقدّماته ، وتمكين الأسباب المُعِينَةِ عليه . فصار جهده (١) الإنسان
الثاقب الحسّ ، الجامع القوى ، المتصرّف في الوجوه ، المقدّم في الأمور ،
يعجز عن عفو كثير منها ، وهو ينظر إلى ضروب ما يجرى منها ، كما
أعطيت العنكبوت ، وكما أعطيت السُرْفَةَ ، وكما علّم النحل ، بل (٢)
وعرّف التوتوط من بديع المعرفة ، ومن غريب الصنعة ، في غير ذلك من
أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم (٣) العجز في أنفسهم في أكثر ذلك ،
إلا بما قوى عليه الهمج والخشاش وصغار الحشرات ، ثم جعل الإنسان
ذا العقل والتمكين (٤) ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلف والتجربة ،
وذا التأثّي والمنافسة ، وصاحب الفهم والمسابقة (٥) ، والمتبصّر شأن العاقبة ،
متى أحسن شيئاً كان كلُّ شيءٍ دونه في الغموض عليه أسهل ، وجعل
سائر الحيوان ، وإن كان يحسن أحدها ما لا يحسن أحدق الناس متى
أحسن شيئاً عجيباً ، لم يمكنه أن يحسن ما هو أقرب منه في الظن ، وأسهل
منه في الرأى ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة . فلا الإنسان جعل

(١) في ط « جملة » وصوابه في ل .

(٢) هذا الحرف ليس في ل .

(٣) في ط ، ل « يوجد » موضع « يوجب لهم » وما أثبتته هو الوجه .

(٤) في ط « ليعلم الإنسان أن ذا العقل والتمكين » ووجه ما في ل لتم المقارنة بقوله بعد :

« وجعل سائر الحيوان . . الخ » .

(٥) في الأصل « السابقة » وكتبت ما هو أشبه بالكلام .

نفسه كذلك ، ولا شئمة من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسنَت هذه الأجناسُ
بلا تعلم ، ما يمتنع على الإنسان وإن تعلم ، فصار لا يحاوله ؛ إذ كان ١٩
لا يطمع فيه ، ولا يحسدُها ؛ إذ لا يؤمل اللحاقَ بها . ثم جعل تعالى وعزَّ ،
هاتين الحكمتين بإزاء عُيونِ الناظرين ، ومُجَاهِ أَسْمَاعِ الْمُعْتَبِرِينَ ، ثم حثَّ
على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتعاظ والازدجار ، وعلى التعرف والتبيين ،
وعلى التوقف والتذكُّر ، فجعلها مذكِّرةً منبِّهةً ، وجعل الفطر تَنْشِيءً (١)
الخواطر ، وتَجُولُ بأهلها في المذاهب . ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

(مزج الهزل بالجدِّ في الكتاب)

وهذا كتابٌ موعظةٌ وتعريفٌ وتفقهٌ وتنبيه . وأراك قد عبته قبل أن
تقف على حدوده ، وتتفكَّرَ في فصوله ، وتعتبرَ (٢) آخره بأوله ، ومصادره
بموارده ، وقد غلظت فيه بعضُ ما رأيتَ [في أثنائه] من مزج لم تعرف
معناه ، ومن بطلالةٍ لم تطلِّعْ على غورها ؛ ولم تدبرْ اجْتَلِبْتِ ، ولا لَأَى
عَلَّةً تُكَلِّفْتِ ، وأى شئٍ أُرِيغَ بها ، ولأى جدِّ احْتُمِلَ ذلك الهزل ،
ولأى رياضةٍ تُجَشِّمُ تلك البطلالة ؛ ولم تدبرِ أَنَّ المِزَاجَ جِدٌّ إِذَا اجْتَلِبَ
ليكون عِلَّةً لِلجِدِّ ، وَأَنَّ البَطَالَةَ وَهَارٌ وَرِزَانَةٌ ، إِذَا تُكَلِّفْتِ لِنُكَلِّفِ العَاقِبَةَ .
ولمَّا قال الخليلُ بنُ أحدٍ : لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاجُ إليه .

(١) هذا ما في ل . وفي ط « وجعل الفكر ينشئ » .

(٢) في الأصل « تفكَّر » والوجه : « تعتبر » .

حَتَّى يَتَعَلَّمَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، قَالَ أَبُو شَمْرٍ : إِذَا كَانَ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ صَارَ مَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ
مِثْلَ كِتَابِنَا هَذَا ؛ لِأَنَّهُ إِنْ حَمَلْنَا جَمِيعَ مَنْ يَتَكَلَّفُ قِرَاءَةَ هَذَا الْكِتَابِ
عَلَى مُرِّ الْحَقِّ ، وَصُعُوبَةِ الْجِدِّ ، وَثِقَلِ الْمَثُونَةِ ، وَحِلْيَةِ الْوَقَارِ ، لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ
مَعَ طَوْلِهِ إِلَّا مَنْ تَجَرَّدَ لِلْعِلْمِ ، وَفَهَمَ مَعْنَاهُ ، وَذَاقَ مِنْ ثَمَرَتِهِ ، وَاسْتَشْعَرَ قَلْبَهُ
مِنْ عِزِّهِ ، وَنَالَ سُرُورَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يُورِثُ الطَّوْلُ مِنَ السَّكَدِ ، وَالسَّكْرَةُ
مِنَ السَّامَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُقَادَ إِلَى حِطَّةِ السَّوَابِجِرِ (١) ، وَبِالسُّوقِ الْعَنِيفِ ،
وَبِالْإِخَافَةِ الشَّدِيدَةِ .

(نعت الكتاب)

ثُمَّ لَمْ أَرَكَ رَضِيْتَ بِالطَّعْنِ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ لِي بَعِينَهُ ، حَتَّى تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ
إِلَى أَنْ عَبْتِ وَضَعِ الْكُتُبِ كَيْفَمَا دَارَتْ بِهَا الْحَالُ ، وَكَيْفَ تَصَرَّفَتْ (٢) بِهَا
الْوُجُوهُ . وَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ عَيْبِكَ الْبَعْضَ بِلَا عِلْمٍ ، حَتَّى عَيْبَتِ السَّكْلَ
بِلَا عِلْمٍ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى التَّشْنِيعِ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى نَصْبِ الْحَرْبِ
فَعَبْتَ الْكِتَابَ ؛ وَنَعِمَ الذَّخِرُ وَالْعَقْدَةُ (٣) هُوَ ، وَنَعِمَ الْجَلِيسُ وَالْعُدَّةُ ، وَنَعِمَ
النَّشْرَةُ وَالنَّزْهَةُ ، وَنَعِمَ الْمَشْتَغَلُ وَالْحَرْفَةُ ، وَنَعِمَ الْأَنْبَسُ لِسَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنَعِمَ
الْمَعْرِفَةُ بِلِلَادِ الْغَرْبَةِ ، وَنَعِمَ الْقَرِينُ وَالذَّخِيلُ ، وَنَعِمَ الْوَزِيرُ وَالنَّزِيلُ .
٢٠ وَالسَّكْتَابُ وَعَاءٌ مُلِيٌّ عِلْمًا ، وَظَرْفٌ حُشِيٌّ ظَرْفًا ، وَإِنَاءٌ شُحِنَ مُزَاحًا وَجِدًّا ؛

(١) الساجور : خشبة تعلق في عنق الكلب . وسجره : شده به كسوجره . وانظر البيان ٣ : ٥٠ .

(٢) في الأصل : « تصرف » .

(٣) العقدة ، بضم العين : مافيه بلاغ الرجل وكفائته .

إِنْ شئتَ كَانَ أَبِينَ مِنْ سَحْبَانِ وائل ، وَإِنْ شئتَ كَانَ أَعْيَانِ مِنْ بَاقِلِ ، وَإِنْ
شئتَ ضَحِكْتَ مِنْ نَوَادِرِهِ ، وَإِنْ شئتَ عَجِبْتَ مِنْ غَرَائِبِ فَرَائِدِهِ ، وَإِنْ
شئتَ أَهْتَكِ طَرَائِفُهُ ، وَإِنْ شئتَ أَشَجَّتْكَ مَوَاعِظُهُ . وَمَنْ لَكَ بِوَأَعِظِ مُلِهِ ،
وَبزَاجِرِ مُعْرِ ، وَبِنَاسِكِ فَاتِكِ ، وَبِنَاطِقِ أَخْرَسِ ، وَبِبَارِدِ حَارِّ . وَفِي الْبَارِدِ
الْحَارِّ يَقُولُ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ (١) :

قُلْ لَزُهُيرِ إِذَا انْتَحَى وَشَدَا أَقْلِيلِ أَوْ أَكْثَرِ فَانْتَ مِهْدَارُ (٢)
سَخْنَتْ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَا - سَيَّ صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ (٣)
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ التَّلِجُ بَارِدٌ حَارُّ (٤)
وَمَنْ لَكَ بِطَيْبِ (٥) أَعْرَابِيٍّ ، وَمَنْ لَكَ بِرُومِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَبِفَارَسِيٍّ (٦)
يُونَانِيٍّ ، وَبِقَلْدِيمٍ مَوْلَدٍ ، وَبِمَيْتٍ مَمْتَعٍ (٧) ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ
الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْحَنِئَ وَالظَّاهِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ ،
وَالرَّفِيعَ وَالرَّضِيعَ ، وَالغَثَّ وَالسَّمِينِ ، وَالشُّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجِنْسَ وَضِدَّهُ .
وَبَعْدَ : فَتِي رَأَيْتَ بَسْتَانًا يُحْمَلُ فِي رُذْنٍ (٨) ، وَرَوْضَةً تُثْقَلُ (٩)

-
- (١) الأبيات في الديوان ١٨١ وعيون الأخبار كذلك ٢ : ٧ والعقد ٦ : ٧٥ .
(٢) في ط « إذا انتحى لشدا » وتصحيحه من ل والديوان ، وعيون الأخبار . وفي ط
« مهذار » بالبدال .
(٣) في أخبار أبي نواس لابن منظور ١٤ : « هذا شيء أخذته أبو نواس من مذاهب حكاء
الهند ، فإنهم يقولون : إن الشيء إذا أفرط في البرودة انقلب حارا . وقالوا :
إن الصندل يحك منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سخن . »
(٤) خفف راء (حار) لضرورة الوزن .
(٥) في ط « بطيب » وأصلحته من ل ومن المحاسن ٤ .
(٦) في ط « بفارس » وصوابه في ل والمحاسن ٤ .
(٧) في ط « ممتع » وفي المحاسن : « ونجيب ممتع » .
(٨) الرذن : أصل السم . . ويظهر أنهم يستعملونه كذلك في السم نفسه .
(٩) في ط « ثقل » ، والوجه « ثقل » لتلازم مع « يحمل » إذ هما بمعنى . وفي
المحاسن « ثقل » .

في جِجْرٍ ، وناطقاً ينطق عن الموتى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لك
بمؤنس لا ينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ؛ آمِنُ مِنَ الأرضِ ،
وأَكْتَمُ للسرِّ من صاحب السرِّ ، وأحفظُ للوديعَةِ من أرباب الوديعَةِ ،
وأحفظُ لما استُحْفِظَ من الآدميين ، وسن الأعرابِ المعريين^(١) ، بل ومن
الصبيانِ قبلَ اعتراضِ الاشتغال ، ومن العُميانِ قبلَ التَّمَتُّعِ بتمييزِ الأشخاصِ ،
حينَ العنايةِ تامَّةٌ لم تنقصْ ، والأذهانُ فارغةٌ لم تنقسمْ ، والإرادةُ وافرةٌ
لم تتشعبْ ، والطَّيِّبَةُ لينةٌ ، فهي أقبلُ ما تكونُ للطبايعِ ، والفضيبُ
رطبٌ ، فهو أقربُ ما يكونُ من العُلوقِ ، حينَ هذه الخصالُ لم يخلُقْ
جديدها ، ولم يوهنْ غرْبُها ، ولم تتفرَّقْ قواها ، وكانت كما قال الشاعر^(٢) :

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكَّنا
وقال عبدة بن الطَّيِّبِ^(٣) :

لأتأمَنوا قوماً يشبُّ صبيهم بين القوابلِ بالعداوةِ يُذْشَعُ^(٤)
ومن كلامهم : التعلُّمُ في الصَّغَرِ كالنقشِ في الحجرِ . وقد قال جرَّانُ العودِ^(٥) :

[تُرْكَنَ برجلةِ الروحاءِ حتَّى تنكُرتِ الديارُ على البصيرِ]
كَوْحِي في الحجارةِ أو وُشومِ بأيدي الرومِ باقيَّةِ النَّشورِ
وقال آخر ، وهو صالحُ بن عبد القدُّوسِ :

وإنَّ من أدبته في الصَّبِيِّ كالعودِ يُسقى الماءَ في غرْسِهِ

- (١) في ط « المتعريين » وإنما يتعرب الأعاجم . وهو تحريف صوابه في ل .
- (٢) هو مجنون بنى عامر كما في بيان الجاحظ ٢ : ٤٢ .
- (٣) البيت ساقط من ل . وفي ط « نيمرة بن الطيب » والتصحيح من س .
- (٤) نشع الصبي وأنشعه : أوجره . والنشوع : الوجور .
- (٥) شاعر نمري اسمه عامر بن الحارث ، لقب بذلك لقوله يخاطب امرأته :
خذنا حذرا ياجارقي فإنني رأيت جرَّان العود قد كاد يصلح
وله ديوان طبعته دار الكتب .

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي قَد كَانَ فِي يُبْسِهِ (١)
وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيْلِ الْغُلَامِ الْمُؤَدَّبِ وَلَا يَنْفَعُ التَّادِيْبُ وَالرَّأْسُ أُشَيْبُ
وقال آخر :

وَتَلُوْمُ عِرْسِكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْمَهْرَمِ
وقد قال ذو الرُّمَّة (٢) لعيسى بن عمر (٣) : أكتب شعري ؛ فالكتاب أحبُّ
إليَّ من الحفظ . لأنَّ الأعرابيَّ ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته ،
فيضعُ في موضعها كلمةً في وزنها ، ثمَّ يُنشدُها الناسَ ، والكتاب لا ينسى
ولا يُبدلُ كلاماً بكلام .

، وعبتَ الكتابَ ، ولا أعلمُ جاراً أبرَّ ، ولا خَلِيْطاً أنصفَ ، ولا رفيقاً
أطوعَ ، ولا معلماً أخضعَ ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، ولا أقلَّ جنائياً ، ولا
أقلَّ إملالاً وإبراماً ، ولا أحفلَ أخلاقاً ، ولا أقلَّ خِلافاً وإجراماً ، ولا
أقلَّ غيبةً ، ولا أبعدَ من عَضِيْبَةٍ (٤) ، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرفاً ، ولا أقلَّ

(١) المحفوظ « من يبسه » .

(٢) في ط « ذو الرومة » وواضح تحريفه .

(٣) عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمر ، مولى خالد بن الوليد ، نزل في ثقيف فنسب إليهم ،
إمام في النحو والعربية ، أخذ عن أبي عمرو وعبد الله بن أبي إسحق ، وروى عن الحسن
البحري والمجاج ورؤبة ، وعنه الأصمعي ، ويقال إنه له نيفا وسبعين مصنفاً
ذهبت كلها ، وكان يتعقر في كلامه . حكى عنه الجوهري في الصحاح وغيره ،
أنه سقط عن حمار فاجتمع إليه الناس فقال : « مالي أراكم تكأكم على
كتكأ كتكم على ذى جنة ؟ ! افرنقوا عني » . وآتمه عمر بن هبيرة بوديعة ، فضربه
نحو ألف سوط ، فجعل يقول : « والله إن كانت إلا أثياباً في أسيفاط قبضها
عشاروك ! » . وانظر بغية الوعاة ٢٧٠ .

(٤) العضية : الكذب والإفك والبهتان .

تصلُّفاً وتكلفاً، ولا أبعد من مراءٍ ، ولا أترك لشغبٍ ، ولا أزهّد في جدالٍ ،
 ولا أكفّ عن قتالٍ ، من كتاب . ولا أعلمُ قريناً أحسنَ موافاةً ، ولا أعجلُ
 مكافاةً ، ولا أحضّرَ معونةً ، ولا أخفّ مئونةً ، ولا شجرةً أطولَ عمراً ، ولا
 أجمعَ أمراً ، ولا أطيّبَ ثمرةً ، ولا أقربَ مجتنىً ، ولا أسرعَ إدراكاً ، ولا
 أوجدَ في كلِّ إبانٍ ، من كتاب . ولا أعلمُ نتائجاً في حدائثِ سنّه وقُرب
 ميلاده ، ورُخصَ ثمنه ، وإمكانِ وجوده ، يجمعُ من التداييرِ العجيبةِ
 والعلومِ الغريبةِ ، ومن آثارِ العقولِ الصحيحةِ ، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفةِ ،
 ومن الحكَمِ الرفيعةِ ، والمذاهبِ القويمةِ^(١) ، والتجاربِ الحكيمةِ ، ومن
 الإخبارِ عن القرونِ الماضيةِ ، والبلادِ المتنازحةِ ، والأمثالِ السائرةِ ، والأممِ
 البائدةِ ، ما يجمعُ لك الكتابُ . قال الله عزّ وجلّ لنبيه عليه الصلاة
 والسلام ﴿ إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم ﴾ فوصف نفسه ،
 ٢٢ تبارك وتعالى ، بأنّ علمه بالقلم ، كما وصف نفسه بالكرم ، واعتدّ بذلك
 في نعمةِ العظامِ ، وفي أياديه الجسامِ . وقد قالوا: القلمُ أحدُ اللسانينِ ، وقالوا :
 كلُّ مَنْ عَرَفَ النُّعْمَةَ في بيانِ اللسانِ ، كان بفضلِ النُّعْمَةِ في بيانِ القلمِ
 أعرفَ . ثمّ جعلَ هذا الأمرَ قرآناً ، ثمّ جعله في أوّلِ التنزيلِ
 ومستفتحِ الكتابِ .

(كون الاجتماع ضرورياً)

ثمّ اعلم ، رحِمَكَ اللهُ تعالى ، أنّ حاجةَ بعضِ الناسِ إلى بعضٍ ، صفةٌ
 لازمةٌ في طبائعهم ، وخلقَةٌ قائمةٌ في جواهرهم ، وثابتةٌ لا تزألُهم ، ومُحِيطَةٌ
 بجماعتهم ، ومشمّلةٌ على أذنابهم وأقصاهم ، وحاجتُهُم إلى ما غاب عنهم -

(١) في الأصل « القديمة » بالدال .

مَّا يُعِيشُهُمْ وَيُحْيِيهِمْ ، وَيُمْسِكُ بِأَرْمَاقِهِمْ ، وَيُصَلِّحُ بِهِمُ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ، وَإِلَى التَّعَاوُنِ فِي دَرْكِ ذَلِكَ ، وَالتَّوَازُرِ عَلَيْهِ - كَحَاجَتِهِمْ إِلَى التَّعَاوُنِ عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَضُرُّهُمْ ، وَالتَّوَازُرِ عَلَى مَا يَحْتَاجُونَ مِنَ الِارْتِفَاقِ بِأُمُورِهِمُ الَّتِي لَمْ تَغِبْ عَنْهُمْ ، فَحَاجَةٌ الْغَائِبِ مَوْصُولَةٌ بِحَاجَةِ الشَّاهِدِ ، لِاحْتِيَاجِ الْأَدْنَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَقْصَى ، وَاحْتِيَاجِ الْأَقْصَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَدْنَى ، مَعَانٍ مُتَضَمِّنَةٌ ، وَأَسْبَابٌ مُتَّصِلَةٌ ، وَحِبَالٌ مُنْعَقِدَةٌ . وَجَعَلَ حَاجَتَنَا إِلَى مَعْرِفَةِ أَخْبَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، كَحَاجَةِ [مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَى أَخْبَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ، وَحَاجَةِ] مَنْ يَكُونُ بَعْدَنَا إِلَى أَخْبَارِنَا ، وَلِذَلِكَ تَقَدَّمَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْبِشَارَاتُ بِالرُّسُلِ ، وَلَمْ يَسْخَرْ لَهُمْ جَمِيعَ خَلْقِهِ ، إِلَّا وَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الِارْتِفَاقِ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ . وَجَعَلَ الْحَاجَةَ حَاجَتَيْنِ : لِإِحْدَاهُمَا قِيَامُ وَقُوتِ ، وَالْأُخْرَى لِدَّةٍ وَإِمْتَاعٍ وَازْدِيَادٍ فِي الْآلَةِ ، وَفِي كُلِّ مَا أَجْدَلَ النُّفُوسَ ، وَجَمَعَ لَهُمُ الْعِتَادَ ^(١) . وَذَلِكَ الْمَقْدَارُ مِنْ جَمِيعِ الصَّنْفَيْنِ وَفَقُّ لِسْكَرَةِ حَاجَاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِ اتِّسَاعِ مَعْرِفَتِهِمْ وَبُعْدِ غَوْرِهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِ إِحْتِمَالِ ^(٢) طَبْعِ الْبَشَرِيَّةِ وَفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ . ثُمَّ لَمْ يَقْطَعْ الزِّيَادَةَ إِلَّا لِعَجْزِ خَلْقِهِمْ عَنْ إِحْتِمَالِهَا ، وَلَمْ يَجْزْ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَجْزِ ، إِلَّا بِعَدَمِ الْأَعْيَانِ ، إِذْ كَانَ ^(٣) الْعَجْزُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، وَنَعْتًا مِنْ نَعُوتِ الْعَبِيدِ .

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا يَسْتَطِيعُ بَلُوغَ حَاجَتِهِ بِنَفْسِهِ ^(٤) دُونَ الْإِسْتِعَانَةِ

(١) فِي ط : « الْمَعْتَاد » وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) فِي ط : « اِعْتِمَاد » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(٣) فِي ط : « إِذَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ يَقَعُ كَثِيرًا فِي مَوَاضِعَ تُشَبِّهُ هَذَا .

(٤) فِي ط : « بِنَفْسِهِ » وَالرُّجُوحُ مَا أُثْبِتَ عَنْ ل .

بعض من سخر له ، فأدناهم مسخر لأقصاهم ، وأجلهم ميسر لأدقهم .
وعلى ذلك أحوج الملوك إلى السوق في باب ، وأحوج السوق إلى الملوك
في باب ، وكذلك الغنى والفقير ، والعبء وسيده . ثم جعل الله تعالى كل
شيء للإنسان خولاً ، وفي يده مدلاً ميسراً^(١) إما بالاحتياج له والتلطف
في إراغته واستمالته ، وإما بالصولة عليه ، والفتك به ، وإما أن يأتيه
سهواً ورهواً . على أن الإنسان لولا حاجته إليها ، لما احتال لها ، ولا صال
عليها . إلا أن الحاجة تفرق في الجنس والجهة والجيلة ، وفي الحظ والتقدير .
ثم تعبد الإنسان بالتفكير فيها ، والنظر في أمورها ، والاعتبار
بما يرى ، ووصل بين عقولهم وبين معرفة تلك الحكم الشريفة ، وتلك
الحاجات اللازمة ، بالنظر والتفكير ، وبالتنقيب^(٢) والتنقيب ، والتثبت^(٣)
والتوقف ؛ ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم إليها ، وتشاعرهم بمواضع
الحكم فيها بالبيان عنها .

(البيان ضروري للاجتماع)

وهو البيان الذي جعله الله تعالى سبباً فيما بينهم ، ومعبراً عن حقائق
حاجاتهم ، ومعرفاً لمواضع سد الخلة ورفع الشبهة ، ومداواة الحيرة ، ولأن
أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح الماثلة ، والأجسام
الجامدة ، والأجرام الساكنة ، التي لا يتعرف ما فيها من دقائق الحكمة

(١) في ط : « مذ ، إلا ميسرا » والوجه ما في ل .

(٢) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : « والتنقيب » .

(٣) كذا في ل وهو الوجه . والذي في ط : « والتثبت » .

وكنوز الآداب ، وينايع العلم ، إلا بالعقل الثاقب اللطيف ، وبالنظر
التام النافذ ، وبالأداة الكاملة ، وبالأسباب الوافرة ، والصبر على مكروه
النكر ، والاحتراس من وجوه الخدع ، والتحفُّظ من دواعي الهوى ؛ ولأنَّ
الشَّكْلَ أفهمُّ عن شكله ، وأسكَنُ إليه وأصَبُّ به . وذلك موجودٌ في
أجناسِ البهائم ، وضروبِ السباع . والصبيُّ عن الصبيِّ أفهمُّ له ، وله آلفٌ
وإليه أنزع ، وكذلك العالمُ والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عزَّ وجلَّ
لنبيِّه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ لَأَنَّ
الإنسانَ عن الإنسان أفهم ، وطباعه بطباعه آنس ؛ وعلى قدر ذلك يكون
موقعُ ما يسمع منه .

ثمَّ لم يرضَ لهم من البنيان بصنْفٍ واحد ، بل جَمع ذلك ولم يفرِّق ،
وكثُر ولم يقلل ، وأظَهَرَ ولم يُخْفِ ، وجعل آلة البيان التي بها يتعارفون
معانيهم ، والثرُجمان الذي إليه يرجعون عند اختلافهم ؛ في أربعة أشياء ؛
وفي خصلةٍ خامسة ؛ وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها ، فقد
تبدلَ بجنسها الذي وُضعت له وصُرِّفت إليه ، وهذه الخصال هي : اللفظ ،
والخط ، والإشارة ، والعقد ؛ والخصلة الخامسة ما أوجدَ من صحَّة الدلالة ،
وصدقِ الشهادة ووضوحِ البرهان ، في الأجرامِ الجامدة والصامته ،
والساكنة التي لا تتبيَّن (١) ولا تحسُّ ، ولا تفهم ولا تتحرَّك إلا بداخلٍ
يدخل عليها ، أو عند مُمسكِ خَلِيٍّ عنها ، بعد [أَنْ] كان تقييدها لها .

ثمَّ قسَّم الأقسامَ ورتَّب المحسوسات ، وحصلَّ الموجودات ، فجعل
اللفظَ للسامع ، وجعل الإشارةَ للناظر ، وأشركَ الناظرَ واللامسَ في معرفة

(١) في ل : « لا تتبس » ، أي تنطق . والتبين هنا معناه التفهم .

٢٤ العَقْد ، إِلَّا بِمَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ نَصِيبَ النَّاطِرِ فِي ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ نَصِيبِ
الْأَمْس . وَجَعَلَ الْخَطَّ دَلِيلًا عَلَى مَا غَابَ مِنْ حَوَائِجِهِ عَنْهُ ، وَسَبَبًا مَوْصُولًا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ أَعْوَانِهِ ؛ وَجَعَلَهُ خَازِنًا لِمَا لَا يَأْمَنُ نَسْيَانُهُ ، مِمَّا قَدْ أَحْصَاهُ وَحَفِظَهُ ،
وَأَتَقَنَهُ وَجَمَعَهُ ، وَتَسَكَّلَ الْإِحَاطَةَ بِهِ ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ لِلشَّامِّ وَالذَّائِقِ نَصِيبًا .

(خطوط الهند)

ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب الكثير والبسيط ، ولبطلت (١)
معرفة التضاعيف ، ولعديموا الإحاطة بالباورات وباورات الباورات (٢) ،
ولو أدركوا ذلك لما أذركوه (٣) إلا بعد [أن] تغلظ المثونة ، وتنتقض
المنة ، ولصاروا في حال معجزة وحسور ، وإلى حال مضيعة وكلال
حد ، مع التشاغل بأمور لولا فقد هذه الدلالة لسكان أريح لهم ، وأرد
عليهم ، أن يصرف ذلك الشغل في أبواب منافع الدين والدنيا .

(نفع الحساب)

ونفع الحساب معلوم ، والخلة في موضع فقدته معروفة . قال الله تعالى :
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ﴾ . وبالبيان عرف الناس القرآن . وقال الله تبارك وتعالى

(١) في ط : « ولبطلت » .

(٢) رسمت هذه الكلمات باثبات ألفات بعد واواتها في ط : ورسمت في ل بحذفها .

(٣) في ط : « ولو أدركوا ذلك لما أذكروه » وهو تحريف أصلحته من ل .

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ، لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فَأَجْرَى الْحِسَابَ مُجْرَى الْبَيَانِ بِالْقُرْآنِ . وَبِحُسْبَانِ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، عَرَفْنَا حَالَاتِ الْمَدِّ وَالْجُزْرِ ، وَكَيْفَ تَسْكُونُ الزِّيَادَةُ فِي الْأَهْلَةِ وَأَنْصَافِ الشُّهُورِ ^(١) ، وَكَيْفَ يَكُونُ النِّقْصَانُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ تَلِكِ الْمَرَاتِبُ وَتَلِكِ الْأَقْدَارِ .

(فضل الكتابة)

ولولا الكتبُ المدوّنة والأخبارُ المخلّدة ، والحكمُ المخطوطة التي تُحصّنُ الحسابَ وغيرَ الحسابِ ، لبطلَ أكثرُ العلمِ ، ولغلبَ سلطانُ النسيانِ سلطانَ الذكْرِ ، ولما كان للناسِ مفرجٌ إلى موضعِ استذكارٍ . ولو تمَّ ذلك لحرّمنا أكثرَ النفعِ ؛ إذ كنّا قد علمنا أنّ مقدارَ حفظِ الناسِ لعوَجَلِ حاجاتهمِ وأوائلها ، لا يبلغُ من ذلك مبلغاً مذكوراً ولا يُغني فيه غناءً ^(٢) محموداً . ولو كلّفَ عامّةٌ من يطلبُ العلمَ ويصطنعُ الكتبَ ، ألا يزالَ حافظاً لفهرستِ كتبه لأعجزه ذلك ، والكلّفُ شططاً ، ولشغله ذلك عن كثيرٍ ممّا هو أولى به . وفهمك لمعاني كلامِ الناسِ ، يتقطع قبل انقطاعِ فهمِ عينِ الصوتِ مجرّداً ، وأبعدُ فهمك لصوتِ صاحبك ومُعَامِلِكِ والمعاوِنِ لك ، ما كان صياحاً صرفاً ، وصوتاً مصمتاً ونداءً خالصاً ، ولا يكون ذلك إلا وهو بعيدٌ من المفاهمة ، وعُطلٌ من الدلالة . فجعل اللفظُ

(١) انظر الحيوان ٧ : ٤١ .

(٢) في ط : « غنا » وضواحه المدكافي ل .

لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلا ، والكتاب للنازح
٢٥ من الحاجات . فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها : رَفَعُ الحَوَاجِبِ ، وكسْرُ
الأجفان ، ولِيُّ الشِّفَاهِ وتحريك الأعتاق ، وقَبْضُ جِلْدَةِ الوَجْهِ ؛ وأبعدها
أن تلوى بثوبٍ على مقطع جبل ، مُجَاهَةَ عَيْنِ الناظر ، ثمَّ يَنْقَطِعُ عملُها ويدرس
أثرها ، ويموت ذكرها ، ويصير بعد كلِّ شَيْءٍ فَضْلٌ عن انتهاء مدَى الصوت
ومنتهى الطرف ، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوطِ والكتب . فَأَيُّ نَفْعٍ أعظمُ ،
وأىُّ مَرْفَقٍ أعونٌ من الحطِّ ، والحالُ فيه كما ذكرنا !! وليس للعقد حظُّ
الإشارة في بُعد الغاية .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عزَّ وجلَّ القلم في المكان الرفيع ، ونوّه بذكره
في المنصب الشريف حين قال ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فَأَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
كما أقسم بما يُحِطُّ بالقلم ؛ إذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ، ولا يشقُّ
غبارَه ولا يجرى في حلبته ، ولا يتسكف [بُعدًا] غايته . لكن لما أن
كانت حاجات الناس بالحضرة^(١) أكثرَ مِنْ حاجاتهم في سائر الأماكن ،
وكانت الحاجة إلى بيان اللسان حاجةً دائمةً واکدةً ، وراهنَةً ثابتةً ،
وكانت الحاجة إلى بيان القلم أمراً يكون في الغيبة وعند النائبة ، إلا
ما خصت به الدواوين ؛ فإن لسان القلم هناك أبسطُ ، وأثره أعمُّ ، فلذلك

(١) الحضر بالتحريك والحضرة والحاضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

قدّموا اللسان على القلم . فاللسان الآن إنما هو في منافع اليد^(١) والمرافق التي فيها ، والحاجات التي تبلغها .

(فضل اليد)

فن ذلك حظُّها وقسطُها من منافع الإشارة ، ثم نصيبُها في تقويم القلم ، ثم حظُّها^(٢) في التصوير ، ثم حظُّها في الصناعات ، ثم حظُّها في العَقْد ، ثم حظُّها في الدَّفْع عن النفس ، ثم حظُّها في إيصال الطعام والشراب إلى الفم ، ثم التوضُّؤ والامساح^(٣) ، ثم انتقادِ الدنانيرِ والدراهمِ ولُبْسِ الثيابِ ، وفي الدفْع عن النفس ، وأَصْنَافِ الرَّمَى ، وأَصْنَافِ الضَّرْبِ ، وأَصْنَافِ الطَّعْنِ ، ثم التَّقْرِيرِ بِالْعُودِ وتحريكِ الوترِ ؛ ولولا ذلك لبطلَ الضَّرْبُ كُلُّهُ أو عامَّتُهُ . وكيف لا يكون ذلك كذلك ولها ضَرْبُ الطَّبْلِ والدَّفِّ ، وتحريكُ الصَّفَاقَتَيْنِ^(٤) ، وتحريكِ مَخَارِقِ خُرُوقِ المِزَامِيرِ ، وما في ذلك من الإِطْلَاقِ والحِيسِ . ولو لم يكن في اليدِ إِلَّا إِسْأَلُ العِنانِ والزِّمَامِ وَالخَطَامِ ، لكانَ من أعظمِ الحِظوظِ .

وقد اضطربوا في الحِكمِ بين العَقْدِ والإِشارةِ ، ولولا أن مغزانا في هذا الكتابِ سوى هذا الباب ، لقد كانَ هذا ممَّا أُحِبُّ أن يعرفه إخواننا

-
- (١) في ل « إنما يوفى منافع اليد » .
 - (٢) هذه الكلمة ومكرراتها هي في ط : « خطها » وهو تصحيف أصلح من ل .
 - (٣) في ط : « والتمسح » .
 - (٤) الظاهر أنها آلة موسيقية تشبه تلك التي يستعملها أصحاب الموسيقى النحاسية : قرصين نحاسيين يضرب أحدهما بالآخر .

وخطاؤنا . فلا ينبغي لنا أيضاً أن نأخذ في هذا الباب من الكلام ، إلاّ بعد
٢٦ الفراغ ممّا هو أولى بنا منه ، إذ كنت لم تنازعني ، ولم تعب كتبي ، من طريق
فضل (١) ما بين العقد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإلّا
قد صدنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتاب هو الذي يؤدي إلى الناس كتب الدين (٢) ، وحساب الدواوين
مع خفة نقله ، وصغر حجمه ؛ صامت ما أسكته ، وبلغ ما استنطقته . ومن
لك بمسامر لا يبتدئك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ،
ولا يحوجك إلى التجميل له والتدثّم منه . ومن لك بزائر إن شئت جعل
زيارته غيباً ، ووروده خمّساً ، وإن شئت لزمك لزوم ظلك ، وكان منك
مكان بعضك .

والقلم مكتف بنفسه ، لا يحتاج إلى ما عند غيره ؛ ولا بدّ لبيان اللسان
من أمور : منها إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا عنك (٣) خاصّ الخاصّ
إذا كان أخصّ الخاصّ قد يدخل في باب العامّ ، إلاّ أنّه أدنى طبقاته ؛ وليس
يكتفي خاصّ [الخاصّ] باللفظ عمّا أداه ، كما اکتفى عامّ العامّ والطبقات
التي بينه وبين أخصّ الخاصّ .

والكتاب هو المجلس الذي لا يطريك ، والصديق الذي لا يغريك ،

(١) كذا . ولعلها « فصل » .

(٢) قول : « كتب علم الدين » .

(٣) في ط « عن » وتصحيحه من ل .

والرفيقُ الذي لا يَمَلُكَ ، والمستَمِيعُ الذي لا يَسْتَرِيكُ^(١) ، والجارُ الذي لا يَسْتَبْطِيعُ ، والصاحبُ الذي لا يريد استخراجَ ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمكر ، ولا يَخْدَعُكَ بالنِّفاق ، ولا يَحْتالُ لك بالكذب . والكتابُ هو الذي إن نظرتَ فيه أطالَ إمتاعَكَ ، وشحذَ طباعَكَ ، وبسطَ لسانَكَ ، وجوّدَ بَنانَكَ ، وفخّمَ ألفاظَكَ ، وبجّجَ^(٢) نفسَكَ ، وعَمَّرَ صدرَكَ ، ومنحكَ تعظيمَ العوامِّ وصدّاقةَ الملوك ، وعَرَفْتَ به في شهر ، ما لا تعرفُهُ من أفواهِ الرجالِ في دهر ، مع السلامةِ من الغرم ، ومن كدِّ الطلب ، ومن الوقوفِ ببابِ المكتسبِ بالتعليم ، ومن الجلوسِ بين يدي مَنْ أنتَ أفضلُ منه خُلُقاً ، وأكرمُ منه عِرْقاً ، ومع السلامةِ من مجالسةِ البغضاءِ ومقارنَةِ الأغبياءِ . والكتابُ هو الذي يُطِيعُكَ بالليلِ كطاعتهِ بالنهار ، ويَطِيعُكَ في السفرِ كطاعتهِ في الحضر ، ولا يعتلُّ بنومٍ ، ولا يعتريه كلالُ السهرِ . وهو المعلمُ الذي إن افتقرتَ إليه لم يُخْفِرْكَ ، وإن قطعتَ عنه المادّةَ لم يقطعْ عنك الفائدةُ ، وإن عَزَلْتَ لم يدعْ طاعتَكَ ، وإن هبّتْ ريحُ أعادِكَ لم ينقلبْ عليك ، ومتى كنتَ منه متعلّقاً بسببٍ أو معتصماً بأذني حبلٍ ، كان لك فيه غنى من غيره ، ولم تَضْطَرَّكَ [معه] وحشةُ الوَحْدَةِ إلى جليسِ السوءِ . ولو لم يكن من فضله عليك ، وإحسانِهِ إليك ، إلّا منعه لك من الجلوسِ على بابك ، والنظرِ إلى ٢٧ المارةِ بك ، مع ما في ذلك من التعرُّضِ للحقوقِ التي تَلْزَمُ ، ومن فُضُولِ

(١) المستمع : طالب العرف . واسترأته : استبطأه . وفي ط : « يشتريك » . وفي ل :

« يشتريك » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) البجج محرّكة : الفرج ، وبجج به كفرج ، وبججته تبيحها فتبيح : أي أفرجته ففرج .

النظر ، ومن عادة الخوض فيما لا يعينك ^(١) ، ومن ملابسة صغار الناس ،
وحضور ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الرديئة ،
وجهالاتهم المذسومة ، لكان في ذلك السلامة ، ثم الغنيمة ، وإحراز الأصل ،
مع استفادة الفرع . ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سُخْفِ المُنَى وعن
اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكل ما أشبه اللعب ، لقد كان على صاحبه
أسخغ النعمة وأعظم المنة .

وقد علمنا أن أفضل ما يقطع به الفراغ نهارهم ، وأصحاب الفكاهات
ساعات ليهم ، السكتاب . وهو الشيء الذي لا يرى لهم فيه مع النيل أثر
في ازدياد تجربة ولا عقل ولا مروعة ، ولا في صون عرض ، ولا في إصلاح
دين ، ولا في تمييز مال ، ولا في رب صديعة ^(٢) ولا في ابتداء إنعام .

(أقوال لبعض العلماء في فضل السكتاب)

وقال أبو عبيدة ، قال المهلب لبيته في وصيته : يَا بَنِي لَا تَقُومُوا
فِي الْأَسْوَاقِ إِلَّا عَلَى زَرَادٍ أَوْ وَرَّاقٍ ^(٣) .

وحدثني صديق لي قال : قرأتُ على شيخٍ شاميٍّ كتاباً فيه من مآثر
غطفان فقال : ذهب المسكارمُ إلا من السكتب .

وسمعتُ الحسن اللؤلؤي ^(٤) يقول : غَبَرَتُ أَرْبَعِينَ عَامًا مَا قَلْتُ

(١) بدل هذه الجملة في ط « ومن عادة الحرص » .

(٢) رب الصنيعة : تعهدها .

(٣) الزراد : صانع الدروع . والمهلب يوصي بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) في ط « أبا الحسن اللؤلؤي » والصواب ما أثبتته . والحسن هذا هو ابن =

ولا بُتُ [ولا اتسكات] إلا والكتابُ موضوعٌ على صدرى (١) .

وقال ابن الجهم : إذا غَشِيَنِي النعاسُ في غير وقتِ نومٍ - وبئس الشئُ
النومُ الفاضلُ (٢) عن الحاجة - قال : فإذا اعترانى ذلك تناولتُ كتاباً من
كتبِ الحكَمِ ، فأجدُ اهتزازي للفوائدِ ، والأريحيةِ (٣) التي تعتريني عند
الظفرِ ببعضِ الحاجةِ ، والذي يغشى قلبي من سرورِ الاستبانةِ وعزِّ التبيينِ (٤)
أشدَّ إيقاظاً من نهيِّ الحميرِ وهدةِ الهدمِ .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستجدتُه ، ورجوتُ منه
الفائدةَ ورأيتُ ذلك فيه - فلو ترانى وأنا ساعةً بعدَ ساعةٍ أنظرُكم بقى من ورقهِ
مخافةً استنفادهِ ، وانقطاعِ المادَّةِ من قلبهِ ، وإن كان المصحفُ عظيمَ الحجمِ
كثيرَ الورقِ ، كثيرَ العددِ - فقد تمَّ عيشي وكَمُلَ سرورى .

وذكر العتبي (٥) كتاباً لبعضِ القدماءِ فقال : لولا طولُه وكثرةُ ورقه

= زياد اللؤلؤى الكوفي ، قاض فقيه من أصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً
بمذهبه بالرأى . وله عدة كتب في الفقه . عن معجم الأعلام للزركلي . . وقد روى
الجاحظ في البيان ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٣٧٨ أن الحسن اللؤلؤى كان في بعض الليالي
بالرقعة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعى المأمون ، فقال له اللؤلؤى :
نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوق والله ! خذ يا غلام بيده ! !
(١) إشارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلا وقت النعاس . وغبرت : مكثت .
وقال يقييل : نام وقت الظهيرة .

(٢) في ط : « الفاصل » والصواب ما في ل .

(٣) في الأصل « الأريحية » والوجه ما أثبت .

(٤) كذا . ولعلها « التبين » .

(٥) في ل : « التين » وهو تصحيف ما في ط . وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة
رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي القرطبي الأندلسي وكان قاضياً وتوفي
سنة ٢٥٤ هـ . . وثانيهم محمد بن عبد الجبار العتبي أبو نصر ، مؤرخ من الكتاب
الشعراء ، أصله من الري ونشأ في خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه رئاسة
الإنشاء في خراسان والعراق وتوفي سنة ٤٢٧ هـ . وثالثهم هذا الذي يعنيه الجاحظ =

لنسخته . فقال ابن الجهم : اسكتني ما رغبتني فيه إلا الذي زهدك فيه ؛ وما قرأت قط كتاباً كبيراً فأخلاقني من فائدة ، وما أحصيت كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتبي ذات يوم لابن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! نظرت في كتاب الإقليدس مع جارية سلمويه^(١) في يوم واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حرٌ مخير ، وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لم يفهم منه شيئاً واحداً ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة !! قال العتبي : وكيف ظننت به هذا الظن ، وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأنني سمعته يقول لاينه : كم أنفقت على كتاب كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال^(٢)] : إنما رغبتني^(٣) في العلم أتى ظننت أتى أنفق عليه قليلاً وأكتسب كثيراً ، فأما إذ صرت أنفق الكثير ، وليس في يدي إلا المواعيد ، فأنتي لا أريد العلم بشيء !!

= وهو محمد بن عبد الله من بني عتبة بن أبي سفیان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » . قال ابن النديم ١٧٦ : « كان العتبي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشي البيان ٢ : ١٨٢ .

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل ، خدم المعتصم واختص به حتى إن المعتصم لما مات سلمويه قال « سألتق به ، لأنه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله ، فحدث له منها حسن الرأي والنظر في العواقب لنفسه ولغيره من يستنصحه ، وتوفي سنة ٢٢٥ انظر القفطي ١٤١ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركلي ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) في الأصل « رغبتني »

(السماع والكتابة)

فالإنسان لا يعلم حتى يكثُرَ سماعه ، ولا بُدُّ من أن تكون كتبه أكثرَ من سَمَاعِهِ ؛ ولا يعلم ، ولا يجمع العلم ، ولا يُخْتَلَفُ [إليه] ^(١) ، حتى يكون الإنفاقُ عليه من ماله ، ألدَّ عنده من الإنفاق من مال عدوِّه . ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ، ألدَّ عنده من إنفاق عُشَّاقِ القيان ، والمستهزئين بالبيان ^(٢) ، لم يبلغ في العلم مبلغاً رَضِيّاً . وليس يَنْتَفِعَ بإنفاقه ، حتى يُوَثِّرَ اتِّخَاذَ الكُتُبِ إِيثارَ الأعرابي فرسه باللبن على عياله ، وحتى يُوَمِّلَ في العلم ما يوَمِّلُ الأعرابي في فرسه .

(حرص الزنادقة على تحسين كتبهم)

وقال إبراهيم بن السندی مرة : ودِدْتُ أن الزنادقة لم يكونوا حرصاء على المغالاة ^(٣) بالورق النقي الأبيض ، وعلى تَخْيِيرِ ^(٤) الحبرِ الأسودِ المشرقِ البراق ، وعلى استجادةِ الخطِّ والإرغابِ لمن يخطُّ ، فإني لم أَرِ كورقَ كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإذا غرمتُ مالاً عظيماً — مع حبي للمال وبُغْضِ الغُرم — كان سخاءُ النفس بالإنفاق على الكتب ، دليلاً على تعظيمِ العلم ،

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليظهر المعنى . والمراد أن يختلف إليه تلاميذه .

(٢) المستهزئ : المولع بالشيء المتهكم فيه . وفي ط : « ألدَّ عنده من عشق القيان وإنفاق

المستهزئين بالبيان » ، وهي عبارة مضطربة أبدلتها بما في ل لتصح .

(٣) في ط « حرصي على المقالات » وصوابه ما في ل . وحرصيص إنما يجمع على حرص - كرمان ،

وحرصاص ، بكسر الحاء ، وحرصاء .

(٤) في ط : « تحلل » والتصحيح من ل .

وتعظيمُ العلمِ دليلٌ على شرفِ النفسِ ، وعلى السَّلامَةِ من سُكْرِ الآفاتِ .
قلت لإبراهيمَ : إنَّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيلِ الكتبِ ، كإنفاقِ النصارى على
البيِّعِ ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حِكْمٍ وكتبَ فلسفةٍ ، وكتبَ مقاييسَ
وسُنَنِ [و] تَبَيُّنٍ وَتَبْيِينٍ ^(١) ، أو لو كانت كتبهم كتباً تُعرِّفُ الناسَ أبوابَ الصَّناعاتِ ،
أو سُبُلَ التَّكسُّبِ والتَّجاراتِ ، أو كتبَ ارتفاعاتٍ ورياضاتٍ ، أو بعضَ
ما يتعاطاه الناسُ من الفطنِ والآدابِ - وإنَّ كان ذلك لا يقربُ من غِنَى
ولا يُبعدُ من مَأْتَمٍ - لكانوا مَن قد يجوزُ أن يُظنَّ بهم تعظيمُ البيانِ ، والرغبةُ
٢٩ في التَّبَيُّنِ ^(٢) ، ولكنَّهم ذهبوا فيها مذهبَ الدِّيانةِ ، [و] على طريقِ تعظيمِ
المِلَّةِ ، فإنَّما إنفاقهم في ذلك ، كإنفاقِ الجوسِ على بيتِ النارِ ، وكإنفاقِ
النصارى على صُلْبِانِ الذهبِ ، أو كإنفاقِ الهندِ على سَدَنَةِ البِدَدَةِ . ولو كانوا
أرادوا العلمَ لكان العلمُ لهم مُعرضاً ، وكتبُ الحِكْمَةِ لهم مَبذولَةً ، والطرقُ إليها سهلةً
معروفةً . فما بالهم لا يصنعون ذلك إلا بكتبِ دياناتهم ، كما يزخرفُ النصارى
بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسنًا عندَ المسلمين ، أو كانوا يرون
أنَّ ذلك داعيةٌ إلى العبادةِ ، وباعثةٌ على الخشوعِ ، لبلغُوا في ذلك بعفْوهم ،
ما لا تبلغُهُ النصارى بغايةِ الجُهدِ .

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشقَ ، حينَ استجازَ هذا السبيلُ ملكٌ من
ملوكها ، ومَن رآه فقد علمَ أنَّ أحداً لا يرومه ، وأنَّ الرومَ لا تسخوا أنفسهم

(١) في الأصل « نبيين وتبيين » وصححه بما ترى .

(٢) في ط : « التبيين » .

به ، فلمَّا قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّه بِالْجَلال ، وَغَطَّاهَ بِالْكَرَابيس (١) ، وَطَبَّخَ سلاسلَ القناديلِ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهَا ذلِكَ التَّلألُؤُ وَالْبَرِيقُ ؛ وَذَهَبَ إِلَى أَنَّ ذلِكَ الصَّنِيعَ مِجانِبُ لِسنةِ الإسلامِ ، وَأَنَّ ذلِكَ الحُسْنَ الرَّائِعَ وَالْحاسِنَ الدَّفَاقَ ، مَدْحَلَةٌ لِلقَلوبِ ، وَمَشغَلَةٌ دُونَ الخُشوعِ ، وَأَنَّ البالَ لَا يَكُونُ مِجتَمِعاً وَهناكَ شَيْءٌ يَفَرِّقُهُ وَيَعْتَرِضُ عَلَيْهِ .

(صفة كتب الزنادقة)

والذي يدلُّ على ما قلنا ، أَنَّهُ لَيْسَ فِي كُتُبِهِمْ مِثْلُ سائِرِ ، وَلَا خَبْرٌ طَرِيفٌ ، وَلَا صِنْعَةٌ أَدبٍ ، وَلَا حِكْمَةٌ غَرِيبَةٌ ، وَلَا فِلسفَةٌ ، وَلَا مَسألَةٌ كَلامِيَّةٌ ، وَلَا تَعْرِيفٌ صِناعَةٌ ، وَلَا اسْتِخراجُ آلةٍ ، وَلَا تَعليمٌ فِلاحَةٍ ، وَلَا تَدبِيرٌ (٢) حَرْبٍ ، وَلَا مِقارَعَةٌ (٣) عَنِ دِينٍ ، وَلَا مِناضَلَةٌ عَنِ نِحْلَةٍ ، وَجُلُّ ما فِيها ذِكْرُ النورِ وَالظلمةِ ، وَتَنابُحُ الشَّياطِينِ ، وَتَسافُدُ العَفارِيتِ ، وَذِكْرُ الصنديدِ ، وَالتَّهويلِ بِعمودِ السِّنخِ (٤) ، وَالإخبارِ عَنِ شَقْلونِ ، وَعَنِ الهامَةِ [وَالهامَةِ] . وَ [كَلَّهُ] هَذِرٌ وَعِىٌّ وَخُرَافَةٌ ، وَسُخْرِيَّةٌ وَتَسْكَذُوبٌ ، لَا تَرى فِيها مَوْعِظَةً حَسَنَةً ، وَلَا حَدِيثاً مُونِقاً ، وَلَا تَدبِيرَ مَعاشٍ ، وَلَا سِياسَةَ عامَةً ، وَلَا تَرْتِيبَ خاصَّةً (٥) . فَأَيُّ كِتابٍ أَجْهَلُ ، وَأَيُّ تَدبِيرٍ أَفسدُ مِنْ كِتابٍ

(١) الكرباس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب فارسيته بالفتح ، غيروه لعزة : فعلال . والنسبة كرابيسي ، كأنه شبه بالأنصاري .

(٢) في ط : « تدبر » والوجه ما في ل .

(٣) ما عدل : « منازعة » .

(٤) في ط « الصحيح » .

(٥) في ط « ولا سياسة عاملة ولا ترتيب خاصة » والعبارة مشوهة أصلحتها من ل .

يوجب على الناس الإطاعة ، والبخوع^(١) بالديانة ، [لا^(٢)] على جهة الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاحٌ معاشٍ ولا تصحيحٌ دين ! ؟ والناس لا يحبون إلا ديناً أو دنياً : فأما الدنيا فإقامةٌ سرقها [وإحضار نفعها . وأما الدين فأقلُّ ما يُطمع في استجابة العامة] ، واستمالة الخاصة ، أن يُصور في صورةٍ مغلطة ، ويموه تمويه الدينار البهرج ، والدرهم [الزائف] الذي لا يغلط فيه الكثير ، ويعرف حقيقة القليل^(٣) . فليس إنفاقهم عليها من حيثُ ظننت . وكلُّ دين يكون أظهر [أختلافاً وأكثرَ] فساداً ، يحتاج من الترقيع والتمويه^(٤) ، ومن الاحتشاد له والتغليظ^(٥) فيه إلى أكثر . وقد علمنا أن النصرانية أشدَّ انتشاراً من اليهودية تعبداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيدهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تعليمه .

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عندَ بعضِ العلماء ، فكنتُ أكتبُ عنه بعضاً وأدعُ بعضاً ، فقال لي : اكتبْ كلَّ ما تسمعُ ، فإن أحسنَّ ما تسمعُ خيراً من مكانه أبيض^(٦) .

(١) في ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيه الكلام .

(٣) في ط : « ويموه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذي (لا) يغلط فيه الكثير

ويعرف (حقيقة) القليل » . ووجهت العبارة من ل ، بهد أن حذف (لا) .

(٤) في ط : « احتاج من الترقيع والتمويه » وتصحيحه من ل .

(٥) ماعدال « والتغليظ » بالطاء المهملة .

(٦) هذا ما في ل . ويطابقه ما في المحاسن والمساوى ١ : ٩ وانظر الحيوان ٥ : ٢٤٨ . وفي

سائر النسخ « فإن مكان ما تسمع أسود خيراً من مكانه أبيض » لكن في ط : « من مكان » .

وقال الحليل بن أحمد : تكثّر من العلم لتعرف ، وتقلّل منه لتحفظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر .

وأنشد قول ابن يسير^(١) :

أما لو أعى كلّ ما أسمعُ وأحفظُ من ذلك ما أجمعُ
ولم أستفد غيرَ ما قد جمعتُ لقليلِ هو العالمِ المصقع^(٢)
ولكنّ نفسي إلى كلّ نو عٍ من العلم تسمعه تنزعُ
فلا أنا أحفظُ ما قد جمعتُ ولا أنا من جمعه أشبعُ
وأحصّر بالعِيّ في مجلسي وعلمي في الكُتبِ مستودعُ
فمن يك في علمه هكذا يكنّ دهره القهقرى يرجعُ
إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

(التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كلّف ابنُ يسيرِ الكتبَ ما ليس عليها . إن

الكتبَ لا تحي الموتى ، ولا تحوّل الأحمقَ عاقلاً ، ولا البليدَ ذكياً ،

ولكنّ الطبيعةَ إذا كان فيها أدنى قبُول ، فالكتبُ تشحّد وتفتق ،

وترهف وتشفى . ومن أراد أن يعلمَ كلَّ شيء ، فينبغي لأهله أن يداووه !

(١) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه مولى لبني ريش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي

الأخباري الأديب . وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين ، مثقلاً ، لم يفارق البصرة ،

ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعا ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هجاء خبيثاً ،

وكان من بخلاء الناس . . انظر الأغاني ١٢ : ١٢٤ - ١٣٦ . والشعر نسبة الملاحظ

في المحاسن ص ٨ إلى الأصمعي ولكنه هنا يؤكد - بتعقيبه للشعر - أنه لابن يسير . وهو

يلون نسبة في المحاسن والمسأوى ١ : ٩ .

(٢) في الأصول « خبر ما قد جمعت » والصواب ما أثبتته .

فإن ذلك إنما تصوّر له بشيءٍ اعتراه !! فمن كان ذكياً حافظاً فليقصد إلى شيتين ، وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدع أن يمرّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدّر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصّ ، ويكون غير غفلٍ من سائر ما يجري فبه الناس ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً ، إلاّ نسى ما هو أكثر منه ، فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحدّثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتب يحيى ، وفي بيت مدرسه (١) كتابٌ إلاّ وله ثلاثٌ نسخ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ، فرأيتُه ينظرُ في دفترٍ وجليسه فارغُ اليد ، إلاّ اعتقدتُ أنه أفضلُ منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قيل لنا يوماً : إن في دار فلانٍ ناساً قد اجتمعوا على سوءةٍ ، وهم جلوسٌ على خيرةٍ لهم (٢) ، وعندهم طنبورٌ . فاسورنا عليهم (٣) في جماعةٍ من رجال الحى ، فإذا فتى جالسٌ في وسط

(١) في ل : « مدرسه » وهو تحريف صوابه في ط . والمدارس : جمع مدرس ككبر ، وهو الكتاب . وأما المدراس فهو الموضع الذي يقرأ فيه القرآن ، ومنه قالوا : مدراس اليهود . فالوجه ما أثبتته عن ط .

(٢) في ط : « على خيرة » وما هنا عن ل و س . فإن ضبطت بضم الخاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الخاء كان المراد بها الحصيرة الصغيرة من السعف . ولكل وجه . وانظر ثمار القلوب ٧٤ ؛ والأغانى ٧ : ١٧٥ .

(٣) في ل : « فدمرنا عليهم » . صواب هذه « فدمرنا » بالبدال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان (دمر) وما سيأتى في ص ٢٩٦ .

الدار ، وأصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ اللَّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفترًا فيه شعر . فقال الذي سعى بهم : السَّوْعَة في ذلك البيت ، وإن دخلتموه عثرتم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ فتيَّ أصحابه شيوخ ، وفي يده دفترُ علم ، ولو كان في ثوبه دمُ يحيى بنِ زكرياء ! !

وأشد رجلُ يونسَ النحوى :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيَّعَه فبئسَ مستودعُ العلمِ القراطيسُ

قال ، فقال يونس : قاتله الله ، ما أشدَّ ضنانتَه بالعلم ، وأحسنَ صيانتَه له ، إنَّ علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالك بمكان البدن ! !

وقيل لابن داحية - وأخرج كتاب أبي الشمقمق ، وإذا هو في جلود كوفية ، ودفتين طائفيتين^(١) ، بخطِّ عجيب - فقيل له : لقد أضيع من تجوّدَ بشعر^(٢) أبي الشمقمق ! فقال : لاجرم والله ! ! إنَّ العلمَ ليُعطيكم على حساب ما تعطونه ، ولو استطعتُ أن أودعَه سُويداءَ قلبي ، أو أجعله محفوظاً على ناظري ، لفعلت .

ولقد دخلت على إسحاق بن سليمان في إمرته ، فرأيتُ السَّاطين والرجالَ مُثولاً كأنَّ على رءوسهم الطير ، ورأيتُ فرشتَه وبرزته ؛ ثم دخلتُ عليه وهو معزول ، وإذا هو في بيتِ كتبه ، وحواليه الأسفاطُ والرُّفوق ، والقماطُ والدفاترُ والمساطرُ والحجار ، فما رأيتُه قطُّ أفخمَ ولا أنبلَ ، ولا أهيبَ

(١) في ط : « طائفين » والصواب ما في ل ، نسبة إلى الطائف .

(٢) في ل : « لشعر » باللام بدل الباء .

ولا أجزل منه في ذلك اليوم ؛ لأنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة
الحلاوة ، ومع السؤدد الحكمة .

وقال ابن داحة : كان عبدُ الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر
ابن الخطاب ، لا يجالسُ الناسَ ، وينزلُ مقبرةً من المقابر ، وكان لا يكادُ
يُرى إلا وفي يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِلَ عن ذلك ، وعن نزوله المقبرة فقال :
لم أرَ أَوْعظَ من قبر ، ولا أَمْنَعُ^(١) من كتاب ، ولا أَسْلَمَ من الوحدة .
فقيل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ! فقال : ما أفسدَها للجاهل [وأصلحها
للعاقل !] .

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوطِ بعد ذلك ، تندُّ على قدرِ منفعة الخطِّ . قال
الله تبارك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله
عزَّ وجلَّ ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾
وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ
كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولولم تسكتب أعمالهم لسكانت محفوظة لا يدخلُ ذلك الحفظ نسيان ،
ولسكنه تعالى وعزَّ ، علم أن كتابَ المحفوظِ ونسخه ، أو كدُّ وأبلغُ
في الإنذار والتحذير ، وأهيبُ في الصدور .

(١) كذا في ط : وفي المحاسن ص ٤ « ولا آنس » فلعل صحة ما هنا « أمتع » من الإمتاع .

وخط آخر ، وهو خطُ الحازي والعراف^(١) والزَّاجِر . وكان فيهم
حليس^(٢) الخطَّاط الأَسديّ ، ولذلك قال شاعرهم في هجائهم :
فَأَنْتُمْ عَضَارِيطُ الْحَمِيسِ إِذَا غَزَوْا غَنَاؤَكُمْ تِلْكَ الْأَخَاطِيطُ فِي التَّرْبِ^(٣)
وخطوطُ آخر ، تكون مستراحاً للأسيرِ والمهمومِ والمفكَّر ، كما يعترى المفكَّر
من قرع السنِّ ، والغضبان من تصفيقِ اليدِ وتجحيظِ العين . وقال تأبَّطَ شراً :
لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَدَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي
وفي خطِّ الحزينِ في الأرضِ يقول ذو الرُّمَّة^(٤) :

عَشِيَّةَ مَالِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنْبِي بِلِقْطِ الْحَصَى وَالْحَطِّ فِي الدَّارِ مُوَلِّعٌ^(٥)
أَحْطُ وَأَحْمُو الْحَطِّ ثُمَّ أُعِيدُهُ بِكَفِّي وَالْغُرْبَانُ فِي الدَّارِ وَقَّعُ
وذكر النابغةُ صنيعَ النساءِ ، وفرَّعهنَّ إلى ذلك ، إذا سُيِّنَ واغتربن
وفكَّرن ، فقال :

- (١) في ط : « الحادي والقراف » وتحقيقه من ل . والحازي : صاحب الكهانة
في العرب . والراف : الكاهن أو الطبيب . قال عروة بن حزام :
جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف حجر إن هما شفيان
- (٢) كذا في س : ورسائل الجاحظ طبع الساسي ص ١٣٠ . وورد في ل برسم
« حلبس » وفي ط برسم « جلس » .
- (٣) العضاريط : جمع عضرط كقنفذ ، وعضارط كملابط ، وعضروط كمصفور ، قال في
القاموس : « هو الخادم على طعام بطنه ، والأجير ، والثميم » . والشعر لأبي نواس في ديوانه
١٥٩ يهجو به تميما وأسدا .
- (٤) قال الثعالبي في الثَّار ٢١٤ : ابناعيان ضرب من الزجر ، وهو أن يخط الناظر في
في أمر بأصبعه ، ثم بأصبع أخرى ويقول : ابناعيان ! أسرع البيان ! ! ثم يخبر بما
يرى . وهو مشتق من قولك : أرياني ما أريد عيانا . وهذا معنى قول ذي الرمة :
عشية مالى حيلة غير أنى بلقط الحصى والخط في الدار مولع »
وانظر العقد ٦ : ١٤٩ .
- (٥) في الثَّار كما كتبت « بلقط » بالقفاء بدل الفاء ، وفي الأصل : « بلفظ » وانظر
تفسير الجاحظ الآتي .

وَيَخْطُطْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَحْبَانُ رُمَانَ الثُّدِيِّ النُّوَاهِدِ
وقد يفزع إلى ذلك الخجلُ والمتعللُ، كما يفزع إليه المهومُ وهو قولُ القاسمِ
ابن أمية بن أبي الصلتِ :

لا يَنْقَرُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤْلِهِمْ لَتَلْمَسِ الْعِلَاتِ بِالْعِيدَانِ (١)
بل يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا عِنْدَ الْإِقَاءِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
وقال الحارث بن السكندى ، وذكرَ رجلاً سأله حاجةً فاعتراه العيبُ
بأسدانه ، فقال :

وَأَضَرَ بِكَفِّهِ يَحْتَكُ ضِرْسًا يُرِينَا أَنَّهُ وَجِعُ بَضْرُسِ
وربما اعترى هؤلاء عدوُ الحصى ، إذا كانوا في موضعِ حصى ، ولم يكونوا
في موضعِ تراب ، وهو قولُ امرئ القيسِ :

ظَلَمْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعْدُوَ الْحَصَى مَا تَنْقُضِي حَسْرَاتِي
وقال أمية بن أبي الصلتِ :

٣٣

نَهْرًا جَارِيًا وَبَيْتًا عَلِيًّا يَعْتَرِي الْمُعْتَفِينَ فَضْلُ نَدَاكَ
فِي تَرَاخٍ مِنَ الْمَكَارِمِ جَزَلٍ لَمْ تَعْلَهُمْ بَلْقَطِ حَصَاكَ (٢)
وقال الآخر ، وهو يصف امرأةً قُتِلَ زَوْجُهَا ، فهي محزونةٌ تَلْقُطُ الْحَصَى :
وَبِيضَاءِ مَكْسَالٍ كَأَنَّ وَشَاحَهَا عَلَى أُمَّ أَحْوَى الْمُقْلَتَيْنِ خَذُولِ (٣)

(١) في ط : « يَنْكُتُونَ » ، وهو تصحيف ، وفي س « يَنْكُتُونَ » ، وفي ل وكذلك عيون
الأخبار ٣ : ١٥٢ ومعجم المرزباني ٣٣٢ « لا يَنْقَرُونَ » كما أثبت . وانظر مجالس ثعلب
١٧٣ والعمدة ٢ : ٢٣٦ ولباب الآداب ٢٥٧ .

(٢) « تَرَاخٍ » لعلها « بَرَاخٍ » كسحاب ، وأصل معناه الفسيح من الأرض . و « تَعْلَهُمْ »
هي في ط : « تَعْلَقُهُمْ » وليس بشيء . وفي ل « تَعْلَلُهُمْ » وهو خطأ كتابي .

(٣) في ط : « الْمُقْلَتَيْنِ » وهو تصحيف عجيب . وأحوى المقلتين يعني به الظبى .
والخذول من وصف أمه ، وهي التي خذلت أصحابها فانفردت عنهم قائمة على ولدها ،
فهى فرقة ولهة على خشفها ، وهي تمد عنقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

عَقَلَتْ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَدَ الْحَصَى
مع الصُّبْح ، أو في جُنْحِ كُلِّ أُصَيْلٍ
يقول : لم أُعْطِهَا عَقْلاً عن زوجها ، ولم أُورَثْهَا إِلَّا الْهَمَّ الَّذِي دَعَاها إِلَى لِقَاطِ
الْحَصَى . يَجْرِبُ أَنَّهُ لِمَنْعَتِهِ ، لَا يُوصَلُ مِنْهُ إِلَى عَقْلِ وَلَا قُوْدٍ .

(أقوال الشعراء في الخط)

وَمَا قَالُوا فِي الْخَطِّ ، مَا أَنْشَدْنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ
قال : قال المقنع الكندي في قصيدة له ، مدح فيها الوليد بن يزيد :
كَالْخَطِّ فِي كُتُبِ الْغَلَامِ أَجَادَهُ (١) عِدَادُهُ ، وَأَسَدٌ مِنْ أَقْلَامِهِ (٢)
قَلَمٌ كَخَرْطُومِ الْحِمَامَةِ مَائِلٌ مُسْتَحْفِظٌ لِلْعِلْمِ مِنْ عِلَامِهِ
يَسِمُ الْحُرُوفَ إِذَا يَشَاءُ بِنَاءِهَا لِيَبَانِهَا بِالنَّقْطِ مِنْ أَرْسَامِهِ
مِنْ صُوفَةٍ نَفَثَ الْمَدَادَ سُخَامِهِ حَتَّى تَغْيِرَ لَوْنُهَا بِسُخَامِهِ
يَحْنَى فَيُقْصَمُ مِنْ شَعِيرَةِ أَنْفِهِ (٣) كَقَلَامَةِ الْأُظْفُورِ مِنْ قَلَامِهِ
وَبَأَنْفِهِ شَقٌّ تَلَاعَمَ فَاسْتَوَى سُقَى الْمَدَادِ ، فَزَادَ فِي تَلَامِهِ
مُسْتَعْجِمٌ وَهُوَ الْفَصِيحُ بِكُلِّ مَا (٤) نَطَقَ اللِّسَانُ بِهِ عَلَى اسْتِعْجَامِهِ

(١) في ط : « كتبت » وفي ل « كف » والوجه ما كتبتته من س .

(٢) في ط : « بمراده » وهو تصحيف ظاهر .

(٣) في ط : « يحنى » وإنما هو « يحنى » بالخاء كما في ل ، أى يرق سنه ، فيتعثر في الكتابة .
وهو مأخوذ من حفا القدم والحنف والخافر .

(٤) في ط : « متعجم » وأثبت ما في ل ؛ لأنه الوجه . واستعجم : سكت ،
ومنه قول النابغة :

فاستعجمت دار نعم ماتكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

وَاهُ تَرَاجِمَةٌ بِالْسِّنَةِ لَهُمْ تَبْيَانٌ مَا يَتَلَوْنَ مِنْ تَرْجَامِهِ
مَا خَطُّ مِنْ شَيْءٍ بِهِ كِتَابُهُ مَا إِنْ يَبُوحُ بِهِ عَلَى اسْتِكْتَامِهِ
وَهَجَاؤُهُ قَافٌ وَوَلَامٌ بَعْدَهَا مِيمٌ مَعْلَقَةٌ بِأَسْفَلِ لَامِهِ

ثم قال :

قَالَتْ لَجَارَتَهَا الْغَزِيلُ إِذْ رَأَتْ وَجَهَ الْمُقَنَّعِ مِنْ وِرَاءِ لِثَامِهِ
قَدْ كَانَ أبيضَ فَاعْتَرَاهُ أَدْمَةٌ فَالْعَيْنُ تُنْكِرُهُ مِنْ أَذْهِمَامِهِ
كَمْ مِنْ بُوَيْزِلٍ عَامِهَا مَهْرِيَّةٌ سُرْحُ الْيَدَيْنِ وَمِنْ بُوَيْزِلٍ عَامِهِ
وَهَبَ الْوَلِيدُ بَرَحْلَهَا وَزَمَامَهَا (١) وَكَذَاكَ ذَاكَ بَرَحْلِهِ ، وَزَمَامِهِ
وَقَوِيرِحٍ عَتِدَ أَعْدَ لِنِيهِ لِبْنُ اللَّقُوحِ فَعَادَ مِلَّةَ حِزَامِهِ (٢)
وَهَبَ الْوَلِيدُ بَسْرَجَهَا وَجَامَهَا وَكَذَاكَ ذَاكَ بَسْرَجِهِ ، وَجَامِهِ
أَهْدَى الْمُقَنَّعَ لِلْوَلِيدِ قَصِيدَةً كَالسِّيفِ أَرْهَفَ حُدَّهُ بِحَسَامِهِ
وَلَهُ الْمَأْتَرُ فِي قَرِيشٍ كَلَّمَهَا وَلَهُ الْخِلَافَةُ بَعْدَ مَوْتِ هِشَامِهِ

٣٤

وقال الحسن بن جماعة الجذاعي (٣) في الخط :

(١) في ط : « وزماعها » والصواب ما كتبت من ل .
(٢) التي بالكسر : الشحم . القويرح : مصفر قارج ، وهو من ذى الحافر ، بمنزلة البازل
من الإبل . العتد محركة وككتف : المعد للجرى ، أو الشديد التام الخلق . اللقوح :
الناقة قد لقت . . وكان العرب يسقون كرائم الخيل ألبان الإبل . قال الأعرج
المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ما تزال تفجع تلوم وما أدرى علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لقمحة وما تستوى والورد ساعة تفزع
إذا هي قامت حاسرا مشملة نخيب الفؤاد رأسها مايقنع
وقمت إليه بالجام ميسرا هناك يجزيى بما كنت أصنع

وقال قبيصة بن النصراني الجرمي (الحماسة ١ : ٢٤٦) :

هاجرنى يا بنت آل سعد أن حليت لقمحة للورد
جهلت من عنائه المتد ونظرى فى عطفه الألد

(٣) كذا في ل و س . . وقد ورد « جماعة » بالخاء في ط .

إِلَيْكَ بِسِرِّي بَاتَ يُرْقِلُ عَالِمٌ

أَصْمٌ الصدى محروفاً السن طائع (١)

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَالَهُ لِسَانٌ وَلَا أُذُنٌ بِهَا هُوَ سَامِعٌ

كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحٌ بِسِرِّهِ لَدَيْهِ ، إِذَا مَا حَشَحَشَتْهُ الْأَصَابِعُ

لَهُ رِيْقَةٌ مِنْ غَيْرِ فَرْتٍ تَمُدُّهُ وَلَا مِنْ ضُلُوعٍ صَدَّقَتْهَا الْأَضَالِعُ (٢)

وقال الطائي ، يمدح محمد بن عبد الملك الزيات :

وَمَا بَرِحَتْ صُوراً إِلَيْكَ نَوَازِعاً أَعْنَتُهَا مَدُّ رَاسِلَتِكَ الرَّسَائِلُ

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَاهِهِ يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمَفَاصِلُ (٣)

لَكَ الْخَلَوَاتُ اللَّائِي لَوْلَا نَجِيَّتُهَا لَمَّا احْتَفَلْتَ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْحَافِلُ (٤)

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارْتَهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ

لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَارِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ

إِذَا مَا امْتَطَى الْحَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغْتَ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ

أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهِ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلُ

إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ (٥)

(١) في ط : « إليك سرى » وتصحيحه من س . الصدى : حمد الآدمي بعد موته . فهو

بذلك يعنى أن القلم عجيب في وعيه للسر مع صممه . والصدى كذلك : رجع الصوت ،

فكأن القلم ينطق في القيرطاس ، دون أن يبين صدى صوته .

(٢) في ل و س : « ضمنها » . وفي البيت تحريف كما ترى .

(٣) في ط : « بشباهه » موضع بشباهه ، وهو تحريف صوابه في ل والديوان .

(٤) في ط : « لولا نجيتها لما اختلفت » وتصحيحه من ل والديوان .

(٥) في ط : « إذا استغزر الذهن المجلي » وأثبت ما في ل .

وقد رُفدته الخنصرانِ وسدّدت ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامِلُ (١)
رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرْهَفٌ ضني وسميناً خَطْبُهُ وهو ناحِلُ (٢)
أرى ابنَ أبي مروانَ أمّا لِقَاؤُهُ فدانٍ وأمّا الحِكمُ فيه فعادلُ
٣٥ وقد ذكر البُحْتَرِيُّ في كلمةٍ له ، بعضَ كهولِ العسكرِ (٣) ، ومن أنبلِ أبناءِ
كُتّابِهِم (٤) الجِلَّةُ فقال :

وإذا دجّت أقلامُهُ ثم انتَحَتْ برقتَ مصابيحُ الدُّجَى في كُتبه

(الكُتّاباتُ القديمة)

وكانوا يجعلون الكتابَ حفراً في الصخور ، ونقشاً في الحجارة ، وخلقَةً
مُرَكَّبَةً في البُنْيَانِ ؛ فربّما كان الكتابُ هو النَّاتِي ، وربّما كان
السُّكُتَابُ هو الحفر ، إذا كان تاريخاً لأمرٍ جسيم ، أو عهداً لأمرٍ عظيم ،
أو مَوْعِظَةً يُرْتَجَى نفعُها ، أو إحياءَ شرفٍ يريدون تخليدَ ذكره ،
[أو تطويلَ مدته] ، كما كتبوا على قُبَّةِ غُمْدَانَ (٥) ، وعلى باب القَيْرُوانِ (٦) ،

(١) في ط : « وقد رمزته الخنصران وشدت » وهو تحريف ما أثبتته من ل والديوان .

(٢) في ط : « نضى » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب ، وليت شعري لم لم يصرح الجاحظ باسمه ، مع أن الجاحظ له رسالة
إلى الحسن بن وهب ، في مدح النبيذ وصفة أصحابه ، ذكر صدرها منها عبيد الله
ابن حسان ، في كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكامل ١ : ٩٧ . والبيت
المذكور من قصيدة في ديوان البُحْتَرِيِّ ٦٧ مطلعها :

من سائلٍ لمعدّلٍ عن خطبه أو صافحٍ لمقصرٍ عن ذنبه

(٤) في ط : « أنبل ابنا كُتّابِهِم » وتصحيحه من ل .

(٥) غمندان : قصر بين صنعاء وطبوة ، واختلف في اسم بازيه ، وله صفة عجيبة
في معجم البلدان .

(٦) هي المدينة المعروفة في إفريقية ، مصرت في الإسلام في أيام معاوية .

وعلى باب سمرقند^(١) ، وعلى عمود مأرب^(٢) ، وعلى ركن المشقر^(٣) ، وعلى الأبلق الفرد^(٤) ، وعلى باب الرها^(٥) ؛ يعمدون إلى الأماكن المشهورة ، والمواقع المذكورة ، فيضعون الخط في أبعاد المواضع من الدثور ، وأمنعها من الأدروس ، وأجدر أن يراها من مرّ بها ، ولا تنسى على وجه الدهر .

(فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمخالفات)

وأقول : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكوك ، وكل إقطاع ، وكل إنفاق ، وكل أمان ، وكل عهد وعقد ، وكل جوار وحلف . ولتعظيم ذلك ، والثقة به والاستناد إليه ، كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والمهذبة ؛ تعظيماً للأمر ، وتبعيداً عن النسيان ، ولذلك قال الحارث بن حلزة ، في شأن بكر تغلب^(٦) :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قُدم فيه العهود والكفلاء

(١) بلدة عظيمة في التركستان ، والأصمعي يروي أنه كتب على بابها بالحيرية . انظر المعجم .

(٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من بلاد اليمن .

(٣) المشقر : حصن كان بالبحرين . وفي ط : « الركن المشقر » ، وأصلحته من ل والمحسن ٣ .

(٤) قال ياقوت : هو حصن السمائل بن عادياء اليهودي ، مشرف على تيماء ، بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب ، فيه آثار أبنية من لبن ، لاتدل على ما يحكى عنها من العظمة والحصانة ، وهو خراب .

(٥) مدينة بالجزيرة .

(٦) البنتان من معلقة الحارث المشهورة ، التي مطلعها :

أذنتنا ببيئتها أسماء رب ثاور يمل منه الفواء

وقد رواها الجاحظ في البيان ٣ : ٧ وقال في البيت الثاني : « الحون : الحيانة .

ويروي : الجور » .

حَدَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدَّى ، وَهَلْ يَنْفُ قَضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ !
والمهاريق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ والسُّكُتِبُ ، ولا يقال نلكتب مهاريق حتى
تكون كتب دين ، أو كتب عهود ، وميثاق ، وأمان .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرقوم والخطوط فرق ، ولولا الرقوم لهلك أصحاب البر
والغزول ، وأصحاب الساج وعامة المتاجر ، وليس بين الوسوم^(١) التي تكون
على الحافر كله والخف كله والظلف كله ، وبين الرقوم فرق ، ولا بين
العقود والرقوم فرق ، ولا بين الخطوط والرقوم كلها فرق ، وكلها خطوط ،
وكلها كتاب ، أو في معنى الخط والكتاب ، ولا بين الحروف المجموعة
والمصوّرة من الصوت المقطع في الهواء ، ومن الحروف المجموعة المصوّرة من
السواد في القرطاس فرق .

٣٦ وَاللِّسَانُ : يَصْنَعُ فِي جَوْبَةِ^(٢) الْفَمِ [وَهَوَائِهِ الَّذِي فِي جَوْفِ الْفَمِ]
وَفِي خَارِجِهِ ، وَفِي لَهَاتِهِ ، وَبِاطْنِ أَسْنَانِهِ ، مِثْلَ مَا يَصْنَعُ الْقَلَمُ فِي الْمَدَادِ وَاللِّقْمَةِ
وَالْهَوَاءِ وَالْقُرْطَاسِ ، وَكُلُّهَا صُورٌ وَعَلَامَاتٌ وَخَلْقٌ مُوَاتِلٌ ، وَدَلَالَاتٌ ،
فَيَعْرِفُ مِنْهَا مَا كَانَ فِي تِلْكَ الصُّورِ لِكثْرَةِ تَرْدَادِهَا عَلَى الْأَسْمَاعِ^(٣) ،
وَيَعْرِفُ مِنْهَا مَا كَانَ مَصُورًا مِنْ تِلْكَ الْأَلْوَانِ لِطَوْلِ تَسْكَرَارِهَا عَلَى الْأَبْصَارِ ،
كَمَا اسْتَدَلُّوا بِالضَّحْكَ عَلَى السَّرُورِ ، وَبِالْبَسْكَاءِ عَلَى الْأَلَمِ . وَعَلَى مِثْلِ ذَلِكَ
عَرَفُوا مَعَانِيَ الصَّوْتِ ، وَضُرُوبَ صُورِ الْإِشَارَاتِ ، وَصُورِ جَمِيعِ الْهَيْئَاتِ ،

(١) في الأصل « الرسوم » بالراء وإنما هي « الوسوم » جمع وسم .

(٢) ما عدال : « جوية » .

(٣) كذا في ل . ووردت محرفة في ط برسم « الأسماء » .

وكما عرف المجنون لقبه ، والكلبُ اسمه . وعلى مثل ذلك فهم الصبيُّ الزجرُ
والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهديد^(١) ، وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ
الدابة مع رفع الصوت ، حتَّى إذا رأى سائسه حمم . وإذا رأى الحمامُ
القيمَّ عليه انحطَّ للقطِّ الحبَّ ، قبل أن يُلقِي له مايلقطه . ولولا الرسومُ^(٢)
ونُقُوش الحواتم ، لدخل على الأموال الخللُ الكثير ، وعلى خزائن الناس
الضررُ الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس في الأرض أمةٌ بها طِرُق^(٣) أو لها مُسَكَّة ، ولا جيلٌ لهم قبضٌ
وبسْط ، إلا ولهم خطٌّ . فأما أصحاب الملك والمملكة ، والسلطان والجباية ،
والديانة والعبادة ، فهناك الكتابُ المتقن ، والحساب المحكم ، ولا يخرج
الخطُّ من الجزم والمسند المنعم والسمون^(٤) كيف كان ، قال [ذلك] الهيمُّ
[ابن عدى] ، وأبنُ الكلبي .

(تخليد الأمم لما آثرها)

[قال] : فكلُّ أمةٍ تعتمدُ في استبقاء ما آثرها ، وتحصين مناقبها ، على
ضربٍ من الضروب ، وشكلٍ من الأشكال .

(١) في ل : « وودع المخنوق الوعيد والتهديد » وفي ط : « وودع المجنون الوعيد والتهديد »
أما كلمة « المخنوق » . فواضحة التحريف وكذلك « ودع » . وكتبت « وعى » موضع
« ردع » لتناسب مع « فهم » في الفقرة السابقة .
(٢) في الأصل « الرسوم » وصوابه « الرسوم » .
(٣) الطرُق بالكسر : معناه هنا القوة .
(٤) بدله في ط ، س : « كذا » ويبدو أنها من النسخ . وانظر رسائل الجاحظ ١٣٨ ساسي .

(تخليد العرب لما آثرها)

وكانت العربُ في جاهليَّتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أن الشعر يُفيد فضيلة البيان ، على الشاعر الراغب ، والمداح ، وفضيلة المأثرة ، على السيد المرغوب إليه ، والمدوح به . وذهبت العجم على أن تقيّد ما آثرها بالبُنيان ، فبنوا مثلَ كرد بيداد^(١) ، وبنى أردشير بيضاء إصطخر ، وبيضاء المدائن ، والحضر ، والمدن والحصون ، والقناطر والجسور ، والنواويس . قال : ثمَّ إنَّ العربَ أحبَّت أن تشارك العجمَ في البناء ، وتنفردَ بالشعر ، فبنوا عُمدان ، وكعبةَ نَجْران^(٢) ، وقصرَ مارد ، وقصر مَأرب ، وقصر شعوب^(٣) والأبلى الفرد؛ و [فيه وفي^(٤)] مارد ، قالوا : « تَمَرْدُ مَارِدٌ وَعَزُّ الْأَبْلَى » وغيرَ ذلك من البُنيان . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيح شريفَ البُنيان ، كما لا تبيح شريفَ الأسماء ، إلَّا لأهل البيوتات ، كصنيعهم في النواويس والحمامات والقباب الخضر ، والشرف على حيطان الدار ، وكالعقد على الدهليز وما أشبه ذلك ، فقال بعض من

(١) كذا في ط . ومكانه في ل « كرد بنداذ » .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي ، على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة للكعبة ، وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاؤوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى المبالغة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام ، وصاحب هذا القول هو الزباء ، فيما روى ياقوت في رسم (مارد) قال في مارد : « حصن بلومة الجنادل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزباء ، وقد غزتها ، فامتنتا عليها : تمرّد مارد وعز الأبلق . . فصارت مثلا لكل عزيز ممتنع .

حضر « كُتِبُ الحُكَمَاءِ وَمَا دَوَّنَتِ العُلَمَاءُ مِنْ صَنُوفِ البَلَاغَاتِ وَالصَّنَاعَاتِ ،
وَالآدَابِ وَالْأَرْفَاقِ ^(١) ، مِنْ القُرُونِ السَّابِقَةِ وَالْأُمَمِ الخَالِيَةِ ، وَمِنْ لَهُ بَقِيَّةٌ
وَمِنْ لَا بَقِيَّةَ لَهُ ، أَتَبَى ذِكْرًا وَأَرْفَعُ قَدْرًا وَأَكْثَرُ رَدًّا ، لِأَنَّ الحِكْمَةَ أَنْفَعُ
لِمَنْ وَرَثَهَا ، مِنْ جِهَةِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا ، وَأَحْسَنُ فِي الْأَحْدُوْثَةِ ، لِمَنْ أَحَبَّ الذِّكْرَ
الْجَمِيْلَ » .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولى من بُنيانِ الحجارة وحيطانِ المدرِ ؛ لِأَنَّ مِنْ
شأنِ الملوكِ أَنْ يَطْمِسُوا عَلَى آثَارِ مَنْ قَبْلَهُمْ ، وَأَنْ يُمَيِّتُوا ذِكْرَ أَعْدَائِهِمْ ،
فَقَدْ هَدَمُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ [أَكْثَرَ] المَدَنِ وَأَكْثَرَ الحِصُونِ ، كَذَلِكَ كَانُوا
أَيَّامَ العِجْمِ وَأَيَّامَ الجَاهِلِيَّةِ ، وَعَلَى ذَلِكَ هُمْ فِي أَيَّامِ الإِسْلَامِ ؛ كَمَا هَدَمَ
عُمَانُ ضَوْمَةَ مُحَمَّدَانَ ، وَكَمَا هَدَمَ الْآطَامَ ^(٢) الَّتِي كَانَتْ بِالمَدِينَةِ ، وَكَمَا هَدَمَ
زِيَادُ كُلَّ قَصْرٍ وَمَصْنَعٍ كَانَ لِابْنِ عَامِرٍ ^(٣) ، وَكَمَا هَدَمَ أَصْحَابُنَا بِنَاءَ مَدَنِ
الشَّامَاتِ ^(٤) لِابْنِ مِرْوَانَ .

(١) الأرفاق : جمع رفق بالكسر ، وهو ما يستعان به .

(٢) الآطام : جمع أطم بضمه وبضمين وهو القصر ، أو الحصن المبني بالحجارة ، أو كل
بيت مربع مسطح .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن ربيعة ، أمير فاتح ، ولد بمكة وولى
البصرة في أيام عثمان . وافتتح سجستان صلحا ومدنا كثيرة في الشرق . وكان شجاعا سخيا ،
وصولا لقومه ، رحبا محبا للعران . وتوفي سنة ٥٥٩ هـ . ولما بلغ نبأ وفاته معاوية ، قال :
يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهي ؟ وانظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٤) الشامات ، فسرها ابن عبد ربه في العقد ٦ : ٢٥١ - ٢٥٢ بأنها خمس : فلسطين

ومدينتها بيت المقدس ، والأردن ومدينتها طبرية ، والغوطة ومدينتها دمشق ، وحصن ،
وقنسرين ومدينتها حلب .

(تاريخ الشعر العربي)

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوَّلُ من نَهَجَ سبيلَه ،
وسَهَّلَ الطريقَ إليه : امرؤُ القيسِ بنُ حُجْرٍ ، ومُهَلِّهَلُ بنُ ربيعة . وكتبُ
أرسطاطاليسَ ، ومعلِّمِه أفلاطون ، ثم بطليموس ، وديمقراطس (١) ، وفلان
وفلان ، قبلَ بدءِ الشعرِ بالدهورِ قبلَ الدهورِ (٢) ، والأحقابُ قبلَ الأحقابِ .
ويدلُّ على حداثةِ الشعرِ ، قولُ امرئِ القيسِ بنِ حُجْرٍ :

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَنًا ضِيَعَهُ الدُّخْلُونَ إِذْ غَدَرُوا (٣)
أَدَّوْا إِلَى جَارِهِمْ خِفَارَتَهُ وَلَمْ يَضِعْ بِالْمَغِيبِ مَنْ نَصَرُوا (٤)
لَا حِمَيْرِيٌّ وَفِي وَلَا عُدَسٌ وَلَا اسْتَعِيرَ بِحِكْمِهَا الثَّنْفَرُ (٥)
لَسَكُنْ عَوَيْرٌ وَفِي بَدْمَتِهِ لَا قِصْرَ عَابَهُ وَلَا عَوْرُ (٦)

فانظُرْ ، كم كان عمرُ زُرارةَ ! وكم كان بين موتِ زُرارةَ ومولدِ النبي عليه الصلاة
والسلام ؟ ! فإذا استظهرنا الشعرَ ، وجدنا له — إلى أن جاء اللهُ بالإسلام —
خمسَين ومائةَ عامٍ ، وإذا استظهرنا بغايةِ الاستظهارِ فثانيَ عامٍ (٧) .

قال : وفضيلةُ الشعرِ مقصورةٌ على العربِ ، وعلى من تسكَّم بلسانِ

(١) في ط : « ذى بقراط » ، وما أثبتته في ل . . وانظر القفطى (حرف الدال المهملة ثم
حرف الذال المعجمة) .

(٢) في الأصل : « وقيل الدهور » .

(٣) جاءت (حسنا) بالنون في الأصل ، ويظهر أنه تصحيح مافي الديوان ١٥٩ . والمراد به
المعروف والجميل . والدخول ، كما قال أبو بكر : الذى يداخل الرجل فى أمره ويصاحبه عليه .

(٤) الخفارة : الذمة والعهد ، والحاء مثناة .

(٥) حميرى وعدس : رجلا من بنى حنظلة .

(٦) أبو بكر شارح الديوان : كان عوير قد أجار هنداً بنت حجر أخت امرئ القيس ،
فوفى لها حتى أتى بها نجران ، فدحه بوفاء الذمة ، ونزّهه من كل عيب يشين غيره .

(٧) انظر لتوضيح هذا ما أثبت في الاستدراكات .

العرب ، والشعر لا يُستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوّل
تقطّع نظمه وبطلَ وزنه ، وذهب حسنه وسقطَ موضعُ التعجب ، [لا]
كالكلام المنثور . والكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من
المنثور [الذى تحوّل من] موزون الشعر .

٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم فى الدين ، والحكم فى
الصناعات ، وإلى كلِّ ما أقام لهم المعاشَ وبوّب لهم أبوابَ الفِطَن ،
وعرّفهم وجوهَ المرافق ؛ حديثهم كقديمتهم ، وأسودهم كأحمرهم ، وبعيدهم
كقريبهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملة لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربى)

وقد نُقلت كتبُ الهند ، وتُرجمت حكمُ اليونانية ، وحوّلت آدابُ
الفرس ؛ فبعضها ازدادَ حسناً ، وبعضها ما انتقص شيئاً ، ولو حوّلت حكمة
العرب ، لبطل ذلك المعجزُ الذى هو الوزن ؛ مع أنّهم لو حوّلوا لم يجدوا فى
معانيها شيئاً لم تذكره العجم فى كتبهم ، التى وضعت لمعاشهم وفِطَنهم
وحِكَمهم . وقد نُقلت هذه الكتبُ من أمةٍ إلى أمةٍ ، ومن قرنٍ إلى
قرنٍ ، ومن لسانٍ إلى لسانٍ ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخرَ مَنْ ورثها
ونظر فيها . فقد صحَّ أن السكتبَ أبلغُ فى تقييدِ المآثر ، من البُنَيان والشعر .

(قِعة الترجمة)

ثم قال بعضُ مَنْ ينصر الشعر ويحوطه ويحتجُّ له : إنَّ التَّرجِمَانَ
لا يؤدّى أبداً ما قال الحكيمُ ، على خصائصِ معانيه ، وحقائقِ مذاهبيه ،

ودقائق اختصاراته ، وخفيّات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيهما حقوقها ،
ويؤدّي الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجري^(١) ،
وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها ، والإخبار عنها على حقّها وصدقها ،
إلا أن يكون في العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريّف ألفاظها ، وتأويلات
مخارجها ، مثل مؤلّف الكتاب وواضعه . فمتى كان رحمه الله تعالى
أبنُ البطريق ، وأبن ناعمة ، وابن قرّة ، وأبن فهرز ، وثيفيل^(٢) ،
وأبن وهيل ، وأبن المقفّع ، مثل أرسطاطاليس ؟ ومتى كان خالد^(٣)
مثل أفلاطون ؟ !

(شرائط الترجمان)

ولا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه
في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ،
حتى يكون فيهما سواءً وغاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ، علمنا
أنّه قد أدخل الضميمة عليهما ؛ لأنّ كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى
وتأخذ منها ، وتعرض عليها . وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين
فيه ، كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة ، وإلّا ما له قوّة واحدة ، فإنّ تكلم

(١) في الأصل « المجري » وإنما هو « الجري » وهو في معنى الوكيل ، كما في القاموس .

(٢) ابن فهرز هو حبيب ، أو عبد يشوع بن فهرز . ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
وأما ثيفيل : فهو ثيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو . مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ولي الخلافة ثلاثة أشهر . وقد قام بأول
نقل في الإسلام ، قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٨ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية
خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعاً ، وجيد الرأي كثير الأدب ، وكان أول من ترجم
كتب النجوم والطب والكيمياء » . توفي خالد سنة ٨٥ هـ .

بلغته واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوَّةُ عليهما ، وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات . وكلما كان الباب من العلم أعسرَ وأضيقَ ، والعلماءُ به أقلَّ ، كان أشدَّ على المترجم ، وأجدر أن يخطئ فيه . ولن تجد ألبتَّةَ مترجماً يفنى بواحدٍ من هؤلاء العلماء .

٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولنا في كتب الهندسة ، والتنجيم ، والحساب ، واللحون ؛ فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دينٍ وإخبارٍ عن الله - عزَّ وجلَّ - بما يجوز عليه ممَّا لا يجوز عليه ، حتَّى يريد أن يتكلم على تصحيح المعاني في الطباع ، ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد ، ويتكلم في وجوه الإخبار واحتمالاته للوجوه ، ويكون ذلك متضمناً بما يجوز على الله تعالى ، ممَّا لا يجوز ، وبما يجوز على الناس ممَّا لا يجوز ، وحتَّى يعلم مستقرَّ العامِّ والخاصِّ ، والمقابلات التي تلقى الأخبار العامية المخرج فيجعلها خاصية ؛ وحتَّى يعرف من الخبر ما يخصُّه الخبر الذي هو أثر ، ممَّا يخصُّه الخبر الذي هو قرآن ، وما يخصُّه العقل ممَّا تخصُّه العادة أو الحال الرادَّة له عن العموم ؛ وحتَّى يعرف ما يكون من الخبر صدقاً أو كذباً ، وما لا يجوز أن يسمَّى بصدقٍ ولا كذب ؛ وحتَّى يعرف اسمَ الصدق والكذب ، وعلى كم معنى يشتمل ويجمع ، وعند فقد أى معنى ينقلب ذلك الاسم ؛ وكذلك معرفة المحال من الصحيح ، وأى شئٍ تأويلُ المحال ؛ وهل يسمَّى المحال كذباً أم لا يجوز ذلك ، وأى القولين أفحشُ : المحال أم الكذب ، وفي أى موضع يكون المحالُ أفضحاً^(١) ، والكذب أشنع ؛ وحتَّى يعرف المثل والبديع ، والوحي

(١) في الأصل « أفضح » .

والكناية ، وفصل ما بين الخطل والهذر ، والمقصور والمبسوط والاختصار ؛
وحتى يعرف أبنية الكلام ، وعادات القوم ، وأسباب تفاهمهم ، والذي ذكرناه
قليلٌ من كثير . ومتى لم يعرف ذلك المترجمُ خطأً في تأويل كلام الدين .
والخطأ في الدين أضرُّ من الخطأ في الرياضة والصناعة ، والفلسفة والسكيمياء ،
وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجم الذي قد ترجم لا يكمل لذلك ، أخطأ على قدر
نقصانه من الكمال . وما علم المترجم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علمه
بالأخبار النجومية ؟ وما علمه بالحدود الخفية ؟ وما علمه بإصلاح سقطات
الكلام ، وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمه ببعض الخطرقة لبعض
المقدمات ؟ وقد علمنا أن المقدمات لا بد أن تكون اضطرارية ، ولا بد أن
تكون مرتبة ، وكالحيط الممدود^(١) . وابن البطريق وابن قرّة^(٢) لا يفهمان
هذا موصوفاً منزلاً ، ومرتباً مفصلاً ، من معلمٍ رقيقٍ ، ومن حاذقٍ طبٍّ ؛
فكيف بكتابٍ قد تداولته اللغات واختلاف الأقسام ، وأجناس
خطوط الملل والأمم ؟ !

ولو كان الحاذق بلسان اليونانيين يرمى إلى الحاذق بلسان العربية ،
ثم كان العربي مقصراً عن مقدار بلاغة اليوناني ، لم يجد المعنى والناقل
التقصير ، ولم يجد اليوناني الذي لم يرض بمقدار بلاغته في لسان العربية
بداً من الاغتراف والتجاوز ، ثم يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف
الناسخين ؛ وذلك أن نسخته لا يعدمها الخطأ ، ثم ينسخ له من تلك النسخة

(١) في ط : « كالحيط المنثور » وقد كتبت بدله ما قول .

(٢) في الأصل : « وأبو قرّة » .

مَنْ يزيده من الخطأ الذى يجده فى النسخة ، ثم لا ينقص منه ، ثم يعارض بذلك مَنْ يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله ، إذا كان ليس من طاقته إصلاحُ السَّقَطِ الذى لا يجده فى نسخته .

(مشقة تصحيح الكتب)

ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً ، أو كلمة ساقطة ، فيكون إنشاء عشر ورقات^(١) من حرّ اللفظ وشريف المعانى ؛ أيسر عليه من إتمام ذلك النقص ، حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام ؛ فكيف يُطبق ذلك المعارض المستأجر ، والحكيم نفسه قد أعجزه هذا الباب ! وأعجب من ذلك أنه يأخذ بأمرين : قد أصلح الفاسد وزاد الصالح صلاحاً . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخةً لإنسانٍ آخر ، فيسير فيه الوراقُ الثانى سيرةَ الوراقِ الأوّل ؛ ولا يزال الكتابُ تتداوله الأيدي الجانية ، والأعراضُ المفسدة^(٢) ، حتى يصير غلطاً صرفاً ، وكذباً مصمّتا ، فما ظنكم بكتابٍ تتعاقبه المترجمون بالإفساد ، وتتعاوره الخطاط بشرّاً من ذلك أو بمثله ، كتابٍ متقادِمِ الميلاد ، دهرىّ الصنعة !

(بين أنصار الكتب وأنصار الشعر)

قالوا : فكيف تكون هذه الكتبُ أنفعَ لأهلها من الشعر المقفى ؟
قال الآخر : إذا كان الأمرُ على ما قلتم ، والشأنُ على ما نزلتم ، أليس

(١) فى ط : « أنشأ عشر ورقات » وتصحيحه من ل .

(٢) فى ط : « الأعراض المفسدة » وتوجيهه من ل .

معلوماً أنَّ شيئاً هذه بقيتُهُ وفضلتُهُ وسُوْرُهُ وصُباَبته ، وهذا مظهرُ حاله على شدَّة الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفسادِ وتداولِ النقص ، حرى بالتعظيم ، وحقيقٌ بالتمضيلِ على البنيان^(١) ، والتقديمِ على شعرٍ إن هو حوْل تهافتَ ، ونفعه مقصورٌ على أهله ، وهو يُعدُّ من الأدب المقصور ، وليسَ بالمبسوط ؛ ومن المنافع الاصطلاحيةِ وليست بحقيقةِ بينة^(٢) : وكلُّ شىءٍ في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات ، فهي موجودات^(٣) في هذه الكتبِ دونَ الأشعار ، وهاهنا كتبٌ هي بيننا وبينكم ، مثل كتاب أقليدس ، ومثل كتاب جالينوس ، ومثل المجسطى^(٤) ، ممَّا تولاه الحجاج^(٥) ، وكتبٌ كثيرةٌ لا تحصى فيها بلاغٌ للناس ، وإن كانت مختلفة ومنقوصة ٤٦ مظلومة ومغيَّرة^(٦) ، فالباقي كافٍ شافٍ ، والغائب منها كان تكميلًا لتسلُّط الطبائع الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ، ومنتهى نفعه إلى حيث انتهى
بنا القول^(٧) .

(١) في ط : « على البيان » وإنما هو « البنيان » كما يفهم من سياق الكلام وكما في ل .

(٢) في ط : « وليست بحقيقته بينة » وصوابه في ل .

(٣) في ط : « فهي جودات » وأصلحت تشويه العبارة من ل .

(٤) في ط : « المجسطى » بالشين ، وإنما هو « المجسطى » كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته كثير من النقلة قالوا : وصحح المأمون كثيرا من حسابه وأقيسته لحيط الأرض والدرجة الأرضية ، فكان أرساد علمائه أول أرساد في الإسلام ، وسموا مجموع أرسادهم « الرصد المأموني » .

(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي ، كما في إخبار العلماء للقفطي ٤٦ - ٤٧ .

(٦) في الأصل : « ومفمرة » .

(٧) في ط « بناء القول » وصحته في ل .

وحسبك ما في أيدي الناس من كتب الحساب ، والطب ، والمنطق ،
والهندسة ، ومعرفة اللحون ، والفلاحة ، والتجارة ، وأبواب الأصباغ ،
والعطر ، والأطعمة ، والآلات . وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التي في
الحمائم وفي الأصرطلابات ، والقرسطونات^(١) وآلات معرفة الساعات ،
وصنعة الزجاج والفسيفساء^(٢) ، والأسرنج^(٣) والزنجفور^(٤) واللازورد^(٥)
والأشربة ، والأنبجآت^(٦) ، والأيارجات^(٧) ولكم المينا ، والنشادر

- (١) هذا اللفظ وجدته في رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك (هامش
الكامل ١ : ٢٦٢) قال : « وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات . . » الخ
ووجدته في كتاب التريخ والتبوير له أيضا ص ١٣٨ طبع الساسي قال : « وخبرني
عن القرسطون كيف أخرج أحد رأسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ووزن
جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » ويفهم من قرنه بكلمة (القبان) وهي الميزان
ومن وصفه في العبارة الثانية ، أنه ضرب من الموازين ، وهو الذي يسميه العامة عندنا
في مصر (القبان) . وانظر النزهة المبهجة لداود ١ : ١٥ .
- (٢) الفسيفساء : ألوان من الخرز تتركب في حيطان البيوت من داخل .
- (٣) قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٤٩ : الأسرنج : أسرب يحرق ، ويشب عليه النار
حتى يحمر .
- (٤) رسمت هذه الكلمة في القاموس وفي مفاتيح العلوم برسم « الزنجفر » جاء في الأول :
صبيغ معروف . . وجاء في الثاني : أنه يتخذ من الزئبق والكبريت ، يجمعان في
قوارير ، ويوقد عليها ، فيصير زنجفرا . . قال الخوارزمي : والوزن أن تأخذ واحدا
من زئبق ، وواحدا من كبريت .
- (٥) الخوارزمي ١٤٨ : هو حجر فيه عيون براءة يتخذ منها خرز .
- (٦) الأنبجآت : جمع أنبج ، قال الخليل : حمل شجرة بالهند ، يربب بالعسل على خلقة الخوخ ،
محرف الرأس ، في جوفه نواة كنواة الخوخ . وقال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٠٤ : فن
هنا تسمى الانبجآت ، وهي التي ربيت بالعسل من الأترج والإهليلج ، ونحو ذلك . اه
وهي في ط « الأنبجآت » بالثاء وهو تصحيف .
- (٧) في الأصل « الافشارجات » وإنما هي « الأيارجات » قال في القاموس : والأيارجة
بالسكسر وفتح الراء ، معجون مسهل معروف ، جمعه أيارج معرب إيابه ، وتفسيره البواء
الإطى . وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٠٤ س ٤ .

والشَّبه^(١) وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ ما مال منها إلى التقويم . ولهم صبُّ الزردج ، واستخراج النَّشَاسْتَج^(٢) ، وتعليق الخيش ، واتِّخَاذَ الجمَّازات^(٣) ، وعمل الحَرَاقَاتِ^(٤) ، واستخراج شراب الداذي^(٥) وعمل الدَّبَابَاتِ^(٦) .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل)

وكان الحجاجُ أوَّلَ مَنْ أَجْرَى فِي الْبَحْرِ السَّفْنَ الْمَقْبِرَةَ الْمَسْمُورَةَ غَيْرَ الْخَزْرَةَ ، والمدهونة والمسطحة ، وغيرَ ذواتِ الجَوْجُو ؛ وكان أوَّلَ مَنْ عَمِلَ الْحَامِلَ ، ولذا قال بعضُ رُجَّازِ الْأَكْرِيَاءِ^(٧) :

أَوَّلَ خَلَقِي عَمِلَ الْحَامِلَا أَخْرَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَأَجَلًا

وقال آخر :

شَيْبَ أَصْدَاغِي فَهِنَّ بِيضٌ مَحَامِلٌ لِقَدَّهَا نَقِيضٌ^(٨)

وقال آخر^(٩) :

(١) في ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر .

هذا قول الفيروزبادي . وانظر التفسير الآتي .

(٢) في ط : « النَّسْتَاْسْتَج » وهو تحريف ما في ل . قال في القاموس « والنشا وقد يمد : النَّشَاسْتَج

معرب حذف شطره » والنشا معروف .

(٣) سيفسرها الجاحظ قريبا .

(٤) الحراقات : سفن فيها مراى نيران ، يرمى بها العدو .

(٥) قال الفيروزبادي ، الداذي : شراب للفساق .

(٦) في ل « الزرياب » وهو الذهب أوماؤه معرب . وأما الدبابات فجمع دبابه ، قالوا

إنها آلة تتخذ للحرب ، فتدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها .

(٧) مثل هذا الكلام في البيان ٢ : ٣٠٣ .

(٨) الرجز وسابقته في البيان ٢ : ٣٠٤ .

(٩) هو رجل من فقيم ، كما في اللسان (فرض) .

شَيْبٌ أَصْدَاغِيْ فَهِنْ بِيْضٌ مَّحَامِلٌ فِيْهَا رِجَالٌ قَبِيْضٌ

لو يتكون سنة لم يغرصوا

وقال القوم : لولا ما عرفوكم من أبواب الحملانات (١) لم تعرفوا صنعة الشبه ،
ولولا غضار الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغضار . على أن الذي
علمتم (٢) ظاهر فيه التوليد ، منقوص المنفعة عن تمام الصيني . وعلى أن
الشبه لم تستخرجوه ، وإنما ذلك من الأمور التي وقعت اتفاقاً ، لسقوط
الناطف (٣) من يد الأجير في الصفر الذائب ، فختم إفساده ، فلما رأيتم
ما أعطاه من اللون علمتم (٤) في الزيادة والنقصان ، وكذلك جميع
ما تهيأ لكم ، ولستم تخرجون في ذلك من أحد أمرين : إما أن تكونوا
استعملتم الاشتقاق من علم ما أورثوكم ، وإما أن يكون ذلك تهيأ لكم من
طريق الاتفاق !!

(الجمازات)

وقد علمتم أن أول شأن الجمازات ، أن أم جعفر أمرت الرحالين
أن يزيدوا في سير النجبية (٥) التي كانت عليها ، وخافت فوت الرشيد ، ٤٢
فلما حركت مشت ضربوا من المشى ، وصنوا من السير (٦) ، فجمرت في

(١) في التاموس : الحملان في اصطلاح الصاغة : ما يحمل على الدراهم من الغش .

(٢) في ط : « علمتم » وهو تحريف .

(٣) الناطف : ضرب من الحلوى . انظر حواشي ٣ : ٣٧٦ .

(٤) في ط : « علمتم » .

(٥) في ل : « البختية » .

(٦) في ل : « وضروبا من المرفوع » .

تحلال ذلك ، ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، رتفهم الأمور ، فوجدت
لذلك الجمزِ راحةً ، ومع الراحة لذةً ، فأمرتهم أن يسيروا بها في تلك السيرة ،
فما زالوا يقربون ويبعدون ، ويخطئون ويصيبون ، وهى في كل ذلك تصوبهم
وتخطئهم على قدر ما عرفت ، حتى شدوا من معرفة ذلك ما شدوا ، ثم إنها
فرغتهم لإتمام ذلك حتى تم واستوى . وكذلك لا يخلو جميع أمركم ، من أن
يكون اتفاقاً ، أو اتباعاً أثر .

(الترغيب في اصطناع الكتاب)

ثم رجع بنا القولُ إلى الترغيب في اصطناع الكتاب ، والاحتجاج
على مَنْ زَرَى^(١) على واضع الكتب ، فأقول : إن من شكر النعمة
في معرفة مغاوى الناس ومراشدهم ، ومضارهم ومنافعهم ، أن يُحتمل ثقل
مئونتهم في تقويمهم ، وأن يُتوخى إرشادهم وإن جهلوا فضل ما يُسدى
إليهم ؛ فلن يُصان العلمُ بمثل بذله ، ولن تُستبقي النعمةُ فيه بمثل نشره .
على أن قراءة الكتبِ أبلغُ في إرشادهم من تلاقيهم ؛ إذ كان مع التلاقي
يشتدُّ التصعُّ ، ويكثرُ التظالمُ ، وتُفرطُ العصبيةُ ، وتقوى الحميةُ ؛ وعند
المواجهةِ والمقابلةِ ، يشتدُّ حبُّ الغلبةِ ، وشهوةُ المباهاةِ والرياسةِ ، مع
الاستحياء من الرجوع ، والأنفةِ من الخضوع ؛ وعن جميع ذلك تحدث
الضغائنُ ، ويظهرُ التباين . وإذا كانت القلوبُ على هذه الصفةِ وعلى هذه

(١) أثبت ما في ل ، وهى في ط : « ذرى » مصحفة . . و زرى عليه كآزرى : عابه ،
والأول أكثر .

الهيئة ، امتنعت من التعرف ، وعميت عن مواضع الدلالة ، وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية ، وإصابة الحجة ؛ لأن المتوحد يدرسها (١) ، والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسه ولا يغالب عقله ، وقد عديم من له يباهى ومن أجله يغالب .

(الكتاب قد يفضل صاحبه)

والكتاب قد يفضل صاحبه ، ويتقدم مؤلفه ، ويرجح قلمه على لسانه بأمر : منها أن الكتاب يُقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان ، على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ؛ وذلك أمرٌ يستحيل في واضع الكتاب ، والمنازع (٢) في المسألة والجواب . ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان (٣) مجلس صاحبه ، ومبلغ صوته . وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويذهب العقل ويبقى أثره . ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيرها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم ، وأدركتنا ما لم نكن ندركه إلا بهم ، لقد حس (٤) حظنا من الحكمة ، ولضعف سببنا إلى المعرفة . ولو لجأنا إلى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرننا ، ومنتهى تجاربتنا

(١) في ط : « يدرسها » و « يفهم » والوجه ما كتبت من ل .

(٢) في ط : « والمنازع » .

(٣) في ط : « لا يجوزان » .

(٤) في ط : « لما حسن » والعبارتان صحيحتان ، ولعل أفضلهما ما أثبتته من ل .

لما تدركه حواسنا ، وتشاهده نفوسنا ، لقلّت المعرفة ، وسقطت الهمة ،
وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأي عميقاً ، والخطير فاسداً ؛ ولسكّل الحدّ
وتبلّد العقل .

(أفضل الكتب)

وأكثرُ مِنْ كِتَابٍ نَفَعًا ، وأشرفُ مِنْهَا خَطَرًا ، وأحسنُ مَوْقِعًا ، كُتِبُ
اللَّهِ تَعَالَى ، فِيهَا الْهُدَى وَالرَّحْمَةُ ، وَالْإِخْبَارُ عَنْ كُلِّ حِكْمَةٍ ، وَتَعْرِيفُ كُلِّ سَيِّئَةٍ
وَحَسَنَةٍ . وَمَا زَالَتْ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَلْوَابِ وَالصُّحُفِ ، وَالْمَهَارِقِ (١)
وَالْمَصَاحِفِ . وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ الْمَ ذِكِّ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .
وَقَالَ ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وَيُقَالُ لِأَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ :
أَهْلُ الْكِتَابِ .

(مواصلة السير في خدمة العلم)

وينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا ، كسبيل من كان قبلنا فينا . على
أنّا وقد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أنّ من بعدنا يجد من العبرة
أكثر مما وجدنا . فما ينتظر العالم بإظهار ما عنده ، وما يمنع الناصر للحقّ
من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القول وصلح الدهر وخوى نجم التقيّة (٢) ،

(١) في ط : « المحار » وهو تحريف صوابه في ل .

(٢) في ل : « حوى نجم التقيّة » وفي ط « حوى نجم التقيد » وقد أصلحت العبارتين بما ترى .

وخوى النجم : اختفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهدمت . والتقيّة : الحذر
والخوف .

وهبَّت رِيحُ العلماء ، وكسَدَ العرْبُ والجهل ، وقامت سوقُ البيان والعلم ؟ !
وليس يجدُ الإنسانُ في كل حينٍ إنساناً يدرِّبه ، ومقوماً يثقفه .
والصبرُ على إفهام الرِيض شديد ، وصرفُ النفس عن مغالبة العالم أشدُّ
منه ، والمتعلِّمُ يجدُ في كلِّ مكانٍ الكتابَ عتيداً ، وبما يحتاج إليه قائماً
وما أكثرَ مَنْ فرطَ في التعليمِ أيامَ حُمولِ ذكره ، وأيامَ حدائِقِ سنِّه ! !
ولولا جِياذُ الكتبِ وحسنُها ، ومُبَيَّنُها ومختصرُها ، لما تحرَّكت هممُ هؤلاء
لطلب العلم ، ونزعت إلى حبِّ الأدب ، وأنفَت من حالِ الجهل ، وأن
تكون في غمار الحشو ، ولُدخل على هؤلاء من الخللِ والمضرة ، ومن الجهل
وسوء الحال ، ما عسى ألا يمكن الإخبارُ عن مقداره ، إلا بالكلام الكثير ،
ولذلك قال عمرُ رضي اللهُ تعالى عنه : « تفقَّهوا قبل أن تسودوا » .

(كتب أبي حنيفة)

وقد تجدُّ الرجلَ يطلبُ الآثارَ وتأويلَ القرآن ، ويجالسُ الفقهاءَ خسين
عاماً ، وهو لا يُعدُّ فقيهاً ، ولا يُجعلُ قاضياً ، فما هو إلا أن ينظرَ في كتبِ
أبي حنيفة ، وأشباه أبي حنيفة ، ويحفظَ كتبَ الشروط في مقدارِ سنةٍ
أو سنتين ، حتى تمرَّ ببابه فتظنُّ أنه من بعضِ العُمَّالِ (١) ، وبالحرِّ (٢) ٤٤
ألا يمرَّ عليه من الأيامِ إلا اليسير ، حتَّى يصير حاكماً على مصرٍ من الأمصار ،
أو بلدٍ من البلدان .

(١) في ل : « باب بعض العمال » والعبارتان سليمان .

(٢) وسمت هذه الكلمة بالياء المشددة في المطبوعة وهو خطأ . . وإنما هي « الحرا »
بالألف . قال صاحب القاموس « والحرا : الخليق . ومنه بالحرا أن يكون ذاك ، وإنه لحري
بكذا وحري كفتى وحر ، والأولى لاتنى ولا تجمع » .

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

وينبغي لمن كتب كتاباً ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالمٌ بالأمور ، وكلهم متفرغٌ له ؛ ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ، ولا يرضى بالرأى الفطير ؛ فإنَّ لا ابتداء الكتابِ فتنةٌ وعُجْباً ، فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجعتِ الأخلاطُ ، وعادت النفسُ وافرةً ، أعاد النظرَ فيه ، فيتوقَّفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمعهُ (١) في السلامة أنقصَ من وزنِ خوفه من العيب ، ويتفهمُ معنى قولِ الشاعر (٢) :

إِنَّ الحديثَ تَغَرُّ القومِ خلوتهُ حتى يَلِجَ بهم عِيٌّ وإكثارُ
ويقفُ عند قولهم في المثل : « كلُّ مُجْرٍ في الخلاءِ يُسرُّ (٣) » فيخاف أن يعتريه ما اعتري مَنْ أجرى فرسه وحده ، أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه ، وأهل المنزلةِ من أهل صناعته .

(تداعى المعانى فى التأليف)

وليعلم أن صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعترى المؤدِّبَ عند ضربه وعقابه ،

(١) فى الأصل : « طبعه » .

(٢) هو ابن هرمة كما فى رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ ساسى والبيت كذلك فى البيان ١ : ٢٠٣ وأدب الكتاب للصوى ١٥٧ . وقد رواه الصوى برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء فى البيان ١ : ٢٠٣ « وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء مسر ، ولم يقولوا مسرور . وكل صواب » . والوجه فى المثل « يسر » كما هو هنا وكما فى الميدان ٢ : ٧٣ وانظر أصل المثل فيه .

فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْزِمُ عَلَى خَمْسَةِ أَسْوَاطٍ فَيَضْرِبُ مِائَةً؟ ! لِأَنَّهُ ابْتَدَأَ الضَّرْبَ وَهُوَ سَاكِنٌ الطَّبَاعِ ، فَأَرَاهُ السَّكُونَ أَنَّ الصَّوَابَ فِي الْإِقْلَالِ ، فَلَمَّا ضَرَبَ تَحَرَّكَ دُمُهُ ، فَأَشَاعَ فِيهِ الْحَرَارَةَ فَزَادَ فِي غَضَبِهِ ، فَأَرَاهُ الْغَضَبُ أَنَّ الرَّأْيَ فِي الْإِكْتَارِ . وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْقَلَمِ ؛ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَبْتَدِئُ الْكِتَابَ وَهُوَ يُرِيدُ مَقْدَارَ سَطْرَيْنِ ، فَيَكْتُبُ عَشْرَةَ ! وَالْحَفِظُ مَعَ الْإِقْلَالِ أَمَكْنٌ ، وَهُوَ مَعَ الْإِكْتَارِ أَبْعَدُ .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَاقِلَ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالْمُتَّبِعِ ، فَكَثِيرًا مَا يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِيهِ مِنْ وَلَدِهِ ، أَنَّ يَحْسُنَ فِي عَيْنِهِ مِنْهُ الْمَقْبَحُ فِي عَيْنِ غَيْرِهِ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لَفْظَهُ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْهُ مِنْ ابْنِهِ ، وَحَرَكَتَهُ أَمْسُّ بِهِ رِحْمًا مِنْ وَلَدِهِ ؛ لِأَنَّ حَرَكَتَهُ شَيْءٌ أَحَدْتَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَبَدَاتِهِ ، وَمِنْ عَيْنِ جَوْهَرِهِ فَصَلَّتْ (١) ، وَمِنْ نَفْسِهِ كَانَتْ ؛ وَإِنَّمَا الْوَلَدُ كَالْمَخْطَةِ يَتَمَخَّطُهَا ، وَالنَّخَامَةُ يَقْدِفُهَا ، وَلَا سِوَاهُ إِخْرَاجُكَ مِنْ جِزْئِكَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ مِنْكَ ، وَإِظْهَارُكَ حَرَكَتًا لَمْ تَكُنْ حَتَّى كَانَتْ مِنْكَ . وَلِلذَلِكَ تَجِدُ فِتْنَةَ الرَّجُلِ بِشِعْرِهِ ، وَفِتْنَةَ بِكَلَامِهِ وَكُتْبِهِ ، فَوْقَ فِتْنَتِهِ بِجَمِيعِ نِعْمَتِهِ .

(ما ينبغي أن تكون عليه لغة الكتب)

وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُ إِلَى إِفْهَامِ مَعَانِيهِ ، حَتَّى لَا يَحْتَاجَ

(١) في ط : « وبداءته من عين جوهره فصلت ». وإصلاح العبارة وإتمامها من ل .

السامع لما فيه من الرويَّة ، ويحتاجُ مِنَ اللفظِ إلى مقدارٍ يرتفعُ به عَنْ
ألفاظِ السَّفَلَةِ والحَشْوِ^(١) ، ويحطُّه من غريب الأعرابِ ووَحْشِيِّ الكلامِ ، ٤٥
وليس له أَنْ يَهْدِّبَهُ جَدًّا ، ويتقَّحَه ويصنِّعُه ويروِّقُه ، حتى لا ينطقَ
إِلَّا بِلُبِّ اللَّبِّ ، وباللفظِ الذي قد حذفَ فُضُولَه ، وأسقطَ زوائده^(٢) ،
حتى عاد خالصاً لاشوبِّ فيه ؛ فَإِنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، لَمْ يُفْهَمْ عَنْهُ إِلَّا بَأْنَ
يحدِّدُ لهم إفهاماً مِرَاراً وتَسْكَرَاراً ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ قد تَعَوَّدُوا المَبْسُوطَ من
الكلامِ ، وصارت أفهامهم لاتزيد على عاداتهم إِلَّا بَأْنَ يعكس عليها
ويؤخذ بها . أَلَا تَرَى أَنَّ كِتَابَ المنطقِ الذي قد وُسمَ بهذا الاسمِ ،
لو قرأته على جميعِ خطباءِ الأمصارِ وبلغاءِ الأعرابِ ، لما فهموا أكثرَه ،
وفي كتابِ أَقْلِيدِسَ كَلامٌ يدور ، وهو عربيٌّ وقد صَنِّقِي ، ولو سَمِعَهُ بعضُ
الخطباءِ لما فهمه ، ولا يمكن أن يفهمه من يريد تعليمه ، لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إلى
أن يكون قد عَرَفَ جِهَةَ الأمرِ ، وتعوددَ اللفظِ المنطقي^(٣) الذي استخرج
من جميعِ الكلامِ .

(قول صحار العبدي في الإيجاز ، ونقده)

قال معاوية بن أبي سفيان ، رضى الله تعالى عنهما ، لصُحَّارِ العبدي^(٤) :

(١) في ط : « الحشوة » وكلاهما صحيح ومعناها : صغار الناس وأسقاطهم .

(٢) في ل : « وتعرف زوائده » .

(٣) في ط : « وتعودد لفظ المنطق » وهو تحريف .

(٤) هو صحار بن عياش - وقيل ابن عباس - بن شراحيل بن منقذ العبدي من بني عبد القيس .

خطيب مفوه كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان نسابه ، توفي

نحو سنة ٤٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

ما الإيجاز؟ قال: أن تجيبَ فلا تبطئَ ، وتقولَ فلا تخطئَ . نعال معاوية :
أو كذلك تقول !! قال صحار : أفلنني يا أمير المؤمنين ! لا تخطئَ ولا تبطئَ .
فلو أن سائلاً سألَكَ عن الإيجاز ، فقلت : لا تخطئَ ولا تبطئَ ،
وبحضرتك خالدُ بنُ صفوان^(١) ، لما عرَفَ بالبديهة وعندَ أولِ وهلة ،
أنَّ قولكَ « لا تخطئَ » متضمَّنُ بالقول ، وقولكَ « لا تبطئَ » متضمَّنُ
بالجواب . وهذا حديثٌ كما ترى آثروه ورَضُّوه ، ولو أن قائلًا قال لبعضنا :
ما الإيجاز؟ لظننتُ أنه يقول : الاختصار .

(حقيقة الإيجاز)

والإيجاز ليس يُعنى به قلةُ عددِ الحروفِ واللفظِ ، وقد يكونُ البابُ من
الكلامِ مَنْ أتى عليه فيما يسعُ بطنَ طومارٍ^(٢) فقد أوجز ، وكذلك الإطالة ،
وإنما ينبغى له أن يحذفَ بقدرِ مالا يكونُ سبباً لإغلاقه ، ولا يردُّ وهو
يكتفى في الإفهام بشطره^(٣) ، فما فضلَ عن المقدار فهو الخطل .

(استغلاق كتب أبي الحسن الأخفش)

وقلتُ لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلمُ الناسِ بالنحو ، فلم لا تجعلُ

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التيمي المنقري ، كان يجالس
عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، نشأ بالبصرة ، وكان أكثر أهلها مالا ،
ولم يتزوج ، توفي نحو سنة ١١٥ هـ .

(٢) الطومار والطامور : الصحيفة ، جمعه طوامير .

(٣) في ط : « ولا ترداده وهو يكتفى من الإفهام بشطره » وعدلت القول من ل .

كتبك مفهومة كلها ، وما بالناس نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالك
تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجل لم أضع كتبى
هذه لله ، وليست هى من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع ^(١) الذى
تدعونى إليه ، قلت حاجاتهم إلى فيها ، وإنما كانت غايتى المنالة ،
فأنا أضع بعضها هذا الوضع ^(١) المفهوم ، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى
التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما قد كسبت فى هذا التدبير ، إذ كنت إلى
النكسب ذهبت ، ولكن ما بال إبراهيم النظام ، وفلان وفلان ،
يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثل فى موافقته ^(٢) ، وحسن
نظره ، وشدة عنايته ، ولا يفهم أكثرها ؟ !

٤٦

وأقول : لو أن يوسف السمتى ، كتب هذه الشروط ، أيام جلس سلمان
أبن ربيعة ^(٣) شهرين للقضاء ، فلم يتقدم إليه رجلان ، والقلوب سليمة
والحقوق على أهلها موقرة ، لكان ذلك خطأ ولغوًا ؛ ولو كتب فى دهره
شروط سلمان ، لكان ذلك غرارة ونقصاً ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلح
فى كل دهر .

(مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناس إذا خطبوا فى صلح بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا

-
- (١) بدها فى ط : « الموضوع » والوجه ما أثبت من ل .
(٢) فى ط : « موافقته » والوجه ما فى ل . والمواقفة : الخصومة والجدال .
(٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلى الصحابى ، من القادة القضاة ، استقضاه عمر على
الكوفة ، ثم ولى غزو أرمينية فى زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .

الشعر بين السَّماطين في مديح الملوك أطالوا . وللإطالة موضعٌ وليس ذلك
بمخطَل ، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجْز .

ولولا أنِّي أتَّسكل على أنِّك لا تملُّ بابَ القولِ في البعير حتَّى تخرجَ إلى
القبيل ، وفي الدَّرة^(١) حتَّى تخرجَ إلى البعوضة ، وفي العقربِ حتَّى تخرجَ
إلى الحية ، وفي الرجلِ حتَّى تخرجَ إلى المرأة ، وفي الذِّبان والنحل^(٢) حتَّى
تخرجَ إلى الغرِّبان والعقِّبان ، وفي السكِّلبِ حتَّى تخرجَ إلى الديك ، وفي
الغُثبِ حتَّى تخرجَ إلى السَّبُع ، وفي الظلِّفِ حتَّى تخرجَ إلى الحافر ، وفي الحافرِ
حتَّى تخرجَ إلى الخُفِّ ، وفي الخفِّ حتَّى تخرجَ إلى البرُّثنِ ، وفي البرُّثنِ حتَّى
تخرجَ إلى المخلَبِ ، وكذلك القول في الطيرِ وعامَّةِ الأصنافِ ، لرأيتُ أنَّ
جملةَ الكتاب^(٣) ، وإنَّ كثرَ عددُ ورقهِ ، أنَّ ذلك ليس مما يُمِلُّ ، ويُعتدُّ
علَى فيه بالإطالة ، لأنَّه وإن كان كتاباً واحداً فإنَّه كتبُ كثيرة ، وكلُّ
مُصحفٍ منها فهو أمُّ على حِدَةٍ ، فإنَّ أرادَ قراءةَ الجميعِ لم يَطُلْ عليه الباب
الأوَّلُ حتَّى يهجمَ على الثاني ، ولا الثاني حتَّى يهجمَ على الثالث ؛ فهو
أبدأً مستفيدٌ ومستطرفٌ ، وبعضُه يكونُ جأماً لبعضٍ ، ولا يزالُ نشاطُه
زائداً . ومتى خرجَ من آي القرآن صارَ إلى الأثر ، ومتى خرجَ من أثر
صارَ إلى خبر ، ثم يخرجُ من الخبرِ إلى شعر ، ومن الشعرِ إلى نوادر ، ومن
النوادرِ إلى حكمٍ عقليَّةٍ ، ومقاييسِ سِدَاد^(٤) ، ثم لا يتركُ هذا البابَ ؛ ولعلَّه

(١) في ط : « الدرة » بالدال وإنما هي « الذرة » بالذال كما في ل . والذر : ضرب من
التمل صغار .

(٢) كذا في ل . . وفي ط : « وفي الذباب » فقط .

(٣) في ط : « فرأيتُ أن جملة الكتاب » .

(٤) في الأصل : « شداد » والمقياس ينعت بالسداد لا بالشدة .

أن يكون أثقلَ ، والملاهُ إليه أسرع ، حتَّى يفضِي به إلى مزحٍ وفكاهة ،
وإلى سُخْفٍ وخُرَافَةٍ ، ولستُ أراه سُخْفًا ، إذ كنتُ إنما استعملتُ
سيرةَ الحكماءِ ، وآدابَ العلماءِ .

(مخاطبة العرب وبنى إسرائيل في القرآن الكريم)

ورأينا الله تبارك وتعالى ، إذا خاطبَ العربَ والأعرابَ ، أخرجَ
السكلامَ مُخْرَجَ الإشارةِ والوحيِ والحذفِ ، وإذا خاطبَ بنى إسرائيلَ
أو حكى عنهم ، جعله مبسوطًا ، وزاد في السكلامِ . فأصوبُ العملُ اتِّباعُ
آثارِ العلماءِ ، والاحتذاءُ على مثالِ القدماءِ ، والأخذُ بما عليه الجماعةُ . ٤٧

(أقوال لبعض الشعراء في الكتب)

قال ابن يسير^(١) في صفةِ الكتبِ ، في كلمةٍ له :
أقبلتُ أهرُبُ لا آلو مُباعدةً في الأرضِ منهم فلم يُحصِنِي الهربُ
بقصرِ أوسٍ فما والت خنادقُهُ ولا النواويسُ فالماخورُ فالخرب^(٢)
فأيُّمًا موئلٍ منها اعتصمتُ به فمن ورائي حثيثًا منهمُ الطلبُ
لمَّا رأيتُ بأني لستُ معجزهمُ فوتًا ولا هربًا ، قرَّبتُ أحتجبُ

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتدئ البيت في ط بكلمة : « فقصر » وينتهي بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتها
بما في ل . وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد
الولاة الأمويين .

فصرتُ في البيتِ مسروراً بهمِ جَدلاً
فرداً يحدّثني الموتى وتَنطِقُ لي
همُ مؤنِّسونَ وألأفَ غَنيتُ بهمِ
للهِ من جُلَساءِ لا جَلِيسهمُ
لا بادراتِ الأذى يَحْشَى رَفِيقهمُ
أبقوا لنا حِكماً تبقى منافِعها
فأَيُّما آدبٍ منهمِ مَدَدتُ يَدِي
إن شئتُ من مُحكَمِ الآثارِ يرفعها
أو شئتُ من عَرَبٍ عالماً بأولهمِ
أو شئتُ من سَيرِ الأملاكِ من عَجَمِ
حَتَّى كَأَنَّيَ قد شَاهَدتُ عَصْرهمُ
يا قاتلاً قَصَّرتُ في العلمِ نُهَيْتَهُ (٦)
إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعلمهمِ

جَارَ البراءةِ لا شكوى ولا شَغْبُ (١)
عن علمٍ ما غابَ عَنِّي منهمُ الكُتُبُ
فليس لي في أنيسٍ غيرهمِ أَرَبُ
ولا عَشيرهمُ للسُّوءِ مرْتَقِبُ
ولا يُلاقِيه منهمِ مَنْطِقُ ذَرَبُ (٢)
أُخْرِى الألبالي على الأيامِ وانشعبوا (٣)
إليه فهو قريبٌ من يَدِي كَتَبُ (٤)
إلى النبي ثِقَاتٌ خَيرةٌ نُجِبُ
في الجاهليَّةِ أنبتني به العربُ (٥)
تُدْبِي وتُخْبِرُ كيف الرأى والأدبُ
وقد مضتْ دَومهمِ من دَهرهمِ حَقِبُ
أمسى إلى الجهلِ فيما قال يَنْتَسِبُ
خِلافَ قولِكَ قد بانوا وَقَد ذَهَبوا (٧)

(١) في الأصول « به جدلاً » والصواب « بهم ». وابن يسير هنا قد جعل للكتب ضمير جماعة العقلاء كما في الأبيات الأولى . وأما « جار البراءة » فهي ماصح لي من مقارنة مافي الأصول فهي في ط : « جار البوأة » وفي س « جار البوأة » وفي ل « حاز البراءة » .

(٢) منطلق ذرب : كلام حاد مزعج .

(٣) في ط « والشغب » وصوابه في ل .

(٤) في ط « كتب » وهو تصحيف مافي ل . وكتب : قريب .

(٥) في ط : « بها العرب » والضمير عائد إلى العلم .

(٦) النهية والنهي : العقل . وقد تستعمل النهي جمعاً للنهية .

(٧) كذا في ل . وفي ط :

إن الأوائل قد بانوا بعلمهمِ خلاف قولك ما بانوا وما ذهبوا
وهذا البيت مقول القول في البيت السابق ، والبيت الآتي رد على قول هذا القائل .

مامات منا امرؤ أبقى لنا أدباً نكونُ منه إذا ما مات نكتسبُ^(١)
وقال أبو وجزة^(٢) وهو يصف صحيفةً كُتِبَ له فيها بستينَ وسقاً :

راحتُ بستينَ وسقاً في حقيبتها ما حُمِلَتْ حِمْلَهَا الأَدْنَى ولا السُّدَدَا
ما إن رأيتُ قلوباً قبلها حَمَلَتْ سِتِّينَ وسقاً وما جابت به بلدًا^(٣)

وقال الراجز :

٤٨ تَعَلَّمَنْ أَنَّ الدَّوَاءَ وَالْقَلَمَ تَبِعِي وَيُفْنِي حَدَثُ الدَّهْرِ الْغَمِّ^(٤)

يقول : كتابك الذي تكتبه عليّ يبقِي فتأخذني به ، وتذهب غنمي
فيما يذهب .

(نشر الأخبار في العراق)

وممَّا يدلُّ على نفع الكتاب ، أنه لولا الكتابُ لم يُجزَّ أن يعلمَ أهل
الرَّقَّةِ والموصِلِ وبغدادَ ووَاسِطَ ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالكوفةِ

(١) في ط : « مامات مثل امرئ » والوجه ما في ل .

(٢) في ط : « أبو وجزة » بالراء وإنما هو بالزاي ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بني
سعد بن بكر بن هوازن ، أظنَّار النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعرا مجيدا ،
وهو أول من شبَّ بعجوز . كذا قال ابن قتيبة في ترجمته في الشعراء ٦٨٤ . توفي
أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) في ط : « جاءت » وصواب الرواية ما أثبتته من ل ، س ومن الكامل ١٠٧
ليبسك ، وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول ، وآخر بعد الثاني . قال المبرد في شرح البيت
الأول : « إنما أراد ما يوجب ستين وسقاً ، لأن الناقة حملت ستين وسقاً » . وحديث
الشعر في الكامل ، ويفهم منه أن أبا وجزة امتدح آل الزبير ، فكتبوا إليه بستين
وسقاً من تمر وقالوا : هي لك عندنا في كل سنة .

(٤) في ط : « تعلمي أن » وصوابه في ل .

في بياض يوم ، حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة ، فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء .

[وذلك مشهور في الحام الهدى ، إذا جعلت برُدا^(١) ، قال الله جلّ وعزّ - وذكر سليمان وملكه الذي لم يؤتِ أحداً مثله - فقال ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ فلم يلبث أن قال الهدهد ﴿ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ قال سليمان ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها ، من عفرية ، ومن بعض من عنده علم من الكتاب ، فرأى أن الكتاب أبهى وأنبأ ، وأكرم وأفخم من الرسالة عن ظهر لسان ، وإن أحاط بجميع ما في الكتاب . وقالت ملكة سبأ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّنِي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ . فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب .

(استخدام الكتابة في أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعض الجلالة الكبار ، وبعض الأدباء والحكماء ، أن يدعوا بعض من يجري مجراه في سلطان أو أدب ، إلى مأدبة أو ندام^(٢) ، أو خروج إلى منزله ، أو بعض ما يشبه ذلك ، فلو شاء أن يبلغه الرسول

(١) جمع بريد . والكلام من مبدأ هذه الفقرة إلى ص ١٠٦ ساقط من جميع النسخ ، وأثبتته من ل .

(٢) مصدر نادمه ، بمعنى جالسه على الشراب . والندام أيضا ، بجمع للتدبير . ولكنه ليس مرادا هنا .

(وراثة الكتب)

وراثة الكتب الشريفة، والأبواب الرفيعة، منبهة للمورث، وكنز عند الوارث، إلا أنه كنز لا تجب فيه الزكاة، ولا حقُّ السلطان. وإذا كانت الكنوز جامدة، ينقصها ما أخذ منها، كان ذلك الكنز مائعا يزيده ما أخذ منه، ولا يزال بها المورث مذكوراً في الحكماء ومنوَّها باسمه في الأسماء، وإماماً متبوعاً وعَلَمًا منصوباً، فلا يزال الوارث محفوظاً، ومن أجله محبوباً ممنوعاً، ولا تزال تلك المحبَّة ناميةً، ما كانت تلك الفوائد قائمة؛ ولن تزال فوائدها موجودةً ما كانت الدار دار حاجة، ولن يزال من تعظيمها في القلوب أثر، ما كان من فوائدها على الناس أثر.

وقالوا: من (١) ورثته كتاباً، وأودعته علماً، فقد ورثته ما يُغَل ولا يَسْتَعْل، وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى إثارة (٢)، ولا إلى سقى، ولا إلى إسجال ببيغار (٣)، ولا إلى شرط، ولا تحتاج إلى أكار (٤)، ولا إلى أن تُثار (٥)، وليس عليها عُشر، ولا للسلطان عليها خراج. وسواء أفدته علماً أو ورثته آلة علم، وسواء دفعك إليه الكفاية، أو ما يجلب الكفاية. وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الإمكان، فمن لم يقدر إلا على دفع السبب، لم يجب عليه إحضار المسبب. فكُتِبَ الآباء، تحييب للأحياء، ومحى لذكر الموتى.

-
- (١) في الأصل: «مق» والوجه ما أثبت.
(٢) الإثارة هنا بمعنى الحرث.
(٣) أسجل له الأمر: أطلقه. وأوغر الملك الرجل الأرض: جعلها له من غير خراج.
(٤) الأكار هنا بمعنى الخبير من المخابرة (والمخابرة أن يزرع للرجل أرض غيره، على أن يكون له النصف ونحوه مما تغل الأرض).
(٥) قد سبق قوله «لا تحتاج إلى إثارة» فهو تكرار، أو في الكلام تحريف.

وقالوا : ومتى كان الأديب^(١) جامعاً بارعاً ، وكانت موارثته كتباً بارعة وآداباً جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلّم حظاً ، وأجدر أن يسرع التعلّم إليه ، ويرى تركه خطأً ، وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أنهج له ، ومنهاج قد وطى له ، وأجدر أن يسرى إليه عرق من نَجَلِه ، وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسب^(٢) ، للنظر في السكتب ، فلا يأتي عليه من الأيام مقدارُ الشغل بجمع السكتب ، والاختلاف في سماع العلم ، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإلّا تفسد الكفاية من [له]^(٣) تمت آلاته^(٤) ، وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدّث للفرير ، والمنقوص الفقير ، فخير موارثته الكفاية إلى أن يبلغ التمام ، ويكمل للطلب . فخير ميراثٍ وُرث كتبٌ وعلم ، وخير المورثين من أورث ما يجمع ولا يفرّق ، ويصّر ولا يُعمى ، ويُعطى ولا يأخذ ، ويجود بالكلِّ دون البعض ، ويدع لك الكنز الذي ليس للسلطان فيه حقّ ، والركاز^(٥) الذي ليس للفقراء فيه نصيب ، والنعمّة التي ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا للصّوص فيها رغبة ، وليس للخصم عليك فيه حجّة ، ولا على الجار فيه مئونة .

(قول ديمقراط في تأليف كتب العلم)

وأما ديمقراط فإنه قال : ينبغي أن يعرف أنه لا بدّ من أن يكون لكلِّ كتابٍ علمٍ وضعه أحدٌ من الحكماء ، ثمانية أوجه : منها الهمة ، والمنفعة ، والنسبة ، والصحة ، والصنّف ، والتأليف ، والإسناد ، والتدبير ، فأولها أن

(١) في الأصل : « الأدب » .

(٢) في الأصل : « السكتب » .

(٣) زيدت هذه الكلمة في الأصل بخط مخالف .

(٤) في الأصل « آدابه » وإلّا هي « آلاته » بمعنى أسبابه .

(٥) الركاز بمعنى الكنز .

تسكون لصاحبه همة ، وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة يُنسب إليها ، وأن يكون صحيحاً ، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفا به ، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسنداً إلى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .

فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب ، وهو كتابه الذي يسمى (أفوريسمو) ، تفسيره كتاب الفصول .

(مقالة في شأن الكلب)

وقولك : وما بلغ من قدر الكلب مع لؤم أصله ، وخُبث طبعه ، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلة خيره وكثرة شره ، واجتماع الأهم كلها على استسقاطه ، واستسقاله ، ومع ضربهم المثل في ذلك كله به ، ومع حالة التي يعرف بها ، من العجز عن صولة السباع واقتدارها ، وعن^(١) تمنعها وتشرُّفها ، وتوحُّشها وقلة إسماعها ، وعن مسالة البهائم وموادعتها ، والتمكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاشها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة ، ولأن الكلب ليس بسبع تام ، ولا بهيمة تامة ، حتى كأنه من الخلق المركب والطبائع المفلقة ، والأخلاق المختلطة ، كالبعول المتلون في أخلاقه ، الكثير العيوب المتولدة عن مزاجه .

وشرّ الطبائع ما تجاذبته الأعراق المتضادة ، والأخلاق المتفاوتة^(٢) ، والعناصر المتباعدة ، كالراعبي من الحمام ، الذي ذهب عنه هداية الحمام ،

(١) في الأصل : « ومن » .

(٢) في الأصل : « المتفاوتة » .

وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الورشان ، وقوة جناحه
وشدة عصبه ، وحسنُ صوته ، وشحو^(١) حلقه ، وشكل لحونه ، وشدة
إطرابه ، واحتماله لوقوع البنادق وجرح الخالب . وفي الراعي أنه مُسروك
مثقل ، وحدث له عِظْمُ بدن ، وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه .

وكذلك البغل ، خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ، ويعيش
نتائجهما ويبقى بقاءهما ، وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة
ولد وليست بعاقرة ، فلو كان البغل عقيما ، والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيد
في قوتها ، وأتمّ لشدهما ؛ فبح البغل من الشبق والنعظ ما ليس مع أبيه ،
ومع البغلة من السوس^(٢) ، وطلب السفاد ، ما ليس مع أمها . وذلك كله قدح
في القوة ، ونقص في البنية^(٣) . وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه
وأحواله ، فترك شبههما ، ونزع إلى شيء ليس له في الأرض أصل ، وخرج
أطول عمراً من أبويه ، وأصبراً على الانتقال من أبويه .

أو كابن المذكورة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أنخبث
نتاجا من البغل ، وأفسد أعراقاً من السمع ، وأكثر عيوباً من العسبار ،
ومن كل خلقٍ خلقٍ إذا تركب من ضيد ، ومن كل شجرة مُطعمّة بخلاف .
وليس يعترى مثل ذلك الخلاسي من الدجاج ، ولا الورداني^(٤)
من الحمام .

(١) الشحو : الاتساع . وفي الأصل « وشجي » وليس له وجه .

(٢) يقال سوست الدابة سوسا ، بمعنى اغتلمت ، كما في كتاب البغال للجاحظ ص ٣٢٠ .

وفي الأصل : « الشوس » تصحيف .

(٣) في الأصل « في البنية » .

(٤) الديرى : طائر متولد بين الورشان والحمام ، وله غرابة لون .

وكلُّ ضعفٍ دخل على الحلقة ، وكل رقةٌ عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه ، يظهر العجز والعيب .
وزعم الأصمعيُّ ، أنه لم يسبق الحلبة فرسٌ أهضم قط .
وقال محمد بن سلام : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بقاء^(١) .
والهداية في الحمام ، والقوة على بعد الغاية^(٢) ، إنما هي للمصمتة من الخضر^(٣) .

(الشيات في الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أن الشيات كلها ضعف ونقص - والشية : كل لون دخل على لون - وقال الله جلّ وعزّ ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم^(٤) أن ابن المذكرة من المؤنث ، يأخذ أسوأ خصال أبيه ، وأردأ خصال أمه ، فتجتمع فيه عظام الدواهي ، وأعيان المساوي ، وأنه إذا خرج كذلك ، لم ينجع فيه أدب ، ولا يطمع في علاجه طيب ، وأنه رأى في دور ثقيف ، فتى اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما كان في الأرض يومٌ ، إلّا وهم يتحدثون عنه بشيءٍ ، يصغر في جنبه أكبر ذنبٍ كان يُنسب إليه !

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٦٦ .

(٢) الغاية : المدى الذي يرسل إليه حمام الزاجل .

(٣) المصمتة : التي لا يخاطب لونها لون آخر .

(٤) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفي ، له خبران في الأغاني (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧) .

وزَعَمْتَ أَنَّ الكلب في ذلك كالخثي ، الذي هو لا ذكر ولا أنثى ،
أو كالخصي الذي لَمَّا قُطِعَ منه ما صار به الذَّكَرُ فحلا ، خرجَ من حدِّ كمالِ
الذَّكَرِ بفقدان الذَّكَرِ ، ولم يكملْ لأن يصير أنثى ، للغريزة الأصلية ،
وبقيّة الجوهريّة .

وزَعَمْتَ أَنَّهُ بصير كالنبيذ الذي يفسده إفراطُ الحرِّ ، فيخرجه من حدِّ
الخل ، ولا يدخله في حدِّ النبيذ .

وقال مرداس بن خذام (١) :

سَقَيْنَا عِقَالًا بِالثَّوِيَّةِ (٢) شَرِبَةٌ فالت بلْبُ السكاهلي عِقَالِ
فَقُلْتُ اصطَبِحْهَا يَا عِقَالُ فَإِنَّمَا هي الخمرُ خيَلْنَا لها نِحْيَالِ
رَمَيْتُ بِأَمِّ الخَلِّ حَبَّةً قَلْبِي فلم ينتعش منها ثلاثَ ليالِ
فجعل الخمرُ أُمَّ الخَلِّ قد يتولد عنها . وقد يتولد عن الخل - إذ كان خمرًا
مرة - الخمرُ .

وقال سعيد بن وهب (٣) :

هَلَّا وَأَنْتِ بِنَاءٌ وَجِهَكَ تُشْتَهَى رَوَدَ الشَّبَابِ قَلِيلَ شَعْرِ العَارِضِ !
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لِحْيَةٌ ذَهَبَتْ بِمَلْحَكِ مِثْلِ كَفِّ القَابِضِ
مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ خمرُ عَصِيرِهَا بعدَ اللِّذَازَةِ خَلَّ خمرُ حَامِضِ
ويصير أيضاً كالشعر الوسط ، والغناء الوسط ، والنادرة الفائرة ، التي لم

(١) في الأغاني (١٠ : ٨٧) جذام . وفي ثمار القلوب ٢٠٧ : « جزام » وانظر قصة الشعر
في المخصص ١٣ : ١٨٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ومعجم المرزباني ٣٧٠ .

(٢) الثوية: موضع بالكوفة أو قريب منها . وانظر نسبة البيت في معجم البلدان .

(٣) سعيد بن وهب ، هو أبو عثمان مولى بني سامة بن لؤي ، شاعر مطبوع ، أكثر شعره
في الغزل والتشبيب بالذكور ، وكان من كتاب البرامكة ، متقدما عندهم ، قالوا :
وكان ذا فجور ووجون ، ثم تاب وأقلع ، وكانت وفاته في أيام المأمون . انظر الأغاني
٢١ : ٦٩ - ٧٢ وفهرس ابن النديم ١٧٨ ، ٢٣٦ مصر .

تخرج من الحر إلى البرد فتضحك السن ، ولم تخرج من البرد إلى الحر
فتضحك السن^(١) .

باب

ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخلاء

وكيف ما كان قبل الخلاء

قالوا : كلُّ ذى ریح مُتَنِّعٍ ، وكلُّ ذى دَفْرِ وِصْنَانٍ كَرِيهِ المِشْمَةِ^(٢) ،
كالذَّسْرِ وما أشبهه ، فَإِنَّهُ مَتَى خُصِيَ نَقَصَ نَتْنُهُ وَذَهَبَ صُنَانُهُ ، غَيْرَ
الإنسانِ ، فَإِنَّ الخُصْيَّ يَكُونُ أَتَنًا ، وَصُنَانُهُ أَحَدٌ ، وَيَعْمُ أَيْضًا خَبْثُ العَرَقِ
سَائِرًا جَسَدَهُ ، حَتَّى لَتُوجَدَ لِأَجْسَادِهِمْ رَائِحَةٌ لَا تَسْكُونُ لِغَيْرِهِمْ . فَهَذَا هَذَا .
وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الحَيَوَانِ يُخْصَى فَإِنَّ عَظْمَهُ يَدِيقُ ، فَإِذَا دَقَّ عَظْمُهُ
اسْتَرَخَى لِحْمَهُ ، وَتَبَرَّأَ مِنْ عَظْمِهِ ، وَعَادَ رَخْصًا رَطْبًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ عَضِلًا^(٣)
صُلْبًا ، وَالإنسانِ إِذَا خُصِيَ طَالَ عَظْمُهُ وَعَرِضَ ، فَخَالَفَ أَيْضًا جَمِيعَ
الحيوانِ مِنْ هَذَا البُوجهِ .

وتعرض للخصيان أيضا طول أقدامٍ ، واعوجاج في أصابع اليد ،
والتواء في أصابع الرِّجْلِ ، وذلك مِنْ أَوَّلِ طَعْنِهِمْ فِي السِّنِّ . وتعرض لهم
سرعة التغيُّر والتبديل ، وانقلاب من حدِّ الرطوبة^(٤) والبضاضة وملاسة
الجلد ، وصفاء اللون ورقته ، وكثرة الماء وبريقه ، إلى التسكرش والسمود ،

(١) هذه نهاية السقط الذي ابتداء من ص ٩٧ .

(٢) في ط : « وقيل ذى دفر وحنان وكرية المشمة » وهو كلام محرف .

(٣) في ل : « عضلا » والوجه ما كتبت من ط .

(٤) في ل : « والانقلاب من حد الرطوبة » .

وإلى التقبُّض والتخدُّد^(١) ، وإلى الهزال ، وسوء الحال ، فهذا الباب يعرض
للخصيان ، ويعرض أيضاً لمعالجى النبات من الأكرة^(٢) من أهل الزرع
والنخل ، لأنك ترى الخصىَّ وكأنَّ السيوفَ تلمع في لونه^(٣) ، وكأنَّه مِرآةٌ
صينيَّةٌ ، وكأنَّه وذيلةٌ مجلَّوةٌ ، وكأنَّه بُجَّارةٌ رَطْبَةٌ ، وكأنَّه قضيبٌ فضَّةٌ قد
مسَّهُ ذهبٌ ، وكأنَّه في وجناته الورد ، ثم لا يلبثُ كذلك إلا نُسَيْثَاتٍ^(٤)
يسيرةً ، حتى يذهبَ ذلك ذهاباً لا يعود ، وإن كان ذا خصبٍ ، وفي عيش
رَغْدٍ ، وفي فراغٍ بالٍ ، وقلةٍ نصَبٍ .

(من طرائف عبد الأعلى القاصِّ)

وكان من طرائف ما يأتى به عبد الأعلى القاصِّ ، قوله في الخصى ،
وكان لغلبة السلامة عليه يُتوهَّم عليه الغفلة ، وهو الذى ذكر الفقير مرة
في قصبه فقال : الفقير مرقبه سُلْفَةٌ ، ورداؤه عِلْمَةٌ ، وجردقته فِلْقَةٌ ،
وسمكته شلْقَةٌ^(٥) ، [وإزاره خرقة] .

قالوا : ثمَّ ذكر الخصىَّ فقال : إذا قُطِعَتْ خُصِيَّتُهُ ، قَوِيَتْ شَهْوَتُهُ
وسخُنَتْ مَعِدَتُهُ ، ولانَتْ جِلْدَتُهُ ، وانجردت شَعْرَتُهُ ، واتَّسَعَتْ فَفْحَتُهُ ، ٤٩
وكثُرَتْ دَمَعَتُهُ !!

(١) في الأصل : « التحدد » وإنما هو « التخدد » بمعنى التقبُّض .

(٢) في ط : « ويعرض أيضاً لبنات الأكرة » وتصحيحه من ل .

(٣) في مفاخرة الجوارى والغلمان : « تلمع في وجهه » .

(٤) النسأة بالضم والنسيئة بمعنى النظرة - بكسر الظاء - وتصغر النسأة وتجمع ، فتكون نسيئات ، والمراد بها الوقت القليل .

(٥) (السلفه) : ما يتعلل به قبل الغداء . ويسميا العامة اليوم « تصيرة » . . وأما (العلقة) فهو قيص بلاكين ، أو ثوب يجاب ولا يخاط جانباه ، تلبسه الجارية وهو إلى الحجة . . وأما (الفلقة) فيمعنى النصف . والجردقة : الرغيف ، معرب كرده . وأما (الشلقة) بالكسر أو بفتح الأول وكسر الثاني فهى واحدة الشلق : ضرب من صغار السمك .

وقالوا ، انخصى^١ لا يصلح كما لا تصلح المرأة ، وإذا قطع العضو الذي كان به فحلاً تاماً ، أخرجه ذلك من أكثر معاني الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك السكمال ، صيرته كالبعغل الذي ليس هو حماراً ولا فرساً ، وتصير طباعه مقسومةً على طباع الذكر والأنثى ، وربما لم يخلص له الخلق ولم يصف ، حتى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء ، وإنه يقع ممزوجاً مركباً ، فيخرج إلى أن يكون مندبياً ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولده التركيب ، عن مقدار معاني الأبوين ، كما يجوز عمر البغل عمر أبويه ، وكذلك ما عددنا في صدر هذا الكلام^(١) .

(طلب الذسل)

وقالوا^(٢) : وللإنسان قوى معروفة المقدار ، وشهوات مصروفة في وجوه حاجات النفوس ، مقسومة عليها ، لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها ، ما كانت النفوس قائمة بطباعها ومزاجاتها وحاجاتها . وباب المنكح من أكبرها ، وأقواها ، وأعمها :

ويدخل في باب المنكح ما في طبائعهم من طلب الولد ، وهو باب من أبوابهم عظيم ؛ فمنهم من يطلبه للكثرة والنصرة ، وللحاجة إلى العدد والقوة ، ولذلك استلظت العرب الرجال ، وأغضت^(٣) على نسب المولود

(١) في ط : « الكتاب » وهو تحريف .

(٢) في ط : « قال » والوجه ما في ل .

(٣) أغضى على الشيء : سكت . وفي ط : « وأغضبت » والوجه ما كتبه من ل .

على فراش [أبيه]^(١) ، وقد أحاط علمه بأذنه من الزوج الأول . قال الأشهب
ابن رُمَيْلة^(٢) :

قال الأقاربُ لا تغرُّكَ كثرُنا وأغنَّ نفسَكَ عنَّا أيها الرجلُ
علَّ بَنِيَّ يشدُّ اللهُ كثرَهم والنَّبَعُ يُنْبِتُ قُضْبَانًا فيكتهل^(٣)
وقال الآخر^(٤) :

إِنَّ بَنِيَّ صِيبِيَّةٌ صَيْفِيُّونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُّونَ
يشكو كما ترى صِغَرَ البنينِ ، وضعف الأسر^(٥) .

وما أكثر ما يطلب الرجل الولد نفاسةً بماله على بني عمِّه ، ولإشفاقه من
أن تليه القضاة وترتع فيه الأمناء ، فيصير ملكاً للأولياء ، ويقضى به القاضى
الدمام ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكْر ، وللرغبة في العقب ،
أو على جهة طلبِ الثواب^(٦) في مباهاة المشركين ، والزيادة في عدد المسلمين ،
أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنصرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان ،
ولما طبع الله تعالى بني آدم عليه ، من حبِّ الذرِّيَّة وكثرة النسل ، كما طبع ٥٠

(١) في الأصل: « على فراشه » وبذلك لا يكون للضمير في كلمة (علمه) الآتية مرجع .
وعلى الأصل أيضا لانجد للضمير (فراشه) مرجعا مناسباً .

(٢) وقيل الشعر لنهشل بن حري كما في البيان ، والبيتان فيه ٣ : ٩٦ .

(٣) في البيان : « أعظمهم » بدل « كثرتهم » . وفي ط « النبع » بالعين ، والصواب ما أثبت
من ل والبيان . والنبع : شجر تحمل منه القسي والسهام .

(٤) هو أكرم بن صيبي ، كما في نوادر أبي زيد ٨٧ قال أبو زيد « يقال أصاف الرجل
إذا ترك النساء شاباً لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده صيفيون . . .
والربعيون : الذين ولدوا وآبأؤهم شباب فهم رجال » . و « إن » هي في ط « عسى »
وتصححه من ل : والنوادر .

(٥) في ط : « السن » .

(٦) في ط : « الصواب » وهو تحريف ظاهر .

الله تعالى الحمام والسنابير على ذلك ، وإن كان إذا جاءه الولد زاد في همه ونصبه ، وفي جبينه وبخله ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الولد مجبنة مبخلة مجهلة » فيحتمل في الولد المؤمن المعروفة ، والهجوم الموجودة لغير شيء قصده له ، وليس في ذلك أكثر من طلب الطباع ، ونزوع النفس إلى ذلك . وذكر أبو الأخرز الحمانى غير العانة^(١) بخلاف ما عليه أصحاب الزواج من الحيوان ، فقال عند ذكر سفاذه :

لا مُبتغى الذرء ولا بالعازل^(٢)

لأن الإنسان من بين الحيوان المزاوج ، إذا كره الولد عزل ، والمزاوج من أصناف الحيوانات إنما غايتها طلب الذرء^(٣) والولد . لذلك سُخِّرَتْ ، وله هيئت ، لما أراد الله تعالى من إتمام حوائج الإنسان . والحمار لا يطلب الولد ، فيكون إفراغه في الأتان لذلك ، ولا إذا كان لا يريد الولد عزل كما يعزل الإنسان ، غير أن غايته قضاء الشهوة فقط ، ليس يخطر^(٤) على باله أن ذلك الماء يُخلق منه شيء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس في البهائم

شيء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعامة اكتساب الرجال وإنفاقهم ، وهمهم وتصنعهم ، وتحسينهم لما يملكون ، إنما هو مصروف إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء ، ولو لم يكن إلا التتمص^(٥) والتطيب والتطوس^(٦) [والتعرس^(٧)] والتخضب ،

(١) في ط : « وذكر أبو الأخرز الحمام غير العانة » وهو مثل من أمثلة التحريف الشنيع .

(٢) في ط : « لا مبتغى الذرء ولا بالعازل . وفي ل : « الذرء ولا العازل » والوجه ما أثبت .

(٣) في ط : « الذرء » .

(٤) في الأصل : « يذكر » .

(٥) التمص : نتف الشعر . والتتمص : التزين بذلك الأسلوب .

(٦) التطوس : التزين . . وبدل « التطوس » في ط : « التطرز » وليس بشيء .

(٧) التعرس : التحجب .

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصَّبِغِ ، وَالْحَلِيِّ ، وَالكَسَاءِ ، وَالْفُرْشِ ،
وَالْآنِيَةِ ، لِكَانَ فِي ذَلِكَ مَا كُنِيَ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا الْإِهْتِمَامُ بِحِفْظِهَا وَحِرَاسَتِهَا ،
وَخَوْفُ الْعَارِ مِنْ جَنَائِبِهَا وَالْجَنَائِيَةِ عَلَيْهَا ، لِكَانَ فِي ذَلِكَ الْمُوْنَةُ الْعَظِيْمَةُ ،
وَالْمَشَقَّةُ الشَّدِيْدَةُ .

(قول في الغرائز وبيان سبب شره الخصى)

فَإِذَا بَطَلَ الْعَضْوُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ يَكُونُ اشْتِغَالُ النَّفْسِ بِالْأَصْنَافِ
الكَثِيْرَةِ ، مِنْ اللَّذَّةِ وَالْأَلْمِ ، فَبِاضْطِرَارٍ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الْقُوَى لَمْ تَبْطَلْ
مِنَ التَّرْكِيبِ ، وَلَمْ تَعْدَمْهَا الْخَلْقَةُ ، وَإِنَّمَا سُدَّتْ دُونَهَا بِسُدِّ ، وَأَدْخَلَ عَلَيْهَا
حِجَابًا ، فَلَا بُدَّ لَهَا إِذَا كَانَتْ مَوْجُودَةً مِنْ عَمَلٍ ، لِأَنَّ عَمَلَ كُلِّ جَوْهَرٍ
لَا يُعْدَمُ إِلَّا بِعَدَمِ ذَاتِهِ ، فَإِذَا صُرِفَتْ مِنْ وَجْهِ فَاضَتْ^(١) مِنْ وَجْهِ ،
وَلَا سِيْمَا إِذَا جَمَّتْ وَنَازَعَتْ ، وَلَا بُدَّ إِذَا زَخَرَتْ وَغَزُرَتْ ، وَطَغَتْ^(٢)
وَطَمَّتْ ، مِنْ أَنْ تَفِيضَ أَوْ تَفْتَحَ لِنَفْسِهَا بَابًا ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْمُنْكَحِ بَابٌ لَهُ
مَوْقِعٌ كَمَوْقِعِ الْمَطْعَمِ ، فَاجْتَمَعَتْ تِلْكَ الْقُوَى الَّتِي كَانَتْ لِلْمُنْكَحِ وَمَا يَشْتَمِلُ
عَلَيْهِ بَابَ الْمُنْكَحِ ، إِلَى الْقُوَّةِ الَّتِي عِنْدَهُ لِلْمَطْعَمِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ الْقُوَّتَانِ فِي
بَابٍ وَاحِدٍ كَانَ أَبْلَغَ فِي حَكْمِهِ ، وَأَبْعَدَ غَايَةً فِي سَبِيلِهِ ، وَلِذَلِكَ صَارَ الْخَصِيُّ
آكَلَ مِنْ أُخِيهِ لِأُمَّهُ وَأَبِيهِ ، وَعَلَى قَدْرِ الْاسْتِمْرَاءِ يَكُونُ هُضْمُهُ ، وَعَلَى
قَدْرِ حَاجَةِ طَبْعِهِ [وَحَرَكَةِ نَفْسِهِ وَ]^(٣) الْحَرَارَةِ الْمُتَوَلِّدَةِ عَنِ الْحَرَكَةِ يَكُونُ ٥١

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ط . . . وَفِي ل : « غَاضَتْ » .

(٢) فِي ط : « طَغَتْ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(٣) فِي ط : « عَلَى قَدْرِ حَاجَةِ طَبْعِهِ وَحَاجَةِ الْحَرَارَةِ الْمُتَوَلِّدَةِ عَنِ الْحَرَكَةِ » وَأَصْلَحَتْ

الْكَلَامِ مِنْ ل .

الاستمرار ، لأن الشهوة من أمتن^(١) أبواب الاستمرار ، والحركة من أعظم [أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور في الطعام)

ودوام الأكل في الإناث أعمُّ منه في الذكور ، وكذلك الحجرُ دون الفرس ، وكذلك الرمكة دون البرذون ، وكذلك النعجة^(٢) دون الكبش ، وكذلك النساء في البيوت دون الرجال . وما أشكُّ أنَّ الرجلَ يأكلُ في المجلس الواحدِ ما لا تأكل المرأة ، ولكنها تستوفي ذلك المقدارَ وتُرَبِّي عليه مقطَعاً غيرَ منظوم ، وهي بدوام ذلك منها ، يكون حاصلُ طعامها أكثرَ . وهنَّ يُناسِبُن الصبيانَ في هذا الوجه ، لأنَّ طبعَ الصبيِّ سريعُ الهضم ، سريعُ الكلب ، قصيرُ مدَّةِ الأكل ، قليلُ مقدارِ الطَّعم ، فللمرأةِ كثرةٌ معاودتها ، ثمَّ تبيِّنُ بكثرةِ مقدارِ المأكول . فيصيرُ للخصى نصيبان : نصيبه من شبه النساء ، ثم اجتماع قوى شهوته في باب واحد ، أعني شهوة المنكح التي تحولت ، وشهوة المطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أيُّ شيء آكلُ ؟ قال : برذونة رَعُوث^(٣) .

ولشدَّةِ نهمِ الإناثِ ، صارت اللبوة أشدَّ غراماً وأزرقَ ، إذا طلبت الإنسان لتأكله ، وكذلك^(٤) صارت إناثُ الأجناس الصائدة [أصيداً] ،

(١) في الأصل : « أمتن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) في ط : « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) رعوث : مرضعة . والخبر في البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) في الأصل : « ولذلك » .

كالإناث من الكلاب [والبزاة] وما أشبه ذلك ، وأحرص ما تكون عند ارتضاع جرائها [من أطباها] ، حتى صار ذلك منها سبباً للحرص والنهم في ذلك .

(صوت الخصى)

ويعرض له عند قطع ذلك العضو تغير الصوت ، حتى لا ينجح على من سمعه من غير أن يرى صاحبه أنه خصي ، وإن كان الذي يخاطبه وينقله الكلام أخاه أو ابن عمه ، أو بعض أترابه من فحولة جنسه ، وهذا المعنى يعرض للخصيان الصقالبة أكثر مما يعرض للخراسانية ، وللسودان من السند والحبشان . وما أقل من تجده ناقصاً عن هذا المقدار ، إلا وله بيضة أو عرق ، فليس يحتاج في صحة تمييز ذلك ، ولا في دقة (١) الحس فيه ، إلى حذق بقیافة ، بل تجد ذلك شائعاً في طباع السفلة والعتراء (٢) ، وفي أجناس الصبيان والنساء .

(شعر الخصى)

ومتى خصي قبل الإنبات لم ينبت ، وإذا خصي بعد استحكام نبات الشعر في مواضعه ، تساقط كله إلا شعر العانة ، فإنه وإن نقص من غلظه ومقدار عدده فإن الباقي كثير . ولا يعرض ذلك لشعر الرأس ، فإن شعر

(١) في ط : « رقة » وما كتبت من ل أشبه بكلام الجاحظ .

(٢) كذا في ط ، وهو الصواب . وفي ل : « العتر » . وفي القاموس : « الفترة محرمة ، والعتراء

والفتر بالضم ، والفترة : سفلة الناس » .

للرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة ، وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شعرِ الرأسِ بخلافِ حكمِ أشفارِ العينين ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه من باب القول في الشعر ، وهذه الخصال من أما كن شعر النساء ، والخصيان والفحولة فيه سواء ، وإنما يعرض لسوى ذلك من الشعر الحادثِ الأصول ، الزائدِ في النبات . ألا ترى أن المرأة ٥٢ لاتصلحُ ، فناسبها [الخصىُّ] من هذا الوجه ، فإنَّ عرضَ له عارضٌ فإنما هو من القرع ، لامن جهة النَّزَعِ والجَلْحِ ، [والجَلْهَ] والصلحُ (١) وكذلك النساء في جميع ذلك .

والمرأة ربّما كان في قُصَاصِ مقاديرِ شعرِ رأسها ارتفاع ، وليس ذلك بنزاعٍ ولا جَلْحٍ ، إذالم يكن ذلك حادثاً يُحدثه الطعنُ في السنِّ .
وتكون مقاطعُ شعرِ رأسه ومنتهى حدودِ قُصَاصه ، كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصَاصها ، وليس شعرها كلها دنا من موضع الملاسة والانجراد يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحلُّ ، واسكنه ينبتُ في مقدارِ ذلك الجلد على نبات واحد ، ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعاً واحداً . والمرأة ربّما كانت سبلاء ، وتسكون لها شعراتٌ رقيقةٌ زَغَبِيَّةٌ كالعذار موصولاً بأصداغها ، ولا يعرض ذلك للخصى إلا من علة في الخصاء ، ولا يرى أبداً بعد مقطع من صُدْغِهِ شيءٌ من الشعر ، لا من رقيقه ولا من كثيفه .

(١) النزاع : انحصار الشعر من جانبي الجبهة . والجَلْحُ : انحصاره عن جانبي الرأس .
والجَلْهَ والصلحُ : انحصار شعر مقدم الرأس .

(ذوات اللحي والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك ، وأكثر ما رأيته في عجائز الدهاقين ، وكذلك الغيب والشارب ، وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي ليست في رأى العين بخُشْي ، بل [نجدها] أنثى تامّة ، إلا أن تكون لم تضرب في ذلك بالسبب الذي يقوى ، حتى يظهر في غير ذلك المسكان . [ولا تعرض اللحي للنساء ، إلا عند ارتفاع الحيض] ، وليس يعرض ذلك للخصى .

وقد ذكر أهل بغداد ، أنه كان لابنة من بنات محمد بن راشد الخنّاق ، لحية وافرة ، وأنها دخلت مع نساء متنقبات إلى بعض الأعراس لترى العرس وجلوة العروس ، ففطنت لها امرأة فصاحت : رجلٌ والله ! وأحال^(١) الخدم والنساء عليها بالضرب ، فلم تكن لها حيلة إلا الكشف عن فرجها ، فترعن عنها^(٢) وقد كادت تموت .

ويفضل أيضاً الخصى المرأة في الانجراد والزعر ، بأن تجد المرأة زبّاء الذراعين والساقين ، وتجد ركب^(٣) المرأة في الشعر كأنه عانة الرجل ، ويعرض لها الشعر في إبطيها وغير ذلك .

ولا يعرض للخصى ما يعرض للديك إذا خصى : أن يذبل عُصروف عُرفه ولحيته .

والخصاء ينقص من شدة الأسر ، وينقص^(٤) مبرم القوى ، ويرخي معاقد العصب ، ويقرب من الهرم والبلى .

(١) في ل : « فأقبل » .

(٢) في ل : « فكففن » .

(٣) الركب بالتحريك : العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره .

(٤) في ط : « وينقص » بالصاد . وصوابه في ل .

(مشى الخصى)

ويعرض للخصي أن يشتدَّ وقعُ رجله على أرض السطح ، حتى لو تفقدتَ وقعَ قدمه وقدمَ أخيه الفحل [الذي هو أعبل^(١) منه] لوجدتَ لوقعه ووطنه شيئاً لا تجده لصاحبه . وكانَّ العضو الذي كان يشدُّ ٥٣ توتير النساء^(٢) ، ومعاقده الوركين^(٣) ومعاليق العصب ، لما بطل وذهب الذي كان يمسكه ويرفعه ، فيخفَّ لذلك وقعُ رجله ، صار كالذي لا يتأسك ولا يحمل بعضه بعضاً .

(أثر الخصاء في الذكاء)

ويعرض له أن أخوين صمقلبيين من أم وأب ، لو كان أحدهما توأمَ أخيه ، أنه متى خصى أحدهما خرج الخصىُّ منهما أجودَ خدمةً ، وأفطن لأبواب المعاطاة والمناولة ، وهو لها أتقنُ وبها أليق ، وتجده أيضاً أذكى عقلاً عند المخاطبة ، فيخصُّ بذلك كله ، ويبقى أخوه على غثارة^(٤) فطرته ، وعلى غباوة غريزته ، وعلى بلاهة^(٥) الصقلية ، وعلى سوء فهم العجمية .

ويد الإنسان لا تكون [أبداً] إلا خرقةً ، ولا تصير صناعاً ما لم تكن

(١) أعبل منه : أضخم منه .

(٢) في ط : « وكان العضو الذي به يشتد يشد توتير النساء » وفي ل : « وكان العضو الذي كان يشد توتير عرق النساء » وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال عرق « النساء » وإنما هو « النساء » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) في ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشيء .

(٤) في ط : « غشاوة » وفي ل : « عثارة » بالعين ولعل صوابهما ما أثبت . والأغثر : الأحمق الجاهل .

(٥) في ط : « بلاهته » وأبدلتها بما في ل : ليم تساق الكلام .

المعرفة ثقافاً لها . واللسان لا يكون أبرأ ، ذاهباً في طريق البيان ، متصرفاً في الألفاظ ، إلا بعد أن تكون المعرفة متخلّلةً به ، منقلبةً له ، واضعةً له في مواضع حقوقه ، وعلى أماكن حظوظه ، وهو علةٌ له في الأماكن العميقة ، ومصرفةٌ له في المواضع المختلفة .

فأول ما صنع الخصاص بالصقل لبي ترقية عقله ، وإرهاق حده ، وشحن طبعه ، وتحريك نفسه . فلما عرف كانت حركته تابعة لمعرفة ، وقوته على قدر ما هيجه (١) .

فأما نساء الصقالبة وصبيانهم ، فليس إلى تحويل طبائعهم ، ونقل خلقهم إلى الفطنة الثاقبة ، وإلى الحركة الموزونة ، وإلى الخدمة الثابتة الواقعة بالموافقة ، سبيلٌ . وعلى حسب الجهل يكون الخرق ، وعلى حسب المعرفة يكون الخدق . وهذا جملة القول في نساءهم ، وعلى أنهم لا حظوظ لهم عند الخلوة ، ولا نفاذ لهم في صناعة ؛ إذ كن قد مُنعن فهم المعاطاة ومعرفة المناولة .

والخصيان مع جودة آلاتهم ووفارة طبائعهم في معرفة أبواب الخدمة ، وفي استواء حالهم في باب المعاطاة ، لم تر أحداً منهم قط نفذ في صناعة تُنسب إلى بعض المشقة ، وتضاف إلى شيء من الحكمة ، ممّا يُعرف ببعد الروية ، والغوص بإدامة الفكرة ، إلا ما ذكروا من نفاذ ثقّف (٢) في التحريك للأوتار ، فإنه كان في ذلك مقدماً ، وبه مذكوراً .

(١) في ط : « ماجه » وأثبت ما في ل .

(٢) كذا في ل وفي ط : « دامة » وفي س : « نقف » .

إِلَّا أَنْ الْخَصِيَّ مِنْ صَبَاهُ ، يُحْسِنُ صِنْعَةَ الدَّبُوقِ ^(١) ، وَيُجِيدُ دُعَاءَ الْحَمَامِ الطَّوْرِيِّ ^(٢) ، وَمَا شَتَّتَ مِنْ صَغَارِ الصَّنَاعَاتِ .

وَقَدْ زَعَمَ الْبَصْرِيُّونَ أَنَّ حَدِيحًا ^(٣) الْخَصِيَّ ، خَادِمَ مُثَنَّى بْنِ زُهَيْرٍ ، كَانَ يُجَارِي ^(٤) مُثَنَّى فِي الْبَصْرِ بِالْحَمَامِ ، وَفِي صِحَّةِ الْفِرَاسَةِ ، وَإِتْقَانِ الْمَعْرِفَةِ ، وَجُودَةِ الرِّيَاضَةِ . وَمَنْذُكُرُ حَالِهِ فِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْحَمَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هَذَا قَوْلُهُمْ فِيمَنْ خَصِيَ مِنَ الصَّقَالِبَةِ . وَمَلَوْكُنَا لِعَقُولِ خَصِيَّانِ خُرَّاسَانَ أَحْمَدَ ، وَهَمْ قَلِيلٌ ، وَلِذَلِكَ لَمْ نَأْتِ مِنْ أَمْرِهِمْ بِشَيْءٍ مَشْهُورٍ ، وَأَمْرٌ مَذْكُورٌ .

(خَصِيَّانِ السَّنَدِ)

وَأَمَّا السَّنَدُ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَيْضًا مِنَ الْخَصِيَّانِ إِلَّا النَّفْرُ الَّذِي كَانَ خَصَاهُمْ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا بَعْضَهُمْ ، وَزَعَمَ لِي أَنَّهُ خَصِيَ أَرْبَعَةً هُوَ أَحَدُهُمْ ، وَرَأَيْتُ الْخِصَاءَ ، قَدْ جَذَبَهُ إِنْ حَبَّ الْحَمَامِ ، وَعَمِلَ التَّكْكَ ^(٥) ، وَالْهَرَّاشَ بِالْدَبُوقِ ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يُجْرَ مِنْهُ عَلَى عِرْقٍ ، وَإِنَّمَا قَادَهُ إِلَيْهِ قَطْعُ ذَلِكَ الْعَضْوِ .

(١) الدبوق ، هنا : جمع دبوق بالكسر ، وهو والدبوق والدابوقاء : غراء يصاد به الطير .

والدبوق كتبتور قال في القاموس : لعبة معروفة . . . وليست مرادة في هذا الكلام .

(٢) في ط : « الضواري » وفي ل : « الصوار » وصواهما « الطوري » وهو الوحشي .

(٣) في ط : « خديجا » بالخاء . وقد كتبت مافي ل و س .

(٤) في ط : « يجرى » .

(٥) التكة : رباط السراويل والجمع تكك ، ويبدو لي أنها معربة ، كما صرح بذلك الخفاجي في شفاء اللغليل ، ولم يتعرض صاحب القاموس لذلك .

(خصيان الحبشة والنوبة والسودان)

فأما الخصيان من الحبشان والنوبة وأصناف السودان ، فإنَّ الحِصَاءَ يأخذُ منهم ولا يعطيهم ، وينقصهم ولا يزيدهم ، ويحطُّهم عن مقادير إخوانهم ، كما يزيد الصقالبة عن مقادير إخوانهم ، لأنَّ الحبشيَّ متى خُصِيَ سقطت نفسه ، وثقلت حركته ، وذهب نشاطه ، ولا بدَّ أن يعرض له فساد ، لأنه متى استقصى جِبابه لم يتأسك بوله (١) ، وسلس مخرجه ، واسترخى المسك له ، فإن هم لم يستقصوا جِبابه ، فإنما يدخل الرجل منزله من له نصفُ ذلك العضو (٢) . وعلى أنك لا تجد منهم خصياً أبداً ، إلاَّ وبسرِّته بُجِرةٌ ، ونفخة (٣) شنيعة ، وذلك عيبٌ شديد ، وهو ضرب من الفتق ، مع قُبْحِهِ في العين ، وشُنْعَتِهِ في الدُّكْر . وكلُّ ما قُبِحَ في العين فهو مؤلم ، وكل ما شُنِعَ في النفس فهو مؤذٍ . وما أكثرَ ما تجد فيهم الأُلْطَع (٤) ، وذلك فاشٍ في باطن شفاهم . ومتى كانت الشفاه هُدْلاً ، وكانت المشافر منقلبة ، كانت أظهر للَطْع ، وهو ضرب من البرص . والبياض الذي يعرض لغراميل الخليل وخصاؤها (٥) ، ضربٌ أيضاً من البرص ، وربما عرَّض مثل ذلك لحشفة قضيب الختون ، إمَّا لطبَع الحديد ، وإمَّا لقرب (٦) عهدِه بالإحداد وسقى الماء ، إلاَّ أن ذلك لا يعدو مكانه .

- (١) في ط : « ولم يتأسك بوله » والوجه حذف الواو كما في ل .
(٢) في الكلام نقص وتحريف ولعل صواب العبارة : « فأما من لم يستقص جبابه فقلنا يدخل الرجل منزله منهم ... الخ » .
(٣) في ط : « وبجثة » وليس بشئ . وقد أبدلتها بما في ل . والبحر : العقدة في البطن والوجه والعنق .
(٤) اللطع : بياض في باطن الشفة . وأكثر ما يعترى ذلك السودان .
(٥) في ط : « وخصاؤها » وليست مرادة . وما هنا جمع خصية .
(٦) في ط و س : « لتدم » وهو خطأ صوابه في ل . ويؤيده ما كتبه الجاحظ في الحيوان ٧ : ٢٦ . « ومن أن تكون الموسى حديثة العهد بالإحداد » . وطبع الحديد : ردائه .

وكأما عظمت الحشفة انبسط ذلك البياضُ على قدر الزيادة فيها ،
وإنما ذلك كالبياض الذي يعرض من حرق النار وتشيطها^(١) ، وكالذي
يعرض للصقالبَة من التعالج بالسكى . وربما اشتد بياضه حتى يفحشَ
ويُرديه^(٢) ، إلا أنه لا يفشو ولا ينتشر ، إلا بقدر ما ينسط مكانه ، ويتحوّل
صاحبه رجلاً ، بعد أن كان صبياً^(٣) . وليس كالذي يعرض من البلغم ومن
المِرّة . وبعضُ البرص يذهب حتى كأنه لم يكن ، وبعضه لا يذهب
ولا يقف ، بل لا يزال يتفشى ويتسع حتى ربّما سلخه ، ولا يذهب إلا بأن
يذهب به نبي^(٤) ، فيكون ذلك علامةً له . ومن البق الأبيض ما يكاد يلحق
بالبرص^(٥) ، والسكن الذي هو أمره الذي ترون من كثرة بُرء الناس منه .
ثمَّ الخصاء يكونُ على ضروبٍ ، ويكون في ضروب ، فمن ذلك
ما يعرض بعدَ الكِبَر للأحرار ، كما يعرض للعبيد ، وللعرب كما يعرض
للعجم ، كما خصى بعضُ عباهلةِ اليمن^(٦) عاقمةَ بنَ سهلِ الخصى .

(علقمة الفحل وعلقمة الخصى)

وإنما قيل لعلقمة بن عبدة الفحل ، حين وقع على هذا اسم الخصى .

(١) في ط : « وتشيطه » .

(٢) هو تسهيل « يردّه » أى يجعله رديثا ويفسده .

(٣) كذا . ولعل صوابه « رجلا » بكسر الجيم من الرجلة بضم الراء : بياض في
إحدى رجلي الدابة . أما « صبيا » فلعلها « مصمتا » . والمصمت : الذي لا يخالط
لونه لون آخر .

(٤) في ط : « شيء » وقد أبدلته بما في ل . . وكان عيسى عليه السلام يرى الأكمة
والأبرص ياذن الله .

(٥) في ط : « ما يكون ملحقا بالبرص » .

(٦) عباهلة اليمن : أقبالهم .

وكان عبداً صالحاً ، وهو كان جَنَبَ الجَدِيلِ (١) وداعراً ، الفحلين .
الكريمين ، إلى عمان ، وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة
ابنِ مَظْعُونٍ في شربِ الخمر ، وهو الذي قال لعمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه : أَتَقْبَلُ شَهَادَةَ الحَصِيِّ ؟ قال : أما شهادتك فأقبلُ .

وهو علقمةُ بن سهلِ بن عمارة ، فلما سَمَوْه الحصى ، قالوا لعلقمة بن
عبدة : الفحل . وعلقمةُ الحصى الذي يقول :

فلن يَعْدَمَ الباقونَ قبراً لَجِئْتِي (٢) ولن يَعْدَمَ الميراثَ مِنِّي المواليا
حِرَاصٌ على ما كنتَ أجمعُ قَبْلَهُمْ هَنِيئاً لَهُمْ جَمْعِي وما كنتُ واليا
وَدَلَّيْتُ في زوراءَ تُثْمَتَ أعنقوا لشأنِهِمْ قَدْ أَفْرَدُونِي وشأنيا
فأصبحَ مالى من طريفٍ وتالِدِ لغيري ، وكانَ المألُ بالأمس ماليا
وكما عَرَضَ للدُّلالِ ونومَةِ الضُّحى ، من خصاءِ عُثمانَ بنِ حَيَّانَ [المرئى]
والى المدينة لهما ، بكتابِ هشامِ بن عبد الملك (٣) .

(أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك)

فَإِنَّ بَنِي مَرْوَانَ مِنْ يَدْعَى أَنَّ عَامِلَ المَدِينَةِ صَحَّفَ ، لأنه رأى في
الكتاب : « أَحْصِرْ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ المَحْنَثِينَ » فقرأها : « أَحْصِرْ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ

(١) في ط : « الجزيل » وصوابه « الجديل » كما في ل والقاموس ، قال : فحل للنعمان
ابن المنذر . . وأما داعر فهو فحل منجب . وجنب البعير : قاده إلى جنبه .

(٢) تختلف الروايات اختلافا كبيرا في هذا الشطر . انظر الخزانة ٢ : ١٧٦ - ١٨٠
وذيل أمالي القائل ١٣٥ والعقد ٣ : ٣٥٧ حيث توجد قصيدة هذه الأبيات ، منسوبة
إلى مالك بن الربيع .

(٣) عند الجهشياري ٥٤ أنه كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم .

وخلصته ، لا يحتاج فيه إلى مجزّز المُدلجِي^(١) ، ولا إلى ابن كرز^(٢) الخزاعي .

(خصاء الروم)

ومن أهل الملل من يَخْصِي ابنه ويقفُه على بيت العبادة ، ويجمعه سادناً ، كصنيع الروم ، إلا أنهم لا يُحدثون في القضيبي حدثاً ، ولا يتعرضون إلا للأثنيين ، كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إجمال نساءهم ورواهبهم^(٣) فقط !! فأما قضاء الوطر وبلوغ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلغون من ذلك مبلغاً لا يبلغه الفحل ، كأنهم يزعمون أنه يستقصى جميع ما عندها ويستجلبه ، لفطر قوته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكلُّ خصاءٍ في الدنيا فإنما أصله من قبَل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى ، وهم يدعون من الرأفة والرحمة ، ورقة القلب والكبد ، ما لا يدعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبك بالخصاء مثلاً ! وحسبك بصنيع الخاصي قسوة ! ولا جرّم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخصيان ، من طلب الطوائل وتذكر الأحقاد ، مالم يظنّوه عندهم ، ولا خافوه من قبليهم ،

(١) في ط : « محرز » وإنما هو « مجزّز » كما في ل ، والقاموس والإصابة . وهو صحابي

له ذكر في الصحيحين . . وكان الرجل قائفاً .

(٢) في ل : « كرز » .

(٣) في ط : « ودواهم » وتصحيحه من ل . والرواهب : جمع راهبة .

فلا هم ينزِعون ، ولا الخِصيانُ يَنسِكِلون ، لأنَّ الرِّمَيةَ فيهم فاشية ، وإن كان الخصىُّ أسواراً بلغَ منهم ^(١) ، وإن كان جمعَ مع الرمايةِ التُّروة ، واتخذ بطرسُوس ، وأذنة ، الضياعَ واصطنعَ الرجال ، واتخذَ العُقَدَ المِغْلَةَ ^(٢) فضرةٌ كلُّ واحدٍ منهم عليهم ، نفىَ بِمَضْرَعةٍ قائِدٍ ضخم . ولم ترَ عداوةً قطُّ تجوز مقدارَ عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدارِ فرطِ الرغبةِ في النساء ، وعلى شهوةٍ شديدةٍ للمباضعة ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدارَ ما فقدوا ، وهذه ٥٧ خصلةٌ كريمةٌ مع طلبِ المثوبة ، وحسنِ الأحذوثة .

(خصاء الصابئة)

فأما الصابئون ، فإنَّ العابدَ منهم ربَّما خصى نفسه ، فهو في هذا الموضع قد تقدم الروميُّ ، فيما أظهرَ من حُسْنِ النِّيَّةِ ، وانتحلَ من الديانةِ والعبادة ، بخصاء الولدِ التامِّ ^(٣) ، وبإدخاله النقصَ على النسلِ ، كما فعلَ ذلك أبو المبارك الصابئ . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ، ويسمعون منه ، ويسمَرُ عندهم ، للذي يجدونه عنده من الفهم والإفهام ، وطُرَفِ الأخبار ، ونوادِرِ الكتب ، وكان قد أربى على المائة ، ولم أسمع قطُّ بأغزَلَ منه ، وإن كان يصدِّق عن نفسه فما في الأرض أزنى منه .

(١) ط : « وإن كان الخصى أسوداً بلغ منهم » وتصحيحه من ل . والأسوار بالضم وبالكسر : قائد الفرس والجيد الرمي بالسهم .

(٢) في ط : « واتخذ العقدة والعيد المغلة » . والعقد : جمع عقدة ، وهي الضيعة .

(٣) في ط : « بخصلة الولد التام » .

(حديث أبي المبارك الصابي)

حدَّثني محمد بن عباد قال : سمعته يقول - وجري ذكرُ النساءِ ومحلَّهن من قلوب الرجال ، حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ عاينَ أحرصَ كانَ ذلكَ أدلَّ على تمامِ الفُحولةِ فيه ، وكانَ أذهبَ له في الناحية التي هي في خلقتهِ ومعناه وطبعه ، إذ كانَ قد جُعِلَ رجلاً ولم يُجعلِ امرأةً - قال ابنُ عبَّاد ، فقال لنا : أستمُّ تعلمونَ أنِّي قد أربيتُ على المائة ، فينبغي لمن كانَ كذلكَ أن يكونَ وهنُ الكِبَرِ ، ونفاذُ الذِّكْرِ (١) ، وموتُ الشهوةِ ، وانقطاعُ ينبوعِ النطفةِ ، قد أَماتَ حنينه إلى النساءِ وتفكيره في الغزلِ؟! قال : قلنا : صدقتَ . قال : وينبغي أن يكونَ منَ عودِ نفسه تركهنَّ مُمدداً ، وتخليَ عنهنَّ سَنِينَ ودَهراً (٢) ، أن تكونَ العادةُ وتمرُّنُ الطبيعةُ ، وتوطِّينُ النفسِ ، قد حطَّ من ثقلِ منازعةِ الشهوةِ ، ودواعيِ الباءةِ ، وقد علمتمُ أنَّ العادةَ [التي] هي الطبيعةُ الثانيةُ ، قد تستحکم ببعضِ عمدِ هَجْرٍ للملامسةِ النساءِ (٣) . قال : قلنا : صدقتَ . قال : وينبغي أن يكونَ منَ لم يذُقْ طعمَ الخلوةِ بهنَّ ولم يجالسهنَّ متبدلاتٍ ، ولم يسمعَ حديثهنَّ وخِلابتهنَّ لقلوبِ ، واستماتهنَّ للأهواءِ ، ولم يرهنَّ منكشفاتِ عارياتٍ ، إذا تقدم له ذلكَ مع طولِ التَّركِ ، ألا يكونَ بقيَ معه من دواعيهنَّ شيءٌ؟! قال : قلنا : صدقتَ . قال : وينبغي أن يكونَ لمنَ قد علمَ أنه محبوبٌ ، وأنَّ سببه إلى خِلاطهنَّ محسومٌ ، أن يكونَ اليأسُ من أمتنِ أسبابه إلى الزَّهدِ

(١) الذِّكْر هنا في معنى التذكُّر .

(٢) في ل : « زهداً » بدل « ملداً » وفي ط « منهن » موضع « عنهن » .

(٣) في ل : « عمر » موضع « عمد » و « هجراني » موضع « هجر » .

والسلوة ، وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من دعاهُ الزُّهْدُ في الدنيا ، وفيما يحتويه النساءُ مع جاهلنَّ وفتنةِ النَّسَاكِ بهنَّ ، واتخاذِ الأنبياءِ لهنَّ : إلى أن خَصَى نفسه ، ولم يُكْرِهْهُ عليه أبٌ ولا عدوٌّ ، ولا سبَّاهُ سابٍ ، أن يكون مقدارُ ذلك الزهدِ هو المقدار الذي يُميت الذُّكْرَ لهنَّ ، ويُسرِّي عنه ألم فقد وجودهنَّ^(١) ، وينبغي لمن ٥٨ كان في إمكانه أن ينشئ العزم^(٢) ويختارَ الإرادة التي يصير بها^(٣) إلى قطع ذلك العضوِ الجامع لكبار اللذات ، وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر ، وإلى ما فيه من المثلة والنقصِ الداخِل على الخلقه ، أن تسكون للوساوس في هذا الباب لا تعرُّوه ، والدواعي لا تقرُّوه^(٤) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي لِمَنْ سَخَتْ نفسه عن السَّكْنِ وعن الولد ، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسيَ هذا الباب ، إن كان قد مرَّ منه على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمون أنني سمَّلتُ عيني يوم خَصَّيت نفسي ، فقد نسيتُ كيفية الصُّورِ وكيف ترُّوع ، وجَهَلتُ المراد منها ، وكيف تُراد ، أفما كان^(٥) [مَنْ كان كذلك] حَرِيًّا أن تكون نفسه ساهيةً لاهيةً مشغولةً بالبابِ الذي أحتمل له هذه المكاره ؟ قال : قلنا : صدقت . قال : أو لو لم أكنْ هَرِمًا^(٦) ، ولم يكن ها هنا طولُ اجتنابٍ ، وكانت الآلةُ قائمةً أليس في^(٧) أنني لم أذُقْ حيواناً منذُ ثمانينَ

(١) في ل : « ويستوى عندهن فقدهن ووجودهن » .

(٢) في ط : « وينبغي لمن كان في مكانه ألا ينشئ العزم » .

(٣) في ط : « يصيب بها » .

(٤) قرأه يقرؤه : قصده . وفي الأصل « تطروه » .

(٥) في ط : « فإكان ذلك » وتصحيحه من ل .

(٦) في الأصل : « أوليس لولم أكن هريماً » .

(٧) في الأصل : « ألا » .

سنة ولم تمتلِ عُروقي^(١) من الشرابِ مخافةَ الزيادةِ في الشهوةِ ، والنقصانِ من العزمِ - أليسَ^(٢) في ذلك ما يقطعُ الدواعيَ ، ويُسكِنُ الحركةَ إن هاجتْ ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : فلأني بعدَ جميعِ ما وصفتُ لكم ، لأسمعُ نعمةَ المرأةِ فأظنُّ مرَّةً أنَّ كَبِدِي قد ذابت ، وأظنُّ مرَّةً أنَّها قد انصدعت ، وأظنُّ مرَّةً أنَّ عَقْلِي قد اختلَّس ، وربَّما اضطربَ فُؤادِي عند ضحكِ إحداهُنَّ ، حتَّى أظنُّ أنَّه قد خرجَ من في ، فكيف ألوِّمُ عليهنَّ غيري ؟ !

فإن كان - حفظك الله تعالى - قد صدقَ على نفسه في تلك الحال ، بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما ظنُّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستين سنة أو سبعين سنة ؟ ! وما ظنُّك به قبلَ الخِصاءِ بساعة ؟ ! وليس في الاستطاعةِ ولا في صفةِ الإمكانِ ، أن يَحْتَجِزَ عن إرادةِ النساءِ ، ومعهُ من الحاجةِ إليهنَّ والشهوةِ لهنَّ هذا المقدارُ ! الله تعالى أرحمُ بخلقِهِ ، وأعدلُ على عباده ، من أن يكلفَهُم هِجرانَ شَيْءٍ ، قد وصلَهُ بتلوينهم هذا الوصلَ ، وأؤكدُهُ هذا التأكيدَ .

وقد خصي نفسه من الصابئين رجالاً ، قد عرفناهم بأسمائهم وأنسابهم ، وصفاتهم وأحاديثهم . وفي الذي ذكرنا كفايةً إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون في الخِصاءِ)

وقد ذُكِرَ أَنَّ عُمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ ، اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السِّيَاحَةِ فَقَالَ : « سِيَاحَةُ أُمَّتِي الْجَمَاعَةِ » . واستأذنه في الخِصاءِ فقال :

(١) في ط : « تمتل » وما أثبتته من ل .

(٢) في الأصل : « لكان » .

« خِصَاءُ أُمَّتِي الصُّومِ ، وَالصُّومِ وَجَاءَ » . فَهَذَا خِصَاءُ الدِّيَانَةِ .

٥٩

(خِصَاءُ الْجَلْبِ وَقِسْوَتُهُ)

فَأَمَّا مَنْ خَصِيَ الْجَلْبَ (١) عَلَى جِهَةِ التِّجَارَةِ ، فَإِنَّهُ يُجِبُّ الْقَضِيْبَ ،
وَيَمْتَلِخُ الْأَنْثِيْنَ ، إِلَّا إِنْ تَقَلَّصَتْ إِحْدَاهُمَا مِنْ فَرْطِ الْفَرْعِ (٢) ، فَتَصِيرُ إِلَى
مَوْضِعٍ لَا يُمْكِنُ رُدُّهَا إِلَّا بِعِلَاجٍ طَوِيلٍ ، فَلِلْخَاصِيِّ عِنْدَ ذَلِكَ ظَلْمٌ لَا يَبْقَى بِهِ
ظَلْمٌ ، وَظَلْمٌ يُرْبِي عَلَى كُلِّ ظَلْمٍ (٣) ، لِأَنَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَحْفَلُ بِفُوتِ الْمُتَقَلَّصِ (٤) ،
وَيَقْطَعُ مَا ظَهَرَ لَهُ ؛ فَإِنْ بَرِيَ مَجْبُوبَ الْقَضِيْبِ أَوْ ذَا بَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ تَرَكَه
لَا امْرَأَةً وَلَا رَجُلًا وَلَا خِصِيًّا ، وَهُوَ حَيْذُنْدٍ مِمَّنْ تَخْرُجُ لِحِيَّتُهُ ، وَمِمَّنْ لَا يَدْعُو
النَّاسُ فِي دُورِهِمْ وَمَوَاضِعِ الْخُصُوصِ مِنْ بِيوتِهِمْ ، فَلَا يَكُونُ مَعَ الْخِصِيَانِ
مَقْرَبًا وَمَكْرَمًا ، وَخِصِيْبَ الْعَيْشِ مَنْعَمًا ، وَلَا هُوَ إِذَا رُمِيَ بِهِ فِي الْفُحُولِ ،
كَانَ لَهُ مَا لِلْفُحُولِ مِنْ لَذَّةِ غِشِيَانِ النِّسَاءِ ، وَمِنْ لَذَّةِ النِّسْلِ وَالْتِمَتِّعِ بِشَمِّ
الْأَوْلَادِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ الْفُحُولِ مُسْتَضْعَفًا مُحْتَقَرًا ، وَعِنْدَ الْخِصِيَانِ مَجْرَحًا
مَطْرَحًا (٥) ، فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ السَّدَمِ الْمَعْنَى (٦) فَلَا أَعْلَمُ قَتْلَهُ - إِذَا كَانَ

(١) الجلب : ما جلب من خيل وغيرها .

(٢) ط : « القرع » والصواب ما في ل .

(٣) ل : « وظلم يربي على الظلم الأول وعلى كل ظلم » .

(٤) ط : « بموت المقلص » وصوابه في ل .

(٥) ل : « مخرجا مطردا » .

(٦) اللسان : السدم : الذي يرغب عن فعلته ، فيحال بينه وبين ألافه ، ويقيد إذا هاج ،

فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فمه . قال الوليد بن عقبة :

قطعت الدهر كالسدم المعنى تهرى في دمشق وما تريم

القتلُ قِتْلَةً صَرِيحَةً^(١) مُرِيحَةً - إِلَّا أَصْغَرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَسْهَلَ عَلَى هَذَا
الْمَظْلُومِ مِنْ طَوْلِ التَّعْذِيبِ . وَاللَّهُ تَعَالَى بِالْمَرْصَادِ .

(خِصَاءُ الْبِهَائِمِ)

وَأَمَّا خِصَاءُ الْبِهَائِمِ ، فَهِنَّ الْوِجَاءُ ، وَهُوَ أَنْ يَشُدَّ عَصَبُ مَجَامِعِ الْخِصِيَةِ
مِنْ أَصْلِ الْقَضِيبِ ، حَتَّى إِذَا نَدَرَتِ الْبَيْضَةَ ، وَجَحَظَتِ الْخِصِيَةَ ، وَجَأَهَا
حَتَّى يَرْضَهَا ، فَهِيَ عِنْدَ ذَلِكَ تَذْبِيلٌ وَتَنْخِيفٌ ، وَتَلْوِيٌّ وَتَسْتَدِيقٌ ، حَتَّى
تَذْهَبَ قُوَاهَا ، وَتَنْسَدَّ الْمَجَارِي إِلَيْهَا ، وَيَسْرَى ذَلِكَ الْفَسَادُ إِلَى مَوْضِعِ تَرْبِيَةِ
النُّطْفَةِ ، فَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَكْثُرَ أَوْ تَعْذِبُ أَوْ تَحْتَرُ .

وَمِنْهَا مَا يَكُونُ بِالشَّدِّ وَالْعَصَبِ ، وَشِدَّةِ التَّحْزِيقِ ، وَالْعَقْدِ بِالْخِيطِ الشَّدِيدِ
الْوَتِيرِ الشَّدِيدِ الْفَتْلِ ، فَإِذَا تَرَكَهُ عَلَى ذَلِكَ عَمِلَ فِيهِ وَحْزٌ ، أَوْ أَكَلٌّ وَمَنْعَةٌ مِنْ
أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهِ الْغِذَاءُ ، فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْقَطِعَ وَيَسْقُطَ .
وَمِنْهُ الْاِمْتِلَاحُ ، وَهُوَ اِمْتِلَاحُ الْبَيْضَتَيْنِ .

(خِصَاءُ النَّاسِ)

فَأَمَّا خِصَاءُ النَّاسِ ، فَإِنَّ لِلْخَاصِيِ حَدِيدَةً مَرَهْفَةً مُحَمَّاةً ، وَهِيَ الْحَاسِمَةُ ،
وَهِى الْقَاطِعَةُ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : [يُقَالُ] خِصَيْتِ الدَّابَّةَ أَخْصَيْتَهَا خِصَاءً ،
وَوَجَّأْتُهَا أَجْوَأَهَا وَجَاءً . وَيُقَالُ : بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنْ الْخِصَاءِ أَوْ الْوِجَاءِ ، وَلَا يُقَالُ
ذَلِكَ إِلَّا لِمَا كَانَ قَرِيبَ الْعَهْدِ لَمْ يَبْرَأْ مِنْهُ ، فَإِذَا بَرِئَ لَمْ يُقَلِّ لَهُ^(٢) .

(١) ل : « سَرِيحَةٌ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ يَقْلَهُ » وَهُوَ خَطَأٌ فِي الرَّسْمِ أَوْجِبَهُ تَكَرُّارُ اللَّامِ ، وَالْوِجَاءُ مَا كَتَبْتُ .

وأما الخِصَاءُ فهو أن يسَلَّ الخُصِيَتَيْنِ ، والوجاء أن توجأ العروقُ والخُصِيَتَانِ على حالهما . والمعسوب من التيوس الذي تُعَصَّبُ خُصِيَتَاهُ حتى تسقطا .
والواحد من الخُصِيَانِ خُصِيٌّ وخُصِيٌّ . ويقال ملست الخُصِيَتَيْنِ أَمَلَسَهُمَا
مَلَسًا ، وامتنتُهُمَا أَمَتَنَهُمَا مَتْنًا ، وذلك أن تشقَّ عنهما الصَّفَنَ فتنسلَّهُمَا
بعروقهما . والصَّفَنُ : جلدة الخُصِيَتَيْنِ .

(خِصَاءُ الْبِهَائِمِ وَالذِّيكَ)

والخِصَاءُ فِي أَحْدَاثِ الْبِهَائِمِ ، وَفِي الْغَنَمِ خَاصَةً ، يَدَعُ اللَّحْمَ رَخِصَاءً
وَنَدِيًّا عَذْبًا ؛ فَإِنْ خَصَّاهُ بَعْدَ الْكَبَرِ ، لَمْ يَقْوِ خِصَاؤُهُ - بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْقُوَّةِ -
عَلَى قَلْبِ طَبَاعِهِ . وَأَجُودُ الْخِصَاءِ مَا كَانَ فِي الصَّغَرِ ، وَهُوَ يُسَمَّى بِالْفَارَسِيَّةِ
ثَرَبْنَتْ (١) يُعْنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ خُصِيَ رَطْبًا . وَالْخُصِيُّ مِنْ فَحُولِهَا أَحْمَلُ
لِلشَّحْمِ ، لِعَدَمِ الْهَيْجِ وَالنَّعْظِ ، وَخُرُوجِ قَوَاهِ مَعَ مَاءِ الْفِحْلَةِ (٢) . وَكَثْرَةُ
السَّفَادِ تَوْرَثُ الضَّعْفَ وَالْهُزَالَ فِي جَمِيعِ الْخِيَوَانِ . وَقَدْ ذُكِرَ لِمُعَاوِيَةَ
كَثْرَةُ الْجِمَاعِ فَقَالَ : مَا اسْتَهْتَرَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ فِي مُنْتَهَى (٣) .
وَالذِّيكَ يُخْصَى لِيَرْتَبِ لِحْمُهُ وَيَطِيبُ وَيَحْمِلُ الشَّحْمَ .

(خِصَاءُ الْعَرَبِ لِفَحْوَلَةِ الْإِبِلِ)

وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَخْصِي فُحْوَلَةَ الْإِبِلِ لثَلَا يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا ،
وَتَسْتَبْقِي مَا كَانَ أَجُودَ ضِرَابًا ، وَأَكْثَرَ نَسْلًا ، وَكَلَّ مَا كَانَ مِثْنَاثًا (٤)

(١) ط : « برنخت » .

(٢) ط : « عما يجامع الفحلة » وهو تحريف .

(٣) ط : « منته » . والمنته : القوة . والخبر في البيان ٢ : ٨١ وكتاب البغال ٣٠٤ .

(٤) ط : « ماسا » وهو تحريف صوابه في ل .

وكان شاباً ولم يكن مذكاراً ، وهم يسمون الإذكار المحق الخفي^(١) ، وما كان منها عيائاً طباقاً ، فمنها ما يجعل السدم المعنى . وإذا كان الفحل لا يتخذ للضراب ، شدوا ثيله شداً شديداً ، وتركوه يهدر ويُقبب في الهجمة ، ولا يصل إليهن وإن أردنه ، فإذا طلبن الفحل جيء هن بفحل قعسرى^(٢) ويقولون : « لَقَوَّةٌ لاقَتْ قَيْسًا ! » . والقبيس من الجمال : السريع الإلقاح ، واللقوة : السريعة القبول لماء الفحل .

وشكت امرأة زوجها ، وأخبرت عن جهله بإتيان النساء ، وعييه وعجزه ، وأنه إذا سقط عليها أطبق صدره - والنساء يكرهن وقوع صدور الرجال على صدورهن - فقالت : زوجي عيائاً طباقاً ، وكل داء له داء !! وقال الشاعر :

طباقاً لم يشهد خصوماً ولم يقدر ركاباً إلى أكوارها حين تعكف^(٣)

(خصاء العرب للخييل)

وكانوا يخصون الخيل لشبيه بذلك^(٤) ، ولعلة^(٥) صهيلها ليلة البيات ، وإذا أكنوا الكمناء أو كانوا هراباً .

(١) ط : « وهم يسمون المذكار المحق الخفي » وهو تحريف مافي ل .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد . وفي الأمروزيانا : « نحى وجيء هن بفحل قبيس » .

(٣) ط : « لم يكن » و « حين تعلق » وفي ل والأمروزيانا « لم ينخ » و « حين تعكف » وأصلحت البيت كما ترى من ل والبيان ١ : ١١٠ .

(٤) ط : « للتشبه بذلك » .

(٥) ل : « ولقلة » .

(القول في كلمة خنذيد)

ويزعم من لاعلم له ، أن الخنذيد^(١) في الخيل هو الخصى . وكيف يكون ذلك كما قال ، مع قول خفاف بن ندبة :
وخنذايد خصيةً وفحولاً^(٢)

وقال بشر بن أبي خازم :

وخنذيد تَرَى الغُرْمُولَ مِنْهُ كَطَىِّ البُرْدِ يَطْوِيهِ التَّجَارُ^(٣)

وليس هذا أرادَ بشر ، وإنما أرادَ زمانَ الغزو ، والحال التي يعترى الخيلَ فيها هذا المعنى ، كما قال جد الأحيمر^(٤) :

لا لا أَعَقُّ ولا أَحُوُّ ب ولا أُغِيرُ على مُضَرِّ

لكنَّما غزوي إذا ضجَّ المطىُّ من الدَّبرِ

وإنَّما فخرَ بالغزو في ذلك الزمان .

وأما الخنذيد فهو الكريم التام ، وربما وصفوا به الرجل . وقال كثير :

على كل خنذيد الضحى ممتطرٌ وخيفانةٍ قد هذبَ الجرى آلهما^(٥)

وقال القطامي :

(١) يتكرر في ط رسم هذه الكلمة ومشابهاتها برسم « خنزير » و « خنازير » وهو تصحيف أصلته من ل ، ومن اللسان ، ومن البيان ٢ : ١١ - ١٢ وأدب الكاتب ١٦٣ والاقْتضاب ٣٦٢ وصحاح الجوهري .

(٢) البيت منسوب في البيان ٢ : ١١ إلى البرجمي ، وهو في اللسان خفاف بن عبد قيس من البراجم ، وفي الصحاح خفاف بن قيس ، فيكون غير خفاف بن ندبة ، إذ أن ابن ندبة من بني الشريد ، وهو ابن عم الخنساء ، وليس بنو الشريد من البراجم . وصدر البيت المذكور هو كما في اللسان : وبراذين كابييات وأتنا .

(٣) البيت في البيان ٢ : ١١ .

(٤) في الأصل « جد الأحيمز » وتصحيحه من بيان الجاحظ ٣ : ٢٠٠ والأحيمر السعدي شاعر كان من لصوص العرب مثل عبيد بن أيوب العنبري . وله ترجمة في الشعراء لابن قتيبة . وأما جده فهو الحارث بن يزيد كما في البيان .

(٥) الممتطر : السريع . وهي في الأصل « ممتطرا » وليس بشيء . وآلهما : شخصها .

[على] كلَّ خنذيد السَّراةِ مُقلِّصٍ تَحَنَّتْ مِنْهُ لَحْمُهُ الْمُتَكَوِّسُ^(١)
ومن الدليل على أنهم ربما جعلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذا ، قولُ
بعض القيسيين^(٢) ، مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

دَعَوْتُ بَنِي سَعْدٍ إِلَى فِشْمَرْتٍ خَنَازِيدُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالِ السَّوَاعِدِ

(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبدُ الله بن الحارث ، وكذب بها إلى عبدِ الملكِ بن مروان ،

حين فارق مُصعباً :

بَأْيِّ بِلَاءٍ أَمْ بِأَيَّةِ عِلَّةٍ يُقَدِّمُ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمَهْلَبُ
وَيُدْعَى ابْنُ مَنْجُوفٍ أَمَا مَيَّ كَأَنَّهُ خَصِيٌّ دَنَا لِلْمَاءِ مِنْ غَيْرِ مَشْرَبٍ^(٣)

فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواءُ أحسنُ من هذا ! قال : فلماً

أخذته قيسٌ نصبوه ، فجعلوا يرُمونه بالنبل ويقولون : أذاتَ مغازلٍ^(٤) ترى؟!

[يريدون بيت ابن الحرِّ^(٥)] :

ألم ترقيساً قيسَ عيلانٍ - برقعت لحاها وباعت نبلها بالمغازل

فلما أتى مُصعبُ برأسه ، قال لسويد : يَا أَبَا الْمِنهَالِ ! كيف ترى ؟ قال :

أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! هُوَ وَاللَّهِ الَّذِي أُنِي الْمَاءُ مِنْ غَيْرِ مَشْرَبٍ .

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « القيسيين » وهو تحريف . والبيت في البيان ٢ : ١٢ منسوباً إلى العبيس ، فصوابه القيسي .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « ابن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار في البيان والأغانى .

(٤) ط : « منازل » بالنون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفي ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين . وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما خاف من الأسر ، ألقى بنفسه في الفرات ، فات غريقاً سنة ٦٨ .

وقال أعشى همدان :

وأبو بُرَيْدَةَ الذى حَدَّثَتْهُ فِينَا أَدَلُّ مِنَ الْخَصِيِّ الدِّيْجِ (١)
وتعرض للخصى سرعة الدمعة ، وذلك من عادة طبائع الصبيان
ثم النساء ، فإنه ليس بعد الصبيان أغزر دمعة من النساء ، وكفالك
بالشيوخ الهرمين .

(أخلاق الخصى)

ويعرض للخصى العبتُ والأعبُ بالطير ، وما أشبه ذلك من أخلاق
النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .
ويعرض له الشره عند الطعام ، والبخل عليه ، والشح العام في كل
شئ ، وذلك من أخلاق الصبيان [ثم النساء (٢)] .

وقال الشاعر :

كَأَنَّ أَبَا رُومَانَ قَيْسًا إِذَا غَدَا خَصِيٌّ بِرَازِينَ يُقَادَ رَهِيصُ
لَهُ مَعْدَةٌ لَا يَشْتَكِي الدَّهْرَ ضَعْفَهَا وَحَنْجَرَةٌ بِالدُّورِقِينَ قَمُوصُ

ويعرض للخصى سرعة الغضب والرضا ، وذلك من أخلاق الصبيان ٦٢
والنساء . ويعرض له حب النيمة ، وضيق الصدر بما أودع من السر ،
وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأمه وأبيه ،
ودون ابن عمه وجميع رهنه ، البصر بالرفق والوضع ، والسكنس
والرش ، والطرح والبسط ، والصبر على الخدمة ، وذلك يعرض للنساء .

(١) ط : « الرينج » والصواب ما أثبت من ل . والديج : قال ابن قتيبة في أدب الكاتب

١٠٥ : « الأخضر هو في كلام المعجم الديج » . وقال الإسكافي في مبادئ اللغة ١٢٣ :

« والأخضر الأطخم المسمى بالفارسية الديج » .

(٢) التكلة من نسخة الأبروزيانا .

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوَّة على كثرةِ الرُّكضِ حتَّى يجاوز
في ذلك رجالَ الأتركِ وفرسانَ الخوارج . ومضى دفعَ إليه مولاة دابَّته ودخل
إلى الصلاة ، أو ليغتسل في الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يتركْ أن يُجرى
تلك الدابَّةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مولاة إليه .

ويعرض له حبُّ الرمي بالنشاب ، للَّذي يدور في نفسه من حبِّ غزوِ الروم .
ويعرض له حبُّ أن تملكه الملوكة ، على ألا تقيمَ له إلا القوتَ ، ويكونُ
ذلك أحبَّ إليه من أن تملكه السُّوقَةُ ، وإن ألحقتَه بعيشِ الملوكة !!

ومن العجب أنهم مع خروجهم من شَطْر طبائع الرجال ، إلى طبائع
النساء ، لا يعرض لهم التخنيث . وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ
مخنثاً متفكِّكاً ، ومؤثناً يسيلُ سيلاً ، ورأيتُ عدَّةَ مجانينَ مخنثين ،
ورأيتُ ذلك في الزَّنجِ الأقحاح . وقد خبرتني من رأى كُردٍ مخنثاً ، ولم
أر خصيماً قط مخنثاً^(١) ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدري كيف ذلك ولا أعرف
المانعَ منه . ولو كان الأمرُ في ذلك إلى ظاهرِ الرأى ، لَقَد كان ينبغي لهم أن
يكونَ ذلك فيهم عاماً^(٢) !

ومما يزيدني في التعجُّب من هذا الباب ، كثرةُ ما يعرض لهم من
الخلَاقِ^(٣) ، مع قلَّةِ ما يعرض لهم من التخنيث ، مع مفارقتهم لشطرِ معاني
الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمِّرين ؛ وأهلِ التجربة المميِّزين ، أنهم
اختبروا أعمارَ ضروبِ الناس ، فوجدوا طولَ^(٤) الأعمارِ في الحصيانِ أعمَّ

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) في الأصل : « ولكن كان الأمر ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .

(٣) الخلاق ، كفراب : أن يفسد متاعه ، فينعكس ميله الجنسى .

(٤) ط : « أطول » وتصحيحه من ل . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان ١٢٤ .

منه في مثل أعدادهم^(١) من جميع أجناس الرجال، وأنهم تفقدوا أعمارهم وأعمار إخوتهم وبنى أعمامهم الذين لم يُخصَّصوا، فوجدوا طول العمر في الحصيان أعم؛ ولم يجدوا في عموم طوال العمر فيهم واحداً نادراً؛ كفلان وفلان من الفحول. وزعموا أنهم لم يجدوا لطول أعمارهم علّة إلاّ عدم النكاح، وقلة استفراغ التطف لقوى أصلاهم.

قالوا: وكذلك لم نجد فيما يعايش الناس في دورهم، من الخيل والإبل، والحمير، والبقرة، والغنم، والكلاب، والدجاج، والحمام، والديكة، والعصافير؛ أطول أعماراً من البغال.

٦٣

وكذلك قالوا: وجدنا أقلها أعماراً العصافير. وليس ذلك إلاّ لكثرة سفاد العصافير وقلة سفاد البغال.

وجعل هؤلاء القوم زيادة عمر البغل على عمر أبويه دليلاً على أن قول الناس: لا يعيش أحدٌ فوق عمر أبويه خطأ. وأولئك إنما عنوا الناس دون جميع الحيوان.

(النتاج المركب)

وقالوا: قد وجدنا غرمول البغل أطول من غرمول الحمار والفرس والبرذون؛ وهؤلاء أعمامه وأخواله؛ فقد وجدنا بعض النتاج المركب، وبعض الفروع المستخرجة، أعظم من الأصل؛ ووجدنا الحمام الراعي^(٢) أعظم من الورشان الذي هو أبوه، ومن الحمامة التي هي أمه؛ ولم نجد من أخذ من عمر الورشان شيئاً؛ وخرج صوته من تقدير أصواتهما؛ كما خرج شحيج البغل من نهييق الحمار وصهيل الفرس. وخرج الراعي مسرولاً؛

(١) الأعداد: جمع عد بمعنى الذو وزنته، فالأعداد: الأنداد.

(٢) ط: «الزاغي»، والصواب ماني ل. قال في المجلد: الحمامة الراعية: ترعب في صوتها ترعياً، وذلك قوة صوتها. تاج العروس.

ولم يكن ذلك في أبويه ؛ وخرَج مُثَقَلًا سَيِّئَ الهداية . وللوَرَشَانِ هداية .
وإن كان دونَ الحَمام ؛ وجاءَ أعظَمَ جُثَّةً من أبويه ؛ ومقدارُ النَّفسِ مِن
ابتداءِ هَدْيِهِ إلى منقَطَعِهِ ؛ أضعافُ مقدارِ هَدْيِهِ أبويه .

وقَوَالِجُ البُخْتِ إذا ضَرَبْتَ في إناثِ البُخْتِ ؛ لم يُخْرِجِ الحَوَارُ
إِلَّا أَدْنَ^(١) قَصِيرَ العُنُقِ ؛ لا يَبْنالُ كَلًّا ولا ماءً إِلَّا بَأْنَ يُرْفَعَا إليه ؛ فيصيرُ
— لمسكانِ نَقْصانِ خَلْقِهِ — جَزورَ لَحْمٍ ؛ ولا يكونُ مِنَ اليعمَلاتِ ولا من
السابقةِ ؛ ولو عَالُوهُ وكَفَوَهُ مُؤنَّةٌ تَكَلَّفَ^(٢) المَأْكُولِ والمَشْرُوبِ ، ثم بَلَغَ
إلى أَنْ يَصِيرَ جَمَلًا يَمكُنُهُ الضَّرَابُ . وكذلك [الأَثْنِي التي هي] الحائِلُ إلى
أَنْ تصيرَ ناقةً ؛ فلو أَلْقَمَها الفَحْلُ لَجاءَ ولَدُها أَقْصَرَ عُنُقًا مِنَ الفَيْلِ ، الذي
لو لم يجعلِ اللهُ تَعَالَى لَهُ خُرطوما يَتناولُ بِهِ طَعامَهُ وشِرابَهُ ، لَمات جُوعًا
وهَزَالًا ؛ وليس كذلك العَرابُ . وإذا ضَرَبْتَ الفَوَالِجُ في العَرابِ جاءت
هذه الجوامِزُ^(٣) والبُخْتِ السُكْرِيمةُ التي تَجْمعُ عامَّةً خِصالَ العَرابِ وخِصالِ
البُخْتِ ؛ فيكونُ ما يُخْرِجُ التَّرْكِيبُ من هَذَيْنِ الجَنسَيْنِ أَكْرَمَ وَأَفْخَمَ
وأَنْفَسَ وَأَثَمَنَ . ومتى ضَرَبْتَ فحولُ العَرابِ في إناثِ البُخْتِ جاءت هذه
الإِبِلُ البَهُونِيَّةُ^(٤) [والصَّرْصَرانِيَّةُ^(٥)] فتخرجُ أَقْبَحَ منظرًا من أبويها ،
وأشدَّ أَسْرًا من أبويها . [وقالِ الرَّاجِزُ : ولا جَهِونِي مِنَ الأَباعِرِ]

(١) ط : « أتنا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما في ل . والدنن ، محركة : انحناه
في الظهر ، ودنو وتطامن في الصدر والعنق . وهو أدن ، وهي دناء .

(٢) ط : « تكليف » . (٣) ط : « الجواميز » .

(٤) ط : « اليهودية » . ل : « اليهودية » وكلاهما تحريف ، وقد جاء في القاموس
« والبهنوية من الإبل ما بين السكرمانية والبرية » . وجاء في المخصص ٧ : ١٣٥ واللسان
« والبهنوي — بتقديم النون — من الإبل : ما بين السكرمانية والعربية ، وهو دخيل
في العربية » .

(٥) في القاموس والمخصص : « الصرصرانيات : بين البخاتي والعراب ؛ أو الفوالج »
وفي الأصل : « وهي الصرصرانية » ، وإنما هما ضربان .

وبعد ؛ فإنّ هذه الشّهريّة الخراسانية ؛ يخرج لها أبدانٌ فوقَ أبدانِ
أمّهاتها وآبائها من الخيل والبراذين ؛ وتأخذ من عتق الخيل ، ومن وثاجة^(١)
البراذين ؛ وليس نتاجها كنتاج البرذون خالصاً والفرس خالصاً .
وما أشبه قرابة الحمارِ بالرّمكة والحجرِ ؛ من قرابة الجمل الفالج ٦٤
البُحْتى بقرابة القلوص الأعرابية .

(الحمر الوحشية)

ويقال إن الحمرَ الوحشيّة ؛ وبخاصّة الأخرديّة ؛ أطولُ الحمير أعماراً
وإنما هي من نتاج الأتحدر ؛ فرس كان لأردشير بن بابك صار وحشياً^(٢)
فحمى عدّة عاناتٍ فضرب فيها ، فجاء أولاده منها أعظم من سائر الحمر وأحسن ،
وخرجت أعمارها عن أعمار الخيل وسائر الحمر - أعني حمر الوحش - فإنّ
أعمارها تزيد على الأهلية مراراً عدّة .

(عير أبي سيارة)

ولا يعرفون حماراً وحشياً عاشَ أكثرَ وعُمّر أطول من عير أبي سيارة
عميلة بن أعزل^(٣) ؛ فإنهم لا يشكّون أنّه دَفَع عليه بأهلِ الموسم أربعين عاماً !!
قال الأصمعيُّ : لم يكن عيراً وإنما كان أنانا .

(١) ط : « وشاجة » وإنما هي « وثاجة » كما في ل . والوثاجة : الاكتناز .

(٢) ط : « صار حماراً وحشياً » والصواب ما أبدلت من ل و س .

(٣) ط : « عميلة . بن أعزل » وإنما هو « عميلة » بالعين كما في ل والبيان ١ : ٣٠٧ =
وفيه قال عيسى بن حاضر : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع بالموسم =

(لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا - وكذلك هو في كتبهم - أن ملوك فارس ؛ كانت لهجة بالصيد ؛ إلا أن بهرام [جور] هو المشهور بذلك في العوام .
وهم يزعمون أن فيروز بن قباد^(١) الملك الفارسي ؛ ألح في طلب حمار أهدرى ؛ وقد ذكر له ووصف ؛ فطاوله عند طلبه والتماسه ؛ وجد في ذلك فُلج به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظة إلى أن آلى ألا يأخذَه إلا أسراً ؛ ولا يطاردَه إلا فرداً ؛ فحمل فرسه عليه^(٢) ؛ فحطَه في خَبَّار^(٣) فجمع جَراميزه وهو على فرسه ووثب ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فقمص به ، فخذيه فحطم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذَ عيراً أهدرياً وغير ذلك ؛ فإذا وجدَه فتياً^(٤) وسمه باسمه^(٥) وأرَّخ في سِمْه يومَ صيده وخلَّى سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملك الذي يقوم به بعده ؛ سار فيه مثله تلك السيرة وخلَّى سبيله ؛ فعرف آخرهم صنيع أولهم ؛ وعرفوا مقدار مقادير أعمارها .

= على فرس عربي أو جمل مهري لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اه . وقد أفاض الثعالبي في ثمار القلوب في الحديث عنه ص ٢٩٥ .

- (١) ط : « فيروز بن قباد » وتصويبه من ل .
- (٢) ط : « إلا فردا (اقتداراً لخيار الأرض الرخوة) فحمل عليه » بإقحام الجملة الموضوعية بين قوسين كبيرين ، وواضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخبر بأنه الأرض الرخوة ، وصحفتها آخر فجعلها « خيار » .
- (٣) ط : « خيار » وصوابه في ل .
- (٤) ط : « متينا » .
- (٥) ط : « وسمه باسم » .

(الحكمة في تخالف النزعات والميول)

ولولا أن ناساً من كلِّ جيلٍ ، وخصائصَ من كلِّ أمةٍ ، يلهجون
ويكلمون بتعريف معاني آخرين لدرست ، ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزرى على
أولئك ، ويعجب الناسَ من تفرُّغهم لما لا يجدي ، وتركهم التَّشَاغَلَ بما يُجْدِي ،
فالذي حَبَّبَ لهذا أن يرصدَ عمرَ حمارٍ أو ورشانٍ أو حيةٍ أو ضبٍّ ، هو الذي
حَبَّبَ إلى الآخر أن يكون صيِّداً للأفاعى والحيات ، يتبَّعُها ويطلبُها في كلِّ
وادٍ وموضعٍ وجبَلٍ للترياقات . وسخَّرَ هذا ليكون سائسَ الأسدِ والفُهودِ
والنُّمورِ والبيور^(١) ، وترك من تلقاء نفسه أن يكون راعيَ غنمٍ !!

والذي فرَّقَ هذه الأقسامَ ، وسخَّرَ هذه النفوسَ ، وصرفَ هذه العقولَ
لاستخراجِ هذه العلومِ من مدافنها ، وهذه المعاني من مخايبها ، هو الذي سخَّرَ
٦٥ بطليموسَ مع مُدِّكِهِ^(٢) ، وفلاناً وفلاناً للتفرُّغِ للأُمورِ السماويَّةِ ، ولرعايةِ
النجومِ واختلافِ مسيرِ الكواكبِ . وكلُّ ميسرٍ لما خُلِقَ له ، لتتمَّ النعمة^(٣)
ولتكمُلَ المعرفةُ ، وإنما تأبَى التيسيرَ للمعاصي^(٤) .

فأمَّا الصناعاتُ فقد تقصُرُ الأسبابُ بعضَ الناسِ على أن يصيرَ حائسكا ،
وتقصُرُ بعضهم على أن يكونَ صيرَفيًّا ، فهى وإن قصرتَه على الحياكةِ ، فلم
تقصُرْه على خُلْفِ المواعيدِ وعلى إبدالِ الغُزُولِ ؛ وعلى تشقيقِ العملِ دونَ الإحكامِ
والصدقِ وأداءِ الأمانةِ ؛ ولم تقصُرِ الصيرفيَّ على التطفيفِ^(٥) في الوزنِ والتغليطِ

(١) في الأصل : « البيور » وإنما هى « البيور » جمع بئر ، وللفريق المألوف كلام جيد
في التعريف بهذا الحيوان ص ٢٤٨ من معجمه .

(٢) يرى الجاحظ - كما يرى بعض المؤرخين - أن بطليموس كان ملكاً من ملوك البطالسة
اليونانيين ، وللفقطنى تحقيق دقيق في هذا الوهم في كتابه ص ٦٨ .

(٣) ط : « لتتمَّ النعمة » .

(٤) ل : « وإنما تأبى التيسيرَ للمعاصي » . . والمعتزلة يربطون به تعالى عن نسبة الشر أصلاً

(٥) ل : « التطفيف » .

في الحساب ؛ وعلى دس الممّوه ؛ تعالى الله عزّ وجلّ عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع النتائج المركب للطبيعة)

ولو كان أمرُ النَّتَاجِ وما يحدث بالتراكيب ويخرج من التزاويج ؛ إلى تقدير الرأى وما هو أقربُ إلى الظنِّ ؛ لسكانت الأظلاف^(١) تجرى مجرى الحوافر والأخفاف . ألا ترى أنّ قرابة الضأن من الماعز ؛ كقرابة البُخْت من العراب ؛ والخيل من الحمير ! !

وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأنّ التيسَ - على شدة غلّته - لا يعرض للنعجة [إلا بالقليل الذى لا يُذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إما ألا يتمّ خلقه ، وإما ألا يعيش^(٢)] ؛ وكذلك السكبشُ والعنز فضلاً عن أن يكون بينهما نتاج^(٣) لأنه قد يضرب الجنسُ في الجنس الذى لا يُلقّحه ؛ ولا يكون اللقاح إلا بعد ضراب .

وطلب التيس للنعجة قليل^(٤) وأقلُّ من القليل ؛ وكذلك السكبش للعنز ؛ وأقلُّ من ذلك أن تتلاقح^(٥) ولا يبقى ذلك الولد ألبتة^(٦) . وقد تجاسرَ ناسٌ على توليد أبوابٍ من هذا الشكل ؛ فادّعوا أموراً ؛ ولم يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان ! !

(زعم في الزرافة)

زعموا أنّ الزرافة خلقٌ مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

-
- (١) ط : « الأخفاف » .
 - (٢) التكلّة من الأمبروزيانا .
 - (٣) ط : « فيما نتاج » .
 - (٤) ماعدا الأمبروزيانا : « ويطلب التيس للنعجة قليلاً » .
 - (٥) في معظم النسخ : « ألا تتلاقح » صوابه من الأمبروزيانا .
 - (٦) الكلام من « وطلب » الخ ساقط من ل . ما عدا الأمبروزيانا : « ولا يمنع ذلك » تحريف .

وبين الذئخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لما رأوا أن اسمها^(١) بالفارسية (أشتركاو بلنك^(٢)) ؛ وتأويل « أشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك »^(٣) الضبع ؛ لأن الضباعَ عُرِج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما مُخَاع ؛ كما عرض للذئب القزَل - وكلُّ ذئبٍ أقزَل - وكما أن كلَّ غرابٍ يحجل كما يحجل المقيّد من الناس ؛ وكما أن العصفورَ لا يمشى ؛ ومشيّه أن يجمعَ رجله أبدأً معاً في كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتركاو بلنك^(٢) اسم فارسيٌّ ؛ والفُرسُ تسمّى الأشياءَ بالاشتقاقات ؛ كما تقول للنعامة : اشتر مرغ ؛ وكأنّهم في التقدير قالوا : هو طائرٌ وجمل ؛ فلم نجد هذا الاسمَ أوجبَ أن تكون النعامةُ نتاجَ ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القوم لما ٦٦ شبهوها بشيئين متقاربين ؛ سمّوها بدينك الشيين . وهم يسمون الشيء المرَّ الحلو « ترش شيرين » وهو في التفسير حلوٌ حامض . فجسروا القومَ فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثاً^(٤) ؛ وجعلوا الخلقمةَ ضرباً من التراكيب ؛ فقالوا : قد يعرض الذئخ في تلك البلاد للناقة الرحشية فيسفدها ، فتلقح بولدٍ يجيء خلقه ما بين خلقِ الناقةِ والضبع ؛ فإن كان أنثى فقد يعرض^(٥) لها الثور الرحشى فيضربها ؛ فيصير الولد زرافة ؛ وإن كان ولدُ الناقة ذكراً عرض للمهاة فألقحها فتلد زرافة . فمنهم من حجر ألبتة أن تكون الزرافة الأنثى تلقح من الزرافة الذكر ؛ وزعموا أن كلَّ زرافةٍ في الأرض ، فإنما^(٦) هي

(١) ط : « أسماءها » وهو تحريف ظاهر .

(٢) ط : « اشتركاو بلنك » .

(٣) ط : « بلنك » .

(٤) ط : « فوضعوا التفسير اسماً للزرافة حديثاً » .

(٥) ط : « فيعرض لها » .

(٦) ط : « إنما » .

من النتاج الذي ركبوا ؛ وزعموا أن ذلك مشهور في بلاد الحبشة ؛ وأقصى اليمن . وقال آخرون : ليس كل خلقٍ مركّب لا ينسل ولا يبقى نجله ولا يتلاقح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الورشان والرّاعي (١) . وهؤلاء وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتهمون الكتّاب ، وتغرهم كثرة أتباعهم ممن تجده مستهتراً بسمع الغريب ، ومغرماً بالطرائف والبدائع . ولو أعطوا مع هذا الاستهتار (٢) نصيباً من الثبوت ، وحظاً من التوق ؛ لسلمت الكتّاب من كثير من الفساد .

(التتاج المركب في الطيور)

وأنا رأيت طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لي صاحب الطيور : إنه من نتاج ما بين القمرى (٣) والفاختة (٤) .
وقتئاص الطير ، ومن يأتي كل أوقه (٥) وغيبضة في التماس الصيد ؛ يزعمون أن أجناساً من الطير الأوابد والقواطع ، تلتقي على المياه فتتسافد ؛ وأنهم لا يزالون يرون أشكالاً لم يروها قط ؛ فيقدرون أنّها من تلاقح تلك المختلفة .

(١) ط ، ل : « الورداني والزراغبي » وهو تحريف صوابه ما كتبت كما في ص ١٣٧ من هذا الجزء .

(٢) ط : « ولو أعطوا بدلاً من هذا الاستهتار . »

(٣) ابن سيده : « القمرى : طائر صغير من الحمام . »

(٤) الديميري : « الفاختة : واحدة الفواخت من ذوات الأطواق . » ابن سيده : « ضرب من الحمام المطوق ، واشتقاق الفاختة من الفخت وهو القمر أول ما يبدو للونها . »

(٥) ط : « أودية » وهو تحريف صوابه في ل . والأوقه بالضم : محضن الطير على رعوس الجبال .

(زعم بعض الأعراب في الحبراء)

وقال أبو زيد النحوي ، وذكر عن لقي من الأعراب أنهم زعموا
أن ذكر أم حُبَيْن هو الحبراء . قال : وسمعت أعرابياً من قيس يقول لأم
حُبَيْن حُبَيْنة ، والحُبَيْنة هو اسمها . قال : وقيس تسمى ذكر العظاءة العَضْرَفُوط .
وقال يحيى الأغر : سمعت أعرابياً يقول : لا خيرَ في العظاءة ، وإن
كان ضباً مَكُوناً . قال : فإذا سأم أبرص ، والورل ، والوحر ، والضب
والحلكاء ، كلها عنده عظاءة .

(ولد الثعلب من الهرة الوحشية)

وزعم يحيى بن مُنْجِم^(١) أن الثعلب يسفد الهرة الوحشية ، فيخرج
بينهما ولدٌ . وأنشد قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

أبوك أبوك وأنتَ أبْنُه فبئس البئى وبئس الأبُ
وأملكَ سوداءَ نُوبِيَّةُ كأنَّ أناملها العنظب^(٢)
بييتُ أبوكَ بها مُغْدَقاً^(٣) كما ساورَ الهرةَ الثعلبُ

(١) ط و س : « علم » .

(٢) العنظب : الذكر من الجراد . ويروى « الحنظب » كما في الديميرى ٢ : ٣٩٦
والديوان ٦١ . والحنظب : الذكر من الجراد ، أو الخنفساء ، أو ضرب آخر من الخلق
المركب . وفي الأصول « سوداء ما دونه » وتصحيحه من الديميرى والديوان .

(٣) ل : « مغدقا » وفي الديميرى : « سافدا » وصواب أولاهما بالفاء كما أثبت فتكون
بذلك مساوية للثانية في المعنى . وفي ط : « معرسا » كما في الديوان ، أى سافدا .

وأنشد أبو عبيدة قولَ عبد الرحمن بن الحكم :

ألا أبلغُ معاويةَ بنَ حربٍ مغلغلةً عن الرجلِ اليمانيِّ

أَتغضبُ أنْ يُقالَ أبوكَ عَفٌّ وترضى أنْ يُقالَ أبوكَ زَانِي

فأشهدُ أنْ رَحِمَكَ مِن قُرَيْشٍ كَرِحِمِ الفيلِ مِن وَلَدِ الأَتَانِ (١)

قال كيسان : ولأى شئ قال :

كرحم الفيل من ولد الأتان

إنما كان ينبغي أن يقول : كرحم الفيل من الخنزير . قال أبو عبيدة :

أراد هو التباعد بعينه ، وأنت تريد ما هو أقرب .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين في حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار ، أن أهل سفينة نوح كانوا

تأذوا بالفأر ، فغطس الأسد عطسة فرمى من منخره بزوج سنانير ؛

فلذلك السنورُ أشبهُ شئٌ بالأسدِ . وسلح الفيلُ زوجَ خنازيرٍ ؛ فلذلك

الخنزيرُ أشبهُ شئٌ بالفيلِ . قال كيسان : فينبغي أن يكون ذلك السنورُ

آدمَ السنانيرِ ، وتلك السنورة حواءها . [قال أبو عبيدة لكيسان : أولم تعلم

أنت أن لكل جنس من الحيوان آدم وحواء ؟ !] وضحك [فضحك] القوم .

(١) في ط « فأشهد أن آلك » و « آلك » محرف « إلك » ، والرواية المشهورة : « من زياد »

وأثبت ما في ل ... والأبيات في الحيوان ٧ : ٧٣ والخزانة ٢ : ٥١٨ بولاق منسوبة

كذلك إلى عبد الرحمن بن الحكم أنخى مروان بن الحكم . وهي في الشعراء لابن قتيبة

٧٩ والموشح ٢٧٣ منسوبة إلى يزيد بن مفرغ . وفي الأغاني ١٢ : ٧١ : « والناس

ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه لزياد . وذلك غلط » .

(شره سعد القرقرة)

ولما رأى أبو قردودة سعد القرقرة ، أكل عند النعمان مسلوناً
بعظامه قال :

بين النعام وبين الكلب منبته وفي الذئب له ظئر وأخوال^(١)
يقول : إن سعداً ضرب في أعراقه نجر النعام^(٢) الذي يلتهم الجمر ، ويلتقم الحجارة ،
فيطفيء الجمر ويُميع الصخر^(٣) ، وضرب في أعراقه [نَجْرٌ]^(٤) الكلب الذي
يرض كل عظم ، ولا يقبض عليه بكفه إلا هو واثق بفتته ، ولا يسيغه
إلا وهو على ثقة من استمرائه^(٥) . فأما الذئب فإنه لا يروم بفكيه شيئاً
إلا ابتلعه بغير معاناة ، عظماً كان أو غيره ، مصمماً كان أو أجوف .
ولذلك قال الراجز^(٦) :

أطلس يُخفي شخصه عباره في فيه شفرته وناره
فأبو قردودة لم يرد أن الذئب والكلب خالاه ، وأن النعام نجمله ، وإنما
قال ذلك على المثل والتشبيه ، ولم يرد أن له ظئراً من الكلاب ، وخالا من
الذئب . وشبيه ذلك^(٧) قول أمير المؤمنين المأمون لبعض الناس : يا نطفَ ٦٨

(١) ط : « وفي الذئب ظئرات وأخوال » .

(٢) في الأصول : « نجل » باللام ، وإنما هو « نجر » بالراء بمعنى الطبع .

(٣) ط : « يميع » وإنما هي « يميع » بمعنى يسيل كما في ل .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) في ل زيادة بعد هذا الكلام لم أر إثباتها في الصلب لانهماهما وهي : « ما كان
يمكنه أن يأكل في مقعد ما أكل » .

(٦) البيتان في البيان ١ : ١١٤ مضافا إليهما بيتان آخران هما :

هو الحديث عينه فرازه بهم بنى محارب مزداره

وقد تكلم كثير من العلماء في هذا الشعر . انظر الأملى (٣ : ١٢٩) والسكامل ٢٠٨

والعمدة (١ : ١٦٨) وديوان المعاني (٢ : ١٣٤) .

(٧) في الأصل : « وليس ذلك على » وهو تحريف .

الخمَّارين^(١) ، ونزاع الطَّوورة ، وأشباه الخُوولة .

وعلى شبيهه بذلك قال سلم بن قتيبة^(٢) لبعض من ذكره ، وهو عند سليمان بن عليٍّ : أمها الأمير ، إنَّ آلَ فلانٍ أعلَّجُ خلقِ الله وأوباشه ، لثامٌ عُدر ، شرَّ أبون بأنَّقع^(٣) ، ثمَّ هذا بعدُ في نفسه ، نطفةُ خمَّارٍ في رَحِمِ صَنَّاجة .

(زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لي أبو إسحاق : قال لي أبو العباس - وأبو العباس هذا كان ختن إبراهيمَ على أخته ، وكان رجلاً يدين بالنجوم ، ولا يقرُّ بشيءٍ من الحوادث إلاَّ بما يجري على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لي مرَّة : أتعرِّفُ موضعَ الحُظوةِ من خلوةِ النساءِ ؟ . قلتُ : لا والله لا أعرِّفه . قال : بل أعلمُ أن لا يكونَ الحُظُّ إلاَّ في نتاجِ شيكِّين متباينين ، فالتقاؤهما هو الإكسير المؤدِّي إلى الخِلاص : وهو أن تزوجَ بينَ هنديةٍ وخراسانيٍّ ، فإنها لا تلدُ إلاَّ الذهبَ الإبريز . ولكن احْرُسْ ولدها ؛ إن كان الولدُ أنثى فاحذرِ عليها من شدةِ لواطِ رجالِ خراسانَ وزِناءِ نساءِ الهند ، واعلمُ أن شهوتها للرجال على قدرِ حُظوتها عندهم ، واعلمُ أنَّها ستسحقُ النساءَ على أعراقِ الخراسانيَّة ، وتزني بالرجال على أعراقِ الهند ، واعلمُ أنَّه ممَّا يزيدُ في زناها ومساحتها معرفتها بالحُظوةِ عند الزناة ، وبالْحُظُّ عند السحاقيات^(٤) .

(١) في الأصول « الخمار » والوجه الجمع .

(٢) ط : « سلام بن قتيبة » وإنما هو « سلم » كما في ل . . وله أخبار في الأغاني .

(٣) ط : « شرابون ما نقع ثم » والصواب ما في ل . والكلام مثل . والنقع بالفتح

الماء المستنقع ، جمعه أنقع ، فيقال في المثل : إنه لشراب بأنقع . يضرب لمن جرب

الأمر أو للدهاء المنكر ، لأن الدليل إذا عرف القلوات حذق سلوك الطرق

إلى الأنقع .

(٤) ل : « عند النساء » .

(مما زعموا في الخلق المركب)

وقالوا في الخلق المركب ضرورياً^(١) من الحق والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطل زعمهم أن الشبوط ولد الزجر^(٢) من البني ، وأن الشبوط لا يُخلق من الشبوط ، وأنه كالبعغل في^(٣) تركيبه وإنساله . ورووا ذلك عن أبي واثلة إياس بن معاوية [بن قرّة] .

وزعموا أن أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حصرت^(٤) في حوض لها ضخمة أو بركة كبيرة عدداً كثيراً من الزجر والبني ، وأنها لم تخلط بهما غيرهما ، فمات أكثره وبقيت بقية كانت الصميم في القوة ، وفي احتمال تغير المكان فلم تحمل البيض حيناً ، ثم إنهما^(٥) حملت بالشبايط .

(مطر الضفادع والشبايط)

وزعم حريث أنه كان بأيدج^(٦) ، فإذا سحابة [دهاء] طخياء^(٧) تكاد تمس الأرض ، وتكاد تمس قم رؤوسهم ، وأنهم سمعوا فيها كأصوات الجانيق^(٨) ، وكهدير الفحول في الأشوال ؛ ثم إنهم دفعت بأشد مطر رُمي أو سُمع به ، حتى استسلموا للغرق ؛ ثم أندفعت بالضفادع العظام^(٩) ، ثم

(١) الأبروزيانا : « بضروب » .

(٢) ط : « الزجر » بالحاء وإنما هو الزجر كما في ل . قال الفيروزبادي : سمك عظام .

(٣) ما عدا الأبروزيانا : « وتركيبه » .

(٤) ط : « حصرت » .

(٥) ط : « فلم تحمل البيض خائم إنما » وتصحيحه من ل .

(٦) في القاموس « أيدج كأحد بلدة من كور الأهواز ، وقرية بسمرقند » .

(٧) ط : « ضحياه » وصوابه ما في ل . والطحياء : الشديدة السواد .

(٨) ل : « الجاش » وهي جمع مجش أو مجشة ، وهي الرحي .

(٩) انظر الاستدراكات .

أندفعت بالشبايط السَّمان الحِداد^(١) فطبخوا واشتَووا ، وملَّحوا وادَّخروا .

(غرور أبي وائلة والخليل بن أحمد)

وروا عن أبي وائلة أنه زعم أن من الدليل على أن الشَّبوط كالبلبل ،
أنَّ الناسَ لم يجدوا في طولِ ما أكلوا الشبايطَ في جوفِها بيضاً قطُّ . فإن كان ٦٩
هذا الخبرُ عن هذا الرجلِ المذكورِ بشدَّةِ العقلِ ، المنعوتِ بثقوبِ الفِراسةِ
ودِقَّةِ الفطنةِ صحيحاً ، فما أعظَمَ المصيبةَ علينا فيه ، وما أخلَقَ الخبرَ أن
يكونَ صحيحاً ؛ وذلكَ أنِّي سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيفِ الحيوانِ
وأقسامِ الأجناسِ ، يدلُّ على أنَّ الرجلَ حينَ أحسنَ في أشياءٍ وهمه العُجبُ
بنفسه أنه لا يروم شيئاً فيمتنعُ عليه ، وغرَّه من نفسه الذي غرَّ الخليل
ابنَ أحمدَ ، حينَ أحسنَ في النحرِ والعروضِ ، فظنَّ أنه يُحسنُ الكلامَ
وتأليفَ اللُّحونِ ، فكتبَ فيهما كتابينِ لا يُشيرُ بهما ولا يدلُّ عليهما إلاَّ
المِرَّةَ المحترقةَ ، ولا يودِّي إلى مثلِ ذلكِ إلاَّ خِذلانٌ من الله تعالى ؛ فإنَّ
اللهَ عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شيءٌ .

(بيض الشبوط وتناسله)

والشَّبوطُ — حفظك الله تعالى — جنسٌ كثيرٌ الذكور قليلُ الإناث ، فلا
يكونُ إناثه أيضاً يجمعُ البيضَ ، وإذا جمعنَ فلو جمعتَ بيضَ عشرٍ منهنَّ

(١) ط : « الخزال » والصواب « الحِداد » كما في ل . والحِداد : جمع خدلة ، وهي
المتلثة الأعضاء لها في رقة عظام .

لَمَّا كَانَ كَشَطْرَ بَيْضِ بُنْيَةِ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ رَأَيْتُ بَيْضَ (١) الشَّبُوطِ وَذَقْتُهُ
لِلتَّعْرِفِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ طَائِلٍ ، وَلَا مُعْجَبٍ . وَكُلُّ صَبَادٍ تَسْأَلُهُ فَهُوَ يُدْنِيكَ
أَنَّ لَهُ بَيْضًا ، وَاسْكَنَهُ إِذَا كَانَ يَكُونُ ضَنْبًا قَلِيلًا ، لِأَنَّ الشَّبَابِيظَ فِي أَصْلِ
الْعَدَدِ مِنْ أَقَلِّ السَّمَكِ ، وَكَذَلِكَ الْجِنْسُ مِنْهُ إِذَا كَانَتْ الْأُنْثَى مِنْهُ مَذْكَارًا .

(موطن الشبوط)

عَلَى أَنَّهُ رُبَّ نَهْرٍ يَكُونُ أَكْثَرُ سَمَكِهِ الشَّبُوطِ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ ، كَنَهْرِ
رَامَهُرْمَزٍ . وَالشَّبُوطُ لَا يَتَرَبَّى فِي الْبَحَارِ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي الْأَوْدِيَةِ
وَالْأَنْهَارِ ؛ وَيَكْرَهُ الْمَاءَ الْمَلْحَ وَيَطْلُبُ الْأَعْدَبَ فَالْأَعْدَبُ ؛ وَيَكُونُ فِي الْمَاءِ
الْجَارِي ، وَلَا يَكُونُ فِي السَّاكِنِ . وَسَنَذَكُرُ شَأْنَهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(رد على ما زعموا في الزرافة)

وَلَمْ يَصِبِ أَبُو وَائِلَةَ ، وَكَذَّبُوا عَلَى أُمَّ جَعْفَرٍ . فَإِذَا (٢) قَالُوا فِي الزَّرَافَةِ
مَا قَالُوا (٣) فَلَا تَأْمَنُهُمْ عَلَى مَا هُوَ دُونَهُ . وَإِنْ كَانَ مَنْ كَذَّبَ عَلَى الْمَوْتَى
وَأَسْتَشْهَدَ الْغُيِّبَ أَحَدٌ ، فَصَاحِبُ الزَّرَافَةِ قَدْ اسْتَعْمَلَ بَعْضَ هَذِهِ الْحَيْلَةِ ،
وَصَاحِبُ الشَّبُوطِ يَكْذِبُ عَلَى الْأَحْيَاءِ ، وَيَسْتَشْهَدُ الْحُضُورَ . وَإِنْ كَانَ
الَّذِي دَعَا إِلَى الْقَوْلِ فِي الزَّرَافَةِ أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَرْكِيْبَ اسْمِهِ دَلِيلًا عَلَى تَرْكِيْبِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَقَدْ » وَالْوَجْهَ مَا ثَبِتَ . مَا عَادَ « بَعْضٌ » .

(٢) ل : « وَإِذَا » .

(٣) انظُرْ ص ١٤٢ .

الخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش ، وتأويله ضأنى بقرى ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهة الكباش وكثيراً من مشابهة الثور ، وليس أن الكباش ضربت في البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس في تقسيم الحيوان)

وزعم الفرس أن الحيوان كله الذى يلد حيوانا مثله مما يمشى على أربع قوائم ، لا تخلو أجناسها من المعز والضأن ، والجواميس عندهم ضأن البقر ، والبُخْت عندهم ضأن الإبل ، والبراذين عندهم ضأن الخيل . ٧٠

(زعم في الإبل)

والناس يقولون في الإبل أقاويلَ عجيبةً : فمنهم من يزعم أن فيها عرقاً من سفاد الجنّ ، وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين^(١) فجعلوا المثلّ والحجاز على غير جهته . وقال ابن ميادة :

فلما أتاني ما تقول مُحارِبٌ تغنّت شياطين وجنّ جنونها

(١) ط : « أعناق » وهو تحريف صوابه في ل واللسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعنان الشياطين لاتقبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية » . قال ابن منظور : فإنه أراد أنها على أخلاق الشياطين ، وحقبة الأعنان النواحي . قال ابن الأثير : كأنه قال كأنها لكثرة آفاتها من نواحي الشيطان في أخلاقها وطبائعها . وفي حديث آخر : « لاتصلوا في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين » .

قال الأصمعي : المأثور من السيوف الذي يقال : إنَّ الجنَّ عملته .
وهم يسمون الكبر والحسزُ وانه والنَّعرة التي تضاف إلى أنف المتكبر
شيطانا ، قال عمر : حتى أنزع شيطانه ، كما قال : حتى أنزع النَّعرة التي في
أنفه (١) . ويسمُّون الحيَّة إذا كانت داهية منها شيطانا ، وهو قولهم : شيطان
الحمَّاطة (٢) . قال الشاعر :

تعالج مَنَى حَضْرِيَّ كأنه تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بَدَى خِرُوعٍ قَفَرٍ (٣)
شِبَّه الزَّمَامَ بِالْحَيَّةِ . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شناحية فيها شناح كأنها حباب بكف الشاؤ من أسطع حشر (٤)
والحباب : الحية الذكر ، وكذلك الأيم (٥) . وقد نهى عن الصلاة عند
غيوبة الشمس ، وعند طلوع القرص إلى أن يتأمَّ ذلك . وفي الحديث :
« إنَّها تطلُّع بين قرْنَيْ شَيْطَانٍ » .

(ضرورة حذف اللفظة للعالم والمتكلم)

فللعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنيَّةٌ ، وموضعٌ كلامٌ يدلُّ عندهم على

(١) ابن الأثير : النعرة بالتحريك : ذباب أزرق له إبرة يلسع بها ويتولج بالبعير ويلسخل .
أنفه فيركب رأسه . سميت بذلك لنعيرها . ثم استعيرت للنخوة والكبر . وصاحب
القاموس يقبض الكلمة إذا كانت بمعنى الكبر كهزمة وبالتحريك ، وإذا كانت
بمعنى الذباب كهزمة فقط .

(٢) الحمَّاطة : شجر شبيهة بالتين أحب شجر إلى الحيات ، أو التين الجبل أو الأسود الصغير
أو الجميز . عن القاموس .

(٣) ط : « تمامج متنا » والصواب ما أثبت من ل ومن المخصص ولسان العرب (شطن) .
ونسبه الجاحظ في ٤ : ١٣٣ إلى طرفة .

(٤) الشناحية : الطويلة . وفي ل : « أسطح جسر » ولعل في البيت تحريفا .

(٥) الأيم ككيس والإيم بالكسر : الحية الأبيض اللطيف ، أو عام ، جمه أيوم . وانظر

معانيمهم وإرادتهم ، ولتلك الألقاظ مواضع أُخْرُ ، ولها حينئذ دَلالات أُخْر ؛
فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة ، والشاهد والمثل ؛ فإذا نظر في
الكلام وفي ضروب من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن ،
هلك وأهلك .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناسٌ أن من الإبل وحشيًّا وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على
الخمير والسنانير والحمام وغير ذلك^(١) ، فزعموا أن تلك الإبل تسكن أرض
وبَار ؛ لأنها غير مسكونة ، ولأن الحيوان كلما اشتدت وحشيته كان
للخلاء أطلب . قالوا : وربما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض ، فيضرب
في أدنى هجمة من الإبل الأهلية . قالوا : فآلمهريته من ذلك النتائج .

وقال آخرون : هذه الإبل الوحشية هي الحوش ، وهي التي من بقايا إبل
وبَار ، فلما أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمم مثل عادٍ وثمودَ والعالقة وطسم^{٧١}
وجديسَ وجاسم ، بقيت إبلهم في أماكنهم التي لا يطورها إنسي^(٢) فإن
سقط إلى تلك الجزيرة بعض الخلاء^(٣) ، أو بعض من أضلَّ الطريق حثت^(٤)

(١) ط : « وقاسوا ذلك على الخمير والسنانير وما سوى ذلك من الخمير والسنانير والحمام
وغير ذلك » . وفي ل : « وقاسوا ذلك على الخمير ، والسنانير وغير ذلك » . وقد
سردت التول كما ترى .

(٢) كذا في ل . وطار المكان يطوره طوراً وطوراناً : حام حوله . وفي ط :
« لا يطردها أحد » . قال في القاموس : « وطردهم : أتيهم وجزتهم » فالعبارتان
سليمتان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجزيرة » و « الخلاء » موضع « الخلاء » . وما في ط :
تصحيف . والجزيرة : الناحية .

(٤) ط : « حثت » .

الجنُّ في وجهه ؛ فَإِنَّ الْحَبْلَ خَبَلْتَهُ ؛ فَضَرَبَتْ هَذِهِ الْحَوْشَ (١) فِي الْعُمَانِيَّةِ ؛
فَجَاءَتْ هَذِهِ الْمَهْرِيَّةُ ؛ وَهَذِهِ الْعَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَسْمَى الذَّهْبِيَّةَ .

وَأُنْشِدُنِي سَعْدَانَ الْمَكْفُوفَ (٢) عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ قَوْلَ الرَّاجِزِ (٣) :

مَا ذَمَّ إِبْلِيَّ عَجَمٌ وَلَا عَرَبٌ جُلُودُهَا مِثْلُ طَوَاوَيْسِ الذَّهَبِ
وَقَالَ الْآخِرُ (٤) :

إِذَا اصْطَلَكْتُ بِضَيْقِ حَجَرَتَاهَا تَلَاقَى الْعَسْجِدِيَّةُ وَاللَّطِيمُ
وَالْعَسْجِدُ مِنْ أَسْمَاءِ الذَّهَبِ .

قَالُوا : وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ صَاحِبَةُ يَزِيدِ بْنِ الطَّائِرِيَّةِ حَوْشِيَّةً عَلَى هَذَا الْمَعْنَى (٥) .

وَقَالَ رُوْبَةُ :

جَرَتْ رِحَانًا مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ (٦)

(١) ط : « الروحوش » .

(٢) ط : « وَأُنْشِدُ ابْنَ سَعْدَانَ الْمَكْفُوفَ » وَكُتِبَتْ مَا فِي ل و س . . . وَسَعْدَانُ هَذَا هُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ أَبُو عُمَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ . لَهُ تَرْجُمةٌ فِي الْبَغِيَّةِ لِلْسَيُوطِيِّ ٤ : ٢ وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٤٧٨١ ، وَنَزْهَةُ الْأَلْبَاءِ ٢٠٦ ، وَهُمْ يَذْكُرُونَهُ فِي رِوَاةِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ رَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ . وَأَمَّا ابْنُ سَعْدَانَ ، فَهُوَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ ، كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْقُرَاءِ وَلَهُ كِتَابٌ مُصَنَّفٌ فِي النَّحْوِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٣١ ، وَلَهُ تَرْجُمةٌ فِي الْبَغِيَّةِ ٤٥ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٢٨٤٦ ، وَالنَّزْهَةُ ٢١٢ . وَرِوَايَةُ الْجَاهِظِ عَنْ كُلِّ مِنْهُمَا مُحْتَمَلَةٌ .

(٣) ل : « عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ الرَّاجِزِ » وَلَمْ يَنْعَتَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَرْجُومِهِ لَهُ بِهَذَا الْوَصْفِ أَنْظَرَ فَهْرَسُ ابْنِ النَّدِيمِ ٤٨ لَيْسَكُ وَ ٧٢ مِصْرَ وَابْنُ خَلْسَكَانَ ١ : ٢٦٢ وَمَعْجَمُ الزَّرْكَلِيِّ ٢ : ٥٥٥ . وَأَبُو الْعَمِيثِلِ هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ خَلِيدِ الْأَعْرَابِيِّ الشَّاعِرِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٠ .

(٤) هُوَ عَاهَانَ بْنُ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ كَمَا فِي اللِّسَانِ (لَطَمٌ) قَالَ : الْعَسْجِدِيَّةُ لِإِبْلِئِ مَنَسُوبَةٌ إِلَى سَوْقٍ يَكُونُ فِيهَا الْمَسْجِدُ ؛ وَقَالَ ابْنُ بَرِيٍّ : الْمَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَحْمِلُ الذَّهَبَ . وَقَالَ : اللَّطِيمُ جَمْعُ لَطِيمَةٍ وَهِيَ الْعَيْرُ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَسْكَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَى الْمَعْنَى هَذَا » .

(٦) كَذَا فِي س و ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَالرَّحَى : جَمَاعَةُ الْإِبِلِ . وَفِي ط وَالْمَعْدَةُ ٢ : ٢٠٥ « رَجَالًا » . وَرِوَايَةُ اللِّسَانِ : إِلَيْكَ سَارَتْ مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبائيط)

وأما الذى زعم أنهم مُطِرُوا الشَّبِوطَ ، فإنه لما ظنَّ أنَّ الضفادعَ التى تُصَابُ بِعَقَبِ المَطَرِ ؛ بحيثُ لا ماءٌ ولا وحلٌّ ولا عينٌ ولا شريعةٌ - فإنهم ربَّما رأوها وسط الدَّوِّ والدَّهْناءِ والصَّمَانِ^(١) - ولم يشكَّ أنَّها كانت فى السحابِ وعلم أنَّها تكون فى الأنهارِ ومنابعِ المياهِ ، وليس ذلك من الذكرِ والأنثى ؛ قاسَ على ذلك الظنَّ السمكِ ؛ ثم جسرَ فجعلَ السمكَ شَبُوطًا . وتلك الضفادعُ إنما هى شىءٌ يُخلَقُ تلك الساعة ، من طباعِ الماءِ والهواءِ والزمانِ وتلك التُّربةُ ؛ على مقاديرٍ ومقابلاتٍ ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه . نشأة الخلق .

(امتناع التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُعرف القرابةُ التى تكون فى رأى العين بين الشكليين من الحيوانِ فلا يكون بينهما تسافدٌ ولا تلاقحٌ ؛ كالضأنِ والمعزِ ، وكالفأرِ والجُرْذَانِ ، فليس بالعجبِ فى البقرِ والجواميسِ أن تكون كذلك . وقد رأينا الخِلاسىَّ من الدجاجِ والدِّيكةِ ؛ وهو الذى تخلَّقُ من بين المولِّداتِ والهنديَّاتِ ؛ وهى تحمل اللحمَ والشحمَ .

وزعم لى مسعود بن عثمان ، أنه أهدى إلى عمرو بن مسعدة ؛ دجاجةً ووُزَنَ فيها سبعة عشرَ رطلاً بعد طرحِ الأسقاطِ وإخراجِ الحشوةِ .

(١) ط : « اللور » موضع « الدو » ، « السنان » موضع « الصمان » والصواب

ما كتبت من ل . واللور : الفلاة . والدهناء : الفلاة أيضا . والصمان : كل أرض صلبة

ذات حجارة إلى جنب رمل .

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخلامى من الناس ، وهو الذى يتخلق بين الحبشى والبيضاء ،
والعادة من هذا التركيب أنه يخرج أعظم من أبويه وأقوى من أصليه ومثمره .
ورأينا البيسرى^(١) من الناس ، وهو الذى يُخلق من بين البيض والهند ؛
لا يخرج ذلك النتاج على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه يجيء أحسن
وأملح . وهم يسمون^(٢) الماء إذا خالطته الملوحة بيسراً^(٣) قياساً على هذا ٧٢
التركيب الذى حكينا عن البيض والهنديّات . ورأينا الخلامى من الكلاب ؛
وهو الذى يُخلق بين السلوقى و كلب الراعى ؛ ولا يكون ذلك من الزئفى
والقلطى^(٤) ، ومن كلاب الدور والحراس . وسنقول فى السمع^(٥) والعسبار ؛
وفى غيرهما من الخلق المركب إن شاء الله تعالى .

(أطول الناس أعماراً)

وذكروا أنهم وجدوا أطول أعمار الناس فى ثلاثة مواضع : أولها
سرّوحير ، ثم فرغانة ، ثم اليمامة ، وإن فى الأعراب لأعماراً أطول ، على أن
لهم فى ذلك كذباً كثيراً ، والهند تُربى^(٦) عليهم فى هذا المعنى . هكذا يقول
علماء العرب .

(١) البياسرة : جبل بالسند تستأجرهم النواخذة لمحاربة العدو ، والواحد بيسرى .

(٢) ط : « يسمونه » .

(٣) كذا فى ل ، ولعل صوابه « بيسريا » وفى ط : « يسرا » .

(٤) الزئفى : القصير القوائم ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى الحيوان ٢ : ١٧٩ . والقلطى :
القصير جداً .

(٥) ط : « السملع » وهو تحريف ما فى ل .

(٦) ط : « ترزى » .

(أثر النبيذ في عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماشَ ويزالُ وجدعاناً^(١) ، يذكرون أنهم عدُّوا أربعينَ فتىً من فتیانِ قريشٍ وثقيفٍ أعمارَ عامٍ واحدٍ فأحصوا عشرينَ من قريشٍ ، وعشرينَ من ثقيفٍ ، وتوخوا المتجاورينَ في المحلَّةِ والمتقاربينَ في الدُّورِ من الموقرينَ على النبيذِ ، والمقصورينَ على التناؤمِ ، وأنهم أخصوا مثلَ ذلكَ العددِ وأشباهَ أولئكِ في السنِّ ممن لا يذوقُ النبيذَ ولا يعرفُ شراباً إلا الماءَ ، فذكروا أنهم وجدوا بعدَ مرورِ دهرٍ عامَّةٍ من كان يشربُ النبيذَ حياً ، ومن لا يشربه قد مات عامتهمُ ، وكانوا قد بلغوا في السنِّ . أما عثمانُ ويزالُ^(٢) فكانا من المعمرينَ ، وقد رأيتهما جميعاً ولم أسمعَ هذا منهما ، وسأني على هذا البابِ في موضعه من ذكرِ المعمرينَ ، ونمَّزَ الصدقَ فيه من الكذبِ ، وما يجوزُ وما لا يجوزُ إن شاءَ اللهُ تعالى .

(بعض ما يعرض للخصيان)

وما أكثر ما يعرض للخصيان البولُ في الفراش وغير ذلك ، ولا سيما إذا بات أحدُهم ممتلئاً من النبيذِ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشرابِ والإفراط في شهوته وشدة النهمِ .

ويعرض لهم أيضاً إثثارُ المخفس^(٣) وحبُّ الصِّرفِ ، وذلك أيضاً

(١) ل : « وبذال وجدعان » .

(٢) ل : « وبذال » .

(٣) ط : « المحبس » وليس بشيء . وفي ل : « الخفش » وهما تحريف ما كتبت . والمخفس : الشراب السريع الإمكان .

مما يعرض للنساء ، والإفراط في شهوتهنَّ وشدة الهمة لهنَّ والغيرة عليهنَّ .
ويحتلمون ، ويحسبون ويغتسلون ، ويرون الماء غير الرائق ولا الغليظ ، الذي
له ريح طلع المُحَال^(١) .

ويعرض للخصيَّ شدة الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم
أو مال كثيرٍ أو جاهٍ عريض ، حتىَّ ربما كان عند مولاه بعضٌ من عسى
أن يتقدَّم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصيُّ كلفاً بهم وبتعظيمهم ،
ومُعزماً بخدمتهم ، في الأدب والحسب ، وفي بُعدِ الهمة وكرم الشيمة ،
فيعمد عند دخول ذلك الرجل الذي له السلطان والجاه والمال إلى متسكياً
٧٣ هذا الأديب الكريم ، والحسيب الشريف ، فيزعه من تحت مرْفَقِهِ ،
غير محتفل بذلك ولا مكترث لما فيه ، ويضعه له من غير أن يكون موضع
المرافق بعيداً ، أو^(٢) كان ذلك مما يفوت بعض القوت ، ويفعل ذلك
وإن كان يعاشر هذا الأديب الكريم مولاه وهو على يقين أنه لا يرى ذلك
الموسرَ وصاحب الجاه أبداً^(٣) .

(أقوال في منع خصاء الخيل وإباحته)

وقد حرَّم بعضهم خصاء الخيل خاصَّة ، وبعضهم زاد على ذلك حتىَّ
حرَّم خصاء البهائم . وقال بعضهم : إذا كان الخِصاءُ إنما اجتلبه فاعله
أو تكلفه صاحبه على جهة التماس المنفعة ، أو على طريق التجارة ،

(١) ط : « النخل » .

(٢) ط : « إذا » .

(٣) ط : « وهو على يقين أنه ليس من حكم الخصاء أن يرى . . . الخ » وهذبت القول

فذلك جائز ، وسبيله سبيل الميسم ، فإن الميسم نار ، وألمه يجوز كل ألم .
وقد رأينا إبل الصدقة موسومة ، ووسمت العرب الخيل وجميع أصناف النعم
في الإسلام ، على مثل صنيعها في الجاهلية . وقد كانت القصواء ناقة النبي
حصى الله عليه وسلم موسومة ، وكذلك العضباء .

(أقوال في وسم الحيوان)

وقال آخرون : الخصاء غير شبيه بالميسم ؛ لأن في الخصاء من شدة
الألم ، ومن المثلة ، ومن قطع النسل ، ومن إدخال النقص على الأعضاء ،
والنقص لمواد القوى ، ما ليس في الميسم وغيره ، وهو بقطع الآلية أشبه ،
والسمة إنما هي لذعة ، والخصاء مجاوز لكل شديدة (١) .

قال القوم : ولا بأس بقطع الآلية إذا منعت بثقلها أو عظمها الشاة
من اللحاق بالقطيع وخيف عليها من الذئب . وقطع الآلية في جواز
العقول (٢) أشبه من الميسم ؛ لأن الميسم ليس للبعير فيه حظ ، وإنما الحظ
فيه لرب المال ، وقطع الآلية من شكل الختان ، ومن شكل البط (٣)
والفصد ، ومن جنس الوجور والبيطرة ، ومن جنس اللدود (٤) والحجامة ،
ومن جنس السكى عند الحاجة ، وقطع الجارحة إذا خيف عليها الأكلة .

(١) ط : « شاة » .

(٢) ط : « القول » .

(٣) البط : الجرح . والمبطة : الموضع .

(٤) اللدود كصبور : ما يصب بالمسقط من الدواء في أحد شق الفم .

(وسم الأبل)

قال الأولون : بل^(١) لعمرى إنَّ للإبل في السمات لأعظم المنافع ؛ لأنها قد تشرب بسماها ولا تُذاد عن الحوض إكراماً لأربابها ؛ وقد تفضل فتؤوى ؛ وتصاب في الهواشات^(٢) فتُرد .

قالوا : فإننا لانسألكم إلا عن سمات الخيل والبغال والحمير والغنم . وبعد فكيف نستجيز أن ننعّمها بالإحراق بالنار ؛ لأمر عسى ألا يحتاج إليه من ألف بعيرٍ بعيرٍ واحد ؛ ثم عسى ألا يحتاج [من جميع] ذلك في جميع عمره [إلا] إلى شربةٍ واحدة .

وقال القوم : إنَّما المياسم في النعم السائمة كالرقوم في ثياب البزاز ؛ ومتى ارتفعت الرقوم ومُنعت المياسم ، اختلَطت الأموال ، وإذا اختلَطت ٧٤ أمكنَ فيها الظلم ، والمظلومُ باذلٌ نفسه دون المعيشة^(٣) والهضيمة .

وقالوا : ليس قطع الألية كالمجثمة وكالشيء المصبور ، وقد مُهينا عن إحراق الهوام ، وقيل لنا : لاتعدّبوا بعذاب الله تعالى ، والميسمُ نار ، وقطعُ الألية من شكل قطع العروق ، وصاحبُ المجثمة يقدر أن يرمي - إن كان به تعلمُ الرماية - شيئاً لا يألم ولم يُنه عن تعذيبه ، فإ^(٤) يردُّ الشيء المصبور من العذاب مرّداً بوجه من الوجوه .

(١) ط : « قل » وهو تحريف ما في ل .

(٢) الهواشات بالضم : الجماعات من الناس والإبل .

(٣) كذا ولعلها « النكيثة » بمعنى الخطة الصعبة .

(٤) في الأصل : « فيما » .

(القول في نقص بعض أجزاء الحيوان أو تقضها أو إيلاها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدِّث في جميع الحيوانِ حدثاً من نقصٍ أو نقصٍ أو إيلا ، لأنك لا تملك النشأة^(١) ، ولا يمكنك التعويضُ له ؛ فإذا أذن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشئ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عزَّ وجلَّ ، حلَّ لك من ذلك ما كان لا يحل . وليس لك في حُجَّة العقل أن تصنعَ بها إلا ما كان به مصلحةٌ ، كعلاج الدَّبر^(٢) وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنعَ كلَّ ما كان يُصنع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ، ممَّا لم يكن مدفوعاً^(٣) عند بعضهم ، إلا أن يكون نَهْيُ ذلك البعض من جماعتهم^(٤) ، في طريق الخلافِ والردِّ والمفارقة . ولا يكون عندهم قولاً من الأقاويل ؛ فإنَّ ذلك في سبيل العلاج بعد أن كان المتكافئ يعرفُ وجه الملام . والمذهب في ذلك معروف^(٥) ، وإن كان خارجاً من ذلك الحدِّ ، فقد علمنا أنه أٌبِح من طريق التعبدِ والمحنة ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلَّ ذبحه من البهائم ، وكما جعل لنا أن نقتل القملَ والبراغيثَ والبعوض ، وإن لم يكن منها إلا مقدارُ الأذى فقط . والقتل لا يكون قصاصاً من الأذى ، ولكن لما أباح لنا خالقُ الشيء

(١) ل : « الشيء » .

(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه في ل .

(٣) ط : « مرفوعاً » وتصحيحه من ل .

(٤) في الأصل : « عن جماعتهم » .

(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

والقادرُ على تعويضه قتلَهُ ، كان قتلُهُ أسوَّغَ في العقل مع الأذى ، مِنْ ذبح
البيهيمَةِ مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ذى] أذى^(١) حكم الله تعالى فيه
بإباحة القتل ، والله عزَّ وجلَّ ، بمقادير الأمورِ وبحكم المختلفِ والمتَّفِقِ ،
والقليلِ من ذلك والكثير ، أحكَّمُ وأعلمُ .

وقد أمرَ الله تعالى إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ، بذبح إسحاق
أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فأطاع الوالدُ وطاوع الولدُ .

والجواب الماضي إنما هو^(٢) قول من قال بالتعويض ، [و] هو قول
المنظَّم . وأكثرُ المتكلِّمين يعترِضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال - يرحمك الله تعالى - بعضُ الملحدِّين من المعاندين ، أو بعضُ
الموحِّدين من الأغبياء المنقوصين ، قد طعنَ في ملكِ الخصىِّ وبيعه ٧٥
وابتياعه ، ويذكرون الخصىَّ^(٣) الذى كان المقوقس عظيمُ القبط أهدها إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام .
قالوا : فقد ملك عليه الصلاة والسلام خصياً بعد أن عرفه وأحاط علمه
بأنه خصى ، وأتم ترعمون أن الخصاء حرام ، وأن من اشترى من الخاصى
خصياً ثم زاد على قيمته وهو فحل ، فقد أعان على الخصاء وحثَّ عليه ،
ورغَّب فيه ، وأنه من أفحش الظلم وأشدَّ القسوة ، وزعمتم أن من فعل ذلك

(١) ط : « وليس كل ضرر ولا كل أذى » .

(٢) ط : « على » موضع « إنما هو » .

(٣) ذكر في كتاب البغال ٣٥٦ أنه أخو مارية القبطية .

فهو شريك الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حاله كحال المعروفين بالابتىاع من اللصوص . وقلتم : وكذلك من شهد القيار^(١) وهراش الكلاب ، ونطاح الكباش وقاتل الديوك ، وأصحاب المآرحات^(٢) وحرب الفئتين الضالَّتين . وقلتم : لأنَّ هذه المواضع لو لم تحضرها النظَّارة لما عملوا تلك الأعمال ، ولو فعلوها ما بلغوا مقدار الشَّطر ، لغلبة الرياء والسُّمعة على قلوب الناس ، فكذلك الخاصى ، والمشتري ، والمبتاع من المشتري ، شركاء متعاونون ، وخُلطاء مترادفون . وإذا كان المبتاع يزيد فى السلعة لهذه العلة ، والبائع يزيد فى السَّوم لهذا السبب ، وقد أقرتم بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد قبِلَ له من المقوقس ، كما قبِلَ مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكه وأمره ، فافهم - فهَمَّك اللهُ تعالى - ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفق ، وعلى الله قصدُ السبيل .

أقول : قبلَ كلِّ شيء لا يخلو هذا الحديث الذى روئتموه من أن يكون مرضىَّ الإسناد ، صحيحَ المخرج ، أو يكون مسخوط الإسناد ، فاسدَ المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضياً ، فقد علمنا أنَّه ليس فى الحديث أنَّه قبِله منه بعد أن علم أنَّه خصىُّ ، وعلى أنَّ قبولَ الهدية خلافُ الابتىاع ؛ لأنَّ بائعَ الخصىِّ إنما يجرم عليه التماسُ الزيادة ، وكذلك المبتاعُ إنما يجرم عليه دفعُ الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فحلاً أجلَ منه وأشبَّ وأخدمَ منه لم يزدْه ، والبائع أيضاً لا يستام بالفحل سومه بالخصى . وقبول الهدية ، وقبول الهبة ، وسبيلُ البىع والابتىاع

(١) ل : « السعابين » .

(٢) ط : « المآرجات » .

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإِنَّمَا هِدْيَةٌ الْخَصِيِّ كَهِدْيَةِ الثَّوْبِ وَالْعِطْرِ ، وَالِدَابَّةِ وَالْفَاكِهِة . وَلَآنَ الْخَصِيَّ لَا يَحْرَمُ مِلْكُهُ وَلَا اسْتِخْدَامُهُ ، بَلْ لَا يَجِلُّ طَرْدُهُ وَنَفْيُهُ ، وَعَتَقُهُ جَائِزٌ ، وَجَوَازُ الْعِتْقِ يُوْجِبُ الْمَلِكُ . وَلَوْ بَاعَهُ الْمَالِكُ عَلَى غَيْرِ طَلْبِ الزِّيَادَةِ ، أَوْ لَو تَابَ مِنَ الْخِصَاءِ أَوْ اسْتَحْلَهَ مِمَّا آتَى ٧٦ إِلَيْهِ ، لَمَّا حَرَّمَ عَلَى الْخَاصِيِّ نَفْسِهِ اسْتِخْدَامَهُ . وَالْخَصِيُّ مَالٌ وَمَلِكٌ ، وَاسْتِخْدَامُهُ حَسَنٌ جَمِيلٌ ؛ وَلَآنَ خِصَاءَهُ إِيَّاهُ لَا يَعْتَقُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُزِيلُ عَنْهُ مِلْكُهُ إِلَّا بِمِثْلِ مَا وَجَبَ بِهِ مِلْكُهُ (١) .

وأخرى : أن في قبول هديّة ذلك المملك ، وتلقّى كرامته بالإكرام تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسألة ، والحمد لله كما هو أهله .

وقد رووا مع ذلك أيضا : أن زنباعاً الجذامى ، خصى عبداً له ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أعتقه عليه فيما بلغنا . والله أعلم .

وربما سألوا عن الشيء وليس القول فيه يقع في نسق القول في الخصي ، وفي الخلق المركب ، ولكن إذ قد أجبنا في مسألة كلامية من مسائل الطعن في النبوة ، فلا بأس أن نضيف إليها أخرى ، ولا سيما إذا لم تطل فتزيد في طول الكتاب .

وقد لا يزال الطاعن يقول : قد علمنا أن العرب لم يسموا حروب أيام الفجور بالفجور (٢) وقريش خاصة ، إلا أن القتال في البلد الحرام ، في الشهر الحرام كان عندهم فجورا ، وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ل : « إلا مثل ما يوجب له به ملكه » .

(٢) ط : « بالفجور » .

وعلى آله ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً ،
وقال : « شَهِدْتُ الْفِجَارَ فَكُنْتُ أَنْبُلُ عَلَى عَمَوْتِي » .

وجوابنا في ذلك : أنَّ بنى عامر بن صعصعة ، طالبوا أهلَ الحرم من
قريشٍ وكنانة ، بجريرة البرأض بن قيس ، في قتله عروة الرِّحَال ، وقد
علموا أَنَّهُمْ يُطَالِبُونَ مَنْ لَمْ يَجْزِ وَمَنْ لَمْ يِعَاوُنْ ، وَأَنَّ الْبِرَّاضَ بْنَ قَيْسٍ
كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ خَلِيعاً مَطْرُوداً ، فَأَتَوْهُمْ إِلَى حَرَمِهِمْ يُلْزِمُونَهُمْ ذَنْبَ غَيْرِهِمْ ،
فَدَافَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَعَنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَعَنْ ذُرَارِيهِمْ ، وَالْفَاجِرُ لَا يَكُونُ
الْمُسْعَى عَلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ أَشْهَدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذَلِكَ
الْمَوْقِفَ ، وَبِهِ نَصَرُوا كَمَا نَصَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى فَارَسَ يَوْمَ ذِي قَارِ ، بِهِ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبِمَخْرَجِهِ . وَهَذَا جَوَابَانِ وَاضِحَانِ قَرِيبَانِ ، وَاللَّهُ الْمَوْقُوفُ
لِلصَّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْتَبُ .

(محاسن الخصى ومساويه)

ثم رجع بنا القولُ إلى ذكرِ محاسِنِ الخصىِّ ومساويه^(١) .
الخصيُّ يَنْكِحُ وَيَتَّخِذُ الْجَوَارِيَ وَيَشْتَدُّ شَغْفَهُ بِالنِّسَاءِ ، وَشَغْفُهُنَّ بِهِ ،
وهو وإن كان محبوبَ العضو فإنه قد بقى له ما عسى أن يكون فيه من ذلك
ما هو أعجبُ إليهنَّ . وقد يحتلم ويخرجُ منه عند الوطء ماءً ، ولكِنَّهُ قَلِيلٌ ،
متغيِّرُ الرِّيحِ ، رقيقٌ ضعيفٌ . وهو يباشرُ بِمَشَقَّةٍ ، ثم لا يمنعُه من المعاودة الماءُ
الذي يخرج منه إذ كان قليل المقدار^(٢) لا يخرجُه من القوَّة إلى الضعف ،

٧٧

(١) انظر المحاسن والمساوى للبيهقي ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .

(٢) في الأصول : « إذا كان قليل المقدار » .

مثل الذي يعترى من يخرج منه شيء يكون من إنسان، وهو أخضر، وأكثر، وأحدر يرحا، وأصحُّ جوهرًا .

والخصيُّ يجتمع فيه أمنيَّةُ المرأة، وذلك أنَّها تبغض كلَّ سريعِ الإراقة، بطيء الإفاقة، كما تكبره كلُّ ثقيلِ الصدر، وخفيف العجز، والخصيُّ هو السريع الإفاقة، البطيء الإراقة، المأمونُ الإلقاح، فتقيمُ المرأةُ معه، وهي آمنة العار الأكبر، فهذا أشدُّ لتوفير لذتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الحِصيان، وحقرن العبيد، وذهبت الهيبةُ من قلوبهنَّ، وتعظيمُ البعول، والتصنعُ لذوى الأقدار باجتلاب الحياء وتكألف الحجل، ظهر كلُّ شيءٍ في قوى طبائعهنَّ وشهواتهنَّ، فأمكنها التخير^(١) والصِّياح، وأن تكون مرَّةً من فوق، ومرَّةً من أسفل، وسمحت النفسُ بمكنونها، وأظهرت أقصى ما عندها .

وقد تجدد في النساء من تؤثر النساء، وتجد فيهنَّ من تؤثر الرجال، وتجد فيهنَّ من تؤثر الحِصيان، وتجد فيهنَّ من تجمع ولا تفرق، وتعم ولا تخصُّ، وكذلك شأن الرجال في الرجال، وفي النساء والحِصيان . فالمرأة تنازع إلى الخصيِّ لأنَّ أمره أسترُّ وعاقبته أسلم، وتحرص عليه لأنَّه ممنوعٌ منها، ولأنَّ ذلك حرام عليها، فلها جاذبان : جاذبٌ حرصٍ كما يُحرص على الممنوع، وجاذبٌ آمنٍ كما يُرغب في السلامة . وقال الأصمعي : قال يونس ابن عبيد^(٢) : لو أخذنا بالجرعِ لصبرنا^(٣) . قال الشاعر :

(١) ط : « الشخير » .

(٢) يونس بن عبيد من أصحاب ابن سيرين ، وكان بينهما مداعبة . روى في عيون الأخبار ٣ : ٤١ أن يونس بن عبيد قال : أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية فسمعتة يقول : قولوا له إني نائم - يريد سنام - فقلت : معي خبيص . فقال : مكانك حتى أخرج إليك ! .

(٣) انظر البيان ٣ : ١٣١ و عيون الأخبار ٢ : ٢ .

وزادها كَلْفًا بِالْحَبِّ أَنْ مَنَعَتْ وَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَأْمُنًا^(١)
والحرصُ على الممنوعِ بابٌ لا يَقْدِرُ على الاحتِجَازِ منه ، والاحتِراسِ من
خُدَعِهِ ، إِلَّا كَلُّ مَبْرُزٍ فِي الْفِطْنَةِ وَمَتْمَهَّلٌ [فِي] الْعَزِيمَةِ ، طَوِيلِ التَّجَارِبِ ،
فَاضِلِ الْعَقْلِ عَلَى قُوَى الشَّهَوَاتِ . وَبئسَ الشَّيْءُ الْقَرِينُ السُّوءُ . وَقَالُوا :
صَاحِبِ السُّوءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ .

وبابٌ من هذا الشكل ، قَبِ كُمْ أَعْظَمُ حَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَعْرِفُوهُ وَتَقِفُوا
عِنْدَهُ ، وَهُوَ مَا يَصْنَعُ^(٢) الْخَبْرُ السَّابِقُ إِلَى السَّمْعِ ، وَلَا سِيَّمًا إِذَا صَادَفَ مِنَ
السَّمَاعِ قَلَّةَ تَجْرِبَةٍ ، فَإِنَّ قَرْنَ بَيْنَ قَلَّةِ التَّجْرِبَةِ وَقَلَّةِ التَّحْفُظِ ، دَخَلَ ذَلِكَ
الْخَبْرُ السَّابِقُ إِلَى مَسْتَقَرِّهِ دُخُولًا سَهْلًا ، وَصَادَفَ مَوْضِعًا وَطِينًا ، وَطَبِيعَةً
قَابِلَةً ، وَنَفْسًا سَاكِنَةً ؛ وَمَتَى صَادَفَ الْقَلْبَ كَذَلِكَ ، رَسَخَ رَسُوخًا لَاحِظَةً
فِي إِزَالَتِهِ . وَمَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفِتْيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الْفِتْيَانِ ، فِي وَقْتِ
الْعَرَّارَةِ ، وَعِنْدَ غَلْبَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَشَبَابِ الشَّهْوَةِ ، وَقَلَّةِ التَّشَاغُلِ ؛ وَكَذَلِكَ
مَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفِتْيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِنَّ وَأُمُورِ الْغِلْمَانِ ، وَهَنَّاكَ سُسْكُرِ
الشَّبَابِ ، فَكَذَلِكَ تَكُونُ حَالُهُمْ . وَإِنَّ الشُّطَّارَ لَيَخْلُو أَحَدُهُمْ بِالْغَلَامِ الْغَرِيرِ
فَيَقُولُ لَهُ : لَا يَكُونُ الْغَلَامُ فِتْيًى أَبَدًا حَتَّى يَصَادِقَ فِتْيًى [وَإِلَّا فَهُوَ تَكْشُشٌ ،
وَالْتَكْشُشُ عِنْدَهُمُ الَّذِي لَمْ يُؤَدِّبْهُ فِتْيًى وَلَمْ يَخْرُجْهُ] ، فَمَا الْمَاءُ الْعَذْبُ الْبَارِدُ ،
بِأَسْرَعٍ فِي طَبَاعِ الْعَطْشَانِ ، مِنْ كَلِمَتِهِ ، إِذَا كَانَ لِلْغَلَامِ أَدْنَى هَوًى فِي

(١) ط : « أحب » . ومشهور الرواية وما في ل هو ما أثبت . وفي عيون الأخبار
٢ : ٣ : « وزاده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادني » ؛ فإن البيت
للأحوص كما في الأغاني ١١ : ٢٢ . وقوله :

كَمْ مِنْ دَنَى لَهَا قَدْ صَرَتْ أَتْبَعَهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعًا
(٢) ط : « يضع » .

الفتوة^(١) ، وأدنى داعيةٍ إلى المنالة^(٢) . وكذلك إذا خلت العجوز

المدرية^(٣) بالجارية الحديثة [كيف تحلبها . وأنشدنا :

فأنتها طَبَّةٌ عالمةٌ تخط الجِدَّ بأصنافِ اللبِّ

ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتناهى عند سَوَراتِ الغَضَبِ]

وقال الشاعر^(٤) فيما يشبه وقوعَ الخَبْرِ السابقِ إلى القلبِ :

نقلُ فؤادك حيثُ شئتَ من الهوى ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ

كم منزلٍ في الأرضِ يألُفه الفتي وحينئذٍ أبداً لأوَّلِ منزلٍ

وقال مجنون بني عامر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكَّنَّا

(أثر التكرار في خالق الإنسان)

وبابٌ آخرٌ مما يدعو إلى الفساد ، وهو طولٌ وقوعِ البصرِ على

الإنسان الذى فى طبعه أدنى قابلٍ ، وأدنى حركةٍ عند مثله . وطولُ التذانى ،

وكثرةُ الرؤيةِ هما أصلُ البلاءِ ، كما قيل لابنةِ الحُسِّسِ : لم زَينتِ بعينك ولم

ترنى بجر^(٥) ، وما أغراك به ؟ قالت : طولُ السَّوادِ ، وقُربُ الوِسادِ .

ولو أن أقبحَ الناسِ وجهاً ، وأنتنهم ريحاً ، وأظهرهم فقراً ، وأسقطهم

(١) ط : « الفتنة » .

(٢) ط : « الشطارة » .

(٣) ط : « المدرية » .

(٤) هو أبو تمام كما فى الأغاني ١٧ : ١٤٦ . والبيتان فى ديوانه ٤٥٧ .

(٥) فى الأصل « ولم ترنى بجر » والوجه ما كتبه . . وابنة الحس هي هند . ولها أخبار

كثيرة فى البيان .

نفساً ، وأوضعهم حسباً ، قال لامرأةٍ قد تمكَّن من كلامها ، ومكنته من سمعها :
والله يامولاتي وسيدتي ، لقد أسهرت ليلى ، وأرقت عيني ، وشغلتنى عن
مهمِّ أمرى ، فما أعقلُ أهلاً ، ولا مالاً ، ولا ولداً ؛ لنقص طباعتها ، ولفسخ
عقدِها ، ولو كانت أبرع الخلقِ جلالاً ، وأكملهم كمالاً ، وأملحهم ملحا .
فإن تهباً مع ذلك من هذا المتعشِّق ، أن تدمع عينه ، احتاجت هذه المرأة
أن يكون معها ورعٌ أمُّ الدرداء ، ومُعَاذَةُ العَدُوِيَّة ، ورابعةُ القَيْسِيَّة ،
والشجاء^(١) الخارجِيَّة .

(زهْدُ النَّاسِ فِيمَا يَمْلِكُونَهُ وَرَغْبَتُهُمْ فِيمَا لَيْسَ يَمْلِكُونَهُ)

وإنَّما قال عمر بن الخطَّابِ رضِيَ اللهُ تعالى عنهُ : « اضربوهنَّ
بالعُرَى » لأنَّ الثيابَ هِيَ المدعاةُ إلى الخُرُوجِ في الأعراسِ ، والقيامِ في
المناحاتِ ، والظهورِ في الأعيادِ ، ومَتَى كَثُرَ خُرُوجُهَا لم يعدَ مَعَهَا أن تَرى من
هُوَ من شَكْلِ طَبْعِهَا . ولو كانَ بعلُهَا أتمَّ حَسَنًا ، وألذَى رَأَتْ أَنْقَصَ حَسَنًا ،
لِكَانَ مَالًا تَمَّا كِه ، أَطْرَفَ مَمَّا تَمْلِكُهُ ، وَلِكَانَ مَالًا تَنْلُهُ ، وَلَمْ تَسْتَكْثِرْ
مِنَهُ ، أَشَدَّ لَهَا اشْتِغَالًا وَأَشَدَّ لَهَا اجْتِنَابًا . وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :

٧٩ وَلِلْعَيْنِ مَلْهَى بِالْتَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ^(٢)
وقال سعيد بن مسلم : لأنَّ^(٣) يرى حرمتي ألفُ رجلٍ على حالٍ تكشف

(١) ل : « الشجاء » وصوابه « الشجاء » كما في ط . ولها حديث مع زياد في الأمال

٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « ولم يقد » بدل « لم يقد » و « كافتيااد » موضع « كافتيااد » .

(٣) ط : « لئن » .

منها وهى لا تراهم ، أحبُّ إلىَّ من أن ترى حُرْمَتِي رجلاً واحداً
غيرَ منكشف .

وقال الأوَّل : لا يضرُّك حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنَّك إذا أتبتها بصرك ،
وقد نقضت طبعك ، فعلمتَ أنَّك لا تصل إليها بنفسك ولا بكتابك ،
ولا برسولك ، كان الذى رأيت منها كالحلم ، وكما يتصور للمتمنى ، فإذا
انقضى ما هو فيه مِنَ المنى (١) ، ورجعت نفسه إلى مكانها الأوَّل ، لم يكن
عليه من [فقدتها إلاَّ مثلُ] فقد ما رآه فى النوم ، أو مثَّله له الأمانى (٢) .

(عقيل بن علفة وبناته)

وقيل لعقيل بن علفة (٣) : لو زوجتَ بناتِكَ ! فإنَّ النساءَ لحمٌ على
وَضَمٍّ إذا لم يكنَّ غانبات !! قال : كلا ، إنِّي أُجِيعُهُنَّ فلا يَأْشُرْنَ ،
وأُعْرِيَهُنَّ فلا يظهرنَّ (٤) !! فوافقت إحدى كلمتيه قولَ النبي صلى الله عليه
وسلم [ووافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب ؛ لأن النبي صلى الله عليه
وسلم قال] : « الصَّوْمُ وَجَاء » . وقال عمر : استعينوا عليهنَّ بالعُرَى .
وقد جاء [فى الحديث] : « وفرُّوا أشعارهنَّ فإنَّ [ترك الشعر مجفرة (٥)] .

(١) ط : « . . . كالحلسة إذ كان ذلك يقضى ما فيه من المنى » وهو تحريف .

(٢) ط : « الأمانى مؤنسة » .

(٣) ط : « علقمة » وهى على الصواب فى ل . ولعقيل أخبار طريفة فى الأغاني ١١ :

٨١ - ٨٩ .

(٤) ط : « يَأْشُرْنَ » موضع « يَأْشُرْنَ » و « يظهرهن » بدل « يظهرن » وما

فيها تحريف .

(٥) مجفرة : قال أبو عبيد : يعنى مقطعة للنكاح ونقصا للماء . وانظر اللسان (جفر)

وقد أتينا على هذا الباب في الموضع الذي ذكرنا فيه شأن الغيرة ، وأوّل الفساد ، وكيف ينبت ، وكيف يُحصَد .

(بعض ميول الخصيان)

وقد رأيتُ غيرَ خصيٍّ يتلوّط ، ويطلب الغلمان [في المواضع ، ويخلو بهم ويأخذهم] على جهة الصداقة ، ويحمل في ذلك الحديد ، ويقاتل دون السخول^(١) ، ويتمشى مع الشطار .

وقد كان في قطعةِ الربيعِ خصيٌّ أثيرٌ عندَ مولاه ، عظيم المنزلة عنده ؛ وكان يثق به في ملكِ يمينه ، وفي حُرْمه من بنتِ وزوجةٍ وأختٍ ، لا يخلصُ شيئاً دونَ شيء ، فأشرفَ ذاتَ يومٍ على مِرْبَدٍ له ، وفي المِرْبَدِ غنمٌ صفايا ، وقد شدَّ يدي شاةٍ وركبها من مؤخرها يكومُها ، فلماً أبصره بَرِقَ وَبَعِلَ^(٢) وسُقِطَ في يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصيٍّ لعدوٍّ له^(٣) لَمَا فارقَ ذلك الهولُ أبداً قلبه ، فكيف وإتّما عينَ أَلذِي عاينَ فيمن كان يخلُفه في نسائه من حُرْمه ومِلْكِ يمينه . فبينما الرجلُ وهو واجم [حزين^(٤)] ، وهو ينظر^(٥) إليه [وقد تحرقّ عليه غيظاً] إذ رَفَعَ الحصى رأسه ، فلماً أثبتَ مولاهُ مرّاً مُسرِعاً نحوَ بابِ الدارِ ليركبَ رأسه ، وكان المولى أقربَ إلى البابِ منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضعُ الذي رآه منه

(١) ط : «السجون» .

(٢) كذا في ل . وفي ط « بعد » ولا وجه له . . وأما (بعل) فهي بمعنى دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

(٣) ط : « لعدوه » .

(٤) موضع هذه الكلمة في ط : « قد برق » .

(٥) ط : « ينتظر » وهو تحريف .

موضِعاً لَا يُصْعَدُ [إِلَيْهِ] ، فَحَدَّثَ لِشَقَائِهِ أَمْرٌ لَمْ يَجِدْ مَوْلَاهُ [مَعَهُ] ^(١) بُدْأً مِنْ صُعودِهِ ، فَلَبِثَ الْخَصِيُّ سَاعَةً يَنْتَفِضُ مِنْ حُمَى . كَبِثَهُ ثُمَّ فَاظَ ، وَلَمْ يُمَسِّ إِلَّا وَهُوَ فِي الْقَبْرِ .

ولفرط إرادتهم النساء ، وبالחסرة التي نالتهن ، وبالأسف الذي دخلهن ، أبغضوا الفحول بأشد من تبغض الأعداء فيما بينهم ، حتى ليس بين الحاسد الباغى وبين أصحاب النعم المتظاهرة ، ولا بين الماشئ المعنى وبين ٨٠ راكب الهملاج الفاره ، ولا بين ملوك صاروا سوقاً ، وبين سوقة صاروا ملوكا ، ولا بين بنى الأعمام مع وقوع التنافس ، أو وقوع الحرب ، ولا بين الجيران والمتشاكلين في الصناعات ، من الشنف والبغضاء ، بقدر ما يلتحف عليه الحصيان للفحول ^(٢) .

وبُغِضُ الْخَصِيِّ لِلْفَحْلِ مِنْ شِكْلِ بُغْضِ الْحَاسِدِ لِذِي النِّعْمَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ شِكْلِ مَا يُولِّدُهُ التَّنَافُسُ وَتُلْحِقُهُ الْجَنَائِيَاتُ .

(نسك طوائف من الناس)

ولرجال كل فن وضرب من الناس ، ضرب من النسك ، إذ لا بد لأحدٍ من النزوع ، ومن ترك طريقته الأولى : فنسك الخصى غزو الروم ، لما أن كانوا هم الذين خصّوهم ، ولزوم أذنة والرباط بطرسوس وأشباهاها . فظن عند ذلك أهل القراصة أن سبب ذلك إنما كان لأن الروم لما كانوا هم الذين خصّوهم ، كانوا مغتاظين عليهم ^(٣) ، وكانت

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٢) ط : « المتشاكسين » موضع « والمتشاكلين » و « التنفير » موضع « الشنف » و « يلتحق » موضع « يلتحف » وما فيها محرف .

(٣) ط : « متغايظين عليهم » .

متطلبَةً إلى التشفى منهم ، فأخرج لهم حبُّ التشفى شدةً الاعتزامِ على قتلهم ،
وعلى الإنفاقِ في كلِّ شيءٍ يبلغُ منهم . ونسكُ الخراسانيُّ أن يُحجَّ : ونسكُ
البنوي^(١) أن يدعَ الديوان . ونسكُ المغنيُّ : أن يُكثرَ التسيحَ وهو يشربُ
النبيدَ ، والصلاةَ على النبي صلى الله عليه وسلم ، والصلاةَ في جماعة . ونسكُ
الرافضيُّ : إظهارُ تركِ النبيدِ . ونسكُ السَّواديُّ تركُ شربِ المطبوخِ فقط .
ونسكُ اليهوديِّ : إقامةُ السبتِ . ونسكُ المتكلمِّ : التسرعُ إلى إكفارِ أهلِ
المعاصي ، وأن يرميَ الناسَ بالجبرِّ ، أو بالتعطيلِ ، أو بالزندقة ، يريدُ أن
يوهمَ أموراً :

منها أن ذلك ليس إلا من تعظيمه للدين ، والإغراق فيه ، ومنها أن
يقال : لو كان نطفًا ، أو مرتابًا ، أو مجتنحًا على بليَّة^(٢) ، لما رمى الناسَ ،
ولرضى منهم بالسلامة ، وما كان ليرميهم إلا للعرِّ الذي في قلبه ، ولو كان
هناك من ذلِّ الريبةِ شيءٌ لقطعه ذلك [عن]^(٣) التعرُّضَ لهم ، أو التنبيهَ على
ما عسى إن حرَّكهم له أن يتحرَّكوا . ولم نجد في المتكلمِّين أنطفَ ولا أكثرَ
عيوبًا ، ممَّن يرمي خصومه بالكفر .

(أبو عبد الله الجماز وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجماز ، وهو محمد بن عمرو^(٤) ، يتعشق جاريةً

-
- (١) في القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبنواوى وبنوى محرَّكة »
وفي رسائل الجاحظ ١٥ ساسي مايفيد أنهم من خراسان . . وهي في ط :
« الجندي » تحريف . وانظر حواشي البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .
(٢) « النطف » : الرجل المريب . . وفي ل : « محتجنا » بدل « مجتنحا » .
(٣) زيادة يقتضها الكلام .
(٤) من أهل البصرة شاعر أديب ، كان ماجنا خبيث اللسان ، دخل بغداد أيام الرشيد =

لآلِ جعفر يقال لها طُعَيان ، وكان لهم خَصِيٌّ يَحْفَظُهَا إِذَا أَرَادَتْ بِيوتَ الْمُغْتَنِّينَ ،
وكان الخصىُّ أَشَدَّ عَشَقاً لَهَا مِنَ الْجَمَازِ ، وكان قد حال بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلَامِهَا ، ٨١
والدنوُّ مَهْمَا ، فقال الجمَازُ [وكان اسم الخادم سنانا] :

ما للمَقِيَّتِ سِنَانٍ وَلِلطَّبَّاءِ الْمِلاحِ
لِبَيْسَ زانٍ خَصِيٌّ غازٍ بغيرِ سلاحٍ (١)

وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِي الفداء لَطْبِي يَحْبِنِي وَأُحِبُّهُ
من أَجْلِ ذاكِ سِنانُ إِذا رَأَى يَسْبُهُ
هَبُّهُ أَجابَ سِناناً يَنِيكُهُ أَيْنَ زُبُّهُ

وقال أيضاً فيهما :

ظِي سِنانُ شَرِيكِي فِيهِ فَبَيْسَ الشَّرِيكُ
فلا يَنِيكُ سِنانُ ولا يَدَعُنَا نَنِيكُ

(ما قيل من الشعر في الخصاء)

وقال الباخريزي^(٢) يذكرُ محاسنَ خِصالِ الخِصيانِ :

ونساء لمطمئنٌ مُقيمٌ ورجال إن كانت الأسفار

= وفي أيام المتوكل . وأعجب به المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها

وانحدرت فمات فرحاً بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(١) ط : « ليس خصي بزنان » وفي ل : « أليس زان خصي » ورأيت الصواب فيما كتبت .

وانظر المحاسن والمساوي ٢ : ٢٠٩ .

(٢) ماعدال والأمبروزيانا : « الماخوري » .

لوقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلْبَانَةٌ ورهاء تخصي حمارها بغي من بغي خيراً إليها الجلامد^(١)]

وقال مزرد بن ضرار :

[فجاءت كخاصي العير لم تحل عاجة ولا جاجة منها تلوح على وشم^(٢)

وقال عمرو الخاركي^(٣)] :

إذا لام على المرد نصيح زادني حرصا

ولا والله ما أفلح ما عمّرت أو أخصي

وقال آخر^(٤) :

رَمَاكَ اللهُ من أيرٍ بأفعي ولا عافاك من جهد البلاء

جَزَاكَ اللهُ شراً من رفيق إذا بلغت بي ركب النساء

أجبتاً في الكريهة حين نلقى وما تنفك تُنعِظُ في الحلاء

فلا والله ما أمسى رفيقي ولولا البول عوجل بالخصاء

(١) الجلبانة : الصخابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) في اللسان : « أبو زيد : الجاجة الخرزة التي لا قيمة لها . غيره : مارأيت عليه عاجة ولا جاجة . وأنشد لأبي خراش الهذلي يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحيت وجاءت إليه مستحية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصي العير : إذا جاء مستحياً وخائباً أيضاً . والعاجة : الوقف من العاج تجعله المرأة في يدها » . والبيت في ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء في الأصل هكذا :

فجاءت كخاصي العير لم تحل حاجة ولا حاجة منها تلوح على وشم

وتصحيحه من اللسان في مادتي (جوج) و (عوج) ومن الصحاح (جوج) ، ومن أمثال الميداني (١ : ١٥٠) مع نسبته إلى أبي خراش الهذلي ، كما في اللسان .

(٣) ياقوت في (خارك) : « منهم الخاركي الشاعر في أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر

في معجم المرزباني ٢١٩ برواية محرفة .

(٤) الأبيات في المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

وقال بعض عبد القيس :

ما كان قحذمُ أبْنُ واهِصَةَ الخُصِي يَرجو المناكحَ في بني الجارودِ (١)
ومِن انتكاسِ الدهرِ أن زُوِّجَتِهَا ولِكلِّ دَهرٍ عَثرَةٌ بِجُدودِ (٢)
لو كان مندرُ إذ خطبت إليهم حياً لكان خصاصك بالمغمود ٨٢

وقال أبو عبيدة : حدثني أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أُحدبٌ
فسقط في بئرٍ فذهبت حَدَبَتُهُ وصار (٣) آدرَ فقيل له : كيف تجدك (٤) ؟
[فقال] : أَلَّذِي جَاءَ شَرٌّ مِنْ أَلَّذِي ذَهَبَ !

وأبو الحسن عن بعض رجاله (٥) قال : خرج معاويةٌ ذاتَ يومٍ يمشي
ومعه خَصِيٌّ له ، إذ دخلَ على ميسونَ ابنةِ بجدلِ (٦) وهي أمُّ يزيدٍ ،
فاستترت منه فقال : أتستترين منه ، وإِنَّمَا هو مثلُ المرأةِ ؟ قالت :
أُتَرَى أَنَّ المثلَةَ به تُحِلُّ ما حَرَّمَ اللهُ تعالى ؟ !

ذَكَرَ مَا جَاءَ فِي خِصَاءِ الدَّوَابِّ

ذَكَرَ آدَمُ بْنُ سَلِيمَانَ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : قَرَأْتُ كِتَابَ عَمْرِو بْنِ رَضِيٍّ أَنَّ اللَّهَ

(١) ط : « مخذم » وهما تحريف ما أثبت من ل . و « واهصة » تصحيح ما في ل ، وهو « وابصة » . وجاءت هذه الكلمة في ط : « راضخة » والوهص والرصح بمعنى ، وهو الدق . وانظر اللسان (وهص) .

(٢) ل : « وجدود » ط : « بهجود » والصواب ما أثبت . والجد : الحظ .

(٣) ط : « صاد » وصوابه من ل .

(٤) ط : « نجدك » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « رجال الأدب » .

(٦) ط : « بجدل » وإِنَّمَا هو « بجدل » بالخاء كما في ل والأغاني والخزانة (٣) : ٥٩٣ بولاق) .

تعالى عنه إلى سعد ، يَنْهَى عن حَذْفِ أذْنا ب الخيل وأعرافها ، وعن خصائِها ، ويأمره أن يُجْرَى من رأس المائتين .. وهو أربعة فراسخ .

وسُفيان الثوري عن عاصم بن عبد الله بن عمر (١) أن عمر رضى الله تعالى عنه كان ينهى عن خِصَاء البهائم ويقول : هل الإِمْماء إلا في الذكور .

وشريك بن عبد الله ، قال : أخبرني إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم النَّخَعِي أن عمر رضى الله تعالى عنه نَهَى عن خِصَاء الخيل .

وسُفيان الثوري عن إبراهيم بن المهاجر قال : كتب عمرُ بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لبعض عماله : لا تُجْرِينَ فرساً إلا من المائتين ، ولا تُشْمِئِينَ فرسا .

قال : وسمعتُ نافعاً يقول : كان عبد الله بن عمر يكره خِصَاء الذكور من الإبل ، والبقر ، والغنم .

وعبيد الله بن عمر عن نافع : أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يكره الخِصَاء ويقول : لا تقطعوا ناميةَ خَلْقِ الله تعالى .

وعبد الله وأبو بكر أبنا نافع عن نافع قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تُحْصَى ذكورُ الخيل ، والإبل ، والبقر ، والغنم ، ويقول : فيها نشأة الخلق ، ولا تصلح الإناث إلا بالذكور .

(١) في ل : « عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله ابن عمر » . وعاصم الذى يروى عنه الثوري هو عاصم بن سليمان الأحول البصرى المتوفى سنة اثنتين - أو ثلاث - وأربعين ومائة . كما في تاريخ بغداد ٩ : ١٥٢ ، ١١ : ٢٤٣ . ففى الإسناد نظر .

ومحمد بن أبي ذئب^(١) قال : سألت الزُّهريَّ : هل بخصاء البهائم بأس ؟
قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، نهى عن صَبْرِ الروح . قال
الزُّهريُّ : والخصاء صبرٌ شديد .

وأبو جعفر الرّازيُّ قال : حدّثنا الرّبيعُ بن أنس ، عن أنس بن مالك
في قوله تعالى : ﴿ وَلَا مَرَمَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : هو الخِصاء . ٨٣
وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس نحوه .

أبو بكر الهذليُّ قال : سألتُ الحسنَ عن خصاء الدواب فقال :
تسألني عن هذا ؟ لعن الله من خصّى الرجال .

أبو بكر الهذليُّ عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا مَرَمَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ
خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : خصاء الدواب . قال : وقال سعيد بن جبیر : أخطأ
[عكرمة] ، هو دين الله .

نصر بن طريف قال : حدّثنا قتادة عن عكرمة في قوله تعالى :
﴿ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : خصاء البهائم . فبلغ مجاهدًا فقال : كذب
هو دين الله .

فمن العجب أن الذي قال عكرمة هو الصواب ، ولو كان دو الخِطأ
لما جاز لأحد أن يقول [له] : كذبت . والناس لا يضعون هذه السكامة

(١) ط : « ذؤيب » موضع « ذئب » ، وهو تحريف مأثبت من ل . ومحمد هو
ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب . وأبو ذئب هو هشام بن شعبة . وترجمة محمد في
تاريخ بغداد ٢ : ٢٩٦ - ٣٠٥ والمعارف لابن قتيبة ٢١٣ . وانظر تأويل
مختلف الحديث ص ١١ .

في موضع خطأ الرأي مَن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان مَن له أن يقول [.
ولو أن إنساناً سمع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال :
إنما يعنى الحِصاء ، لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالة على
شيءٍ دون شيء ، وإذا كان اللفظُ عامًّا لم يكن لأحدٍ أن يقصد به إلى
شيءٍ بعينه (١) إلاَّ أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوةِ
الآية ، أو يكون جبريلُ عليه السلام قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ؛
لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضم (٢) ولا ينوي ، ولا يخصُّ ولا يعمُّ بالقصد ؛
وإنَّما الدلالةُ [في] بنية الكلام نفسه ، فصورة (٣) الكلام هو الإرادة
وهو القصد ، وليس بينه وبين الله تعالى عملٌ آخر كالذى يكون من
الناس ، تعالى الله عن قول المشبهة علوًّا كبيراً .

أبو جرير (٤) عن عمار بن أبي عمار (٥) أنَّ ابنَ عباسٍ قالَ في قوله
تعالى : ﴿ وَلَا مَرْمِسَ فَلَْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : هو الحِصاء .
وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباسٍ مثله .

أبو داود النَّخَعِيُّ ، عن محمد بن سعيدٍ عن عبادة بن نسيٍّ ، عن
إبراهيم بن محيرز قال : كان أحبَّ الخيلِ إلى سلفِ المسلمين ، في عهد عمر ،
وعثمان ، ومعاوية ، رضى الله تعالى عنهم ، الحِصْبَان ؛ فَإِنَّهَا أَخْفَى لِلْكَامِنِ
وَالطَّلَائِعِ ، وَأَبْقَى عَلَى الْجَهْدِ .

(١) ط : « بعيد » والوجه ما في ل .

(٢) ط : « لا يصر » .

(٣) ط : « فصار » .

(٤) ط : « جزء » في كل موضع يذكر فيه « جرير » .

(٥) ل : « عن عمار بن عمار » .

أبو جرير قال : أخبرني ابن جريج عن عطاء أنه لم يرَ بأساً
بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيوب عن ابن سيرين ، أنه لم يكن يرى بأساً بالخصاء ،
ويقول : لو تركت الفحولة لأكل بعضها بعضاً .

وعمر ويونس عن الحسن : أنه لم يكن يرى بأساً بخصاء الدواب .

سفيان بن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنه خصى بعيراً .

[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن عطاء ، أنه سئل عن خصاء
البغل فقال : إذا خفت عضاضه] .

٨٤

(أقوال في النتاج للمركب)

ولنصل هذا الكلام بالكلام الذي قبل هذا في الخلق المركب [وفي
تلاقح الأجناس المختلفة . زعموا أن العسبار ولد الضبع من الذئب ، وجمعه
عسبار و] . قال الكميت :

وتجمّع المتفرّقون من الفراعيل والعساير^(١)
رميهم بأنهم أخلاط ومعلّهجون .

(السمع ولد الذئب من الضبع)

وزعموا أنّ السمع ولد الذئب من الضبع ، ويزعمون أنّ السمع

(١) روى صاحب اللسان هذا البيت وقال : « فقد يكون - يعنى العسبار - جمع العسبر
(كقنفذ) وقد يكون جمع عسبار وحذفت الياء للضرورة . والفرعل : ولد الضبع
من الضبعان » يعنى الذكر من الضباع .

كالحية لاتعرف العِلل ، ولا تموتُ حَتْفَ أنفِها ، ولا تموت إلا بعَرَضٍ
يَعْرِض لها . وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ لا يَعْدُو شَيْءٌ كَعْدُو السَّمْع ، وَأَنَّهُ أَسْرَعُ
مِنَ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ .

وقال سهم بن حنظلة يصف فرسه :

فَاعْصِرِ الْعَوَازِلَ وَارْزِمِ اللَّيْلَ فِي عَرْضِ

بَدَى شَيْبٍ يُقَامِي لَيْلَهُ خَبِيًّا

كَالسَّمْعِ لَمْ يَنْقَبِ الْبَيْطَارُ سِرَّتَهُ وَلَمْ يَدِجْهُ وَلَمْ يَغْمِزْ لَهُ عَصَبًا (١)

وقال ابن كُنَاسَةَ (٢) يصف فرسا :

كَالْعُقَابِ الطُّلُوبِ يَضْرِبُهَا الطُّ

لٌ وَقَدْ صَوَّبَتْ عَلَى عِسَابِ (٣)

وقال سَوْرُ الذَّنْبِ (٤) :

هُوَ سَمِعٌ إِذَا تَمَطَّرَ شَيْئًا وَعُقَابٌ يَحْتُهَا عِسَابُ

يقول : إِذَا اشْتَدَّ هَرَبُ الْمَطْلُوبِ الْهَارِبِ مِنَ الطَّالِبِ الْجَادِّ ، فَهُوَ أَحْتٌ
لِلطَّالِبِ ؛ وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ صَارَ الْمَطْلُوبُ حَيْثُذِي فِي مَعْنَى مِنْ يَحْتُ الطَّلِبَ ،
إِذَا صَارَ إِفْرَاطَ سُرْعَتِهِ سَبَبًا لِإِفْرَاطِ طَلْبِ الْعُقَابِ .

وقال تَابِطُ شَرًّا (٥) ، [أَوْ أَبُو مُحَرَّرِ خَلْفِ بْنِ حَيَّانِ الْأَحْمَرِ] :

(١) ط : « ولم يرجه » موضع « ولم يدجه » والودج : قطع الودج : عرق في العنق .
وانظر معجم المرزباني ٣٤١ .

(٢) ط : « أبو كناسة » وصوابه في ل . وله ترجمة في فهرست ابن النديم ٧١ لبيسك ،
١٠٥ مصر . توفي سنة ٢٠٧ .

(٣) ط : « والعقاب » .

(٤) البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « ابن أخت تابط شرا » . . والقصيد في حاسة أبي تمام (١ : ٣٤١ - ٣٤٧) .

مُسْبِلٌ بِالْحَيِّ أَحْرَى رِفْلٌ وَإِذَا يَعْنُو فِسْمِعُ أَزَلٌ
وَلَمَّا قَالَ أَزَلٌ وَجَعَلَهُ عَادِيًا وَوَصَفَهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ ابْنُ الذَّنْبِ .

وقال الأصمعي :

يدير عيني لمظة عسبارة (١)

وقال في موضع آخر :

كأن منها طرفه استعاره (٢)

وقال آخر :

تلقى (٣) بها السمع الأزَلَّ الأطلسا

(الديسم ولد الذئب من الكلبة)

وزعموا أَنَّ وَلَدَ الذَّنْبِ مِنَ الْكَلْبَةِ الدَّيْسِمُ ، وَرَوُوا لِبَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ

فِي دَيْسِمِ الْعَنْزِيِّ أَنَّهُ قَالَ :

أَدَيْسِمُ يَا ابْنَ الذَّنْبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ

أَتَرَوِي هِجَائِي سَادِرًا غَيْرَ مُقْصِرٍ

وزارع : أسم الكلب ، يقال للكلاب أولاد زارع .

(زعم لأرسطو في النتاج المركب)

وزعم صاحب المنطق أن أصنافاً أُخْصِرَ مِنَ السَّبَاعِ الْمُتَزَاوِجَاتِ

(١) ط : « لاطة » موضع « لمظة » ولعل صوابهما « لظة » بمعنى ملحمة ، كما يظهر
أن هناك كلاماً سابقاً بعد « قال الأصمعي » ، تقديره « يقال عسبار وعسبارة . وأنشد »
وأن عبارة « وقال في موضع آخر » مقحمة على الكتاب .

(٢) ن : « شبة » موضع « منها » .

(٣) ط : « يلتقى » .

٨٥ المتلاقيحات مع اختلاف الجنس والصورة ، معروفة النتاج مثل الذئاب التي تسفد الكلاب في أرض رومية . قال : وتولد أيضا كلاب سلوقية من ثعالب و كلاب . قال : وبين الحيوان الذي يسمى باليونانية طاغريس (١) وبين الكلب ، تحدث هذه الكلاب الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا]
أن نتاج الأولى يخرج صعباً وحشياً لا يلقن (٢) ولا يؤلف .

(تلاحح السبع والكلبة)

وزعم [لي بعضهم عن رجلٍ من أهل الكوفة من بني تميم] أن الكلبة تعرض لهذا السبع حتى تلقح ، ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليل الصعوبة يقبل التلقين ، وأثم يأخذون إناث الكلاب ، ويربطونها في تلك البرارى ، فتجئ هذه السباع وتسفدها ، وليس في الأرض أنثى يجتمع على حب سفادها ، ولا ذكر يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناس المختلفة ، أكثر في ذلك من الكلب والكلبة . قال : وإذا ربطوا هذه الكلاب الإناث في تلك البرارى ، فإن كانت هذه السباع هائجة سفدتها ، وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان (٣) :

(١) كذا في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ ول . وفي ط : « طاغويس » .

(٢) كذا في ل ونهاية الأرب . وفي ط « يألف » .

(٣) قال الجاحظ في شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدري بصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا من أبي الوزير ، وأبي عدنان المعلمين ، وحاملهما من أول ما ذكر =

أيا باكي الأطلالِ في رَسْمِ دمنةٍ
 ترُودُ بها عينُ المَهَا والجَاذِرُ
 وعاناتُ جَوَالٍ وهَيْنٌ سَفَنَجٌ وسنداوةٌ فضفاضةٌ وحَصَاجِرُ^(١)
 وسَمِعٌ خَفِيُّ الرِّزِّ ثَلْبٌ ودَوْبَلٌ
 وثرَمَلَةٌ تعتادها وعَسَابِرُ^(٢)

وقد سمعنا ما قال صاحبُ المنطق من قبل ، وما نظنُّ بمثله أن يخلد على نفسه في الكتبِ شهاداتٍ لا يَحَقِّقُها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء ، وما عندنا في معرفة ما ادَّعى إلا هذا القول .

وأما الذين ذكروا في أشعارهم السَّمْعَ والعِسابِرَ ، فليس في ظاهر كلامهم دليلٌ على ما ادَّعى عليهم الناسُ من هذا التركيب المختلف ، فأدبنا الذي قالوا وأمسكنا عن الشهادة ، إذ لم نجد عليها بُرْهانا .

(أولاد السعلاة)

وللناس في هذا الضَرْبِ ضروبٌ من الدعوى ، وعلماءُ السوء يُظهرون تجويزها وتحقيقها ، كالذي يدَّعون من أولاد السَّعَالِي من الناس ، كما ذكروا عن عمرو بن يربوع ، وكما يروى أبو زيدٍ النحويُّ عن السَّعلاة

= من أيام الصبا « البيان ١ : ٢٥٢ ، وقد عده ابن النديم من صنف في غريب الحديث . الفهرست ٨٧ لبيسك ، ١٢٩ مصر .

(١) السنداوة : الذئبة ، كما في الديميري . والفضفاضة : اللحية الجسيمة . وبدلها في ط : « تصبى به » . وحصاجر : اسم للضبوع أو لولدها ، معرفة لا ينصرف لأنه اسم لواحد على بنية الجمع .

(٢) ط : « ثبت » مكان « ثلب » . وفي القاموس : الثلب بالكسر وككتف : المغيب .

التي أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم ، فلما رأت برقاً يلمع من شقِّ بلاد السَّعالي ، حنَّت وطارت إليهم ، فقال شاعرهم (١) :

رأى بَرَقاً فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَسْكَرٍ فَلَا بِكَ مَا أَسَالَ وَمَا أَغَامَا (٢)

وأنشدني أن الجنَّ طرَقوا بعضهم فقال (٣) :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنْونَ أَنْتُمْ فَقَالُوا الْجِنُّ قَاتُ عَمُوا ظَلَامًا
فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَا
ولم أعِب الرواية ، وإِنَّمَا عبِتُ الْإِيمَانَ بِهَا ، والتوكيدُ لمعانيها . فما أَكْثَرَ
من يَرَوِي هذا الضَرْبَ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْهُ ، وَعَلَى أَنْ يَجْعَلَ الرِّوَايَةَ [له]
سَبَباً لِتَعْرِيفِ النَّاسِ حَقَّ ذَلِكَ مِنْ بَاطِلِهِ ، وَأَبُو زَيْدٍ وَأَشْبَاهُهُ مَأْمُونُونَ
عَلَى النَّاسِ ؛ إِلَّا أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَتَكَلِّمًا حَازِقًا ، وَكَانَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ
قَدْوَةً وَإِمَامًا ، فَمَا أَقْرَبَ إِفْسَادِهِ لَهُمْ مِنْ إِفْسَادِ الْمُتَعَمِّدِ لِإِفْسَادِهِمْ !

وأنشدوا في تثبيتِ أولاد السَّعلاة :

تَقُولُ جَمْعٌ مِنْ بُؤَانٍ وَوَتِيدٌ وَحَسَنٌ أَنْ كَلَّفَتْنِي مَا أَجِدُ (٤)
وَلَمْ تَقُلْ جِيءَ بِأَبَانٍ أَوْ أُحْدُ (٥) أَوْ وَلِدِ السَّعَلَةِ أَوْ جِرِوِ الْأَسَدِ
أَوْ مَلِكِ الْأَعْجَامِ مَأْسُورًا بَقْدُ (٦)

(١) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة ، كما في نوادر أبي زيد ١٤٦ .

(٢) ط : « فلأيا » موضع « فلا بك » وما أثبتته من ل ومن النوادر .

(٣) الشعر لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبي كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق . وانظر الخزانة ٣ : ٦ .

(٤) ط : « أقول » مكان « تقول » وفي ل : « وحسن كلفتني . . . » ، وفي كليهما « ما لم أجِد » وهو تحريف .

(٥) ط : « ما لم تقل » موضع « ولم تقل » .

(٦) ل : « الأعجم » . ابن منظور : رجل أعجم وقوم أعجم ، قال :

سلوم لو أصبحت وسط الأعجم في الروم أو في فارس أو في الديلم

إذا نزلناك ولو بسلم

وقال آخر^(١) :

يا قاتلَ اللهِ بَنِي السَّعْلَةِ عمراً وقابوساً شرارَ النّاتِ

(ما زعموا في جرمهم)

وذكروا أنَّ جُرْهُمًا كان من نِتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، وكان الملكُ من الملائكة إذا عصى ربّه في السماء أهبّطه إلى الأرضِ في صورةِ رجل ، وفي طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهما وشأن الزُّهرة ، وهي أناهيد^(٢) ما كان ، فلمّا عصى الله تعالى بعضُ الملائكة وأهبّطه إلى الأرضِ في صورةِ رجل ، تزوّج أمَّ جُرْهم فولدت له جُرهما ، ولذلك قال شاعرهم^(٣) :

لاهُمَّ إِنَّ جُرْهُمَا عِبَادُكَ النَّاسِ طِرْفٌ وَهُمْ تِلَادُكَ^(٤)

(ما زعموا في بلقيس وذى القرنين)

ومن هذا النسل ومن هذا التركيب والنجل^(٥) كانت بلقيس ملكة

(١) هو علباء بن أرقم كما في النوادر ١٠٤ . والبيت الثاني يروى بسدله في الأمالى ٢ : ٦٨ :

عمرو بن يربوع شرار النّات

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل . وقد ذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٢٢ أسماء الكواكب بالفارسية ، فقال : « كيوان ، هرمز ، بهرام ، خور ، ناهيد ، تير ، ماه » ، بمعنى زحل ، المشتري ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

(٣) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ، كما في شرح الأنباري للقصائد السبع ص ٢٥٥ .

(٤) ماعدال والأمروزيانا : « طارف » .

(٥) ط : « النحل » وصوابه « النجل » كما في ل .

سبباً ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمه فيرى آدميةً وأبوه عبري^(١) من الملائكة . ولذلك^(٢) لما سمع عمرُ بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادى : ياذا القرنين ، فقال : أفرعتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة ؟ .

وروى المختار^(٣) بن أبي عبيد أن عايلاً كان إذا ذكر ذا القرنين ٨٧ قال : ذلك الملك الأمروط .

(ما زعموا في تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس ، لقوله تعالى : ﴿ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجنَّيات إنما تعرض لصرع رجال الإنس على جهة التعشق وطلب السَّفاد^(٤) ، وكذلك رجال الجنِّ لنساء بنى آدم ، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال ، والنساء للنساء ، ونساؤهم للرجال والنساء .

ومن زعم أن الصرع من المرّة ، ردّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ . فلو كان الجنان لا يفتضُّ

(١) في ل : « عبري » بدل « فيرى » وهى فى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى « فيرى » .
و « عبري » بدلها فى الرسائل : « عبري » .
(٢) ط والأمبروزيانا « وكذلك » .
(٣) هو المختار الثقفى من زعماء الثأرين على بنى أمية ، وكان يقال له كيسان ، وإليه تنسب الطائفة الكيسانية . توفى سنة ٦٧ .
(٤) ل : « الفساد » وليس بشيء .

الآدَمِيَّاتِ ، ولم يكن ذلك قطُّ ، وليس ذلك في تركيبه ، لما قال الله تعالى
هذا القول .

(ما زعموا في النسناس وغيره)

وزعموا أن النسناس تركيب ما بين الشق والإنسان . ويزعمون أن خلقاً
من وراء السدّ تركيب من النسناس ، والناس ، والشقّ ، وأجوج ومأجوج .
وذكروا عن الواقواق والدوال باي (١) أنهم نتاج ما بين بعض النبات والحيوان .
وذكروا أن أمةً كانت في الأرض ، فأمر الله تعالى الملائكة فأجلوهم ؛
وإياهم عنوا بقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . ولذلك قال الله عزّ وجلّ لآدم وحواء :
﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فهذا يدلُّ على أن ظالماً
وظالماً قد كان في الأرض .

قال الأصمعيُّ - أو خلفٌ - في أرجوزة مشهورة ، ذكر فيها طول
عمر الحية :

أَرْهَشُ إِنْ أَسْبَطَ أَوْ تَثَبَّى حَسِبْتَ وَرُسًا خَالِطَ الْبِرْنَآ (٢)

خَالِطُهُ مِنْ هَاهُنَا وَهَنَّا إِذَا تَرَاهُ الْخَوَاةُ أَسْتَنَّا (٣)

قال : وكان يقال لتلك الأمة مهنا (٤) .

(١) ط : « الدوال » ل : « الدوال باي » وانظر حواشي البغال ص ٣٧٤ .

(٢) الورس : نبت أصفر يزرع باليمن ويصيف به . وقيل : صنف من السكرم . كذا
في المصباح . والبرنأ : الحناء .

(٣) ط : « إذا أتى إدا الخداة استنا » . واستن : أسرع .

(٤) ط : « هينا » ، وفي رسائل الجاحظ ٩٩ « هيا » .

(قول المجوس في بدء الخلق)

وزعم المجوس أن الناس من ولد مهنة ومهينة ، وأمهات تولدا فيما بين أرحام الأرضين ، ونطفتين ابتدرتا^(١) من عيني ابن هُرْمُز حين قتله هرمز . وحقاقت أصحاب الاثنین كثيرة في هذا الباب . ولولا أنني أحببت أن تسمع نوعا من الكلام ، ومبلغ الرأي ، لتحدثت لله تعالى شكراً على السلامة ، لما ذكرت كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنه رأى بالكوفة فتى من ولد عبد الله بن هلال الحميري^(٢) ، صديق إبليس وختنه ، وأمه كانوا لا يشكون أن إبليس جدّه من قبل أمهاته . وسنقول في ذلك بالذي يجب إن شاء الله تعالى . وصلة هذا الكلام تجيء بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار في الكلب والديك)

٨٨ وقلت : ولو تمّ للكلب معنى السبع وطباعه ، لما ألف الإنسان ، واستوحش من السبع ، وكره الغياض ، وألف الدُّور ، واستوحش من البراري وجانب القفار ، وألف المجالس والديار . ولو تمّ له معنى البهيمة .

(١) ط : « ابتدرتا » .

(٢) كان في زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبة ونيرنجات ، يدعى أن إبليس يتراءى له ويصادقه ويكاتبه ويطلع على أسراره . ثمار القلوب ٥٧ .

في الطبع والخلق والغذاء ، لما أكل الحيوان ، وكَلِبَ على النَّاسِ . نعمٌ
حتى رُبَّمَا كَلِبَ وَوَثَبَ على صاحبه وكابِ على أهله . وقد ذكر ذلك
طرفة فقال :

كُنْتُ لَنَا وَالذُّهُورَ آوِنَةٌ تَقْتُلُ حَالَ النَّعِيمِ بِالْبُؤْسِ
كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ (١) يَعْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْغَلَسِ
ظَلٌّ عَلَيْهِ يَوْمًا يُفْرِفِرُهُ إِلَّا يَلْغُ فِي الدَّمَاءِ يَنْتَهِسِ

وقال حاجب بن دينار (٢) المازني في مثل ذلك :

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَعْنَمَ عَلَيْكُمْ بِمَالٍ وَسُاطَانٍ إِذَا سَلِمَ الْحَبْلُ
كَذِي الْكَلْبِ لَمَّا أَسْمَنَ الْكَلْبُ رَابَهُ
بِإِحْدَى الدَّوَاهِي حِينَ فَارَقَهُ الْجَهْلُ

وقال عوف بن الأحوص (٣) :

فَأِنِّي وَقِيْسًا كَالْمَسْمَنِ كَلْبِهِ مُخَدِّشُهُ أَنْيَابَهُ وَأُظَافِرُهُ

وأنشده ابن الأعرابي لبعضهم (٤) :

وَهُمْ سَمَّنُوا كَلْبًا لِيَأْكُلَ بَعْضَهُمْ وَلَوْ ظَفَرُوا بِالْحَزْمِ مَا سَمَّنَ الْكَلْبُ
وَفِي الْمَثَلِ (٥) : « سَمَّنَ كَلْبَكَ يَا كُكَّكَ » .

(١) ط : « يرييه » . والأبيات ليست في ديوان طرفة . والبيت الثاني والثالث في ثمار القلوب

٣١٤ وفيه حديث عن كلب طسم . وانظر أيضا السهيلي ٢ : ٦٣ .

(٢) ط : « ذبيان » وإنما هو « دينار » كما في ل والبيان ٢ : ١٨٣ .

(٣) انظر يوم الفروق في مجمع الأمثال ٢ : ٥٧ . وقيس المذكور في البيت هو

قيس بن زدير . والرواية في مجمع الأمثال ، وفي ثمار القلوب ٣١٥ « فخدشه

أنيابه وأظافره » .

(٤) هو مالك بن أسماء ، كما في الثمار ٣١٥ .

(٥) ط : « الأثر » .

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجاج بن يوسف ، وكان يحضّر طعامه ، فكتب إلى أهله يخبرهم بما هو فيه من الخصب ، وأنه قد سمن فكتبت إليه امرأته (١) :

أُتهدى لى القيرطاسَ والحبزُ حاجتي وأنتَ على بابِ الأميرِ بطينُ
إذا غبتَ لم تذكُرْ صديقاً وإن تقمُ فأنتَ على ما فى يدكِ ضنينُ
فأنت ككلبِ السوءِ فى جوعِ أهله فيُهزَلُ أهلُ الكلبِ وهو سمينُ

وفى المثل : « سمن كلب فى جوع أهله » ، وذلك أنه عند السواف (٢)

يصيب المال ، والإخداج (٣) يعرض للثوق ، [يأكل الجيف فيسمن (٤)] .

وعلى أنه حارسٌ مُحترسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإيحاء من نفسه ، وأليفٌ

كثير الحيانة على إلفه . وإنما اقتنوه على أن يندرهم بموضع السارق ،

٨٩ وتركوا طرده لينبهم (٥) على مكان المبيت . [وهو أسرقٌ من كل سارق ،

وأدومٌ جنايةٌ من ذلك المبيت] . ويدلُّ على أنه سروقٌ عندهم ،

قولُ الشاعر :

أرِى أَن سَرَى كَلْبٌ فَيَتَّ جُلَّةٌ وَجَبَّجَبَةً لِلوُطْبِ لَيْلَى تَطْلُقُ (٦)

(١) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ٢ : ١٣٦ مع اختلاف فى الرواية .

(٢) ط : « الصواف » وإنما هو « السواف » كما فى ل . والسواف كخراب : الموتان فى الإبل .

(٣) أخذت الناقة : أتت بولد ناقص .

(٤) زدتها ليم الكلام ، اعتماداً على ما فى نوادر أبى زيد ٢٤٨ ، وأمثال الميدانى (٢ : ٢٦٣) .

(٥) فى الأصل : « لينبهم » ولم يعهد تعدية هذا الفعل بعلى . وأثبت ما فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ .

(٦) ط : « أخی » بدل « أقى » ، و « حلة » مكان « جلة » . وتصحيح البيت

من ل واللسان (جيب) . وفيه « سلمى » موضع « ليلى » . والجللة ، بالضم :

وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكثر . والجججة ، بفتح الجيمين أو ضمهما :

الكرش يجعل فيه اللحم المقطع يتزود به فى الأسفار . وقال ابن الأعرابى : هو جلد جنب

البعير يقور ويجعل فيه اللحم الذى يدعى الوشيقة . والوشيقة : لحم يغلى بإغلاء ثم يقدد ،

فهو أبى ما يكون .

فهو سَرَّاقٌ ، وصاحب بَيَاتٍ ، وهو نَبَّاشٌ ، وآكلُ لحومِ النَّاسِ . ألا إنَّه يجمعُ سرقةَ الليلِ مع سرقةِ النَّهارِ ، ثم لا تجده أبداً يمشى في خِزانةٍ ، أو مطبخٍ ، أو عَرَصَةِ دارٍ ، أو في طريقٍ ، أو في بَراريٍّ ، أو في ظهيرِ جَبَلٍ ، أو في بَطْنِ وادٍ ، إلاَّ وخطمُهُ في الأرضِ يتشمَّمُ ويستروحُ ، وإنَّ كانت الأرضُ بيضاءَ حَصَاءً^(١) ودَوِيَّةً ملساءً ، أو صخرةً خلقاءً ؛ حرصاً وجشعاً ، وشرها وطمعاً . نعم حتَّى لا تجده أيضاً يرى كلباً إلاَّ اشمَّ استمه ، ولا يتشمَّمُ غيرها منه ، ولا تراه يُرمي بحجرٍ أيضاً أبداً إلاَّ رجعَ إليه فعصَّ عليه ؛ لأنَّه لما كان لا يكاد يأكلُ إلاَّ شيئاً رموا به [إليه] صار ينسى لِفِرطِ شرِّه وغلبةِ الجشعِ على طبعه ، أنَّ الراميَ إنما أراد عقره أو قتله ، فيظنُّ لذلك أنَّه إنما أراد إطعامه والإحسانَ إليه . كذلك يخيَّلُ إليه فرطُ النهمِ وتوهمه غلبتهُ الشرِّه ، ولكنَّه رمى بنفسه على الناسِ عجزاً ولؤماً ، وفُسولةً ونقصاً ، وخافَ السباعَ واستوحش من الصَّحارى .

ولمَّا سمِعوا بعضَ المفسرين يقول في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ إِنَّ المحروم هو الكلب ؛ وسمِعوا في المثل : « اصنعوا المعروفَ ولو إلى الكلب » عطفوا عليه واتَّخذوه في الدُّور . وعلى أنَّ ذلك لا يكون إلاَّ من سفلتهم وأغبيائهم ، ومن قلَّ تقزُّزُهُ^(٢) وكثُرَ جهلُهُ ، وردَّ الآثارَ إمَّا جهلاً وإمَّا معاندةً .

وأما ألدِّيك فمِن بهائمِ الطيرِ وبعائها ، ومن كلِّولها والعِيالِ على

(١) ط : « وحصاء » والوجه ما أثبت من ل ، كما في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ نقلا عن الحيوان . والحصاء : الجرداء .

(٢) ط : « تقزُّزه » .

أربابها ، وليس من أحرارها ولا من عتاقها وجوارحها ، ولا مما (١) يطربه بصوته ويُسجى بلحنه ، كالقمارى والدَّباسى والشَّفانين (٢) والوراشين والبلابل والفواخت ، ولا مما يُونق بمنظره ويمتاع الأبصارَ حسنه ، كالطواويس والتدارج ، ولا مما يعجب بهديته ويُعقد الذمام بإلفه ونزاعه ، وشدة أنسه وحنينه ، وتُریده بإرادته لك ، وتعطف عليه لحبه إياك ، كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات (٣) الطيران منها ، فهو طائرٌ لا يطير ، وبهيمهٌ لا يصيد ، ولا هو أيضاً مما يكون صيداً فيمتع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللذة .

والخفّاش أمرط ، وهو جيّد الطيران ، والدّيك كاسٍ وهو لا يطير .
وأى شيء أعجب من ذى ريشٍ أرضى ، ومن ذى جلدَةٍ هوأى .

وأجمع الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزّواج إلا في الإنسان ٩٠
وفي الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثم كان ممن لا يزواج ، لقد كان قد مُنع هذه الفضيلة وعدم هذه المشاكلة الغريبة ، وحُرم هذا السبب الكريم والشبه المحمود . فكيف وهو لا يزواج ، وهو من الطير الذى ليس الزواج والإلف وثبات العهد ، وطلبُ الذرء وحبُّ النسل ، والرجوعُ إلى السكن والحنين إلى الوطن — إلا له وللإنسان . وكلُّ شيء لا يزواج فإنما دخله النقص وخسر هذه الفضيلة من جهةٍ واحدة ، وقد دخل الديك النقص

(١) ط : « ممن » وكذلك يتكرر هذا الخطأ في كل موضع أتت فيه « مما » . وقد جاء على الصواب الذى أثبتته ، في ل .

(٢) ط : « الشفانين » وصوابه بالفاء كما في ل . وهو جمع شفتين بالكسر ، وقد تحدث عنه الجاحظ في ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الديمرى .

(٣) في الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلا للعاقلين ، والوجه ما أثبت .

مِنْ جِهَتَيْنِ . ووصف أبو الأَخْزَرِ الحِمَّانِيُّ الحِمَارَ وَعَيْرَ العَانَةِ خَاصَّةً (١) ،
فإنَّه أمثلٌ في باب المعرفة من الأهلِيِّ ، فذكر كيف يضرب في الأُتُنِ ، ووصفَ
استبهامه عن طلب الولد ، وجهله بموضع الذَّرءِ ، وأنَّ الولدَ لم يجي منه عن
طلبٍ له ، ولكن التُّطفة البريئة من الأسقام ، إذا لاقت الأرحام البريئة من
الأسقام حَدَثَ التَّنَاجِ على الخَلقة ، وعلى ما سوَّيت عليه البنية (٢) . وذكر أنَّ
نزوه على الأتان ، من شكل نزوه على العير ، وإِنَّمَا ذلك على قدر ما يحضره
من الشَّبَقِ ، ثمَّ لا يلتفت إلى دُبُرٍ من قُبُلٍ ، وإلى ما يَلْقَحُ [من مثله ممَّا
لا يُلْقَحُ] فقال :

* لا مُبْتَغَى الضَّنِّ ولا بالعازل (٣) *

يقول : هو لا يريد الولد ولا يعزل .

والأشياء التي تألفُ النَّاسَ ولا تريدُ سِوَاهُمْ ، ولا تحنُّ إلى غيرهم ،
كالعصفور والحطَّاف والكلب والسَّنور . والدَّيْكَ لا يَأْلَفُ مَنْزِلَهُ ولا رَبْعَهُ
ولا يُنَازِعُ (٤) إلى دجاجته ولا طُرُوقته ، ولا يحنُّ إلى ولده ، بل لم يَدِرْ
قطُّ أنَّ له ولدًا ؛ ولو دَرَى لكان على دِرَايَتِهِ دليل ، فإذا وجدناه
ليبيضه (٥) وفراريجِه الكائنة منه ، كما نجدُه لما لم يلدُه ولمَّا ليسَ من شكَلِهِ
ولا يرجع إلى نسبه ، فكيف تُعرَفُ الأمور إلا بهذا وشبهه . وهو مع ذلك

(١) ط : « وغير العانة خاصة » وصوابه في ل . وانظر ص ٥٠ .

(٢) ط : « عن » بدل « على » .

(٣) ط : « لضنى » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « يحن » فتضعف العبارة بالتكرار .

(٥) ط : « فإذا وجدناه ليبيضه » والوجه ما في ل .

أَبْلَهُ لَا يَعْرِفُ أَهْلَ دَارِهِ ، وَمَبْهُوتٌ لَا يُثْبِتُ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَهُوَ لَمْ يُخْلَقْ إِلَّا عِنْدَهُ وَفِي ظِلِّهِ ، وَفِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، وَتَحْتِ جَنَاحِهِ .

وَالكَلْبُ عَلَى مَا فِيهِ يَعْرِفُ صَاحِبَهُ ، وَهُوَ وَالسَّنَّورُ يَعْرِفَانِ أَسْمَاءَهُمَا ، وَيَأْلِفَانِ مَوْضِعَهُمَا ، وَإِنْ طُرِدَا رَجَعَا ، وَإِنْ أُجِيعَا صَبَرَا ، وَإِنْ أَهْنِيَا احْتَمَلَا .

وَالدِّيكُ يَكُونُ فِي أَلْدَارٍ مِنْ لَدُنْ كَانَ فَرُوجاً صَغِيراً إِلَى أَنْ صَارَ دِيكاً كَبِيراً ، وَهُوَ إِنْ خَرَجَ مِنْ بَابِ أَلْدَارٍ ، أَوْ سَقَطَ عَلَى حَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِ الْجِيرَانِ ، أَوْ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ ، لَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ الرَّجُوعِ ، وَإِنْ كَانَ يُرَى مَنْزِلُهُ قَرِيباً ، وَسَهْلٌ (١) الْمَطْلَبِ يَسِيراً ، وَلَا يَذْكُرُ وَلَا يَتَذَكَّرُ ، وَلَا يَهْتَدِي وَلَا يَتَصَوَّرُ لَهُ كَيْفَ يَكُونُ الْإِهْتِدَاءُ ، وَلَوْ حَنَّ لَطَلَبَ ، وَلَوْ احْتِاجَ لَاتَمَسَ . وَلَوْ كَانَ هَذَا الْخَبْرُ فِي طَبَاعِهِ لظَهَرَ ، وَلَسَكُنَّهَا طَبِيعَةً بِلَهَاءٍ مُسْتَبْهِمَةٍ ، طَاحِمَةٍ (٢) وَذَاهِلَةٍ ، ثُمَّ يَسْفُدُ الدَّجَاجَةَ وَلَا يَعْرِفُهَا ، هَذَا مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا وَحَرِيصِهِ عَلَى السَّفَادِ ، وَالْحَاجَةُ تَفْتِقُ الْحِيلَةَ ، وَتَدُلُّ عَلَى الْمَعْرِفَةِ ، إِلَّا مَا عَلَيْهِ أَلْدِيكُ ؛ فَإِنَّهُ مَعَ حَرِيصِهِ عَلَى السَّفَادِ ، لَا يَعْرِفُ الَّتِي يَسْفُدُ ، وَلَا يَقْصِدُ إِلَى وُلْدِهِ ، وَلَا يَحْضُنُ بِيضاً وَلَا يَعْطِفُهُ رَحِمٌ ، فَهُوَ مِنْ هَاهُنَا أَحْمَقُ مِنَ الْخُبَّارِيِّ وَأَعْقُ مِنَ الضَّبِّ .

وَقَالَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « كَلُّ شَيْءٍ يَجِبُ وَوَلَدَهُ حَتَّى الْخُبَّارِيِّ » . فَضَرَبَ (٣) بِهَا الْمَثَلَ كَمَا تَرَى فِي الْمَوْقِ وَالغَفْلَةِ ، وَفِي الْجَهْلِ وَالْبَلْغَةِ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : « أَعْقُ مِنَ الضَّبِّ » ؛ لِأَنَّهُ يَأْكُلُ حُسُولَهُ .

(١) ط : « وسبيل » .

(٢) لعلها « جامحة » .

(٣) الأمبروزيانا : « يضرب » .

(أكل الهرة أولادها)

وكرّم عند العرب حظّ الهرة ، لقولهم : « أبرد من هرة ، وأعق من ضبّ » فوجّهوا أكل الهرة أولادها على شدة الحب لها ، ووجّهوا أكل الضبّ لها على شدة البغض لها ، وليس ينجو منه شئٌ منها إلا بشغله بأكل إخوته عنه ، وليس يحرسها ممّا يأكلها إلا ليأكلها . ولذلك قال العمّلس ابن عقيل ، لأبيه^(١) عقيل بن علفة :

أكلتَ بَنِيكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى وَجَدتَ مَرَارَةَ السِّكَاكِ الوَيْلِ
فلو أنّ الألى كانوا شهوداً منعتَ فِنَاءَ بَيْتِكَ من بَجِيلِ
وقال أيضاً^(٢) :

أكلتَ بَنِيكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى تَرَكَتَ بَنِيكَ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيدُ
وشبهه السيّد بن محمد الحميرى ، عائشة رضى الله تعالى عنها فى نصبها الحرب يوم الجمل لقتال بنينا ، بالهرة حين تأكل أولادها ، فقال :
جاءت مع الأشقين فى هودجٍ تُزجى إلى البصرة أجنادها
كأنها فى فعلها هرة تُريد أن تأكل أولادها

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : « أحق من جهيزة » ، وهى عرس الذئب ؛ لأنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع .

قال : وهذا معنى قول ابن جدل الطعان^(٣) .

كمرّضعة أولادٍ أخرى وضيّعتَ بَنِيهَا فلم ترفعَ بذلك مرّفاً ٩٢

(١) ل : « لابنه » والصواب ما فى ط . وفى الأغاني ١١ : ٨٩ أن الشعر لأرطاة ابن سببة .

(٢) هذه الجملة والبيت بعدها ، ليسا فى ل . وانظر المقدم ٦ : ٤٩ .

(٣) ط : « ابن جزل الطعان » وتصحيحه من ل . والبيت فى الثمار ٣١٣ والرواية فيه : « فلم تحسن بما فعلت صنعا » . وانظر حاسة البحرى ١٧٠ .

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إِنَّ الضَّبَعَ إِذَا صِيدَتْ أَوْ قُتِلَتْ ، فَإِنَّ الذَّبَّ يَأْتِي أَوْلَادَهَا

بِاللَّحْمِ . وَأَنْشَدَ الْكُمَيْتُ :

كَمَا خَامَرَتْ فِي حِضْنِهَا أُمَّ عَامِرٍ لِنَدَى الْجَبَلِ حَتَّى عَالَ أَوْسٌ عِمَا لَهَا (١)
وَأَوْسٌ هُوَ الذَّبُّ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ ذُوِّ آلِهِ ضِغْتُ يَزِيدُ عَلَيَّ إِبَالَهَ

فَلَأَحْشَأَنَّكَ مَشْقَصًا أَوْسًا أَوْيسُ مِنْ الْهَبَالِهَةِ (٢)

الْأَوْسُ : الْإِعْطَاءُ ، وَأَوْيسٌ هُوَ الذَّبُّ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْهَنْدِيُّ (٣) :

يَا لَيْتَ شَعْرَى عَنكَ وَالْأَمْرُ أَمَمٌ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أَوْيسُ فِي الْغَمِّ

وَقَالَ أَمِيَّةُ بِنْتُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَأَبُو الْيَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَوْسَهُمْ وَيَحْوِطُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَامِدٍ (٤)

(حمق النعامة)

ويقولون : « أَحْمَقُ مِنْ نَعَامَةٍ » كَمَا يَقُولُونَ : « أَشَرُّ مِنْ نَعَامَةٍ » قَالُوا

ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَدْعُ الْحِضْنَ عَلَى بَيْضِهَا سَاعَةَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّعْمِ ، فَإِنَّ هِيَ

(١) ل : « لدى الجبل » وهي رواية ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢ : ٧٩ . وبرواية

ابن منظور للبيت في مادة (أوس) « غال أوس » ، وتفسيرها بقوله : « أكل جرامها »
بذلك لا يصح الاستشهاد لما استشده له الجاحظ .

(٢) ط : « فلأحشونك » والصواب ما في ل . انظر أدب الكاتب ٥٧ والاعتضاب .

وحشاه : رماه . والمشقص : سهم طويل أو عريض . والبيتان لأسماء بن خارجة
كما في اللسان (أبل) .

(٣) الشعر في اللسان (رخم) منسوب إلى عمرو ذي الكلب . وهو هذلي كما في الأغاني .

(٤) ط : « جامد » . والعام الجامد : عام الجذب والقحط وامتناع الغيث .

في خروجها ذلك رأت بيضَ أخرى قد خرجت للطعم، حضنت بيضها ونسيت
بيضَ نفسها ، ولعلَّ تلك أن تُصادَ فلا ترجع إلى بيضها بالعرء حتى تهلك .
قالوا : ولذلك قال ابن هرمة (١) :

فإني وتركي ندى الأكرمين وقدحى بكفى زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعرء ومليسة بيض أخرى جناحا

وقد تحضن الحمام على بيض الدجاج ، وتحضن الدجاجة بيض الطاوس ،
فأما أن يدع بيضه ويحضن بيض الدجاجة ، أو تدع الدجاجة بيضها وتحضن
بيض الطاوس فلا . فأما فروجُ الدجاجة إذا خرج من تحت الحمامة ؛ فإنه
يكون أكرس . وأما الطاوس الذي يخرج من تحت الدجاجة فيكون أقل
حسناً وأبغض صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكلُّ بيضة في الأرض فإنَّ اسمَ الذي فيها والذي يخرج منها فرخ ،
إلاَّ بيضَ الدجاج فإنه يسمى فرُّوجا ، ولا يسمى فرخا ، إلاَّ أن الشعراء
يجعلون الفروج فرخاً على التوسُّع في الكلام ، ويجوزون في الشعر أشياء
لا يجوزونها في غير الشعر ، قال الشاعر :

لَعَمْرِي لَأَصَوَاتُ الْمَكَائِي بِالضُّحَى وَسَوْدٌ تَدَاعَى بِالْعَشَى نَوَاعِيهِ (٢) ٩٣
أحبُّ إلينا من فراخ دجاجةٍ ومن ديكٍ أنباطٍ تنوسُ غياغبه (٣)

(١) تكلم في هذا الشعر الثعالبي في الثار ٣٥٣ والدميري ٢ : ٥٠٢ . ولابن طباطبا
كلام جيد فيه انظر له الموشح ٢٣٧ .

(٢) السود ، بالفتح : سقع مستو كبير الحجارة للسود . وفي ط : « سوء » وتصحيحه من ل .

(٣) ل وكذا في المختص ١٦٧ : « صغار ومن ديك تنوس عباغبه » .

وقال الشَّامُخُ بنُ ضِرَارٍ (١) :

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ خَاقَانَ عَنِّي تَأَمَّلْ حِينَ يَضْرِبُكَ الشِّتَاءُ

فَتَجْعَلُ فِي جَنَابِكَ مِنْ صَغِيرٍ (٢) وَمِنْ شَيْخٍ أَضْرَبَ بِهِ الْفَنَاءُ

فِرَاحٍ دَجَاجَةٍ يَتَبَعَنَّ دِيكَأً يَلْدُنَّ بِهِ إِذَا حَمَسَ الْوَعَاءُ

[فَإِنَّ] قلت : وأىُّ شَيْءٍ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ الْكَلْبِ وَفَضِيلَةِ الدِّيكِ ،

حَتَّى يَتَفَرَّغَ لِذِكْرِ مَحَاسِنِهِمَا وَمَسَاوِيهِمَا ، وَالْمَوَازِنَةَ بَيْنَهُمَا وَالتَّنْوِيهَ بِذِكْرِهِمَا ،

شَيْخَانِ مِنْ عِلْيَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَمِنْ الْجِلَّةِ (٣) الْمُتَقَدِّمِينَ . وَعَلَى أَنَّهُمَا مَتَى

أَبْرَمَا هَذَا (٤) الْحَكْمَ وَأَفْصَحَا بِهِذِهِ الْقَضِيَّةِ ، صَارَ بِهَذَا التَّدْبِيرِ بَيْنَهُمَا حِظٌّ

وَحِكْمَةٌ وَفَضِيلَةٌ وَدِيَانَةٌ ، وَقَلَدَهُمَا كُلُّ مَنْ هُوَ دُونَهُمَا ، وَسَيَعُودُ ذَلِكَ عِذْرًا

لَهُمَا إِذَا رَأَيْتَهُمَا يُوَازِيَانِ بَيْنَ الذُّبَّانِ (٥) وَبِنَاتِ وَرْدَانَ ، وَبَيْنَ الْخَنَافِسِ

وَالْجَلْعَلَانَ ، وَبَيْنَ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْهَمَجِ وَأَصْنَافِ الْحَشْرَاتِ ، وَالْحَشَّاشِ ،

حَتَّى الْبَعُوضِ وَالْفَرَاشِ وَالِدِيدَانَ وَالْقِرْدَانَ (٦) فَإِنَّ جَازَ هَذَا فِي الرَّأْيِ وَمَتَى

عَلَيْهِ الْعَمَلُ ، صَارَ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ النِّظَرِ عِوَضًا مِنَ النَّظَرِ فِي التَّوْحِيدِ ،

وَصَارَ هَذَا الشَّكْلُ مِنَ التَّمْيِيزِ خَلْفًا مِنَ التَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيرِ ، وَسَقَطَ الْقَوْلُ

فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَنُسِيَ الْقِيَاسُ وَالْحَكْمُ فِي الْاسْمِ ، وَبَطَلَ الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ

الْمَلَلِ ، وَالْمَوَازِنَةُ بَيْنَ جَمِيعِ النَّحْلِ ، وَالنِّظَرُ فِي مَرَاشِدِ النَّاسِ وَمَصَالِحِهِمْ ،

وَفِي مَنَافِعِهِمْ وَمَرَافِقِهِمْ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَتَسَمَّعُ لِلْجَمِيعِ ، وَأَلْسِنَتُهُمْ لَا تَنْطَلِقُ

بِالسَّكْلِ . وَإِنَّمَا الرَّأْيُ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ الْفَتْحِ بِالْأَعْظَمِ ، وَالْأَخُوفِ

فَالْأَخُوفِ .

(١) فِي (٧ : ٨٥) أَنَّهُ شَاهِخُ بِنِ أَبِي شَدَادِ .

(٢) ل : « حِبَابِكَ » مَوْضِعُ « جَنَابِكَ » .

(٣) ل : « جِلَّةٌ » .

(٤) ط : « مَدْعَا » .

(٥) ل : « رَأَيْتَهُمَا يُوَازِنُونَ .. النَّحْ . ط : « الذُّبَابُ » مَوْضِعُ « الذُّبَّانِ » .

(٦) القردان : جمع قراد ، وهو دويبة تنتشر في أعطان الإبل .

وقلت : [و] هذا بابٌ من أبواب الفراغ وشكل من أشكال التطرف^(١) وطريق من طرق المزاح ، وسبيلٌ من سبيل المضاحك . ورجالُ الجِدِّ غير رجالِ الهزل ، وقد يحسنُ الشيءُ بالشَّبَابِ ويقبحُ مثله من الشيوخ ، ولولا التحصيلُ والموازنة ، والإبقاء على الأدب ، والديانة بشدة المحاسبة ، لما قالوا : لكلِّ مقامٍ مقالٌ ، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ ، ولكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ ، ولكلِّ طعامٍ أكلةٌ^(٢) .

(تنوع الملكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أن كلَّ إنسانٍ فيه آلةٌ لِـرَفِقٍ من المرافق ، وأداةٌ لمنفعةٍ^(٣) من المنافع ، ولا بدُّ لتلك الطبيعة من حركةٍ وإنْ أبطأت ، ولا بدُّ لتلك الكامنة من ظهورٍ ؛ فإنَّ أمكنتهُ ذلك بعثه ، وإلَّا سرى إليه كما يسرى السمُّ في البدن ، و [نَمَى] كما يَنمى العرق ؛ كما أنَّ البزور البريئة ، والحبَّة الوحشيَّة الكامنة في أرحام الأَرْضِين ، لا بدَّ لها من حركةٍ عندَ زمانِ الحركة ، ومن التفتُّق والانتشار في إِبَّانِ الانتشار . وإذا صارت الأمطارُ لتلك الأرحامِ كالنُّطفة ، وكان بعضُ الأرضِ كالأمِّ الغاذية^(٤) فلا بدَّ لكلِّ ثديٍ قويٍّ أن يُظهر قُوَّتَه ، كما قال الأوَّلُ :

* ولا بدَّ للمصدورِ يوماً من النَّفثِ^(٤) *

(١) ط : « التطرف » .

(٢) ل : « آكل » .

(٣) ط : « آلة المرفق من المرافق وأداة المنفعة » وهو تحريف ما في ل .

(٤) ل : « ولا بد للمصدور من النفث » .

[وقال ^(١)] :

* ولا بدّ من شكوى إذا لم يكن صبر *
ولذلك صار طلب الحساب أخفّ على بعضهم، وطاب الطّب أحبّ إلى بعضهم.
وكذلك النزاع إلى الهندسة، وشغف أهل النجوم بالنجوم. وكذلك أيضاً ربّما
تحرك له بعد الكبرّة، وصرّف ^(٢) رغبته إليه بعد الكهولة، على قدر قوّة العرق
في بدنه، وعلى قدر الشواغل له وما يعترض عليه، فتجد واحداً يلهج بطلب
الغناء واللحون، وآخر يلهج بشهوة القتال، حتى يكتب مع ^(٣) الجنّد،
وآخر يختار [أن يكون] وراقاً، وآخر يختار طلب الملك، وتجد حرصهم
على قدر العلل الباطنة المحرّكة لهم، ثمّ لا تدري كيف عرض لهذا هذا
السبب دون الآخر إلاّ بجملة من القول، ولا تجد المختار لبعض هذه
الصناعات على بعض يعلم لم ^(٤) اختار ذلك في جملة ولا تفسير، إذ كان لم
يجر منه على عرق، ولا اختاره على إرث.

(من مدار على غير طبعه)

وليس العجب من رجل في طباعه سبب يصل بينه وبين بعض الأمور
ويحرّكه في بعض الجهات، ولكنّ العجب ممّن يموت مغنياً وهو لا طبع

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذي قبله بيتاً واحداً، وذلك لا يستقيم. والزيادة رأيتها
ضرورية لاستقامة الكلام. والآق عجز بيت صدره كما في البيان ٣ : ٤٣٢٢٠ : ٦٣ :

* وما كثرة الشكوى بأمر حزامة *

(٢) ط : « وأصرف » .

(٣) ل : « يكتب » وصوابه ما أثبت من ط . واكتتب : كتب نفسه في

ديوان السلطان .

(٤) ط : « لما » .

لله في معرفة الوزن، وليس له جرمٌ حسنٌ (١)؛ فيكون إن فاته أن يكون معلماً ومغنيً خاصةً أن يكون مطرباً ومغنيً عامةً . وآخر قدمات على أن يُذكر بالجلود ، وأن يسخى على الطعام ، وهو أنجلُ الخلق طبعاً ، فتراه كلفاً بالتخاذ الطيبات ومستهتراً بالتكثير منها ، ثم هو أبدأً مفتضحٌ وأبدأً منتقض الطباع ، ظاهرُ الخطأ ، سيئُ الجزع عند مؤاكلةٍ من كان هو الداعي له ، والمرسل إليه ، والعارف مقدارَ لقمته ونهايةً أكله .

فإن زعمتم أن كلَّ واحدٍ من هؤلاء إنما هو رهنٌ بأسبابه ، وأسيرٌ في أيدي علله ، عذرتهم جميع اللئام وجميع المقصرين ، وجميع الفاسقين والضالين . وإن كان الأمر [إلى] التمكين دون التسخير ، أفليس من أعجب العجب ومن أسوأ التقدير التمثيل (٢) بين الديكة والكلاب . ٩٥

قد عرفنا قولك ، وفهمنا مذهبك .

فأما قولك : « وما بلغ من خطر ألدبك وقدر الكلب » فإن هذا ونحوه كلامٌ عبدٌ لم يفهم عن ربه ، ولم يعقل عن سيده ، إلا بقدر فهم العامة أو الطبقة التي تلى العامة . كأنك ، فهماك الله تعالى ، تظن أن خلق الحية والعقرب ، والتدبير في خلق الفراش والذباب ، والحكمة في خلق الذئب والأسد وكل مبغض إليك أو محقر عندك ، أو مسخر لك أو واثب عليك ، أن التدبير فيه مختلفٌ أو ناقص ، وأن الحكمة فيه صغيرة أو ممزوجة .

(١) الجرم ، بالكسر : الصوت ، والخلق .

(٢) ط « والتمثيل » والواو هنا لاموضع لها .

(مصلحة الكون ، في امتزاج الخير بالشر)

اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر ، والضار بالنافع ، والمكروه بالسار ، والضعفة بالرفعة ، والكثرة بالقلّة . ولو كان الشرُّ صرفاً هلك الخلق ، أو كان الخيرُ محضاً سقطت المحنة وتقطعت أسبابُ الفكرة ، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالم تثبتٌ وتوقفٌ وتعلم ، ولم يكن علم ، ولا يُعرف بابُ التبيين ، ولا دفعُ مضرة ، ولا اجتلابُ منفعة^(١) ، ولا صبرٌ على مكروهٍ ولا شكرٌ على محبوب ، ولا تفاضلٌ في بيان ، ولا تنافس في درجة ، وبطلت فرحة الظفر وعزُّ الغلبة ، ولم يكن على ظهرها محقٌ بجحد^(٢) عزّ الحق ، ومُبطِلٌ بجحد ذلّة^(٣) الباطل ، وموقنٌ بجحد^(٤) بردّ اليقين ، وشاكٌ بجحد^(٢) نقص الحيرة وكرّب الوجوم ، ولم تكن للنفوس آمالٌ ولم تتشعبها الأطماع . ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس ، ومن جهل اليأس جهل الأمن ، وعادت الحال من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ، ومن الإنس الذين فيهم الأنبياء والأولياء ، إلى حال السبع والبهيمة ، وإلى [حال] الغباوة والبلادة ، وإلى حال النجوم في السخرة ، فإنها أنقص من حال البهائم في الرتعة . ومن هذا الذي يسره أن يكون

(١) ط : « التدبير » موضع « التبيين » ، و « المضرة » موضع « مضرة » ، و « المنفعة » موضع « منفعة » .

(٢) ط : « بجحد » وهو تصحيف .

(٣) ط : « بجحد ذل » وهو تحريف كذلك .

(٤) ط : « وموقن بجحد » وهو تحريف .

الشمس والقمر والنار والثلج ، أو برجا من البروج أو قطعة من الغيم ؛
أو يكون المجرّة بأسرها ، أو مكيباً من الماء أو مقداراً من الهواء؟! وكلُّ
شيءٍ في العالم فإمّا هو للإنسان ولكلِّ مختبرٍ ومختار ، ولأهل العقول
والاستطاعة ، ولأهل التبيين^(١) والروية .

وَأينَ تَقَعُ لَذَّةُ الْبَيْمَةِ بِالْعُلُوفَةِ ، وَلَذَّةُ السَّبْعِ بِلَطْعِ الدَّمِ وَأَكْلِ اللحمِ -
مِنَ سرورِ الظَّفَرِ بالأَعْدَاءِ ؛ وَمِنَ انْفِتَاحِ بابِ العلمِ بعدَ إِدْمَانِ القَرَعِ ؟ وَأينَ
ذلكَ مِن سرورِ الشُّودِّ وَمِنَ عَزِّ الرِّياسَةِ ؟ وَأينَ ذلكَ مِن حَالِ النُّبُوَّةِ
وَالْحِلَافَةِ ، وَمِنَ عَزِّهِمَا وَساطِعِ نورِهِمَا . وَأينَ تَقَعُ لَذَّةُ دَرْكِ الحِوَّاسِ الَّذِي ٩٦
هُوَ مِلَاقَةُ المَطْعَمِ والمِشْرَبِ ، وَمِلَاقَةُ الصَّوْتِ المُطْرِبِ واللَّوْنِ المَوْتِقِ ،
والملمسة^(٢) اللَّيِّنَةِ - مِنَ السُّرورِ بِتَفَاذِ الأَمْرِ والنَّهْيِ ، وَبِجِوَّازِ التَّوْقِيعِ ،
وَبِمَا يُوجِبُ الخَاتَمَ مِنَ الطَّاعَةِ وَيُلْزِمُ مِنَ الحِجَّةِ ؟ !

ولو استوتت الأمور بطلّ التمييز ، وإذا لم تكن كلفة لم تكن ماثوبة ،
ولو كان ذلك لبطلت ثمرة التوكل على الله تعالى ، واليقين بأنه الوزر
والحافظ ، والسكالي والدافع^(٣) ، وأنّ الذي يحاسبك أجود الأجودين ،
وأرحم الراحمين ، وأنه [الذي] يقبلُ اليسيرَ ويهبُ الكثيرَ ، ولا يهلك
عليه إلا هالك . ولو كان الأمر على ما يشتهيه الغرير والجاهلُ بعواقبِ
الأمر ، لبطلَ النَّظَرُ وما يشحذُ عليه^(٤) ، وما يدعو إليه ، ولتعطلت

(١) ط : « التبين » .

(٢) ط : « واللبسة » .

(٣) ط : « والسكافي والرافع » .

(٤) الشحذ : السوق العنيف .

الأرواح من معانيها ، والعقول من ثمارها ، ولعدمت الأشياء
حظوظها وحقوقها .

فسيحان من جعل منافعها نعمةً ، ومضارها ترجع إلى أعظم المنافع ،
وقسمها بين مُلِدٍّ ومُؤَلِّمٍ ، وبين مؤنِّسٍ ومُوحِشٍ ، وبين صَغِيرٍ حقيرٍ وجليلٍ
كبيرٍ ، وبين عدوٍّ يرصدك وبين عقلٍ يحرسك ، وبين مُسَلِّمٍ يَمْنَعُكَ ،
وبين مُعِينٍ يعضدك ، وجعل في الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تمُّ
النعمة ، وفي بطلانٍ واحدٍ منها بطلانُ الجميع ، قياساً قائماً وبرهاناً واضحاً .
فإنَّ الجميع (١) إنّما هو واحدٌ ضمَّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضمَّ إليهما ، ولأنَّ
الكلَّ أبعاضٌ ، ولأنَّ كلَّ جُثَّةٍ فن أجزاء ، فإذا جوَّزَتَ رَفَعَ واحدٍ
والآخرُ مثله في الوزن وله مثلُ علته وحظّه ونصيبه ، فقد جوَّزَتَ رَفَعَ
الجميع ؛ لأنّه ليس الأوّلُ بأحقَّ من الثاني في الوقت (٢) الذي رجوتَ فيه
إبطالَ الأوّل ، والثاني كذلك والثالث والرابع ، حتّى تأتى على الكلِّ
وتستفرغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمّنة والأسبابُ المقيدة (٣) ؛ ألا ترى أنّ
الجبَلَ ليس بأدلَّ على الله تعالى من الحصاة ، وليس الطاوسُ المستحسنُ
بأدلَّ على الله تعالى من الخنزير المستقبح . والنارُ والثلجُ وإنَّ اختلفا في جهة
البرودة والسُخونة ، فإنَّهما لم يختلفا في جهة البرهان والدلالة .

وأظنك ممن يرى أنّ الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب ، وأنَّ

(١) من كلمة « قياساً » سقط الكلام في ل إلى هنا .

(٢) ط : « فالحق » وهو تحريف .

(٣) ط : « المطمئنة » مكان « المضمّنة » ، و « المفيدة » مكان « المقيدة »

وهو تحريف .

التُدْرُجُجُ (١) أعزُّ على الله تعالى من الحِدَاةِ ، وأنَّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئبِ . فإنَّما هذه أمور فرَّقها الله تعالى في عيون الناس ، وميَّزها في طبائع العباد ، فجعلَ بعضها بهم أقربَ شَبهاً ، وجعلَ بعضها إنسيّاً ، وجعلَ بعضها وحشيّاً ، وبعضها غاذياً ، وبعضها قاتلاً . وكذلك الدُّرَّةُ وَالْحَرَزَةُ والتمرَّةُ (٢) والجَمْرَةُ .

٩٧

فلا تَذْهَبْ إلى ما تريك العينُ واذْهَبْ إلى ما يريك العقلُ .

(الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأمور حكمان : حكم ظاهرٌ للحواس ، وحكم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحجَّةُ . وقد علمنا أنَّ خَزَنَةَ النَّارِ من الملائكة ، ليسوا بدون خَزَنَةِ الجَنَّةِ ؛ وأنَّ ملك الموت ليس بدون ملكِ السَّحَابِ ، وإنَّ أتنانا بالغَيْثِ وجلب الحياء (٣) ؛ وجبريلُ الذي يَنْزِلُ بالعذاب ، ليس بدون ميكائيل الذي ينزل بالرحمة ؛ وإنَّما الاختلاف في المطيع والعاصي ، وفي طبقاته ذلك ومواضعه . والاختلاف بين أصحابنا أتهم إذا استتوا في المعاصي استتوا في العقاب ، وإذا استتوا في الطاعة استتوا في الثواب ، وإذا استتوا في عدم الطاعة والمعصية استتوا في التفضل . هذا هو أصل المقالة ، والقُطْبُ الذي تدورُ عليه الرُحى .

(١) للفريق أمين المعلوف بحث طيب في التعريف بهذا الحيوان ص ٩٨٧ من معجمه .

(٢) في الأصل : « الثمرة » والوجه ما كتبت .

(٣) ط : « حياة » وهو تصحيف ما في ل . والحيا : الخصب والمطر ، ويمد .

(التين والزيتون)

وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فزعم زيد بن أسلم
أنَّ التين دمشق ، والزيتون فلسطين . وللغالية في هذا تأويلٌ أرغبُ
بالعِترَة عنه ^(١) وذكره . وقد أخرجَ اللهُ تبارك وتعالى الكلامَ مُخْرَجَ
القسم . وما تُعرَف دِمَشقُ إلا بِدِمَشق ، ولا فِلَسطينَ إلا بِفِلَسطين . فإن
كنتَ إِنَّمَا تَقِف من ذكرِ التين على مقدارِ طعمِ يابسِه ورطبِه ، وعلى
الإكتنانِ بورقِه وأغصانِه ، والوقودِ بعيدانِه ، وأنه نافعٌ لصاحبِ السُّلِّ ،
وهو غذاءٌ قوىٌ ويصلحُ في مواضعٍ من الدواء ، وفي الأضمدة ، وأنه ليس
شيءٌ حلوٌ إلا وهو ضارٌّ بالأسنانِ غيره ، وأنه عند أهلِ الكتابِ الشَّجَرَةُ
التي أكلَ منها آدمٌ عليه السلام ، وبورقها سترَ السَّوءَةَ عند نزولِ العقوبة ،
وأنَّ صاحبَ البواسيرِ يأكله لِيُزَلِقَ عنه الثقل ، ويسهلَ عليه مخرج
الزُّبُلِ ^(٢) ، وتقف من الزيتون على زيتِه والاصطباح به ، وعلى التأدُّمِ بهما
والوقودِ بشجرهما ، وما أشبه ذلك من أمرهما - فقد أسأتَ ظنًّا بالقرآن ،
وجهلتَ فضلَ التأويل . وليس لهذا المقدارِ عظمهما اللهُ عزَّ وجلَّ . وأقسمَ
بهما ونوّه بذكرهما .

(التأمل في جناح البعوضة)

ولو وقفتَ على جناحِ بعوضةٍ وُقوفَ معتبرٍ ، وتأملتَه تأملَ متفكِّرٍ بعد

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .

(٢) ط : « الثقل » موضع « الثقل » ، و « البول » بدل « الزبل » وأثبت ما في ل .

أن تكونَ ثاقِبَ النَّظَرِ سَلِيمَ الآلَةِ ، غَوَاصًّا عَلَى المَعَانِي ، لَا يَعتَرِكُ مِنَ الحَوَاطِرِ إِلَّا عَلَى حَسَبِ صِحَّةِ عَقْلِكَ ، وَلَا مِنَ الشَّوَاعِلِ إِلَّا مَا زَادَ فِي نَشَاطِكَ ، لَمَلَأْتَ مِمَّا تُوجِدُكَ العِبْرَةَ مِنْ غَرَائِبِ الطَّوَامِيرِ الطُّوَالِ ، وَالجُلُودِ الوَاسِعَةِ الكِبَارِ ، وَلرَأَيْتَ أَنَّ لَهُ مِنْ كَثْرَةِ التَّنَصُّرُفِ فِي الأَعْجَابِ ، وَمِنْ تَقْلُبِهِ فِي طَبَقَاتِ الحِكْمَةِ ، وَلرَأَيْتَ لَهُ مِنَ العُزْرِ والرَّيْعِ ، وَمِنْ الحَلَبِ وَالدَّرِّ وَالتَّبَجَّسِ عَلَيْكَ ^(١) مِنْ كَوَامِرِ المَعَانِي وَدَفَائِنِهَا ، وَمِنْ خَفِيَّاتِ الحَكْمِ ٩٨ وَينَابِيعِ العِلْمِ ، مَا لَا يَشْتَدُّ مَعَهُ تَعَجُّبُكَ مِمَّنْ وَقَفَ عَلَى مَا فِي الدَّيْكَ مِنَ الخِصَالِ العَجِيبَةِ ، وَفِي السِّكِّبِ مِنَ الأَمُورِ الغَرِيبَةِ ، وَمِنْ أَصْنَافِ المَنَافِعِ ، وَفنونِ المَرَافِقِ ؛ وَمَا فِيهِمَا ^(٢) مِنَ المِحْنِ الشَّدَادِ ، وَمَعَ مَا أودِعَا مِنَ المَعْرِفَةِ ، الَّتِي مَتَى تَجَأَّتْ لَكَ تَصَاغَرَ عِنْدَكَ كَبِيرٌ مَا تَسْتَعْظِمُ ، وَقَلَّ فِي عَيْنِكَ كَثِيرٌ مَا تَسْتَكْثِرُ . كَأَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ شَيْئًا وَإِنْ حَسُنَ عِنْدَكَ فِي ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ ، أَنَّ الحِكْمَةَ الَّتِي هِيَ فِي خَلْقِهِ إِنَّمَا هِيَ عَلَى مَقْدَارِ ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ .

(كَلِمَاتُ اللَّهِ)

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ والكلماتُ فِي هَذَا المَوْضِعِ ، لَيْسَ يُرِيدُ بِهَا القَوْلَ وَالكَلَامَ المُؤَلَّفَ مِنَ الحُرُوفِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ النِّعَمَ وَالأَعْجَابِ ، وَالصِّفَاتِ ^(٣) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ كَلَامًا مِنْ هَذِهِ الفُنُونِ

(١) ط : « ولا ينحبس » .

(٢) ط : « فيها » .

(٣) ط : « الصلاة » ، وليس بشيء .

لو وَقَفَ عليه رجلٌ رقيقُ اللسانِ صافى الذهنِ ، صحیحُ الفِكرِ تامُّ الأداةُ ،
لما بَرِحَ أن تحسره (١) المعانى وتغمره الحِكمُ .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجِلَّةُ العُظماءُ فى التمثيل بين الملائكةِ
والمؤمنين ، وفى فرقِ ما بين الجنِّ والإنسِ . وطباعُ الجنِّ أبعدُ من طباعِ
الإنسِ ، ومن طباعِ الديكِ ، ومن طباعِ الكلبِ . وإتّما ذهبوا إلى
انطاعة والمعصية . ويَحْتَمِلُ إلىَّ أنك لو [كنت] سمعتَهُما يمثّلان ما بين
التُدْرُجِ والطاؤُسِ ، لما اشتدَّ تعجُّبُك . ونحن نرى أنَّ تمثيلَ ما بينَ
خصالِ الذرَّةِ والحِامةِ ، والفيلِ والبعيرِ ، والشَّعْبِ والذئبِ أعجَبَ . ولسنا
نعنى أنَّ للذرةِ ما للطاوسِ من حسنِ ذلك الريشِ وتلاوينه وتعاريجه (٢) ،
ولا أنَّ لها غناءَ الفرسِ فى الحربِ والدَّفْعِ عن الحريمِ ؛ اسكننا إذا أردنا
مواضعَ التدبيرِ العجيبِ من الخلقِ الحسيسِ ، والحسِّ اللطيفِ من الشئِ
السخيفِ (٣) ، والنَّظَرِ فى العواقبِ من الخلقِ الخارجِ من حدودِ الإنسِ
والجنِّ والملائكةِ ، لم (٤) نذهبِ إلى ضِخَمِ البدنِ وعِظَمِ الحجمِ ، ولا إلى المنظرِ
الحسنِ ولا إلى كثرةِ الثمنِ . وفى القردِ أعاجيبُ وفى الدُّبِّ أعاجيبُ ،
وليسَ فيهما كبيرُ مرفِقٍ إلاَّ بقدرِ ما تتسكَّبُ به [أصحاب (٥)] القردةِ ،
وإما قصدنا إلى شديينِ يَشِيعُ القولُ فيهما ، ويكثرُ الاعتبارُ ممَّا
يستخرجُ العلماءُ من خفىِّ أمرهما . ولو جمعنا بينَ الديكِ وبينَ بعضِ

(١) ط : « تحسره » ، ويكون صوابها « تحشر له المعانى » . وأثبت ما فى ل . يقال :

حسر البعير : ساقه حتى أعياءه .

(٢) يقال ثوب معرج : أى مخطط فى التواء . وفى ل : « تقاريجه » . وانظر ٥ : ١٥٠ .

(٣) ط : « والحسن اللطيف فى الشئِ السخيف » ، وهى عبارة مشوهة .

(٤) فى الأصل : « ولم » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لانقطع القول قبل أن يبلغ حدَّ الموازنة والمقابلة .

وقد ذكرت أن بعضَ مادعاك إلى الإنكار عليهما والتعجب من أمرهما ، سقوطُ قدرِ الكلب ونذالته ، وبلكه الدئيك وغباوته ، وأن الكلبَ لابهيمةٌ ٩٩ تامّة ولا سبعٌ تامٌّ ، وما كان ليخرجه من شيءٍ من حدود السكلاب إلى حدود الناس ، مقدارُ ما هو عليه من الأنس بهم ، فقد يكون في الشيء بعضُ الشبه من شيء ولا يكون ذلك مُخرجاً لهما من أحكامهما وحدودهما .

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسان بالقمر والشمس ، والغيث والبحر ، وبالأسد والسيف ، وبالحيّة والنجم ، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حدّ الإنسان . وإذا ذموا قالوا : هو الكلب والخنزير ، وهو القرد والحمار ، وهو الثور ، وهو التيس ، وهو الذيب ، وهو العقرب ، وهو الجعل ، وهو القرني ؛ ثم لا يُدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسمائهم ، ولا يُخرجون بذلك^(١) الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء . وسموا الجارية غزالا ، وسموها أيضاً خشفاً ، ومُهرةً ، وفاختةً ، وحمامةً ، وزهرةً ، وقضيباً ، وخيزرانا ، على ذلك المعنى . وصنعوا مثل ذلك بالبروج والكواكب ، فذكروا الأسد والثور ، والحمل والجدى ، والعقرب والحوت ، وسموها بالقوس والسنبلة والميزان ، وغيرها . وقال في ذلك ابن عسلة الشيباني^(٢) :

(١) ط : « ذلك » .

(٢) هو عبدالمسيح ، شاعر جاهلي ، روى له صاحب المفضليات ثلاث قصائد برقم ٧٢ ،

٧٣ ، ٨٣ . والبيت روايته في البيان ١ : ٢٢٩ مطابقة لهذه . والرواية في

فَصَحَوَتْ وَالنَّمْرِيُّ يَحْسِبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَهَ النَّجْمُ (١)
 وَيُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « نِعْمَتِ الْعَمَةِ لَكُمْ
 النَّخْلَةُ [خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ] . وَهَذَا الْكَلَامُ صَحِيحٌ الْمَعْنَى ، لَا يَعْجِبُهُ
 إِلَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ مَجَازَ الْكَلَامِ . وَلَيْسَ هَذَا تَمَّ يَطْرُدُ لَنَا أَنْ نَقْيَسَهُ ،
 وَإِنَّمَا نَقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمُوا ، وَنُحْجِمُ عَمَّا أَحْجَمُوا ، وَنَنْتَهِي إِلَى
 حَيْثُ انْتَهَوْا .

وَنَرَاهُمْ يَسْمُونُ الرَّجُلَ جَمَلًا وَلَا يَسْمُونَهُ بَعِيرًا ، وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَاقَةً ؛
 وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ ثَوْرًا وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ بَقْرَةً ، وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ حَمَارًا وَلَا يَسْمُونُ
 الْمَرْأَةَ أَتَانًا ؛ وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَعْجَةً وَلَا يَسْمُونُهَا شَاةً . وَهَمْ لَا يَضْعَعُونَ نَعْجَةً اسْمًا
 مَقْطُوعًا ، وَلَا يَجْعَلُونَ [ذَلِكَ (٢)] عِلَامَةً مِثْلَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ عِزًّا .

(تسمية الإنسان بالعالم الأصغر)

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي خُلِقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا
 مِنْ أَجْلِهِ (٣) كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي
 الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ . إِنَّمَا سَمَّوَهُ الْعَالَمَ الصَّغِيرَ سَلِيلَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، لِمَا
 وَجَدُوا فِيهِ مِنْ جَمْعِ أَشْكَالِ مِمَّا فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، وَوَجَدْنَا لَهُ الْخَوَاسِ الْخَمْسَ
 وَوَجَدُوا فِيهِ الْخَمْسَ الْخَمْسَاتِ الْخَمْسَ ، وَوَجَدُوهُ يَأْكُلُ الْلَحْمَ وَالْحَبَّ ، وَيَجْمَعُ

= ياكعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقله الجرم
 وسماع مدجنة تمللنا حتى ننام تناوم النجم

(١) صوابه « لصحوت » كما في المفضليات ٢٧٩ .

(٢) زيادة يتطلبها الكلام .

(٣) في الأصل : « والأرض من أجله وما بينهما » ، وسويت القول كما ترى .

بين ما تقتاتاه البهيمة والسبع ، ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد ،
 وغدر الذئب ، وروغان الثعلب ، وجبن الصَّفْرِد ، وجمع الذرّة ، وصنعة ١٠٠
 السُرْفَة (١) وجود الديك ، وإلف الكلب ، واهتداء الحمام . وربما وجدوا
 فيه مما في البهائم والسباع خُلُقَيْن (٢) أو ثلاثة ، ولا يبلغ أن يكون جملاً
 بأن يكون فيه اهتداؤه وغيرته ، وصولته وحقدّه ، وصبره على حمل الثقل ،
 ولا يلزم شبه الذئب بقدر ما يتهيأ فيه من مثل غدّره ومكره ، واسترواحه
 وتوحّشه ، وشدة نكره . كما أن الرجل يصيبُ الرأى الغامض المرّة والمرتين
 والثلاث ، ولا يبلغ ذلك المقدارُ أن يقال له داهيةٌ وذو نكراء أو صاحبُ
 بزلاء (٣) ، وكما يخطئ الرجل فيفحش خطاؤه (٤) في المرّة والمرتين والثلاث ،
 فلا يبلغ الأمرُ به أن يقال له غبيٌّ وأبلهٌ ومنقوص .

وسمّوه العالمَ الصغيرَ لأنهم وجدوه يصور كلَّ شيءٍ بيده ، ويحكى
 كلَّ صوتٍ يفمّه (٥) . وقالوا : ولأنَّ أعضائه مقسومةٌ على البروج
 الاثني عشر والنجوم السبعة ، وفيه الصفراء وهي من نتاج النار ، وفيه السوداء
 وهي من نتاج الأرض ، وفيه الدّم وهو من نتاج الهواء ، وفيه البلغم وهو
 من نتاج الماء . وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة (٦) .

(١) ط : « وصفة السرفقة » وصوابه في ل . ويقال في المثل : « أصنع من سرفقة » .

الدميري : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقائق
 العيدان تقيم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال النّاس ثم تدخل فيه وتموت .

(٢) في ثمار القلوب ٢٨٠ حيث نقل هذا الكلام : « خلقتين » وهو الأشبه
 بكلام الجاحظ .

(٣) ط : « نكر » بدل « نكراء » وكلاهما صحيح . والنكراء ، والنكر بالضم :
 الدهاء والفطنة . والبزلاء : الرأى الجيد والشدائد .

(٤) الخطاء : الخطأ . والجاحظ يميل إلى استعمال الكلمة الأولى .

(٥) ط : « يعيه » والوجه ما في ل .

(٦) ل : « وجدت الأوتار الأربعة » .

فجعلوه العالم الصغير ، إذ كان فيه جميع أجزائه وأخلاقه وطبائعه .
 ألا ترى أن فيه طبائع الغضب والرضا ، وآلة اليقين والشك ، والاعتقاد
 والوقف^(١) وفيه طبائع الفطنة والغباوة ، والسلامة والمسكر^(٢) ، والنصيحة
 والغش ، والوفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحب والبغض ، والجِدُّ
 والهزل ، والبخل والجود ، والاقتصاد والسرف ، والتواضع والكبر ،
 والأنس والوحشة ، والفكرة^(٣) والإمهال ، والتمييز والخبط ، والجن
 والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [والتبذير والتقتير] ، والتبذل والتعزز^(٤) ،
 والادخار والتوكل ، والقناعة والحرص ، والرغبة والرهد ، والسخط
 والرضا ، والصبر والجزع ، والذكر والنسيان ، والخوف والرجاء ،
 والطمع واليأس ، والتنزه والطبع ، والشك واليقين ، والحياء والقحة ،
 والكتمان والإشاعة ، والإقرار والإنكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ،
 والطلب والمهرب ، والحقد وسرعة الرضا ، والحدة وبُعد الغضب ،
 والشُرور والهم ، واللذة والألم^(٥) والتأمل والتمنى ، والإصرار والندم ،
 والجِماح والبدوات^(٦) ، والعي والبلاغة ، والنطق والحرص ، والتصميم
 والتوقف^(٧) والتغافل والتفاطن ، والعفو والمكافأة ، والاستطاعة
 والطبيعة^(٨) وما لا يحصى عدده^(٩) ، ولا يُعرف حدُّه .

(١) ط : « وانتمى » .

(٢) ط : « والنكر » .

(٣) لعلها « الطفرة » ليصح قرنها بالإمهال .

(٤) ط : « والتبذل والتعزز » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « والآلام » والوجه ما في ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « البذات » .

(٧) ل : « والتكفي » .

(٨) كذا .

(٩) ط : « عدده » .

فالكلبُ سبيع وإن كانَ بالناس أنيساً ، ولا تخرجهُ الحَصيلةُ والحَصَلتان ١٠١
 ممَّا قاربَ بعضَ طبائعِ الناس ، إلى أن يخرجهُ من الكَلْبِيَّةِ . قال : وكذلك
 الجميع . وقد عرَفَت شَبَهَ باطنِ الكلبِ (١) بباطنِ الإنسان ، وشَبَهَ ظاهرِ
 القردِ بظاهرِ الإنسان : ترى ذلك في طَرَفِهِ وتغميضِ عينه ، وفي ضِحْكِهِ
 وفي حكايته ، وفي كَفِّهِ وأصابعه ، وفي رَفْعِها ووضعِها ، وكيف يتناولُ بها ،
 وكيف يجهزُ الأقمعةَ إلى فيه وكيف يكسِرُ الجَوَزَ ويستخرجُ لبَّهُ (٢) وكيف
 يَلْقَنُ كلَّ ما أُخِذَ به (٣) وأُعِيدَ عليه ، وأنه من بينِ جميعِ الحيوانِ إذا سقط
 في الماءِ غرِقَ مثلَ الإنسان ، ومع اجتماعِ أسبابِ المعرفةِ فيه يغرق ، إلا (٤)
 أن يكتسبَ معرفةَ السباحةِ ، وإن كان طبعُه أوفى وأكملَ فهو من هاهنا
 أنقصُ وأكلُّ . وكلُّ شَيْءٍ فهو يسبَحُ من جميعِ الحيوانات ، ممَّا يوصفُ بالمعرفةِ
 والنفِطنةِ ، وممَّا يوصفُ بالغبَاوةِ والبَلادةِ ؛ وليس يصيرُ القردُ بذلكِ المقدارِ
 من المقارِبَةِ إلى أن يخرُجَ من بعضِ حدودِ القروُدِ إلى حدودِ الإنسان .

(عود إلى الحوار في شأن الكلب والديك)

وزعمتَ أن ممَّا يمنعُ من التمثيلِ بينِ الديكِ والكلبِ أنه حارسٌ
 محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناسِ فهو حارسٌ غيرُ مأْمونٍ تَبَدُّلُهُ .
 ولقد سألتُ زياداً ليلةً من الليالي : مَنْ على شُرطتكم ؟ قالوا : بلج بن نُشْبَةَ
 الجُشميِّ . فقال :

وساعٍ مع السلطانِ يسعى عليهمُ
 ومحترسٍ من مثله وهو حارس

(١) ط : « باطن شبه الكلب » .

(٢) ل : « سره » وهما بمعنى .

(٣) ط : « يلقى كلما أخذ به » وهو تحريف . وفي ثمار القلوب ٣٢٤ « يتقن » .

(٤) ط : « إلى » .

ويقال : إن الشاعر^(١) قال هذا الشعرَ في الفلاس النهشلي^(٢) ، حين ولي شرطة الحارث بن عبد الله [فقال] :

أقلى على اللوم يا ابنة مالك ودعى زماناً ساد فيه الغلافسُ
وساع مع السلطان يسعمى عليهم ومُحترسٍ من مثله وهو حارسُ

وليس يُحكَمُ لِصِغارِ المضارِّ على كبارها^(٣) بل الحكمُ للغامر على المغمور^(٤) والقاهر على المقهور . ولو قد حكينا ما ذكر هذا الشيخُ من خصال الكلب وذكَّرَ صاحبه من خصال الديك ، أيقنت أن العجلة من عمل الشيطان ، وأن العُجبَ بئس صاحب .

وقلت : وما يبلغ من قدر الكلب ومن مقدار الديك ، أن يتفرَّغ لهما شيخان من جِلَّةِ المعتزلة ، وهم أشراف^(٥) أهل الحكمة ؛ فأى شيء بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدرٍ جزئ لا يتجزأ من رمل عالج ، والجزء الأقل من أول قطع الدرة للمكان السحيق ، والصحيفة التي لا عمق لها ، ولأى شيء يُعنون بذلك ، وما يبلغ من ثمنه وقدر حجمه ، حتى يتفرَّغ للجدال فيه الشيوخ الجلَّة ، والكهول العلية ، وحتى يختاروا النظر فيه على التسريح والتهليل ، وقراءة القرآن وطول الانتصاب في الصلاة ؛ وحتى يزعم أهله

(١) هو عبد الله بن همام السلولى . ترجم له ابن قتيبة في الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار ١ : ٥٧ والمحاسن والمساوى للبيهقى ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلاس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي أخى عمر بن أبي ربيعة . . وخرج الفلاس مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنافع » .

(٤) ل : « للغامر على المغمور » وما أثبتته من ط أشبه .

(٥) ل : « شراف » .

أَنَّهُ فَوْقَ الْحَيِّ وَالْجِهَادِ ، وَفَوْقَ كُلِّ بَرٍّ وَاجْتِهَادٍ ^(١) . فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ سِوَاءٌ ، طَالَتْ الْخُصُومَةُ مَعَكَ ، وَشَغَلْتَنَا [بِهِمَا] عَمَّا هُوَ أَوْلَىٰ بِنَا فَيْكَ . عَلَىٰ أَنَّكَ إِذَا عَمَمْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالذَّمِّ ، وَجَلَلْتَهُ بِالْعَيْبِ ، صَارَتْ الْمَصِيبَةُ فَيْكَ أَجَلًّا ، وَالْعِزَاءُ عَنْهَا أَعْسَرَ . وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لِأَنَّهَا جَازٌ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا إِلَىٰ أَمَانِ الْأَعْيَانِ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَإِلَىٰ عِظَمِ الْحِجْمِ ، وَإِلَىٰ مَا يَرُوقُ الْعَيْنَ وَيَلَامُّ النَّفْسَ ، وَأَنَّهَا لِيَتَّخِذُوا ذَهَبًا إِلَىٰ عَاقِبَةِ الْأَمْرِ فِيهِ ، وَإِلَىٰ نَتِيجَتِهِ ، وَمَا يَتَوْلَدُ عَنْهُ مِنْ عِلْمِ النَّهَائِيَاتِ ، وَمِنْ بَابِ السُّكَابِ وَالْبَعْضِ ، وَكَانَ وَيَكُونُ ، وَمِنْ بَابِ مَا يَحِيطُ بِهِ الْعِلْمُ أَوْ مَا يَفْضُلُ عَنْهُ ، وَمِنْ فَرَقٍ [مَا ^(٢)] بَيْنَ مَذَاهِبِ الدُّهْرِيَّةِ وَمَذَاهِبِ الْمُوَحِّدِينَ . فَإِنْ كَانَ هَذَا الْعَدْرُ مُقْبُولًا ، وَهَذَا الْحُكْمُ صَحِيحًا ، فَكَذَلِكَ نَقُولُ ^(٣) فِي السُّكَابِ ، لِأَنَّ السُّكَابَ لَيْسَ لَهُ خَطَرٌ ثَمِينٌ وَلَا قَدْرٌ فِي الصَّدْرِ جَلِيلٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ كَابَ صَيْدِ فِدْيَتِهِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَإِنْ كَانَ كَلْبَ ضَرْعِ فِدْيَتِهِ شَاةً ، وَإِنْ كَانَ كَلْبَ دَارِ فِدْيَتِهِ زَنْبِيلٌ مِنْ تَرَابٍ ، حُقَّ عَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يُؤَدِّيَهُ ، وَحُقَّ عَلَى صَاحِبِ الدَّارِ أَنْ يَقْبَلَهُ ، فَهَذَا مَقْدَارُ ظَاهِرِ حَالِهِ [وَمُقْتَضِيهِ] . وَكَوَامِنُ خِيَالِهِ ، وَدَفَائِنُ الْحِكْمَةِ فِيهِ . وَالْبَرَهَانَاتُ عَلَىٰ عَجِيبِ تَدْبِيرِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيهِ ، عَلَىٰ خِلَافِ ذَلِكَ ؛ فَلِذَلِكَ اسْتَجَازُوا النَّظَرَ فِي شَأْنِهِ ، وَالتَّمثِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَظِيرِهِ .

وَتَعْلَمُ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ أَنَّ السُّكَابَ إِذَا كَانَ فِيهِ ، مَعَ خُسُوفِهِ وَسُقُوطِهِ ، مِنْ عَجِيبِ التَّدْبِيرِ وَالنُّعْمَةِ السَّابِغَةِ وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ، مِثْلُ هَذَا الْإِنْسَانِ

(١) ل : « كل أثره وإجهاد » وليس بشيء .

(٢) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٣) ط : « يقول » وهو تحريف .

فَالَّذِي لَهُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، أَحَقُّ بِأَنْ يُفَكَّرَ فِيهِ ،
وَيُحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا أَوْدَعَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ الْعَجِيبَةِ ، وَالنُّعْمَةِ السَّابِغَةِ .
وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النظرُ في التوحيدِ ، وفي نفي
التشبيهِ ، وفي الوعدِ والوعدِ ، وفي التعديلِ والتجويرِ ، وفي تصحيحِ الأخبارِ ،
والتفضيلِ بين علمِ الطبائعِ والاختيارِ ، لكان أصوبَ .

(دفاع عن المتكلمين)

والعجبُ أنَّكَ عَمَدْتَ إِلَى رِجَالٍ لَا صِنَاعَةَ لَهُمْ وَلَا تِجَارَةَ إِلَّا الدَّعَاءُ إِلَى
مَا ذَكَرْتَ ، وَالِاحْتِجَاجُ لِمَا^(١) وَصَفْتَ ، وَإِلَّا وَضَعُ الْكِتَابِ فِيهِ وَالْوِلَايَةُ
وَالْعِدَاوَةُ فِيهِ ، وَلَا لَهُمْ لَذَّةٌ وَلَا هَمٌّ وَلَا مَذْهَبٌ وَلَا مَجَازٌ إِلَّا عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ ؛
١٠٣ فحين أرادوا أن يُقَسِّطُوا بَيْنَ الْجَمِيعِ بِالْحِصَصِ ، وَيَعْدِلُوا بَيْنَ السَّكَلِ بِإِعْطَاءِ
كُلِّ شَيْءٍ نَصِيبَهُ ، حَتَّى يَقَعَ التَّعْدِيلُ شَامِلًا ، وَالتَّقْسِيطُ جَامِعًا ، وَيُظْهِرَ
بِذَلِكَ الْخَفِيَّ مِنَ الْحِكْمِ ، وَالْمُسْتَوْرُ مِنَ التَّدْبِيرِ ، اعْتَرَضَتْ بِالْتَعَنُّتِ
وَالْتَعْجُبِ ، وَسَطَّرَتْ السَّكَلَامَ ، وَأَطَلَّتِ الْخُطْبَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ
صَوَّبَ رَأْيَكَ أَدِيبٌ ، وَشَايَعَكَ حَكِيمٌ .

(نسك طوائف من الناس)

وَسَأْضِرُّ لَكَ مِثْلًا قَدْ اسْتَوْجِبْتَ أَغْلَظَ مِنْهُ ، وَتَعَرَّضْتَ لِأَشَدِّ مِنْهُ
وَلِسَكْنَا نَسْتَأْنِي بِكَ وَنَنْتَظِرُ أَوْبَتَكَ . وَجَدْنَا لْجَمِيعِ أَهْلِ النَّقْصِ ، وَلْأَهْلِ
كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ نُسْكَاءً يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِي الْجَمَالِ ، وَيَحْتَسِبُونَ بِهِ فِي الطَّاعَةِ
وَطَلَبِ الثُّبُوتِ ، وَيَفْزَعُونَ إِلَيْهِ ، عَلَى قَدْرِ فَسَادِ الطَّبَاعِ ، وَضَعْفِ الْأَصْلِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « بَمَا » .

راضطرابِ الفرع ، مع خبثِ المنشأ ، وقلّة الثبوتِ والتوقّف ، ومع كثرة النقلُ والإقدام مع أوّلِ خاطر : فُنسك المريبِ المرتابِ من المتكلمين أن يتحلّى برمي الناسِ بالرّيبة ، ويتزيّن بإضافة ما يجدُ في نفسه إلى خصمه ، خوفاً من أن يكونَ قد فطِنَ له ، فهو يسْتُرُ ذلك الداءَ برمي الناسِ به .

وُنسكُ الخارجيّ الذي يتحلّى به ويتزيّنًا بجماله ، إظهارُ استعظامِ المعاصي ، ثم لا يلتفتُ إلى مجاوزةِ المقدارِ وإلى ظلمِ العباد ، ولا يقفُ على أن الله تعالى لا يحبُّ أن يظلمَ أظلمَ الظالمين ، وأنّ في الحقِّ ما وسعَ الجميع .

وُنسكُ الحراسانيُّ أن يُحجَّ وينامَ على قفاه ، ويعقدُ^(١) الرّياسة ، ويتيمّأ للشّهادة ، ويبسطُ لسانه بالحسبة . وقد قالوا : إذا نسكُ الشّريفُ تواضعَ ، وإذا نسكُ الوضيعُ تكبّرَ . وتفسيرُهُ قريبٌ واضح .

وُنسكُ البَنويِّ^(٢) والجنديّ طرْحُ الديوانِ ، والزّرايةُ على السُّلطانِ^(٣) . ونسكُ دهاقينِ السّوادِ تركُ شُرْبِ المطبوخِ^(٤) . وُنسكُ الخِصيّ لُزُومَ طرسوسٍ وإظهارُ مجاهدةِ الرومِ . وُنسكُ الرافضيّ تركُ النّبيذِ . ونسكُ البستانيُّ تركُ سرقةِ الثّمَرِ . وُنسكُ المغنّي الصّلاةُ في الجماعةِ وكثرةُ التّسبيحِ ، والصّلاةُ على النّبيِّ صلى الله عليه وسلم .

ونسكُ اليهوديّ التّشدّدُ في السّبْتِ وإقامته .

والصوفيُّ المظهرُ النُّسكُ من المسلمين ، إذا كان نُسلاً يبغيضُ العمل

(١) ط : « يفقد » وليس بشيء .

(٢) ط : « الكوفي » .

(٣) ط : « والزيارة لسلطان » ل : « والزيارة على السلطان » وقد جعلت القول كما ترى .

(٤) في القاموس : « الطبخ ضرب من المنصف » . وفي مادة نصف « وكمظم : الشراب طبخ حتى ذهب نصفه » .

تطرف^(١) وأظهر تحريم المكاسب، وعاد سائلاً ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناس له .

وإذا كان النصرانيُّ فسلماً نذلاً مبغضاً للعمل ، ترهب ولبس الصوف ؛ لأنه واثق أنه متى لبس وتزيّاً بذلك الزيِّ وتحلّى بذلك اللباس ، وأظهر تلك السّيما ، أنه قد وجبَ على أهل اليسر والثروة منهم أن يعولوه ويكفّوه ، ثم لا يرضى بأن ربح الكفاية باطلاً حتى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلم المريب أهل البراءة ، ظنَّ أنه قد حوّل ريبته إلى خصمه ، وحوّل براءة خصمه إليه . وإذا صار كلُّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمانة ، ووقفَ على النهاية . فاحذر أن تكونَ منهم واعلم أنك قد أشبهتهم في هذا الوجه ، وضارعتهم في هذا المذهب .

باب

نما قدمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق .

يقال : أجرأ من الليث ، وأجبن من الصفرّد ، وأسخى من لافضة ، وأصبر على الهون^(٢) من كلب ، وأحذر من عقّعق ، وأزهى من غراب ، وأصنع من سُرْفَة^(٣) وأظلم من حيّة ، وأغدر من الذئب ، وأخبيث من ذئبِ خمر^(٤) وأشدُّ عداوةً من عقرب ، وأروع من ثعلب ، وأحمق من حبارى ، وأهدى من قطاة ، وأكذب من فاختة ، وأأم من كلب على جيفة ،

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « ببعض » موضع « يبغض » . وفي ل : « تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من شرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « ضمير » وهو تحريف . والخمر ، بالتحريك : ماوارك من شجر وغيره .

وأَجْمَعُ من ذَرَّةٍ ، وأَضِلُّ من حِمَارٍ أَهْلِي (١) ، وأَعْقُ من ضَبٍّ ، وأَبْرُ من هِرَّةٍ ، وأنْفَرُ من الظَّليمِ ، وأَضَلُّ من وَرَلٍ (٢) وأَضَلُّ من ضَبٍّ ، وأَضَلُّ من الحَيَّةِ .

فيعبرون عن هذه الأشياء بعبارة كالعبارة عن الناس ، في مواضع الإحسان والإساءة ، حتى كأنهم من الملمومين والمشكورين ، ثم يعبرون في هذا الباب الآخر بدون هذا التعبير ، ويجعلون خبرهم (٣) مقصوداً على ما في الحِلَاقَةِ من الغريزة والقوى فيقولون : أبصرُ من عُقابٍ ، وأسمعُ من فرَسٍ ، وأطولُ ذمَاءً من ضَبٍّ ، وأصحُّ من الظَّالمِ .

والثاني يشبه العبارة عن الحمد والذم ، والأول يشبه العبارة عن اللائمة والشكر (٤) . وإنما قلنا ذلك ، لأنَّ كلَّ مشكورٍ محمود ، وليس كلُّ محمودٍ مشكورا ؛ وكلُّ ملمومٍ مذمومٍ وليس كلُّ مذمومٍ ملموماً . وقد يحمدون البَلَّةَ ويذمُّون الأخرى ، وكذلك الطعام والشراب ، وليس ذلك على جهة اللوم ولا على جهة الشكر ؛ لأنَّ الأجر (٥) لا يقع إلَّا على جهة النخير والتسكُّف ، وإلَّا على ما لا يُنالُ إلَّا بالاستطاعة (٦) والأولُ إنما يُنالُ بالحِلَاقَةِ وبمقدارٍ من المعرفة ، ولا يبلغ أن يسمَّى عقلاً ، كما أنه ليس كلُّ قُوَّةٍ تسمَّى استطاعةً . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) ل : « أهله » .

(٢) ل : « أشرد من ورل » .

(٣) ط : « خيرهم » والصواب ما في ل .

(٤) ط : « السلامة والشكر » والوجه ما في ل .

(٥) ط : « الأخر » وهو تصحيف .

(٦) ط : « ما لا يتقال التمني بالاستطاعة » وهي عبارة مشوهة .

باب

ما ذكر صاحبُ الديك من ذمِّ السُّكَّابِ وتعدادِ أصنافِ معايِبها^(١) ومثالبها ، من لؤمها وجبنها^(٢) وضعفها وشرِّها ، وغدرها وبدائها ، وجهلها ١٠٥ وتسرعها ، وتنتها وقدرها ، وما جاء في الآثار من النهي عن اتخاذها وإمساكها ، ومن الأمر بقتلها وطردها ، ومن كثرةِ جنائياتها وقلةِ ردِّها^(٣) ومن ضرب المثل بلؤمها وندالتها ، وقبحها وقبحِ معاظلتها^(٤) ومن سماجةِ نُباجِها وكثرةِ أذاها ، وتمتدُّ المسلمين من دنوِّها^(٥) [وأنها تأكل لحومَ الناسِ] ، وأنها كخالقِ المركَّبِ والحيوانِ الملققِ : كالبُغْلِ في الدوابِّ وكالرَّاعيِّ في الحمامِ^(٦) ، وأنها لاسبعٌ ولا بهيمةٌ ، ولا إنسيَّةٌ ولا جنِّيَّةٌ ، وأنها من الجنِّ^(٧) دون الجنِّ ، وأنها مطايا الجنِّ ونوعٌ من المسخِّ ، وأنها تنبشُ القبورَ وتأكلُ الموتى ، وأنها يعترها السُّكَّابُ من أكلِ لحومِ الناسِ .

فإذا حكينا ذلكَ حكينا قولَ من عدَّدَ محاسنها ، وصنَّفَ منابها ، وأخذنا من ذكرِ أسمائها وأنسابها وأعرافها ، وتفديةِ الرجالِ إيَّها^(٨)

(١) ط : « معائبها » بالهمز وهو خطأ صوابه في ل ، إذ المعايِب جمع معاب أو معايبته بمعنى الغيب ، فيأؤه في الجمع أصيلة غير زائدة فلا يصح قلبها همزة ، مثلها في ذلك مثار معيشة ومعايش .

(٢) ط : « وخبيثها » والسُّكَّابُ يرصف بالجن .

(٣) الرد : النفع . ما عدال : « ودها » ، تحريف .

(٤) ط : « معاظلتها » وهو تحريف . والعظال : الملازمة في السفاد من السُّكَّابِ ونحوه .

(٥) ط : « درنها » .

(٦) ط : « والزَّاعِبي من الحمام » وهو تصحيف نهبت على صوابه فيما سبق .

(٧) ط : « الجن » وصوابه في ل .

(٨) ط : « وتفديةِ الرجالِ إيَّها » وهو تحريف .

واستهتارهم بها ، وذكر كسبها وحراستها ، ووفائها وإفهامها وجميع منافعها ، والمرافق التي فيها ، وما أودعت من المعرفة الصحيحة والفطن العجيبة والحسن اللطيف^(١) والأدب المحمود . وذلك سوى صدق الاسترواح وجودة الشم ، وذكر حفظها ونفاذها واهتمامها ، وإثباتها لصور أربابها وجيرانها ، وصبرها ، ومعرفتها بحقوق الكرام ، وإهانتها للثام ، وذكر صبرها على الجفا ، واحتمالها للجوع ، وذكر ذمامها وشدة منعها معاقدة الذمار منها^(٢) ، وذكر يقظتها وقلة غفلتها^(٣) وبعده أصواتها ، وكثرة نسلها وسرعة قبولها وإفهامها وتصرف أرحامها في ذلك ، مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها ، وكثرة أعمامها وأحوالها ، وترددها في أصناف السباع ، وسلامتها من أعراق البهائم ، وذكر لحنها وحكايتها ، وجودة ثقافتها ومهنتها^(٤) وخدمتها ، وجددها ولعبها وجميع أمورها ؛ بالأشعار المشهورة والأحاديث المأثورة ، وبالكتب المنزلة والأمثال السائرة ، وعن تجربة الناس لها وفراستهم فيها ، وما عاينوا منها ؛ وكيف قال أصحاب الفأل فيها ، وبإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسنانها^(٥) ومنتهى أعمارها وعدد جرائها ، ومدة حملها ، وعن أسمائها وألقابها ، وسمايتها وشياتها ، وعن دوائها وأدوائها

(١) ط : « والحسن اللطيف » وليس بشيء .

(٢) ل : « منبها » موضع « منعها » . ط : « الذمام » مكان « الذمار » . والذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته ، وأما الذمام فهو الحق .

(٣) ل : « وكثرة غفلتها » وبذلك يفسد المعنى .

(٤) ط : « ثقافتها » موضع « ثقافتها » والوجه في الثاني . إذ الثقاف : هو الجلود والخصام وماتسوى به الرماح . ولا وجه له هنا . وأما الثقافة فهي من ثقف كسكرم وفرح صار حاذقا خفيفا فطنا . . . وفي ل : « وفهمها » بدل « مهنتها » .

(٥) ط : « أسنادها » وليس بشيء .

وسياستها ، وعن اللاتي لا تلقن منها^(١) وعن أعراقها والخارجي منها^(٢) وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحب الديك ما يحفظ من أكل الكلاب للحووم الناس فقال :

قال الجارود بن أبي سبرة^(٣) في ذلك :

ألم تر أن الله ربِّي بحولِهِ وقوته أخزى ابنَ حمرة مالكا
فَنُ كانَ عنه بالمغيَّبِ سائلاً فقد صارَ في أرض الرُّصافةِ هالكا
تظُلُّ الكلابُ العادياتُ يَنُشْنَه إذا اجتَبنَ مُسودًّا مِنَ اللَّيْلِ حالكا^(٤)

وقال نفع بن صفار المحاربي^(٥) من ولد محارب بن خصفة^(٦)

في حرب قيسٍ وتغلب :

أفنتَ بني جُشمِ بن بكرٍ حربنا حتى تعادلَ ميلُ تغلبِ فاستوى
أكلَ الكلابُ أنوفَهُمُ وخُصاهُمُ فلتبِكَ تغلبُ للأَنوفِ وللخُصى

وقال أبو يعقوب الخزيمي ، وهو إسحاق بن حسان بن قوهي^(٧) في

قتلى حربٍ بيغداد :

(١) ط : « لا تلقى منها » وهو تحريف .

(٢) الجاحظ يجعل « الخارجى » مقابل « العريق » كما في البيان ١ : ٣٠ ، ٩٠ .

(٣) ط : « سمرة » وهو تحريف . قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٩ . « وكان

الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا نوفل - من أبن الناس وأحسنهم حديثا . وكان رواية علامة شاعرا مفلتا . وكان من رجال الشيعة ولما استنطقته الحجاج قال : ماظنت أن بالعراق مثل هذا !! » . توفي سنة ١٢٠ كما في تقريب التهذيب ص ٢٨ .

(٤) ل : « يبنه » مكان « ينشنه » ط : « إذا اجتبن مستورا » .

(٥) ط : « نفع بن الصفار المحاربي » وأثبت ما في ل .

(٦) ط : « خضعة » والصواب « خصفة » كما في نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .

(٧) ط : « ابن يعقوب الخزيمي . وهو إسحاق بن حسان بن موسى » والصواب ما أثبت

من ل ومن تاريخ بغداد ٣٣٦٩ . قال الخطيب : « وأصله من خراسان من بلاد السغد » وكان متصلا بخزيم بن عامر المرى وآ له فنسب إليه . وقيل كان اتصاله بعثمان بن خزيم =

وهل رأيتَ الفتیانَ فی باحةِ المَعْرِكِ مَعْفُورَةً مَنَاحِرُهَا (١)
کلّ فتیّ مانعٍ حقیقتهِ یَشْقَى به فی الوَعَى مَسَاعِرُهَا
باتتَ علیه الکلابُ تنهَشُهُ مَحْضُوبَةً من دمٍ أَظَافِرُهَا
وقال أبو الشمقمق (وهو مروان بن محمد ، مولى مروان بن محمد ،
ويكنى أبا محمد) (٢) :

یوسفُ الشاعرُ فَرَّخُ وَجَدُوهُ بِالْأُبَلَّةِ
حَلَقِي قَدْ تَلَقَى كَامِنًا فِي جَوْفِ جُلَّةِ (٣)
خِيطُهَا خَشِيَةَ الْكَلْبِ عَلَيْهِ بِمِسَلَّةِ

وذكر لي عن أبي بكر الهذلي ، قال : كُنَّا عِنْدَ الْحَسَنِ إِذْ أَقْبَلَ وَكَيْعُ
ابن أبي سؤد فجلس ، فقال يا أبا سعيد : ما تقولُ في دم البراغيث يُصِيبُ
الثوب : أَيْصَلِي فِيهِ ؟ فقال : يا عجباً مِمَّنْ يَلِغُ فِي دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُ كَلْبٌ ،
ثم يسألُ عن دم البراغيث !! فقام وكيعٌ يتخلَّجُ في مِشِيْتِهِ كَتَخَلَّجُ الْمَجْنُونِ ،
فقال الحسن : إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ نِعْمَةٌ فَيَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، اللَّهُمَّ
لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك ! !

= وأبوه خريم الموصوف بالناعم ، ثم قال : « وله مدائح في محمد بن منصور
ابن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما . هـ . السجستاني : الحرابي أشعر المولدين .
وانظر لخرم الناعم قاموس الزركلي ١ : ٢٩٠ ، وأمثال الميسداني ٢ : ٢٨١ . والتقصيدة في
تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٦ - ١٨٠ .

(١) ط : « ساعة » - ولعلها « ساحة » - موضع « باحة » .

(٢) ترجمته في تاريخ بغداد ٧١٢٨ وابن خلكان ، في تضاعيف ترجمة يزيد
ابن مزيد ، ولم يفرد له ترجمة . وأبو الشمقمق اجتمع ببشار وأبي نواس ، ودخل
بغداد في أيام الرشيد ، وهو بصرى .

(٣) ط « حلقى بلقي » . وانظر شفاء الغليل للخفاجي في تفسير الحلقى . والبلقي لعله
منسوب إلى البلقي بالتحريك بمعنى الحق ، و« كامنا » هي في الأصل « كامن » والوجه النصب .

(ما أضيف من الحيوان إلى خبث الراحمة)

وقال صاحب الديك : أشياء من الحيوان تُضاف إلى نتن الجلود
وخبث الراحمة ، كريح أبدان الحيات ، وكنتن الثيوس وصنن عرقها ،
وكنتن جلد الكاب إذا أصابه مطر . وضروب من نتن في سوى ذلك ،
نحن ذاكروها إن شاء الله تعالى .

وقال روح بن زنباع الجذامي في امرأته ، وضرب بالكلب المثل :
ريح الكرائم معروف له أرج وريحها ريح كلب مسة مطر
قال : وكانت امرأة روح بن زنباع أم جعفر بنت الثعمان بن بشير ،
١٠٧ وكان عبد الملك زوجها إياها ، وقال : إنها جارية حسناء ، فاصبر على
بذاء لسانها .

وقال الآخر :

وريح مجروب وريح جله وريح كلب في غداة طلة^(١)

وأنشد أبو زيد في ذلك :

كان ريحهم من خبث طعمتهم وريح الكلاب إذا ما بلها المطر^(٢)

ومما ذكر به الكلب في أكلة العنبرة ، قول الراجز :

* أحرص من كلب على عقي صبي^(٣) *

وقال مثل ذلك حنظلة بن عرادة [في ذكره] لابنه السرندي :

(١) ط : « كلة » وتصحيحه من ل .

(٢) ط : « إذا مامسها مطر » . والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٢٧ .

(٣) ط : « عقي » والصواب بالقاف كما في ل . والعقي بالكسر : ما يخرج من

بعان الولد حين يولد .

مَالِ السَّرْنَدَى أَطَالَ اللهُ أَيْمَتَهُ خَلَّى أَبَاهُ بِقَفْرِ الْبَيْدِ وَأَدْلَجَا (١)
 جَمَعَ خَبِيثٌ يُعَاطِي الْكَلْبَ طَعْمَتَهُ وَإِنْ رَأَى غَفْلَةً مِنْ جَارِهِ وَجَلَا (٢)
 رَبَيْتَهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرَخِ أَضْرِبُهُ
 وَالْكَلْبُ يَلْحَسُ مِنْ تَحْتِ اسْتِهِ الرَّدَجَا (٣)

يقال للذي يخرج من بطن الصبي حين يخرج من بطن أمه عقي بكسر العين ، ويقال عقى الصبي يعقى عقياً ، فإذا شد بطنه للسمن قيل قد ضرب ليسمن (٤) . والعقي وهو العقية الغيبة ، وإياه عنى ابن عمر حين قيل له : هلاً بايعت أخاك ابن الزبير ؟ فقال : إن أخى وضع يده في عقية (٥) ودعاه إلى البيعة . إنى لا أنزع يدي من جماعة وأضعها في فرقة (٦) .

وفي الحديث المرفوع : « الراجع في هبته كالراجع في قبته » . وهذا المثل في الكلب .

ويقال : « أبجل من كلب على جيفة » . وقال بعضهم في الكلب : الجيفة أحب إليه من اللحم الغريض ، ويأكل العذرة ويرجع في قبته ، ويشغر ببوله فيصير في جوف فيه وأنفه ، ويحذفه تلقاء (٧) خيشومه .

(١) ط : « بغير البيد » .

(٢) ط : « ربح خبيث » وهو تحريف . والمجع بالكسر : الأحق ، إذا جلس لم يكذب من مكانه ، والجاهل ، وفيها « جارة » وهو تصحيف .

(٣) ط : « أعظمه » موضع « أصر به » وفي ل « أطعمه » وأثبت ما يقتضيه كلام الجاحظ الآتي .

(٤) في الأصل « اشتد » موضع « شد » ، وهو تحريف . وفي ط : « ضرب » مكان « قد ضرب » وتصحيحه من ل .

(٥) ط : « قبته » وبذلك يفوت الاستشهاد . والصواب في ل .

(٦) ط : « واضعا في فرقة » .

(٧) ل : « ويسده » .

وقال صاحب الكلب : إن كنتم إنما تستسقطون الكلب^(١) وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفة أنتم من العذرة ، والعذرة شرٌّ من التيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط الغريص الغضّ .

(ما أكل السبع)

والأسد سيّد السباع ، وهو يأكل الجيفة ، ولا يعرض لشرائع الوحش واقتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ما وجد في فريسته فضلة . ويبدأ بعد شرب الدّم فيقرب بطنه ويأكل ما فيه من الغنثة والثفل^(٢) والحشوة والزبل ، وهو يرجع في قيئه ، وعنه^(٣) ورث السنور ذلك .

(ما قيل في السبع من الأمثال)

وهو المضروبُ به المثلُ في النجدة والبسالة ، وفي شدة الإقدام^(٤) ١٠٨ والصولة ، فيقال : « ما هو إلاّ الأسد على برائنه » و « هو أشدُّ من الأسد » و « هو أجراً من الليث العادي » و « فلان أسدُّ البلاد » و « هو الأسد الأسود^(٥) » . وقيل لحمزة بن عبد المطلب أسدُ الله . فكفّك من نبل الأسد أنّه اشتقَّ لحمزة بن عبد المطلب من اسمه . ويقال للملك أصيد إذا أرادوا

(١) ط : « تستسقطون » وهو تصحيف .

(٢) ط : « القيتة » والثفل وهو تحريف ما في ل .

(٣) ط : « وعند » وتصحيحه من ل .

(٤) ط : « وهو في شدة الإقدام » وكلمة « هو » متحمة .

(٥) ط : « الأسود » ولعله « وهو أسد الأسود » .

أن يصفوه بالكبير وبقلّة الالتفات ، وبأن أنفه فيه أسلوب (١) ولأنّ الأسد يلتفت معاً لأنّ عنقه من عظم واحد . وقال حاتم (٢) :

هلاً إذا مطر السماء عليكم (٣) ورفعت رأسك مثل رأس الأصيل
وقال الآخر :

يذودون كلباً بالرياح وطيباً وتغلب والصيّد النواظر من بكر
وقال الآخر :

وكم لي بها من أب أصيد نماه أب ماجد أصيد (٤)
وبعد فإنّ الذي يأكل الجيفة لم يبعد من طبع كثير من الناس ؛ لأنّ من الناس من يشتهي اللحم الغاب ، ومنهم من يشتهي النمسكسود (٥) .
وليس بين النمسكسود وبين المصلوب اليابس كبير فرق ، وإنما يذبحون الديكة والبط والدجاج والدراج من أول الليل ، ليسترخى لحمها ، وذلك أول التّجيف (٦) .

فالأسد أجمع لهذه الخصال من السكاب ، فهلاً ذكرتم بذلك الأسد وهو أنبه ذكراً وأبعد صيتاً .

وأما ما ذكرتم من نتن الجلد ومن استنشاق البول ، فإنّ للتيس في ذلك ما ليس للسكاب ، وقد شاركه في الحذف ببوله تلقاء أنفه ، وبأينه بشدة الصنّان ؛ فإنّ الأمثال له أكثر ذكراً . وفي العنز أيضاً عيوب .

(١) ل : « وبأن أنفه أسلوب » ط : « . . . في أسلوب » وسويت العبارة كما ترى .
والأسلوب : الشموخ في الأنف .

(٢) في الأصل « أبو حاتم » وإنما هو حاتم الطائي ، والبيت من أبيات ستة لها خبر في آخر ديوانه بخمسة دواوين العرب ١٢٨ .

(٣) ط : « مطرت سماءكم بها » ، وفي الديوان :

* ها إنما مطرت سماءكم دما *

(٤) ط : « نماه لجذ أب أصيد » .

(٥) انظر للنمسكسود ماورد في تذكرة داود .

(٦) ماعدا ل والأمبروزيانا « التجيف » .

وفى توجيه التيس ببوله إلى حاق خيشومه قال الشاعر لبعض
من يهجوهُ :

دُعِيتَ يَزِيدَ كى تَزِيدَ فلم تَزِدْ فعادَ لكِ المُسْمَى فأسمَاكِ بالقحِرِ^(١)
وما القحِرُ إلاَّ التيسُ يَعْتِكُ بولهُ عَلَيهِ فيمذَى في لَبَانٍ وفي نحرِ^(٢)
وقال آخر في مثل ذلك^(٣) :

أَعْمَانُ بنُ حِيَّانِ بنِ لُؤْمٍ عَتُودٌ في مفارِقِهِ يَبُولُ
ولو أُنِّي أَشَافُهُ لَشَالَتْ نَعَامَتُهُ ويفهَمُ ما يقولُ

١٠٩ وبعد فما يُعَلِّمُ من صنيع العز^(٤) في لبنا وفي الارتضاع من خلفها
إِلَّا أَقْبَحَ .

وقال ابن أحمَرَ الباهليُّ في ذلك :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي مَهْمٍ وَجَامِلِهِمْ كالعزِ تعطِفُ رُوْقِيهَا وتَرْتَضِعُ^(٥)
وقلم : هَجَا ابْنُ غَادِيَةِ السُّلَمِيِّ^(٦) بعضَ الكِرَامِ ، حينَ عَزَلِ عن
يَنْبُجِ ، فقال لمن ظنَّ أَنَّهُ إِنَّمَا عَزَلِ لمكانه :

رَكِيبُكَ مُرْتَحَلًا فَظَهْرُكَ مِنْهُمْ دَبِيرُ الحِرَاقِفِ والفَقَارِ مُوقِعُ
كالكلبِ يَنْبُجُ خانِقِيهِ وينتجى نحوَ الذينَ بهم يَعِزُّ ويمنعُ

(١) ط : « بالفجر » وهو تصحيف ما في ل ، والقحر أصل معناه البير المسن .

(٢) ط : « الفجر » موضع « القحر » و « يعتل » مكان « يعتك » . يقال عتك عليه يضربه

أى لم يهنه عنه شيء . . . وفي ل : « ويمذى و اللبان وفي النحر » .

(٣) هو المرار الفقعى . انظر حواشى ٥ : ٤٦٤ .

(٤) ل : « فانعلم صنيع » .

(٥) ط : « وجاهلهم » ل : « وجاهلهم » وتصحيحه مما سيأتى في هذا الجزء ص ٣٥٤ ومنهيون

الأخبار ٢ : ٧٥ . والجمال : قطيع الإبل معه رعيانه وأربابه .

(٦) ط : « السلمحا » وفي ل : « عادية » بالعين . وأثبت ما في س و م .

وقال ابن هرمة الفهري :

فما عادت لذي يمن رءوسا ولا ضرت بفرقتها زاراً
كعنز السوء تنطح من خلاها وترأم من يحد لها الشفارا

وما نعلم الرجوع في الجرة ، وإعادة الفرث إلى الفم ليستقصى مضغه
إلا أسمع^(١) وأقدر من الرجوع في القيء . وقد اختار الله عز وجل تلك
الطبيعة للأنعام ، وجعل الناس ليسوا لشيء من اللجان أشد أكلاً
ولا أشد عجباً به منكم^(٢) ، ولا أصلح لأبدانهم ولا أغذى لهم من لحوم
هذه الأنعام أفتانها ومسائها .

وقال صاحب الديك : ما يشبه عود الماشية في الجرة ، ورجوعها
في الفرث تطحنه وتسيغه ، الرجوع في القيء . وقد زعمت أن جرة البعير
أنتن من قيء الكلاب لطول غبؤها^(٣) في الجوف ، وانتلابها إلى طباع
الزبل ، وأنها^(٤) أنتن من التلط . وإنما مثل الجرة مثل الريق الذي ذكره
ابن أحر فقال :

هذا الثناء وأجدر أن أصحابه وقد يدوم ريق الطامع الأمل^(٥)
فإنما مثل القيء مثل العذرة ؛ لأن الريق الذي زعمت ، مادام في فم

(١) ط : « إلى السمع » وهو تحريف ما في ل .

(٢) وضعت كلمة (به) في ط بعد أكلا . وتصحيحه من ل .

(٣) ط : « غيوبها » والغيوب صحيحة ، والأشبه « غيوبها » بالباء كما مضى قريباً
وكما في ل .

(٤) في ط : « وأنه » وفي ل : « وأنها » والوجه ما أثبت لأن الضمير راجع
إلى الجرة .

(٥) ط : « يصاحبه » و « يدوم » وتصحيحه من ل ومن البيان ١ : ١٨٠ .

صاحبه ، ألدُّ من السلوى ، وأمتع من النسيم ، وأحسن موقِعاً من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك ما لم يزايل موضعه ، ومتى زایل فَمَ صاحبه إلى بعض جِلده اشتدَّت نثنه وعادَ في سبيل القى .

١١٠ فالريقُ والجِرَّةُ في سبيل واحد ، كما أنَّ القى والعِدرة في سبيل واحد . ولو أن السكبَ قلَسَ حتى يمتلئ منه فمه ، ثم رجع فيه من غير مباينة له ، لكان في ذلك أحقُّ بالنظافة من الأنعام في جرَّتِها ، وحشيتِها وأهلِيَّتِها ، وإنَّ الأرانِبَ لتَحِيضُ حِيضاً نَتِناً ، فإعاف لحمها أصحابُ التَّقَدْرِ (١) لمشاركتِها الأنعامَ في الجِرَّةِ .

فقال صاحب الكلب : أمّا ما عبتموه من أكلِ العِدرة ، فإنَّ ذلك عامٌّ في الماشية المتخيري لحمها على اللُحان ؛ لأنَّ الإبل والشيء (٢) كدَّها جَلالة وهُنَّ على يابس ما يخرج من الناسِ أحرصُ ؛ وعلى أنها إذا تعودت أكلَ ما قد جفَّ ظاهره وداخله رطباً ، رَجَعَ أمرها إلى ما عليه الكلب . ثم الدجاج لا ترَضَى بالعِدرة ، وبما يَبْقَى من الحبوب التي لم يأتِ عليها الاستمراء والهضم ، حتى تلتمس الديدان التي فيها ، فجميع نوعين من العِدرة (٣) لأنها إذا أكلت ديدان العِدرة فقد أتت على النوعين جميعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحكم (٤) في هجائه الأنصار نجيبث الطعام ،

(١) ط والأمبروزيانا : « التقرز » وهو الاشترزاز . والتقدر من تقدر الشيء : عده قدراً .
(٢) في الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنعت .
(٣) ط : « فيجتمع نوعان » .

(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم هذا شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الأنصارى فيقاومه ، وينتصف كل واحد منهما من صاحبه . له ترجمة في الأغاني ١٢ : ٦٩ - ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو ممن ولى الكونة وأسأها السيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال فذمه أهلها ، وتظلموا منه فعزله واطرحه . الأغاني ١٣ : ٣٢ .

فضرب المثل بالدجاج من بين جميع الحيوان ، وترك ذكر الكلاب وهي له مُعرضة فقال :

وللأنصارَ آكلُ في قرأها مُلحيثِ الأَطعماتِ مِنَ الدجاجِ (١)
ولو قال :

وللأنصارَ آكلُ في قرأها مُلحيثِ الأَطعماتِ مِنَ الكلابِ
لكانَ الشَّعرُ صحيحاً مُرضياً .

وعلى أن الكلاب متى شِبت ، لم تعرض للعذرة . والأنعامُ الجلالةُ وكذلك الحافر ، قد جعلت ذلك كالحمض إذا كانت لها خلة ؛ فهي مرة تتغذى به ومرة تتحمض . وقد جاء في لحوم الجلالة ماجاء .

(رغبة الملوك والأشراف في الدجاج)

وملوكنا وأهل العيش منا ، لا يرغبون في شيء من اللحمان رغبتهم في الدجاج ، وهم يقدمونها على البط والنواهض ، والقبيج والدراج . نعم وعلى الجداء والأعنت الحمير من بنات الصقايا . وهم يعرفون طبعها وسوء قوتها (٢) ، وهم مع ذلك يأكلون الرواعي كما يأكلون المسمنات .

(الشبوط أجود السمك)

وأطيب ما في الأنهار من السمك ، وأحسنها قدوداً وخرطاً ، وأسبها سبوطاً (٣) ، وأرفعها ثمناً وأكثرها تصرفاً في المالح والطرى ، وفي

(١) ل : « كخبث » وهو تحريف .

(٢) ط : « وشهوتها » .

(٣) ل : « سباطة » يقال سبط سباطة وسبوبة وسبوطا .

القريش والنشوط^(١) ، وليس في الماء سمكة ربيعة الذكر ولا ذات
نحول ، إلا وهي أحرص على أكل العذرة منها ، وإنما [في ذلك]^(٢) لأشد
طلباً لها من الخنزير في البر ، والجري في البحر .

(لحم الخنزير)

وقد علم الناس كيف استطابة أكل لحوم الخنازير ، وأكل
١١٦ الخنازير لها ، وكيف كانت الأكاسرة والقيصرة يقدمونها ويفضّلونها .
ولولا التعبُدُ لجري عندنا مجراه عند غيرنا .
وقد علم الناس كيف استطابة أكل الجري لأذناها^(٣) .

(ما قيل في الجري)

وفي الجري قال أبو كلدة : هو أدم العميان ، وجيد في الكوشان^(٤)
ودواء للسكيتين^(٥) ، وصالح لوجع الظهر وعجب الذنب ، وخلاف على
اليهود ، وغيط على الروافض ؛ وفي أكله إحياء لبعض السنن ، وإماتة
بعض البدع ، ولم يفلح عليه مكثر منه قط ، وهو محنة بين المبتدع

(١) في القاموس : سمك قريش : طبخ وعمل فيه صباغ وترك حتى جمد . وفي مبادئ
اللغة ٧٤ : « والقريش : لحم يطبخ بخل ثم يبرد » . وهي في ط « القريش »
وفي ل : « القريش » وهما كلمتان محرفتان . . وأما النشوط فهي كلمة ساقطة
من ط . والنشوط : سمك يقر في ماء وملح .

(٢) الكلمة من الأميروزيانا .

(٣) في ط : « لأذناها محشوا » وفي ل : « لأذناها محسيا » ومحسيا ومحشوا كلمتان
مقحمتان فأسقطتهما . واللام في « لأذناها » بمعنى إلى .

(٤) الكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « في السكيتين » وهو تحريف .

والسُّيِّ ، هلك فيه فِئْتَانِ (١) مذ كانت الدنيا : محلُّ ومحرَّم .
وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجلد ، ناقصُ الدماغ ،
يلتهم العذرة ويأكل الجرذان (٢) [صحاحاً والفأر] ، وزهيمٌ لا يُستطاعُ أكله
إلا محسباً (٣) ولا يتصرفُ تصرفَ السمك ، وقد وقع عليه اسم المسخ ،
لا يطيب مملوحاً ولا ممقوراً ، [ولا يؤكل] كباباً ، ولا يُختارُ مطبوخاً ، ويُرى
كلُّه إلا ذنبه (٤) .

والأصناف التي تعرض للعذرة كثيرة ، وقد ذكرنا الجلائل من
الأنعام والجرى والشبوط من السمك . ويعرض لها من الطير الدجاج
والرَّخْمُ والهداهد .

(الأنوق وما سمي بهذا الاسم)

وقد بلغ من شهوة الرِّخمة لذلك ، أن سمّوها الأنوق ، حتى سمّوا كلَّ
شيءٍ من الحيوان يعرض للعذرة بأنوق ، وهو قول الشاعر :
حَيٌّ إِذَا أَضْحَى تَدَرَّى وَاكْتَحَلْ بِحَارْتِيهِ ثُمَّ وَلَّى فَنَثَلْ
* رِزْقَ الْأَنْوَقِينَ الْقَرْنَبِيَّ وَالْجَعَلَ (٥) *

(١) ط : « فتيان » وليس بشيء .

(٢) ط : « يلتهم العذرة ويبتلع الجرذان » .

(٣) هذا ما في ل . وانظر ماسياني في ٥ : ٤٥٢ و ٦ : ٣٥٩ ، وكتاب الطبيخ للبغدادي ٦٤

حيث ذكر صفة الحمى . وفي سائر النسخ « محسوا »

(٤) ل : « ب كله إلا ذنبه » .

(٥) في الأصل : « ذرق » صوابه من ٣ : ٥٠٣ .

(ما قيل من الشعر في الجعل)

ولشدة طلب الجعل لذلك قال الشاعر :

ببيت في مجلس الأقبام يربوهم كأنه شرطى بات في حرس
وكذلك قال الآخر (١) :

إذا أتوه بطعامٍ وأكل^(٢) بات يعشى وحده ألقى جعل
هذا البيت يدلُّ على عِظَم مقدار النَّجْو ، فهجاه بذلك ، وعلى أن الجعل
يقتات البراز .

وفي مثل ذلك يقول ابن عبدل - إن كان قاله - وإنما قلت هذا
لأن الشعر يرتفع عنه .
والشعر قوله :

نعم جارُ الخنزيرةِ المرضعُ الغرُّ ثى إذا ما غدا أبو كلثوم^(٣)
ثاوياً قد أصابَ عند صديقٍ من ثريدٍ ملبقٍ مأدوم^(٤)
ثم أنحى بجعره حاجبَ الشمه سِ فألقى كالمعدفِ المهْدوم^(٥)
بضريطٍ ترى الخنازير منه عامداتٍ لتلهِ المركوم .
وقال الراجز [في مثل ذلك] :

١١٢

قد دقَّه ثاردهُ وصومعا^(٦) ثممتَ ألبانَ البخاتي جعجعا

(١) ط : « ولذلك قال الشاعر » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) ط : « نعم جاز الخنزيرة المرضع الفرثى » ، وتصحيحه من ل ومن البيان
٣ : ٣١١ .

(٤) ثريد ملبق : ملين بالدم .

(٥) ط : « ثم أنحى بجعره » وهو على الصواب في ل والبيان .

(٦) ط : « فردقة ثاردة » وهو تصحيف ما في ل . في القاموس : ثريدة مصومعة :
مدققة الرأس .

جَعَجَعَةَ الْعُودِ ابْتَغَى أَنْ يَنْجِعَا (١) مُثَمَّتَ خَوْيَ بَارِكًا وَاسْتَرْجَعَا
* عَنْ جَائِمٍ يُحْسَبُ كَلْبًا أَبْقَعَا (٢) *

وفي طلب الجعل للزبيل قال الراجز (وهو أبو العصن الأسدي) :
ما ذا تُلَاقِي طَلَحَاتُ الحَرَجِهِ مِنْ كَلِّ ذَاتِ مُخْنَقٍ غَمَلَجِهِ (٣)
ظَلَّ لَهَا بَيْنَ الحَلَالِ أَرَجَهُ (٤) مِنَ الضَّرَاطِ وَالْفَسَاءِ السَّمَجِهِ (٥)
فَجَسَّتْهَا قَاعِدَةٌ مَنْشَجِهِ (٦) تَعْطِيهِ عَنْهَا جُعَلًا مُدَحْرَجَهُ
وقال يحيى الأغر : تقول العرب « سَدَّكَ بِهِ جُعَلُهُ (٧) » . وقال الشاعر :
إِذَا أُتِيَتْ سُلَيْمَى شَبَّ لِي جُعَلٌ إِنْ الشَّقَّ الَّذِي يُغْرَى بِهِ الجُعَلُ (٨)
يضرب هذا المثل للرجل إذا لصق به من يكره ، وإذا كان لا يزال يراه
[وهو] يهرب منه .

قال يحيى : وكان أصله ملازمة الجعل لمن بات في الصحراء ، فكلما قام
لحاجة تبعه ؛ لأنه عنده أنه يريد الغائط .

(القرني)

وفي القرني يقول ابن مقبل :

- (١) ط : « جمع العواء تبغى تنجعا » وهو كلام مشوه تصحيحه من ل .
(٢) في القاموس : « البقع محرقة في الطير والكلاب كالبلق في الدواب » وفيه :
« البلق : سواد وبياض » وفي ل : « كبشا أبقعا » والوجه ما أثبت من ط .
(٣) ط : « نجنق » ولا معنى له وصوابه في ل . والبخنق : خرقه تتقنع بها الجارية .
(٤) ل : « بين الحجال »
(٥) ل : السمهجة .
(٦) ل : « مفسحة » .
(٧) ط : « سرك به جعله » وإنما هي سدك - بمعنى لزم - كما في ل . وفي الأمثال :
« ألصق من جعل » .
(٨) شب ، أي أتيج . وعنى بالجعل الواشي . أمثال الميداني ٢ : ١٨٠ .

ولا أطرق الجاراتِ بِاللَّيْلِ قَابِعاً قُبُوعَ القَرْنَبِيِّ أَخْلَفْتَهُ مجاعره (١)
والقُبُوعُ : الاجتماع والتقبض . والقَرْنَبِيُّ : دويبةٌ فوق الخنفساء ودون
الجعل ، وهو والجعل يتبعان الرَّجَلَ إلى الغائط .

(الهدهد وخبث ريحه)

ومن الطَّيْرِ الذِي يُضَارِعُ الرَّخْمَةَ فِي ذَلِكَ الهدهدُ ، منْتِنُ البَدَنِ وإن لم
تجدّه ملطخاً بشيءٍ من العَدْرَةِ ؛ لِأَنَّهُ يَبْنِي بَيْتَهُ وَيَصْنَعُ أَفْحُوصَهُ مِنَ الزَّبَلِ ،
وليس اقتيائه منه إلا على قَدَرِ رَغْبَتِهِ وَحَاجَتِهِ فِي أَلَا يَتَّخِذُ بَيْتاً وَلَا أَفْحُوصاً
إِلَّا مِنْهُ ، فَخَامَرَهُ [ذَلِكَ] التَّنُّنُ فَعَلِقَ بِيَدِنِهِ وَجَرَى فِي أَعْرَاقِ أَبْوَيْهِ ؛ إِذْ كَانَ
هَذَا الصَّنِيعَ عَامّاً فِي جِنْسِهِ (٢) .

وتعترى هذه الشَّهْوَةُ الذُّبَانَ ، حَتَّى إِنَّمَا لَوْ رَأَتْ عَسلاً وَقَدَرَا ، لَكَانَتْ
إِلَى القَدَرِ أَسْرَعَ . وقال الشاعر (٣) :

قَفَاً خَلْفَ وَجْهِ قَدْ أُطِيلَ كَأَنَّهُ قِفَا مَالِكٍ يُقْصِي المُمُومَ عَلَى بَثْقِ (٤)
وأعظمُ زهواً من ذُبَابٍ عَلَى خَيْرٍ (٥) وَأَبْجَلُ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَرَقِ (٦)
ويزعمون أَنَّ الزُّنْبُورَ لِهَجِّ بِصِيدِ الذُّبَانَ ، وَلَا يَكَادُ يَصِيدُهُ (٧) إِلَّا وَهُوَ

(١) ط وأمثال الميداني ٢ : ١٨٠ . « محاجره » وأثبت ما في ل .

(٢) ط : « إذ كان هذا التضييع عاماً في جنبه » وهو تحريف ما في ل .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هاني كما سيأتي وكما في البيان ٣ : ٣٥٤ وعيون الأخبار

١ : ٢٧٣ والشعراء ٧٦٠ . والشعر في هجاء جعفر بن يحيى البرمكي .

(٤) البثق : منبعث الماء . ماعدا ل : « بثق » .

(٥) ل : « خر » .

(٦) العرق بالفتح : العظم بلحمه . فإذا أكل لحمه فمراق - كغراب - أو
كلاهما لكليهما .

(٧) ط : « يصيد » وأوجه ما في ل .

ساقط على عذرة لفرط شهوته لها [ولا ستفراغها] ، فيعرف الزنبور ذلك ، ١١٣
فيجعل غفلته فرصة ونهزة . قالوا : وإنما قلنا ذلك لأننا لم نجد له يوم صيده
وهو ساقط على ثمرة ، فما دونها في الخلاوة .

(شعر في الهجاء)

وقال أبو الشَّمقِمُق في ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جَاءَكُمْ الْأَحْمَقُ رَأْسَ الْأَنْتَانِ وَالْقَدْرَهُ
وَابْنُ عَمِّ الْحَمَارِ فِي صُورَةِ الْفَيْلِ وَخَالُ الْجَامُوسِ وَالْبَقْرَهُ
يَمْشِي رُويْدًا يَرِيدُ حَلَقَتَكُمْ كَمْشَى خِنْزِيرَةٍ إِلَى عَدْرِهِ^(١)
وقال حَمَادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَّارِ بْنِ بُرْدِ الْعَقِيلِيِّ :

مَا صَوَّرَ اللَّهُ شِبْهًا لَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ صَوْرًا
أَشْبَهَ بِالْخِنْزِيرِ وَجْهًا وَلَا بِالْكَلْبِ أَعْرَاقًا وَلَا مَكْسِرًا^(٢)
وَلَا رَأْيَنَا أَحَدًا مِثْلَهُ أَنْجَسَ أَوْ أَطْفَسَ أَوْ أَقْدَرًا^(٣)
لَوْ طَلَيْتُ جِلْدَتَهُ عَنَبْرًا لَنَتْنَتُ جِلْدَتُهُ الْعَنْبِرًا^(٤)
أَوْ طَلَيْتُ مِسْكَأَ ذَكِيًّا إِذْنَ تَحَوَّلَ الْمِسْكُ عَلَيْهِ خِرًا
وقال أَبُو نُؤَاسٍ فِي هِجَاءِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ :

إِذَا مَا مَدَحْتُ فَيَّ مِنْ خِرًا أَلَيْسَ جَزَائِي أَنْ أُعْطِيَ الْخِرًا^(٥)

وقال أعرابيٌّ يهجو رجلًا يقال له جُلْمُودُ بْنُ أَوْسٍ ، كان مُتَنِّبَ الْعَرَقِ :

(١) ط : « يريد خلعتكم مشى » والوجه ما في ل .

(٢) المكسر - كنزل - : الأصل والخبر .

(٣) الطفس بالتحريك : قدر الإنسان إذا لم يتمهده نفسه . وطفس كقدر وزنا ومعنى -

(٤) في شرح المقامات للشريشي ٢ : ١١٤ : « لأفدت » .

(د) ط : « من خرى » ل « من خر » . وفي ط : « أعطى الخرا » .

إِنِّي إِذَا مَا عَارِضِي تَأَلَّقَا^(١) وَرَعَدَتْ حَافَتَهُ وَبَرَقَا
أَهْلَكْتُ جُلْمُودَ بَنِ أَوْسٍ غَرَقَا كَانَ لِحَمَقَاءَ فَصَارَ أَحْمَقَا
* أَخْبِثْ شَيْءٌ عَرَقَا وَخِرَقَا^(٢) *

وقال حمادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَّارِ :

يَا ابْنَ بُرْدٍ اخْسَأْ إِلَيْكَ فَمَثَلُ الْكَلْبِ فِي الْخَلْقِ أَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ^(٣)
بَلْ لَعَمْرِي لَأَنْتَ شَرُّ مَنْ السَّكَّابِ وَأَوْلَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوَانٍ
وَلَرِيحُ الْخِنْزِيرِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِكَ يَا ابْنَ الطَّيَّانِ ذِي التُّبَّانِ
وقال بعض الشعراء في عبد الله بن عمير :

غَزَا ابْنَ مُعْمِرٍ غَزْوَةً تَرَكْتُ لَهُ ثَنَاءً كَرِيحِ الْجَوْرَبِ الْمُتَخْرِقِ ١١٤

وقال حمادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَّارِ^(٤) :

قُلْ لَشَقِيٍّ الْجَدُّ فِي رَمْسِهِ وَمَنْ يَغْرِ النَّاسُ مِنْ رِجْسِهِ^(٥)
لِلْقِرْدِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ وَلَا تَحْفَلِ بِرِغْمِ الْقِرْدِ أَوْ تَعْسِهِ^(٦)
لِلْقِرْدِ بِاللَّيْثِ اغْتَرَارُ بِهِ فَمَا الَّذِي أَدْنَاكَ مِنْ مَسِّهِ^(٧)
يَا ابْنَ اسْتِهَا فَاصْبِرْ عَلَى ضَعْمَةٍ بِنَائِهِ يَا قِرْدُ أَوْ ضِرْسِهِ
نَهَارُهُ أَخْبِثُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أَخْبِثُ مِنْ أَمْسِهِ

(١) ط : « إذا عارضني تألقا » .

(٢) ط : « أحرقا وعرقا » .

(٣) في ط نقصان كلمة (إليك) وبذلك يخلت البيت . والشعر من الخفيف لحقه التثنية
في البيت الأول والثالث . وانظر الأغاني ٣ : ٢١ .

(٤) الشعر في أمالي المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٠ .

(٥) ل : « . . . في رمسه وأمه الشلافة الرجسة » وهو تحريف .

(٦) ط : « نخسه » ولعلها « نخسه » وأثبت ما في ل .

(٧) ل : « ما الذي أدناك » .

وليس بالمقلِّعِ عن غِيَّهِ (١) حتى يُبدلَ القِرْدُ في رَمْسِهِ
 ما خَلَقَ اللهُ شَبِيهاً له من جِنِّهِ طُرّاً ومن إنْسِهِ
 واللهِ ما الخِزِيرُ في نَتْنِهِ من رُبْعِهِ بالعُشْرِ أو خُمْسِهِ
 بل رِيحُهُ أَطيبُ من رِيحِهِ ومُسَّهُ أَلينُ من مَسِّهِ
 ووجْهُهُ أَحْسَنُ من وجْهِهِ ونَفْسُهُ أَنبَلُ من نَفْسِهِ
 وعودُهُ أَكْرَمُ من عودِهِ (٢) وجِنْسُهُ أَكْرَمُ من جِنْسِهِ

وأنا حفظك الله تعالى أستظرف وضعه الخنزير بهذا المكان وفي هذا
 الموضع ، حين يقول : وعوده أكرم من عوده .

وأىُّ عودٍ للخنزير (٣) ؟ ! قَبَّحَهُ اللهُ تعالى ، [وقبح من يشتهى أكله] :

وقال حمادُ عجرد في بشارِ بن بُرد :

إنَّ ابنَ بُردٍ رأى رُؤيا فأوَّلَها (٤)
 رأى العَمى نعمةً لله سابعةً
 وقال : لو لم أكنُ أعمى لكنتُ كما
 أكدُّ نفسى بالتطيين مجتهداً
 أو كنتُ إنَّ أنا لم أقنعْ بفعلِ أبى
 كإخوتى دائماً أشقى شقاءهمُ
 فقد كفانى العَمى من كلِّ مَكسَبَةٍ
 بلا مَشورةٍ إنسانٍ ولا أثرٍ
 عليه ، إذ كان مكفوفاً عن النَّظْرِ
 قد كان بُردُ أبى في الضيقِ والعُسْرِ
 إمَّا أجيراً وإمَّا غيرَ مؤتَجِرٍ
 قَصَّابَ شاءَ شَقىَّ الجَدِّ أو بَقَرٍ
 في الحرِّ والبردِ والإدلاجِ والبُكْرِ
 والرِّزْقُ يأتى بأسبابٍ من القَدْرِ (٥)

(١) كذا في معاهد التنصيص . وفي ط : « غيله » و ل : « فعله » .

(٢) ط : « أحسن » وارتضيت ما في ل ومعاهد التنصيص .

(٣) ط : وعوده أكرم من عوده أين عود الخنزير من الكرم . ووضع الكلام بهذه
 الصورة من تلاعب النساخ . وقد رددت الأمر إلى نصابه ، ستمدا ما في ل .

(٤) ل : « فقال بها » .

(٥) ط : « بأنواع من القدر » .

- ١١٥ فصرتُ ذَانَشَبٍ من غير ما طلب
إِلَّا بِمَسْأَلَتِي إِذْ كُنْتَ فِي صِغْرِي (١)
- أُضْمُ شَيْئًا إِلَى شَيْءٍ فَأَذْخِرُهُ (٢)
مِمَّا أَجْمَعُ مِنْ تَمْرٍ وَمِنْ كِسْرٍ
- مَنْ كَانَ يَعْرِفُنِي لَوْ لَمْ أَكُنْ زَمِنًا
أَوْ كَانَ يَبْذُلُ لِي شَيْئًا سِوَى الْحَجَرِ !؟
- فَقُلْ لَهُ لَا هَدَاهُ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ
فَإِنَّهَا عُرَّةٌ تُرْبِي عَلَى الْعُرْرِ (٣)
- لَقَدْ فَطِنْتَ إِلَى شَيْءٍ تَعِيشُ بِهِ
يَا ابْنَ النَّبِيِّ نَشَرْتَ عَنْ شَيْخِ صَبِيَّتَيْهَا
- يَا ابْنَ النَّبِيِّ نَشَرْتَ عَنْ شَيْخِ صَبِيَّتَيْهَا
أَمَا يَكْفُفُكَ عَنْ شَتْمِي وَمَنْقَصِي
- نَفْتِكَ عَنْهَا عُقْبِيلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ
مَا فِي حِرَامِكَ مِنْ نَتْنٍ وَمِنْ دَفَرٍ (٤)
- يَا عَبْدَ أُمَّ الطَّبَاءِ الْمَسْتَطَبِّ بِهَا
فَسَلْ أَسِيدًا وَسَلْ عَنْهَا أَبَا زُفَرٍ (٥)
- بَلْ أَنْتَ كَالْكَلْبِ ذُلًّا أَوْ أَدْلُ وَفِي
مِنْ اللَّوَى ، لَسْتَ مَوْلَى الْعُرِّ مِنْ مُضَرٍّ
- وَأَنْتَ كَالْقَرْدِ فِي تَشْوِيهِ مَنْظَرِهِ
نَذَالَةَ النَّفْسِ كَالْخَنْزِيرِ وَالْيَعْرَ (٦)
- وَوَصَفَ ابْنَ أَبِي كَرِيمَةَ حُشًّا لَهُ ، كَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَتَأَذُّونَ بِرِيحِهِ فَقَالَ :
وَلِي كَنِيفٌ بِحَمْدِ اللَّهِ يَطْرُقُنِي أُرُوحَ وَادِي خَبَالٍ غَيْرِ فَتَّارٍ (٧)

- (١) ط : « إلا بمسئلتى إن كنت في صغر » وهو تحريف .
(٢) ط : « فأخززه » .
(٣) العرر : المساوى والمثالب . في ط : « لاهدك الله » .
(٤) ط : « لاقد » وهو تحريف ، وفيها « قد وققت في النظر » .
(٥) ط : « عن شيخ مبيتها لايرميان يذى » وهو تحريف .
(٦) كذا في ل . وفي ط : « ذفر » بالذال . وهما بمعنى . في أدب السكاك ١٥٧ :
« الذفر : شدة ريح الشيء الطيب والشيء الخبيث » .
(٧) ط : « فسل أسيد أو فاسأل » .
(٨) اليعر ، ساكنة العين : الشاة أو الجمى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . ومن أمثالهم : « هو أدل من اليعر » . وقد جاء محركا في هذا الشعر . وفي ط :
« وفي نذالة النفس والخنزير والنقر » .
(٩) كذا في ل . وفي ط : « وارى خيال » ، وفي س : « وادى خيال » وفي م :
« واد خبال » .

له بدائعُ نَتْنٌ ليس يَعْرِفُهَا^(١) من البريَّةِ إِلَّا خَازِنُ النَّارِ
 إِذَا أَنَا فِي دَخِيلٍ^(٢) زَادَنِي بِدَعَاً كَأَنَّهُ لَهْجٌ عَمْداً بِإِضْرَارِي
 قَدْ اجْتَوَانِي لَهُ الْخَلَّانُ كُلُّهُمْ وَبَاعَ مَسْكَنَهُ مِنْ قُرْبِهِ جَارِي
 فَنِ ارَادَ مِنَ الْبِرْسَامِ أَقْتَلَهُ أَوْ الصُّدَاعِ فَرَّهْ يَدْخُلُنْ دَارِي
 اسْتَكْتَفَى النَّتْنُ فِي أَنْفِي لِسَكْرَتِهِ فَلَيْسَ يَوْجِدُنِي غَيْرُ إِضْمَارِي^(٣)

(ثروة المحلول من الشعر)

وقيل للمحلول^(٤) : ويلك ، ما حفظت بيت شعرٍ قط ؟ فقال : بيتاً
 واحداً اشتبهته فحفظته . فقيل له : فهاته . فقال : أما إنِّي^(٥) لا أحفظُ إلا بيتاً
 واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فأنشده ، فأنشدهم :

كأَنَّمَا نَكَهَتْهَا مِدَّةٌ تَسِيلُ مِنْ مَحْطَةِ مَجْدُومٍ

وزعم أصحابنا أن رجلاً من بني سعد - وكان أنثى الناس إبطاً - بلغه أن
 ناساً من عبد القيس يتحدونه برجلٍ منهم ، فضى إليهم شداً ، فوافاهم ١١٦
 وقد أزبد^(٦) إبطاه ، وهو يقول :

أقبلتُ مِنْ جَلْهَةٍ نَاعَتِينَا^(٧) بِبِنْدِي حُطَّاطٍ يُعْطِسُ الْمُخْنُونَا^(٨)

(١) كذا في ط . وفي ل : « يعجزها » وليس بشئ .

(٢) ط : « بخيل » موضع « دخيل » .

(٣) يوجدني : يجعلني أشعر بوجوده . وفي ط : « يوجد فيه » وهو تحريف .

(٤) روى الجاحظ خبراً له في البيان ٣ : ٢٢٦ . وفي البلاء ٩٩ ما يفيد أن المحلول
 مولى لتمام بن جعفر .

(٥) في الأصل : « أما أنا » .

(٦) ط : « زيد » .

(٧) في معجم البلدان والقاموس أن « ناعتين » موضع ؛ ولم يعينه واحد منها . . وفي
 ط : « باعطينا » محرفة .

(٨) الحطاط بالضم : الرائحة الخبيثة . والمخنون : المزكوم ، وأصله من الخنان في الإبل
 وهو لها كالزكام للناس . . وفي ط : « بسني حضيض يعطس المخنوننا »
 وهو تحريف .

يَزْوِي لَهُ مِنْ نَنْثِهِ (١) الْجَبِينَا حَتَّى تَرَى لَوْجَهُ غَضُونَا
* نَبَّثَتْ عَبْدَ الْقَيْسِ يَأْبَطُونَا *

قال : وفتح أعرابيُّ على بئرٍ وهو يقول :
يَارِيهَا إِذَا بَدَا صُنَانِي كَأَنَّي جَانِي عَيْبَرَانِ (٢)
وقال آخر :

كَأَنَّ لِإِبْطَى وَقَدْ طَالَ الْمَدَى نَفْحَةَ خُرْعٍ مِنْ كَوَامِيخِ الْقَرَى (٣)
ويقال إنَّه ليس في الأرض رائحةٌ أتنُّ ، ولا أشدُّ على النفس ،
من بَحْرٍ فَمٍ أَوْ نَثْنٍ حَرٍّ ، ولا في الأرض رائحةٌ أعصمُ لروحٍ من
رائحةِ التفاح .

وقال صاحب الكلب : فما نرى النَّاسَ يَعَافُونَ تَسْمِيدَ بُقُولِهِمْ قَبْلَ
مُجْمِئِهَا وَتَفْتَقِ زُورِهَا (٤) ولا بعد انتشارِ ورقها وظهورِ موضعِ اللَّبِّ منها
حتى رُبَّمَا ذَرُّوا عَلَيْهَا السَّمَادَ ذَرًّا ، ثُمَّ يُرْسَلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ حَتَّى يَشْرَبَ
اللَّبُّ (٥) قُوَى الْعَذْرَةَ ، بَلْ مَنْ لَهْمُ بِالْعَذْرَةَ ؟ ! وَعَلَى أَهْمٍ مَا يَصِيبُونَهَا
إِلَّا مَغْشُوشَةٌ مُفْسَدَةٌ . وَكَذَلِكَ صَنِعَهُمْ فِي الرِّيحَانِ . فَأَمَّا النَّخْلُ
فَلَوْ اسْتَطَاعُوا (٦) أَنْ يَطْلُؤُوا بِهَا الْأَجْدَاعَ طَلِيًّا (٧) لَفَعَلُوا . وَإِنَّهُمْ لَيُوقِنُونَ بِهَا

(١) ط : « من شته » .

(٢) العبيثران . قال ابن سيده : « هو من ريحان البر طيب الريح ، قريب الشبه من
القيصوم ونوره مثل نوره وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا
أن له شمراخا مدلى ، عليه نور أصفر شبيه بالنى يكون في وسط الأتخوان .
ويوضع في المجالس مع الفاغية فلا يفوقه ريحان » . وهى في ط :
« عبيثرانى » محرفة .

(٣) النفحة : الدفعة . . وهى في ط : « لقحة » . وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : « بذورها » بالذال ، وهما بمعنى .

(٥) ط : « يشرب موضع اللب » و « موضع » مقحمة .

(٦) ط : « استطالوا » وهو تحريف ما فى ل .

(٧) ط : « طلبيا » وهو تحريف ظاهر .

الْحَمَامَاتِ وَأَتَانِينَ الْمِلَالِ^(١) ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سَمَادِهِمُ الْأَبْعَارُ كُلَّهَا وَالْأَخْنَاءَ إِذَا جَفَّتْ . وما بينَ الثَّلَطِ جَافًا وَالْحَنَاءَ يَابَسًا ، وبينَ الْعَدِرَةِ جَافَةً وَيَابَسَةً فَرَقَ . وعلى أَنَّهُمْ يَعَالِجُونَ بِالْعَدِرَةِ وَبُحْرَةَ الْكَلْبِ ، من الذُّبْحَةِ وَالْحَانُوقِ^(٢) في أَقْصَى مَوَاضِعِ التَّفْرِزِ^(٣) وهو أَقْصَى الْحَلْقِ ، ومَوَاضِعِ الْإِلَهَاءِ^(٤) ، وَيَضْعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِ الشُّوكَةِ ، وَيَعَالِجُونَ بِهَا عُيُونَ الدَّوَابِّ .

(أَقْوَالُ الْمَسِيحِ الْكِنَاسِ)

وقال مسيح^(٥) الكناس : إِئْتَمَّا اشْتَقَّ الْخَيْرَ مِنَ الْخُرِّ . وَالْخُرِّ فِي النَّوْمِ خَيْرٌ . وَسَلْحَةٌ مُدْرِكَةٌ أَلَذُّ مِنْ كَوْمِ الْعَرُوسِ لَيْلَةَ الْعُرْسِ . ولقد دخلتُ على بَعْضِ الْمُلُوكِ لِبَعْضِ الْأَسْبَابِ ، وَإِذَا بِهِ قُعَاصٌ وَزُكَامٌ وَثِقَلُ رَأْسٍ ، وَإِذَا ذَلِكَ قَدْ طَاوَلَهُ ، وَقَدْ كَانَ بَلْغَى أَنَّهُ كَانَ هَجَرَ الْجُلُوسَ عَلَى الْمَقْعَدَةِ وَإِتْيَانَ الْخَلَاءِ ، فَأَمَرْتُهُ بِالْعُودِ إِلَى عَادَتِهِ ، فَمَا مَرَّتْ بِهِ أَيَّامٌ حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ^(٦) عَنْهُ . وزعم أن الدنيا مُنْتَنَةٌ الْحَيْطَانِ وَالتُّرْبَةِ ، وَالْأَنْهَارِ وَالْأُودِيَةِ ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ قَدْ غَمَرَهُمْ ذَلِكَ لَنْتَنِ الْحَيْطِ بِهَمِّهِمْ ، وَقَدْ مَحَقَّ جِسْمَهُمْ لَهُ طَوْلُ مُكْتَبِهِ ١١٧ فِي خِيَاشِيمِهِمْ . قال : فمن ارتابَ بَخَبْرِي ، فليَقِفْ في الرَّدِّ إِلَى أَنْ يَمْتَحِنَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ مَا يَخْرُجُ إِلَى الدُّنْيَا ، عَنْ بَيْتِ مَطِيَّبٍ ؛ وَلِيَتَشَمَّمْ^(٧) تَشَمُّمَ

(١) اللليل : الخبز واللحم وضعت في الملة . والملة : الرماد الحار . وفي ل : « القنابل » .

(٢) الذبحة : وجع في الحلق أو دم يخنق فيقتل . وفي ط : « الخانوق » موضع الخانوق .

(٣) ط : « التفزر » وهو تصحيف ما في ل .

(٤) ط : « ومواضع الالهات » وهو تحريف .

(٥) ط : « مسيح » .

(٦) ط : « حتى ذهبت عنه » .

(٧) ط : « ليشم » .

المتشبت . عَلَى أَنَّ البقاعَ تَفَاوَتْ فِي النتنِ . فهذا قولٌ مُسَبَّحٌ (١) الكَنَاسُ .

(عصبية سامويه وابن ماسويه)

وزعم لى سَلْمَوِيه وابن ماسويه مُتَطَبِّبًا الخلفاء (٢) ، أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الأَرْضِ جِيْفَةٌ أَنْتَنٌ نَتْنًا وَلَا أَثْقَبٌ تُقْبَوًا مِنْ جِيْفَةِ بَعِيرٍ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ الَّذِي وَهَمَّهُمَا ذَلِكَ عَصَبِيَّتُهُمَا عَلَيْهِ ، وَبِغَضِّهِمَا لِأَرْبَابِهِ ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ ، هُوَ الْمَذْكُورُ فِي السُّكْتَبِ بِرَاكِبِ (٣) البَعِيرِ . [وَيَقَالُ إِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لَهُمْ : أَيُّ الْجِيْفِ أَنْتَنٌ ؟ فَقِيلَ : جِيْفُ السُّكْلَابِ . فَأَمْتَحِنَتْ فَقِيلَ لَهُ : أَنْتَنٌ مِنْهَا جِيْفُ السِّنَانِيرِ ، وَأَنْتَنٌ جِيْفُهَا الْمَذْكُورُ مِنْهَا . فَصَلَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَيْنَ جِيْفَتَيْ سَنُورِينَ ذَكَرِينَ (٤)] .

(أَطِيبُ الأَشْيَاءِ رَائِحَةٌ وَأَخْبِثُهَا)

وَأَنَا أَقُولُ فِي النتنِ وَالطَّيِّبِ شَيْئًا ، لِعَلَّاكَ إِنْ تَفَقَّدْتَهُ أَنْ تَوَافَقَنِي عَلَيْهِ وَتَرْضَى قَوْلِي . أَمَّا النتنُ فَإِنِّي لَمْ أَشَمَّ شَيْئًا أَنْتَنَ مِنْ رِيحِ حُشٍّ مُقَيَّرٍ ، يَبُولُ فِيهِ الْحِصْيَانُ وَلَا يُصَبُّ عَلَيْهِ المَاءُ ، فَإِنَّ لِأَبْوَاهِمِ المِتْرَادِفَةَ المِتْرَاكِبَةَ (٥) وَلرِيحِ القَارِ وَرِيحِ هَوَاءِ الحُشِّ (٦) وَمَا يَنْفَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ رِيحِ

(١) ط : « مسيح » .

(٢) سلمويه هو ابن بنان ، خدام المعتصم . ترجم له النقفطى ١٤٣ ، وابن النديم ٢٩٦ لبيسك ، ٤١٢ مصر . . وأما ابن ماسويه فهو أبو زكريا يحيى أويوحنا . خدام المأمون والمعتصم والوائق والمتوكل ، كما في الفهرست ٢٩٥ لبيسك ، ٤١١ مصر .
وفى ط : « مطيب الخلقاء » وصحته فى ن .

(٣) ط : « بركوب » .

(٤) فى المعارف ٩٩ أنه صلب حيث أصيب .

(٥) ط : « لأبواهم المِتْرَاكِبَةُ » .

(٦) ط : « ولريح القار وريح دوائه » وهو كلام محرف .

باللوعة - جهةً من الدُّنن ومذهباً في المكروه ، ليس بينه وبين الأبدان عمل ، وإنما يقصد إلى عين الروح وصميم القلب ، ولا سيما إذا كان الخلاء غير مكشوف ، وكان معموماً غير مفتوح . فأما الطيب فإن لم أشمّم رائحةً قطُّ أحياء للنفس ولا أعصم للروح ، ولا أفتق ولا أغنج ، ولا أطيب خمرة من ریح عروس^(١) ، إذا أحكمت تلك الأخلاط ، وكان عرّف [بدنها] ورأسها وشعرها ساياً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنك ستجد ريحاً تعلم أنه ليس فوقها إلا ریح الجنة .

(ما قيل في الظربان)

ومما قالوا في الدُّنن ، وفي ریح جُحرِ الظربان خاصّة ، قول الحكم ابن عبدل :

ألقيت نفسك في عروضٍ مشقّةٍ	ولحصدُ أنفك بالمانجِلِ أهونُ ^(٢)
أنت امرؤٌ في أرضٍ أمك فلفلٌ	جمٌّ وفلفلنا هناك الدندن ^(٣)
فبحقِّ أمك وهي منك حقيقةٌ	بالبرِّ واللطف الذي لا يُحزنُ
لا تُدنِ فاك من الأميرِ ونحوه	حتى يُداوي ما بأنفك أهرنُ ^(٤)
إن كان للظربانِ جُحرٌ مُنتنٌ	فلجُحرِ أنفك يا محمد أنتنُ

(١) ل : « مشطة امرأة » .

(٢) العروض : الناحية ، والطريق في عرض الجبل في مضيق .

(٣) الدندن : ما سود من نبات أو شجر ، وأصل الصليان .

(٤) هو أهرن القس بن أعين . الفهرست ٢٩٧ ليبك ، ٤١٣ مصر ، والفقطي ٥٧

وفي ط : « أهون » والصواب في ل وفيها سيأتى قريباً ، وفي عيون

الأخبار ٤ : ٦٢ . وانظر الأغاني ٢ : ٤٢٤ دار الكتب ، والشعر فيه محرف .

وقال الربيع بن أبي الحقيق - وذكر الطَّربان - حين رمى قوماً بأنهم
يَفْسُون في مجالسهم ، لأنَّ الطَّربان أتتْ خَلْقَ اللهِ تعالى فسوةً . وقد عرَّفَ
الطَّربانُ ذلك فجعلهُ من أشدِّ (١) سِلَاحِهِ ، كما عرَفَتِ الحُبَارَى مَا فِي
١١٨ سُلَاحِهَا من الآلة ، إذا قرب الصقر منها . والطَّربانُ يدخل على الضبِّ
جُحرَه وفيه حُسولُه أو بيضُه ، فيأتِي أضيْقَ موضعٍ في الجُحر فيسُدُّه
بيديه ، ويحوِّل استه فلا يفسو ثلاثَ فسواتٍ حتى يُدَارَ بالضبِّ فيخِرَّ (٢)
سكراً مغشياً عليه ، فيأكله ، ثم يقيم في جُحره حتى يأتِي على آخر حُسولِه .
وتقول العرب : إنَّه ربَّما دخل في خِلالِ المَجمَةِ فيفسو ، فلا تَمُّ
له ثلاثُ فسواتٍ حتى تتفرَّق الإبل عن المَبْرَك ، تتركه وفيه قِرْدان فلا يرُدُّها
الراعي ، إلاَّ بالجهدِ الشديد .

فقال الربيع ، وهجاهم [أيضا] بريح التُّيوس :

قَلِيلٌ غَنَاوُهُمْ فِي الْهِجَا - إِذَا مَا تَنَادَوْا لِأَمْرٍ شَدِيدٍ
وَأَنْتُمْ كِلَابٌ لَدَى دُورِكُمْ - تَهْرُ هَرِيرَ الْعَقُورِ الرَّصُودِ (٣)
وَأَنْتُمْ ظَرَابِيُّ إِذْ تَجْلِسُونَ - وَمَا إِنَّ لَنَا فِيكُمْ مِنْ نَدِيدٍ (٤)
وَأَنْتُمْ تَيْوَسٌ وَقَدْ تُعْرَفُونَ - بِرِيحِ التُّيُوسِ وَقُبْحِ الْجُدُودِ (٥)

قال : ويقال : « أفسى من الطَّربان » ويسمى مفرَّق النَّعَمِ ،
يريدون من نثن رِيحٍ فُسَّائِه . ويقال في المثل - إذا وقع بين الرجلين

(١) ط : « أحد » .

(٢) ط : « فيجز » وصوابه في ل و ثمار القلوب ٣٣٣ .

(٣) ط : « الصرود » .

(٤) نديد : مثيل ، وفي ط : « مزيد » وهو تحريف ما في ل و ثمار القلوب .

(٥) ط : « الجدود » وفي الثمار : « ونثن الجلود » .

شرٌّ فتباينا وتقاطعا - « فسَا بَيْنَهُمَا ظَرْبَانِ » . ويقال : « أَنْتَن مِنْ ظَرْبَانِ » لأنَّ الضَّبَّ إِتْمَا يَخْدَعُ (١) فِي جُحْرِهِ وَيُوغِلُ فِي سِرْبِهِ لَشِدَّةِ طَلْبِ الظَّرْبَانِ لَهُ . وقال الفرزدق في ذلك :

ولو كنتُ في نارِ الجحيمِ لأصبحتُ ظرَّابِيُّ من حِمَّانِ عني تثيرها (٢)
وكان أبو عبيدة يُسمي الحِمَّانِيَّ صَاحِبَ الأَصَمِّ : الظَّرْبَانِ (٣) ، يريد هذا المعنى ، كما يسمى كلَّ حِمَّانِيٍّ (٤) ظَرْبَانَا .

وقال ابن عبدلٍ :

لا تُدْنِ فَالِكَ مِنَ الأَمِيرِ وَنَحْهُ حَتَّى يداوِيَ ما بأنْفِكَ أَهْرُنُ
إِنْ كانَ لِلظَّرْبَانِ جُحْرٌ مُبْتِنٌ فَلَجُحْرِ أَنْفِكَ يا مُحَمَّدُ أَنْتَن

في شعره الذي يقول :

ليتَ الأَميرَ أَطاعِنِي فشفيتُهُ من كلِّ مَنْ يُكْفِي القَصيدَ وَيَلْحَنُ
مُتَسَكِّورٌ يَحْثُو الكلامَ كما تَمَّا باتتْ مناخِرُهُ بدهنِ تُعْرَنُ (٥)
وَبَنِي لَهِمْ سَجِنًا فَكنتُ أَميرَهم زَمَنًا فأضربُ مَنْ أَشَاءُ وَأَسْجُنُ
قُلْ لابنِ آكِلةِ العِفاصِ مُحَمَّدٍ إِنْ كنتَ من حَبِّ التَّقْرُبِ تَجِبُنُ (٦)
أَلقيتَ نَفْسَكَ في عَروضِ مَشَقَّةٍ وَلَحَصَدُ أَنْفِكَ بِالْمناجِلِ أَهَوْنُ
أَنْتَ امرؤٌ في أرضِ أُمَّكَ فلفلُ جَمٌّ وفلفلنا هناك الدُّنْدِنُ

(١) خلد الضب في جحره : دخل . وفي ط : « ينخدع » وهما بمعنى .

(٢) البيت في النوادر لأبي زيد ٢١١ . وفي ط : « تشير » فقط بدل « تثيرها » وليس بشيء .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « يسمى الحمانى صاحب الأحم » فقط .

(٤) في الأصل « حان » والوجه ما أثبت .

(٥) كوره فتكور : صرعه فصرع ؛ أو هو من تكور : سقط . ويحثو : يلقى . وفي ط : « متكوراً » محرفة . وفي ط : « يحسو » محرفة .

(٦) ل : « قد كدت من حب التهرب تبتن » وهو تحريف ما في ط وما في م .

فبحقِّ أمِّكَ وهى منك حقيقةٌ
لا تُدْنِ فاكِ من الأميرِ ونحوه
إن كانَ للظَّربانِ جُحْرٌ مننٌ
فسلِّ الأميرَ وأنتَ غيرُ موفقٍ
وسلِّ ابنَ ذِكوانٍ تجدهُ عالمًا
إذ أنتَ تجعلُ كلَّ يومٍ عَفْصَةً (٤)
أشبهتَ أمِّكَ غيرَ بابٍ واحدٍ
فلئن أصبتَ دراهمًا فدفنتها
فبما (٥) أراكِ وأنتَ غيرُ مُدرهمٍ
إذ رأسُ مالكِ لُعبَةٌ بصريةٌ
وقال ابن عبدل أيضاً :

نَجوتُ (٧) محمداً ودخانُ فيه
ركبتُ إليه فى رَجُلٍ أتانى
فقلتُ له ولم أعجلُ عليه ،
فأعرَضَ مُكَمِّحاً عني كَأَنى
كربحِ الجعرِ فوقَ عَطينِ جلدِ
كريمٍ يطلبُ المعروفَ عندى
وذلكَ بعدَ تقرِظى وحمدى
أَكَلَمُ صَخْرَةً فى رأسِ صمِّدِ (٨)

- (١) ط : « لا يحزن » وهو تحريف .
(٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سعد كما فى الأغاني ٢ : ٤١٢ طبع دار الكتب
وعيون الأخبار ٤ : ٦٢ .
(٣) من الخزونة وهى الصعوبة . وفى الأصل : « تخزن » .
(٤) ط : « غمصة » .
(٥) ل : « لبيا » وهما سيات .
(٦) المغربية : الشديدة البياض . ط : « معرية » بالعين .
(٧) ل : « فقلت » محرف ، يقال نجوت فلانا ، إذا استنكته . وللبيت فى اللسان (نجا)
بدون نسبة . والقصيدة فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٢٢ - ٢٢٣ .
(٨) المسكح : من يرفع رأسه من الزهو . وفى ط : « مكفحا » ونصححه من ل .
والصمد : المكان المرتفع الغليظ . وفى ط : « همد » وفى ل : « ضد » بالضاد
ولا يتجه أحدهما .

أَقْرَبُ كُلِّ آصِرَةٍ (١) لِيَدْنُو فَمَا يَزْدَادُ مِنِّي غَيْرَ بُعْدٍ
فَأَقْسِمُ غَيْرَ مَسْتَهِنٍ يَمِينًا أبا بَحْرٍ (٢) لَتَشْخِمَنَّ رَدْيِي
فَلَوْ كُنْتَ الْمَهْدَبَ مِنْ تَمِيمٍ نَحَفْتَ مَلَامَتِي وَرَجَوْتَ حَمْدِي
نَجْوَتُ (٣) مُحَمَّدًا فَوَجِدْتُ رِيحًا كَرِيحِ الْكَلْبِ مَاتَ قَرِيبَ عَهْدٍ
وَقَدْ أَلْدَعْتَنِي (٤) ثَعْبَانِ نَتْنٍ سَيْبِغٍ إِنْ سَلِمْنَا أَهْلَ نَجْدٍ
وَأَدْنَى خَطْمِهِ فَوَدِدْتُ أَنِّي قَرَنْتُ (٥) دَنُوهُ مِنِّي بِيُعْدٍ
كَمَا افْتَدَتِ الْمَاعِذَةُ مِنْ جَوَاهُ (٦) بَخْلَعَتَهَا وَلَمْ تَرْجِعْ بَرْنَدٍ ١٢٠
وَفَارَقَهَا جَوَاهُ فَاسْتَرَاخَتْ وَكَانَتْ عِنْدَهُ كَأَسِيرٍ قَدٍ (٧)
وَقَدْ أَدْنَيْتُ فَاهُ إِلَى حَتَّى قَتَلْتُ بِذَلِكَ نَفْسِي غَيْرَ عَمْدٍ
وَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَارِطٌ مَشَافِرُهُ بِقَنْدٍ (٨)
يَذُقْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتًا زَعَافًا إِنْ هَمَّ مَنْ لَهُ بِوَرْدٍ (٩)
فَلَمَّا فَاحَ فُوهُ عَلَى فَوْحًا بِمِثْلِ غَثِيثَةِ الدَّبْرِ الْمَغْدِ (١٠)
فَقَاتَ لَهُ : تَنَحَّ بِفِيَاكَ عَنِّي فَمَا هَذَا بِرِيحِ قُتَارِ رَنْدٍ (١١)

- (١) الأصرة : الرحم والقراية . وفي ل : « ذى صر » وليس بشيء .
(٢) البحر ، بالتحريك : نتن الفم . وفي ل : « بحر » والوجه مافى ط .
(٣) ماعدا ل : « نجوت » بالخاء ، وهو تحريف . وانظر ما سبق وكذا المخصص ١١ : ٢٠٩
واللسان (جلد ، نجا) .
(٤) ط : « لذعتنى » .
(٥) كذا فى ط . وفي ل : « فديت » .
(٦) ط : « كما افتدت الماعادن من حواه » .
(٧) هذا البيت فى الأصول متأخر عن البيت الذى بعده ، وقد قدمت موضعه ليستقيم الشعر .
(٨) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . معرب .
(٩) الزعاف والذعاف : السم القاتل . وفي ل : « زعافا » وفيها كذلك « رين حلاوة » .
(١٠) الغثيثة : القيقح . والمغد : المصاب بالطاعون . وفي ط : « المغد » وهو تحريف .
(١١) الرند : نبت طيب الرائحة . وفي ل : « وقلت له » ، وفي ط : « بعيد عنى »
وتصحيحه من ل .

وما هذا بريحٍ طِلاًّ واسكنْ يفوحُ خِرَاكَ منه غيرَ سَرْدٍ (١)
فحدّثني فإنَّ الصّدقَ أدنى لبابِ الحقِّ من كذبٍ وجحدٍ
أباتَ يجولُ في عَفَجٍ طحور فأعلمُ أمْ أتاكُ به مُغَدَى (٢)
[نكّهتَ علىَّ نكّهةً أُحدريُّ] شتيمٌ أعصلي الأنيابِ ورَدِ [
فإنْ أهديتَ لي من فيكَ حتفي فأني كالذي أهديتَ أهدي (٣)
لكم شُرُداً يسرنَ مغنّياتٍ تكونُ فنونها من كلِّ فِنْدِ (٤)
أما تحزّي خزيتَ لها إذا ما رَوّاهَا النَّاسُ من شيبٍ ومُرْدِ (٥)
لأرجو إنْ نجوتَ ولم يُصبني جَوَى إني إذنَ لسعيدِ جدِّ
وقلتُ له : متى استطرفتَ هذا فقال أصابني من جوفِ مهدي
فقلتُ له : أما دأويتَ هذا فتعذر فيه آمالا بجهدِ (٦)
فقال : أما علمتَ له رِقَاءً فتسديه لنا فيما ستسدى (٧)
فقلتُ له : ولا آلوه عيا له فيما أسرُّ له وأبدي (٨)
عليك بقيئةٍ وبجعرٍ كلبٍ ومثلي ذاك من نونٍ كنعدي (٩)
وحلتيتٍ وكُرّاثٍ وثومٍ وعُودَي حرملي ودماغِ فهدي (١٠)
وحنجرةِ ابنِ آوى وابنِ عرسٍ ووزنِ شعيرةٍ من بزرٍ فقدي (١١)

(١) الطلاء، بالكسر : الخمر . وفي ط : « فيه غير سرد » .

(٢) العفج : ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة . والطحور : السريع . وفي ط :

أبت تجول في عفج طحون فاعلم إذا أتاك به معدي (كذا) ل : « مهد » .

(٤) الفند، بالكسر : النوع . وفي ط : « قند » ولا وجه له .

(٥) ط « خزيت له إذا ما » والوجه ما في ل . ل : « رآها الناس » والوجه ما في ط .

(٦) كذا .

(٧) في الأصل : « تسدى » ولا يستقيم بها التثنية .

(٨) هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له ، ساقطة من ل . وفي البيت كلمة « عيا » وهي محرفة .

(٩) كذا في ل . وفي ط : « من لون كهتمدي » .

(١٠) ط : « وحنتيت » والصواب باللام كما في ل .

(١١) في القاموس : « الفقد نبات » ولم يفسره . وفي ل : « فقد » بتقديم التثنية وهو

تصحيف . وفي ط : « وحنجرة ابن آوى ثم دفلي » .

وَكَفَّ ذُرْحُوحٌ (١) وَلِسَانٍ صَقَرٍ وَمِثْقَالَيْنِ مِنْ صَوَّانٍ رَقْدٍ (٢)
يُدَقُّ وَيُعْجَنُ الْمَنْخُولِ مِنْهُ بَبُولٍ آجِنٍ وَبَجَعْرِ قِرْدٍ
وَتَدْفِنُهُ زَمَانًا فِي شَعِيرٍ وَتَرْقِبُهُ فَلَا يَبْدُو لِبَرْدٍ (٣) ١٢١
فَدَخَنٌ فَأَكَّ مَا عَتَّقَتْ مِنْهُ وَلَا يَعْجَنُ بِأَظْفَارٍ وَنَدٌّ (٤)
فَإِنْ حَضَرَ الشِّتَاءُ وَأَنْتَ حَيٌّ ، أَرَاكَ اللَّهُ غَيِّكَ أَمْرًا رَشِدٍ (٥)
فَدَحْرَجَهَا بِنَادِقٍ وَازْدَرَدَهَا مَتَى رُمْتَ التَّسْكُمُ أَيَّ زَرْدٍ
فَتَقْدِفُ بِالْمِصَلِّ عَلَى مِصَلٍّ بِلَعُومٍ وَشِدْقٍ مُسْمَعِدٍ (٦)
وَوَيْلَكَ مَا لِبَطْنِكَ مَذْقَعَدْنَا كَأَنَّ دَوِيَّةَ إِرْزَامٍ رَعْدٍ (٧)
فَإِنَّ لِحِكَّةَ النَّاسُورِ عِنْدِي دَوَاءً إِنْ صَبَرْتَ لَهُ سَيْجِدِي
يُمِيتُ الدُّودَ عِنَّاكَ وَتَشْتَهِيهِ إِنْ أَنْتَ سَنَنْتَهُ سِنَّ الْمَقْدِي (٨)
بِهِ ، وَطَلَيْتَهُ بِأَصُولِ دِفْلِي وَشَيْءٍ مِنْ جَنَى لَصَفِّ وَرَنْدٍ (٩)
أَظْيُ مَيْتًا مِنْ نَتْنٍ فِيهِ أَهَانَ اللَّهُ مِنْ نَاجَاهُ بَعْدِي

- (١) الذرحرخ : دويبة حمراء منقطة بسواد ، تطير ، وهي من السموم . وهي في ط : « زرحرح » و ل : « ذرائح » محرفتان . وفي ط : « ومثالين » محرف « ومثقالين » .
(٢) رقد : جبل تحت منه الأرحية ، كما في القاموس . وفي معجم البلدان اختلاف فيه وفي ط : « رقد » محرفة .
(٣) في الأصل : « وترميه فلا يبدو لبرد » وكتبت بدلها « ترقبه » ليتجه القول .
(٤) ل : « ولا تعجن بأظفار وسعد » صوابه في ط . والأظفار والند : ضربان من الطيب .
(٥) كذا في ل . وفي ط : « أزال الله عنك أمور رشد » .
(٦) مصل : له صليل كثير . والمسمعد : المنتفخ وربما ، ومثله المصمعد والمسمعد . وفي ل : « مصمعد » .
(٧) ط : « كأن رويه » وهو تحريف .
(٨) السن : الصب في سهولة . والمقدي : ضرب من الشراب غليظ ، وفي ل : « المعد » وفي ط « المقد » محرفتان .
(٩) الدفلي : نبت مرقتال زهره كالورد الآخر وحمله كالخرنوب . واللصف : نبت ورقة كورق لسان الحمل أو أديق . والرند : نبت طيب الرائحة . وفي ط « سعدى » موضع « دفلي » وهو تحريف ، و « نصف » موضع « لصف » وهو تحريف أيضا . وفي ل : « زبد » وليس بشيء .

(أشعار العرب في هجاء الكلب)

وقال صاحب الديك : سنذكر أشعار العرب في هجاء الكلب مجرداً على وجهه ، ثم نذكر ما ذموا من خلاله وأصناف أعماله ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكر هجائه في الجملة . قال بشار بن برد :

عددت سويداً إذ فخرت وتولباً ولاسكلب خيراً من سويد وتولب
وقال بشاراً أو غيره :

أتذكر إذ ترعى على الحى شاءهم وأنت شريك السكلب في كل مطعم
وتلحس ما في القعب من فضل سوره وقد عاث فيه باليدين وبالقم
وقال ابن الذئبة :

من يجمع المال ولا يثب به^(١) ويترك المال لعام جذبته
* يهن على الناس هوان كلبه [*

وقال آخر :

إن شريبي لا يغب بوجهه كماوى كأن كلباً يمارش أكلباً^(٢)
ولا أقسم الأعطان^(٣) بيني وبينه ولا أتوقاه وإن كان مجرباً
وهجا [أبو] الأحوص^(٣) ابناً له فشبّه بجرؤ كلب فقال :

أقبح به من ولدٍ وأشقح مثل جرى^(٤) الكلب لم يُفصح

(١) كذا في عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفي ل : « يثبه » وهو تحريف إملائي . وفي

البخلاء ١٥٥ : « يثبه » وليس بشيء . وانظرهما .

(٢) ط : « إن شرابي لاتغيب بوجهه كلوم » وهو قول محرف صوابه في ل .

(٣) كذا في ل وهو الصواب ، وفي ط : « الأعكان » .

(٤) جرى : مصغر جرو . وفي ل : « جرى » .

إِنْ يَرِ سَوْءًا مَا يَقُمْ فَيَذِبحُ^(١) بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتِحِ^(٢)

١٢٢

وقال أبو حُزَابَةَ^(٣) :

يا ابنَ عَلِيٍّ بَرِحَ الْخَفَاءُ أَنْتَ لَعَبْرُ طَلْحَةَ الْفِدَاءِ^(٤)
 قد علمَ الأشرافُ والأكفَاءُ أَنَّكَ أَنْتَ النَّاقِصُ الْفِدَاءِ^(٥)
 حَبَلَقَ جَدَّعَهُ الرَّعَاءُ^(٦) يَعْغُمُهُ الْمِئْزَرُ وَالرِّدَاءُ
 بنو عَلِيٍّ كُلُّهُمْ سَوَاءٌ كَأَبِّهِمْ زَيْنِيَّةُ جِرَاءِ^(٧)

وقال عبدُ بنى الحُسَيْنِ ، وذَكَرَ قُبْحَ وَجْهِهِ [فقال] :

أَتَيْتُ نِسَاءَ الْحَارِثِيِّينَ غُدُوَّةً بِوَجْهِ بَرَاهُ اللهُ غَيْرِ جَمِيلِ^(٨)
 فَشَبَّهَنِي كَلْبًا وَلَسْتُ بِفَوْقِهِ وَلَا دُونَهُ إِنْ كَانَ غَيْرَ قَلِيلِ

(١) ط : « إن يرسوءاً لم يقم فيذبح » .

(٢) ط : « خلقة المستفتح » .

(٣) كذا في ل وهو الصواب ، وفي ط : « أبو خدانة » . وأبو حزابة هو الوليد ابن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة ، شاعر من شعراء الدولة الأموية . بدوى حضر وسكن البصرة ثم اكتب في الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان فكان بها مدة وعاد إلى البصرة وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك . قال أبو الفرج : وأظنه قتل معه . وكان شاعرا راجزا فصيحاً خبيث اللسان هجاء . انظر الأغاني ١٠ : ١٥٢ - ١٥٦ والمشتبه للذهبي ١٦٠ ليدن وتاج العروس (حزب) .

(٤) الفداء هنا بمعنى البدل . وفي ل : « أنت لقب طلحة الفداء » وفي الأغاني ١٩ : ١٥٣ : « أنت لعين طلحة الفداء » . وابن علي هذا هو عبد الله بن علي بن عني . ولي سجستان بعد طلحة . وطلحة هذا هو ابن عبد الله بن خلف ، الذي يقال له طلحة الطلحات ، وكان واليا على سجستان قبل عبد الله بن علي . وكان طلحة يحبو ابن حزابة ، وكان عبد الله شحيحا ممسكا .

(٥) الفداء ، كسحاب : الحسيس الحقيق . وفي ل : « الفداء » وهو تحريف .

(٦) الحليق : غنم صغار لا تكبر أو قصار المنز ودمامها . وفي ط « الدعاء » موضع « الرعاء » وهو تحريف .

(٧) الزينية : كلاب قصيرة القوائم . وفي الأغاني « بنو عني » . . . الخ .

(٨) كذا في ل وعيون الأخبار ٤ : ٣٥ بمعنى خلقه غير جميل . وفي ط : « يراه الله » .

وقال أبو ذؤبان السعدي^(١) في هوان الكلب :

لكسرى كان أعقل من تميم ليالى فر من أرض الضباب
وأسكن أهله ببلاد ريف وأشجار وأنهار عذاب
فصار بنو بنيه لها ملوكاً وصرنا نحن أمثال الكلاب
فلا رحم الإله صدى تميم فقد أزرى بنا فى كل باب
وأراد اللعين^(٢) هجاء جرير - وجرير من بنى كليب - فاشتق

هجاءه من نسبه فقال :

سأقضى بين كلب بنى كليب وبين القين قين بنى عقال
فإن الكلب مطعمه خبيث وإن القين يعمل فى سفال
كلا العبدین - قد علمت معد لئيم الأصل من عم وخال
فما بقیاً على تركمانى ولكن خفتم صرد النبال
وقال رجل من همدان ، يقال له الضحاک بن سعد^(٣) ، يهجو مروان بن محمد

ابن مروان بن الحكم ، واشتق له اسماً من الكلب فجعله كلباً فقال :

لج الفرار بمروان فقلت له عاد الظلوم ظليماً همهم الحرب^(٤)
أين الفرار وترك الملك إن قبلت منك الهوينى فلا دين ولا أدب^(٥)

(١) أبو ذؤبان السعدي : صحابي شاعر ، من سعد المشيرة . له فى إسلامه خبر طريف ، وهو من عرف بكنيته فقط ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة أول قسم الذال من باب الكنى وهو فى ط : « ابن دب » وفى ل : « ابن دواب » . ولعل صوابهما ما أثبت . والأبيات أعادها الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٠١ ونسبها فى الحنين إلى الأوطان إلى الفرزدق .

(٢) هو منازل بن زمعة المنقرى ، من بنى منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق فأصابه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وليس أبغض ما بنى جل ما كله إلا تنفجه عندى إذا قعدا
ما زال ينفج كفتيه وحبوته حتى أقول لى الصيف قد ولدا

(٣) نسبة العسكري فى ديوان المعاني ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن العاصى .

(٤) ط : « عاد الظليم ظلياً » . والظليم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعاني : « إذ كشفت عنك » . الطبرى ٩ : ١٣١ : « إذ ذهب عنك » .

غَرَّاشَةُ الحَلْمِ فِرْعَوْنَ العَذَابِ ، وَإِنْ يُطَلَّبُ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبٌ
 وقال آخر وجعل الكلبَ مثلاً في اللُّومِ :
 ١٢٣

سَرَّتْ مَاسَرَّتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ أَلَّامٌ مِنْ كَلْبٍ
 وكذلك قول الأسود بن المنذر (١) ، فإنه قال :

فَإِنَّ امْرَأَةً أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَحْفُونَ قُبَيْتَهُ بِالْقَبَابِ (٢)
 يَهِينُ سَرَاتِكُمْ جَاهِداً وَيَقْتُلُكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الكَلَابِ

وقال سحيمه بن نعيم :

أَلَسْتَ كَلْبِيًّا لِكَلْبٍ وَكَلْبِيَّةٍ لَهَا عِنْدَ أَطْنَابِ البُيُوتِ هَرِيرُ
 وقال النُّجْرَانِيُّ فِي ذَلِكَ :

مِنْ مَنزَلِي قَدْ أَخْرَجْتَنِي زَوْجَتِي تَهْرُ فِي وَجْهِ هَرِيرِ الكَلْبَةِ
 زَوْجَتُهَا فَقِيرَةٌ مِنْ حِرْفَتِي قَلْتُ لَهَا لَمَّا أَرَأَقْتُ جَرْتِي
 أُمَّ هِلَالٍ أَبْشَرِي بِالْحَسْرَةِ وَأَبْشَرِي مِنْكَ بِقُرْبِ الضَّرَقَةِ

(الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب « فلحس » ، وهو من صفات الحرص والإلحاح .
 ويقال : « فلان أسأل من فلحس » . وفلحس : رجلٌ من بني شيبان (٣) كان
 حريصاً رغيباً ، وملحفاً ملحاً . وكلُّ طُفَيْلٍ فهو عندهم فلحسٌ .

والأرشم : (٤) الكلب والذئب ، وقد اشتق منه للإنسان إذا كان يتشمم
 الطعام ويتبع مواضعه . قال جريرٌ في بعضهم :

(١) في الأغاني ١٩ : ١٣٠ نسبة البيتين إلى لقيط بن زرارة يعير بنى مالك بن حنظلة
 في أخذ عمرو بن هند لهم وقتله كثيراً منهم .
 (٢) في عيون الأخبار ١ : ١٩٢ « بأن » ، وقبله :

فأبلغ لديك أبا مالك * على نأيا وسراة الرباب

(٣) ط : « من ابني شيبان » . وانظر أمثال الميداني (١ : ٣١٧) .

(٤) ل : « الأرسم » وهو تصحيف . والأرشم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه .

لَقِيَ حَمَلَتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ بَيِّنٍ لِلضَّيَافَةِ أَرْشَمًا^(١)
وقال جريرٌ في استِرواحِ الطعامِ^(٢) :

وَبَنُو الْهُجَيْمِ سَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ تَطُّ الْأَحَى مُتَشَابَهُ الْأَلْوَانِ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانَ أَضْحَى جَمْعُهُمْ بَعْمَانٍ
مَتَابِّطِينَ بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ صُعْرًا لِحُدُودِ لَرِيحٍ كُلِّ دُخَانٍ^(٣)
وقال سَهْمٌ بن حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيُّ فِي ذَلِكَ :

وَأَمَّا كِلَابٌ فَمَثَلُ الْكِلَابِ بَ لَا يُحْسِنُ الْكَلْبُ إِلَّا هَرِيرًا
وَأَمَّا مُعِيرٌ فَمَثَلُ الْبِغَا لَ أَشْبَهَنَ آبَاءَهُنَّ الْحَمِيرَا^(٤)
وَأَمَّا هَلَالٌ فَعَطَّارَةٌ تَبِيعَ كِبَاءً وَعِطَّرًا كَثِيرَا^(٥) ١٢٤

(بين جرير والراعي)

ومرَّ جريرٌ يوماً بِالْمَرْبَدِ ، فوقف عليه الراعي وابنه جنْدَل ، فقال له
ابنه جنْدَل : إِنَّهُ قَدْ طَالَ وَقُوفُكَ عَلَى هَذَا الْكَلْبِ الْكُلَيْبِيِّ ، فإلى متى ؟ !
وضرب بغلته ، فضى الراعي وابنه جنْدَل ، فقال جرير : وَاللَّهِ لَأُثْقِلَنَّ

(١) ل : « أرسما » مصحف . وفي ط : « قتي » محرفا . والبيت على الصواب في اللسان
(ضيف، رشم، يتن) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقضاب ٣٤٦ . وقد نسب
في كل تلك إلى البيهقي . ابن منظور (رشم) : قال ابن سيده : وأنشد أبو عبيد
هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) الأبيات في البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) بيتدى هذا البيت والذي قبله في ل ، بكلمة « فأما » مع انفصل بين البيتين بكلمة
« وقال » وفي ط : « وأما تميم فمثل البغال » .

(٥) السكباء ككتاب : عود البخور أو ضرب منه . وبداهة في ل « ملابا » وهو
كسحاب عطر أو للزعفران . والشعر في كتاب البغال ٣٤٣ .

رواحلك ! فلما أمسى أخذَ في هجائه ، فلم يأتِه ما يريد ، فلما كان مع الصبح
انفتح له القولُ فقال :

فغضَّ الطرفَ إنَّكَ من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلاباً
ولو جُعِلتَ فِقاحُ بنى نُميرٍ على خبثِ الحديدِ إذاً لذاباً
ثم وقف في موقفه ، فلماً مرَّ به جندلُ قبض على عنانِ فرسه ، فأنشده
قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أجندلُ ما تقول بنو نميرٍ إذا ما الأيرُ في استِ أبيك غابا
قال : فأدبَر وهو يقول : يقولون والله شرّاً (١) .

وقال الشاعر - وضرب بالكلب المثلَ في قُبْح الوجه - :
سَفَرْتُ فقلتُ لها هَجِّ فَبَرَقَتْ فذَكَرْتُ حينَ تَبَرَقَتْ ضَبَّاراً (٢)
وضَبَّار : اسم كلب له (٣) .

(أمثال في الكلاب)

وقال كعب الأخبار لرجل وأراد سفراً : إن لسكلٌ رُفقةً كلباً ، فلا
تكنُ كلبَ أصحابك .

وتقول العرب : « أحبُّ أهلى إلىَّ كلهم الطاعن (٤) » . ومن الأمثال
« وقع السكلُ على الذئب ليأخذ منه [مثل] ما أخذ » . ومن أمثالهم :

(١) سقط الكلام في ل من « ثم وقف » إلى هنا .

(٢) في الصحاح : « هج تخفف زجر للكلب ، يسكن وينون » وأنشد البيت في
(هجج وهجر) برواية « هبارا » ، وكذلك في اللسان (هجر) ولكن في (هجج
وضير) : « ضبارا » كما في ٢ : ٢١ من الحيوان .

(٣) ل : « لهم » .

(٤) في عيون الأخبار ٢ : ٨١ : « الكلب أحب أهله إليه الطاعن » . وانظر أمثال

« السكّابَ على البقر^(١) ». ومن أمثالهم في الشؤم قولهم : « على أهلها دلتَ برَاقِشُ ». وبراقيش : كلبية قومٍ نبحت على جيشٍ مروا ليلا وهم لا يشعرون بالحى ، فاستباحوهم واستدلُّوا على مواضعهم بنباحها .
قال الشاعر :

ألم ترَ أنَّ سيِّدَ آلِ ثورٍ نُبَّاتةَ عَضَّةِ كلبٍ فانا^(٢)

(قتيل الكبش وقتيل العنز)

وقال صاحب الكلب : قد يموت الناسُ بكلِّ شيءٍ ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحَّاك بن قيسٍ يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوجد ليس به حبصٌ ولا نبص^(٣) . وقال عرفة بن شريك يهجو أسلم بن زُرعة - ووطئت أباه عنزٌ بالمربد فبات - فقال :

١٢٥ ولم أستطع إذ بان^(٤) منى معشرى مكانَ قتيل العنز أن أتسكَّما

فيا ابن قتيل العنز هل أنت ثائرٌ بزُرعة تيساً في الزريرة أزمانا^(٥)

وقال أبو الهول يهجو جعفر بن يحيى^(٦) :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضربِ في طلب العُرفِ إلى السكِّبِ

(١) في الأصل : « السكّاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك

للميرى في حياة الحيوان كلام كثير فيه . وانظر المزهري ١ : ٦٥ .

(٢) ط : ألم تر أن سيد آل شور بناه عضه كلب فانا

(٣) في القاموس : مابه حبص ولا نبص : حراك .

(٤) ط : « بات » وهو تحريف ما في ل .

(٥) الأزنم : ذو الزنمة ، وهى هنة معلقة فى حلقه تحت اللحية . وفى ط « أزرما » .

(٦) أبو الهول الحميرى شاعر مقل له شمر يبلغ خمسين ورقة . ابن النديم فى

الفهرست ١٦٣ ليسك و ٢٣٢ مصر . وفى ط « أبو الغول » محرفا . والشعر فى

العمدة ١ : ٤٥ والبيان ٣ : ٣٥١ واسمه عامر بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٦٦٨٢

والشعر منسوب لإسماعيل بن بشر اللاحق فى الأوراق للصولى أخبار الشعراء

قد وَقَّحَ السَّبُّ لَهُ وَجْهَهُ فَصَارَ لَا يَنْحَاشُ لِلسَّبِّ
إِذَا شَكَأَ صَبُّهُ إِلَيْهِ الْهُوَى قَالَ لَهُ مَالِي وَلِلصَّبِّ
أُعْنِي فَنِي يُطْعَنُ فِي دِينِهِ يَشِبُّ مَعَهُ نَخَبُ الصُّلْبِ (١)

قال : وقلتُ لأبي عبيدة : أليس بُقِعَ الكلاب أمثلها ؟ قال : لا .

قلت : ولم قال :

وَخِفْتُ هِجَاءَهُمْ لَمَّا تَوَاصَوْا

كَخَوْفِ الذُّبِّ مِنْ بُقْعِ الْكِلَابِ (٢) ؟

قال : ليس هكذا قال ، إنما قال :

* كَخَوْفِ الذُّبِّ مِنْ سُودِ الْكِلَابِ *

ألا ترى أنه حين أراد الهجاء قال :

كَأَنَّكَ بِالْمُبَارَكِ بَعْدَ شَهْرِ تَحْوُضٍ عُمُورَهُ بُقِعَ الْكِلَابِ (٣)

ويدل على ذلك قول الجَدَلِيِّ (٤) :

لَعَمْرِي لَجُؤٌ مِنْ جِوَاءِ سُوبِقَةٍ
أَحَبُّ إِلَيْنَا أَنْ نَجَاوِرَ أَهْلَهُ
مِنْ الْجَوْسِقِ الْمَلْعُونِ بِالرَّيِّ لَا يَنْبِي
يَقُولُونَ لِي صَبْرًا فَقُلْتُ لَطَالَمَا
أَسَافَلُهُ مَيْتٌ وَأَعْلَاهُ أَجْرَعُ
وَيَصْبِحَ مِنَّا وَهُوَ مَرَأَى وَمَسْمَعُ
عَلَى رَأْسِهِ دَاعِي الْمَنِيَّةِ يَلْمَعُ
صَبْرَتْ لِي وَلَكِنْ لَا أَرَى الصَّبْرَ يَنْفَعُ

(١) ل : « . . . دبره يشب منه » وهو تحريف .

(٢) ل : « وخفت هجئهم » .

(٣) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفراه خالد بن عبد الله القسري لهشام بن عبد الملك .

وفي ط : « بالمنازل » وهو تحريف . والعمور : جمع غمر ، وهو الماء الكثير .

وفي ط : « عمورة » وفي ل : « عموره » وصوابهما ما أثبت . وانظر معجم البلدان

رسم (المبارك) . والبيت فيه للفردق ، وقد أعاده الجاحظ في ٢ : ٧٨ .

(٤) نسبه ياقوت إلى الغطمش الضببي في رسم (الجوسق) .

فليتَ عطائيَ كانَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ وكانَ لى الصَّمانَ والحزْنَ أجمعُ (١)
وكانَ لهم أجريَ هنيئاً وأصبحتُ بى البازلُ الكوماءَ بالرملِ تَضْبَعُ
أَجْعَلُ نفسى عِدْلَ عِلجٍ كَأَنَّمَا يموتُ به كلبٌ إذا ماتَ أبَقُ (٢)
قال : فقد بينَ كما ترى أنَّ الأبقَعَ شرُّها .

قال : وقلت : فلم قال الشاعر :

أرسلتُ أسداً على بُقْعِ الكلابِ فقد

أمسى شريدهمُ فى الأرضِ فُلالاً (٣)

قال : فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذا صغَّرَ شأنَ من هزَموا

١٢٦ فقد صغَّرَ شأنَ الممدوح . بل إنَّما قال « أرسلتُ أسداً على سود الكلابِ » .

قال : وإنَّما جاء الحديثُ فى قتلِ سُود الكلابِ ، لأنَّ عَقْرَها أكرهُ ما تكون
سوداً ، وذلك من غلبةِ أنفسها .

وليس فى الأرضِ حيوانٌ من بقرةٍ وثورٍ وحمارٍ وفرسٍ وكلبٍ وإنسانٍ ،

إلاَّ والسُّودُ أشدُّها أسراً وعصياً (٤) ، وأظهرها قُوَّةً وصبراً .

وقال أبو سعد الخزومى (٤) فى هجائه دعبلاً :

(١) ط : « وكان لى الكمان » .

(٢) فى اللسان : وهم قوم فل : منهزمون ، والجمع فلول وفلال . وللأخفش فى هذه
الكلمة بحث جيد فى اللسان .

(٣) فى لأصل : « شرا وعصيا » . وانظر ٢ : ٧٩ .

(٤) أبو سعد الخزومى من عرف بكنيته ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية .
وقد عاصر دعبلاً وله معه مهاجاة وإقذاع . وقد نعته الجاحظ فى البيان ٣ : ١٤٧ .
بأنه دعى بنى مخزوم . وفى ط : « أبو سعيد » والصواب ما فى ل . ويؤيد ذلك قول
ابن أبى الشيص فيه (الأغاني ١٨ : ٥٤) :

أنا بشرت أبا سعد فأعطاني البشاره

وقول دعبيل :

إن أبا سعد فنى شاعر يعرف بالكنية لا بالوالد

يا ثابِتَ بنَ أبي سَعِيدٍ إِنَّمَا دُولٌ وَأَحْرٌ بِهَا بَانَ تَنْقَلَا
هَلَّا جَعَلْتَ لَهَا كَحُرْمَةَ دِعْبِلٍ فِي اسْتِ [أَمْ] كَلْبٍ لَا يَسَاوِي دِعْبِلَا

[وقال ابن نوفل] :

وَجِئْتُ عَلَى قَصْوَاءَ تَنْقَلُ سَوْءَةً وَإِلَيْنَا وَكَمْ مِنْ سَوْءَةٍ لَا تَهَابُهَا (١)
وَتَزَعْمُ أَنَّ لَمْ تَخْزِ سَلْمُ بْنُ جَنْدَلٍ وَقَدْ خَزَيْتَ بَعْدَ الرَّجَالِ كَلَابُهَا (٢)

وقال الحسن بن هاني يهجو جعفر بن يحيى :

قَفَاً خَلْفَ وَجْهِ قَدْ أَطِيلُ كَأَنَّهُ قِفَا مَالِكٍ يَقْضِي الْهَمُومَ عَلَى بَثْقِ (٣)
وَأَعْظَمُ زَهْوًا مِنْ ذَبَابٍ عَلَى خِرًّا (٤) وَأَبْجَلُ مِنْ كَلْبٍ عَقَمُورٍ عَلَى عَرَقِ

وقال أبو الشَّمْتَمَقِ :

أَهْلُ جُودٍ وَنَائِلٍ وَفَعَالٍ غَلَبُوا النَّاسَ بِالنَّدَى وَالْعَطِيَّةِ
جِئْتُهُ زَائِرًا فَأَدْنَى مَكَانِي وَتَلَقَى بِمَرْحَبٍ وَتَحِيَّةِ
لَا كَيْشَلِ الْأَصَمِّ حَارِثَةَ اللَّؤْمِ مِ شَبِيهِ السُّكْلِيَّةِ الْقَلْطِيَّةِ
جِئْتُهُ زَائِرًا فَأَعْرَضَ عَنِّي مِثْلَ إِعْرَاضِ قَحْبَةِ سُوسِيَّةِ (٥)
وَتَوَلَّى كَأَنَّهُ أَيْرٌ بَعْلٍ غَابَ فِي دُبُرِ بَعْلَةٍ مِصْرِيَّةِ

وقال أيضاً :

أَلَا قَوْلَا لِسْرَانَ الْخِزَارِيَّ وَوَجْهَ الْكَلْبِ وَالْتِيْسِ الضَّرُوطِ (٦)

(١) ط : « جنبت على قصواء » وهو تحريف .

(٢) ل : « سلمى بن جندل » وهو تحريف .

(٣) ط : « بثق » . وانظر الشعراء ٧٩٠ وما سبق في ص ٢٣٨ .

(٤) ل : « خير » .

(٥) ط : « سرسية » .

(٦) ط : « ألا قولاً لسران » .

له بطنٌ يَضُلُّ الفيلُ فيه ودُبْرٌ مثلُ راقودِ النَّشوطِ (١)
 وأَيْرٌ عارمٌ لا خيرَ فيه كدورِ سفينةٍ في بثقِ رُوطِ (٢)
 وحيَّةٌ حائكٌ من بابِ قلبِ (٣) موصَّلةِ الجوانبِ بألحيوطِ
 له وجهٌ عليه الفقرُ بادٍ مُرَقَّعةِ جوانبُهُ بِقِوطِ (٤)
 إِذَا نَهَضَ الكِرَامُ إِلَى المَعَالِي تَرَى سَرَّانَ يَسْفُلُ فِي هَبْوَطِ
 وقال أيضاً في ذلك : ١٢٧

يارازقِ السكلبِ والخنزيرِ في سعةٍ والطيرِ والوحشِ في يهماءِ دويَّةِ (٥)
 لو شئتَ صيرتَه في حالِ فاقتَه حتى تُقِرَّ بتلكِ الحالِ عينيه (٦)
 وقال جرير بن عطية ، يهجو الصَّلْتانَ العبدىَّ (٧) :

أقول لها والدَّمعُ يغسِلُ كُحلَّها متى كان حكمُ الله في كَرَبِ النخلِ
 فأجابه الصَّلْتانُ فقال :

تُعيرُّنا أن كانتِ النَّخْلُ مالنا وودَّ أبوكِ السكلبُ لو كان ذا نَخْلٍ
 يعيرُّه جريرٌ بأنَّه كان هو وأبوه من أصحابِ النَّخْلِ (٨) .

(١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسبح داخله بالقار . والنشوط : سمك يمتدح في ماء وملح .

(٢) عارم ، من يوم عارم : نهاية في البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبثق النهر : كسر شطه لينبتق الماء . وفي ل : « زوط » وليس بشيء .

(٣) ل : « قلبا » .

(٤) ط : « بنوط » وقد كتب هذا البيت تاليا للذي بعده في ط ، ورددته إلى موضعه سابقا له كما في ل .

(٥) ط : « في يهما روية » ، وهو تصحيف . وفي ل : « من سعة » .

(٦) ل : « حتى يقتر » .

(٧) ل : « قال الصلتان العبدى يهجو جريرا » وهو خطأ صوابه في ط ، وفي الخزانة ٢ : ١٥٥ ، والشعراء لابن قتيبة ٤٧٨ .

(٨) ل : « يعير جريرا وأباه بأنهما كانا أصحاب نخل » ، وهو خطأ انظر إلى المراجع السابقة .

وقال وضَّاحُ البين :

وأَكْتَمَ السَّرَّ غَضَبَانًا وَفِي سَكْرِي حَتَّى يَكُونَ لَهُ وَجْهُ وَمُسْتَمِعٌ
وَأَتْرَكَ الْقَوْلَ عَن عِلْمٍ وَمَقْلِرَةً حَتَّى يَكُونَ لَذَاكَ النَّجْدِ مُطَّلَعٌ (١)
لَا قُوَّةَ قُوَّةِ الرَّاعِي رَكَائِبَهُ بِيَدِ يُأْوِي إِلَيْهِ السَّكْبُ وَالرُّبْعُ (٢)
وَلَا الْعَسِيفِ الَّذِي تَشْتَدُّ عَقْبَتُهُ حَتَّى يَثُوبَ وَبَاقِي نَعْلِهِ قِطْعٌ (٣)

وقال محمد بن عباد السكاك مولى بجيلة ، وأبوه (٤) من سبي دابق وكاتب زهير ، وصديق ثمامة ، يهجو أباسعد (٥) دعى بني مخزوم ، وبعد أن لقي منه ما لقي :

فَعَلْتَ نِزَارُ بَكَ الَّذِي اسْتَأَهَلْتَهُ نَفِيًّا وَضَرْبًا
فَهَجَوْتَ قَحْطَانًا لِأَهْلِ جَوْهَمِ مَكَايِدَةً وَإِرْبَا (٦)
وَأَرَدْتَ كَيْمَا تَشْتَفِي بِهِجَاهِمُ مِنْهُمْ فَتَرَبَّا
وَوَثِمْتَ أَنَّكَ مَا سَبَيْتَ ، حَمَاكَ لَوْ مُمَكَّ أَنْ تُسَبَّا
كَالسَّكْبِ إِنْ يَنْبِجُ فَلَيْدٍ مِنْ جَوَابِهِ إِلَّا أَخْسَ كَلْبًا (٧)
خَفِضَّ عَلَيْكَ وَقَرَّ مَكَا نَكَ لَا تَطْفُ شَرْقًا وَغَرْبَا
وَإَكْشِفْ قِنَاعَ أَبِيكَ فَالِآبَاءُ لَيْسَ تُتَالِ غَضَبَا

(١) ط : « حتى يكون بذلك » .

(٢) الربيع : ولد الناقة في الربيع ، وفي ط : « الولع » وصوابه في ل ، وفي الحماسة : ١ : ٢٦١ . والشعر في الحماسة غير منسوب .

(٣) العسيف : العبد أو الأجير . وعقبته : مرفوع على الفاعل ، أو منصوب على الظرف (برواية : يشتد) أى وقت عقبته ، والعقبة من المعاقبة وهى النوبة . وفي ط : « وباقى فعله » وتصحيحه من ل ، ومن الحماسة . وانظر التبريزي (٢ : ٩٧) .

(٤) كلمة « وأبوه » ساقطة من ل : والصواب إثباتها كما في الأغاني ٦ : ١٤ . وانظر

البيان ١ : ٤٤ . وفي ط : « من سبى وأبق » وتصحيحه من ل ، ومن البيان .

(٥) ط : « أبو سعيد » وهو تحريف نهبت عليه ص ٢٦٢

(٦) ل : « لأهجومكم » . ط : « مكابرة وإربا » .

(٧) ل : « كالكلب » .

وقال آخر يصف كلباً :

وَلَدْتُ كَطَعْمِ الصَّرْحَدِيِّ تَرَكْتُهُ بِأَرْضِ الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ
وَمُبْدٍ لِي الشَّحْنَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ دَعَوْتُ وَقَدْ طَالَ السُّرَى فِدَعَانِي
فوصفه كما ترى أنه يبدى له البغضاء .

وقال آخر :

سَرَتْ مَاسَرَتْ مِنْ لِبْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَيَّ رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبِ
وقال راشد بن شهاب البشكري :

فَلَسْتُ إِذَا هَبْتُ شَمَالَ عَرِيَّةً بِكَلْبٍ عَلَى لَحْمِ الْجَزُورِ وَلَا بَرَمٍ
وقال كثير بن عبد الرحمن ، وهو يصف نعلاً من نعال السكرام (١) :
إِذَا طَرِحَتْ لَمْ يَطَّبِ السَّكْلَبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ تُشَمَّتْ
وقال اللعين في بعض أضيافه (٢) ، يخبر أنه قرأه لحم كلب . وقد قال

ابن الأعرابي : إنما وصف تيساً :

فَقَلْتُ لَعَبْدِيَّ اقْتُلَا دَاءَ بَطْنِهِ وَأَعْفَاجِهِ اللَّائِي لِمَنْ زَوَائِدُ (٣)
فجاءا بخرشاوى شعير عامهما كراديس من أوصال أعقد سافد
وقال خلدب عيين (٤) وهو يهجو جرير بن عطية ويرد عليه :

وَعَيْرَتَنَا بِالنَّخْلِ أَنْ كَانَ مَائِنَا وَوَدَّ أَبُوكَ السَّكْلَبَ لَوْ كَانَ ذَا نَخْلِ

(١) للبغدادى كلام في البيت الآتى . الخزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين له في البيان ٣ : ١٠٩ . ولبشار مثل هذا المعنى إذ يقول :
إذا وضعت في مجلس القوم نعلها توضع مسكا ما أصابت وعبرا
ورويته في اللسان (نعل) : « له نعل » ، وقال : « حرك الحلق لانفتاح ما قبله » .

(٢) انظر ترجمة اللعين ص ٢٥٦ .

(٣) في هذا البيت إقواء . وقد روى ياقوت في معجم البلدان رسم (حلامات) سبعة أبيات من قصيدة اللعين هذه ، اثنان منها مضموما القافية يليهما خمسة مكسورات القوافي . وهذا البيت هو الرابع في روايته . وقد روى عجزه هكذا :
* وأعفاجه العظمى ذوات الزوائد *

(٤) هو من ولد عميد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضا بالبحرين يقال لها « عيين » فنسب إليها . وقد أجازها زياد لمناسبة طريفة . الشعراء ٤٣٤ .

وقال دِعبِل بن عليّ :

ولو يُرزَقُ الناسُ عن حيلةٍ لما نال كَفْأً من التُّرْبَةِ
ولو يشربُ الماءُ أهلُ العِنا ف لما نال من مائهم شَرْبَهُ
ولكنّه رزقٌ مَنْ رَزَقَهُ يَعْمُ به السكلبَ والسكلبَةُ

باب

(ذكر من هُجِيَ بِأكلِ لحومِ السكلابِ ولحومِ الناسِ)

قال سالم بن دارة الغطفاني (١) :

يا فَتْعَسِي لِمَ أَكَلْتَهُ لِمَ لو خافَكَ اللهُ عليه حرّمه
* فما أَكَلْتَهُ لحمه ولا دمّه *

وقال الفرزدق في ذلك :

إذا أسدىُّ جاعٌ يوماً ببلدٍ وكان سميئاً كلبُهُ فهو آكلُهُ

وقال مساور بن هند :

١٢٩

إذا أسديّةٌ ولدتُ غلاماً فبشّرها بلومٍ في الغلامِ

يخرّسها نساءُ بني دُبَيْرِ بأخبثِ ما يجدن من الطّعامِ (٢)

تري أظفارَ أعقدَ مُلقِياتِ برائثها على وضمّ الثّمامِ (٣)

فهذا الشعر وما أشبهه يدلُّ على أنّ اللعين إنّما قراهم كلباً ولم يَقْرِهِم

تيساً ، وأنّ الصوابَ خلافُ ما قال ابنُ الأعرابيِّ .

وقال مساور بن هند أيضاً :

بني أسدٍ أن تمحلّ العامَ فقّعسُ فهذا إذن دهرُ السكلابِ وعامُها

(١) هو سالم بن مسافع . ودارة أمه ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ،

وكان رجلاً هجاء ، وله ترجمة مسهبية في الخزانة ٢ : ١٢٥ - ١٣٠ . والشعر في البخلاء

١٩٧ وانظر الحيوان ٢ : ٥٨ ، ٤ : ١٤ .

(٢) ط : « ما يكون من الطّعام » وأثبت ما في ل والبخلاء ١٩٧

(٣) وضم الثّمام : مثل القلعة والهون . وفيه ط : « الثّمام » وصوابه في ل والبخلاء ١٩٧ .

وقال شريح بن أوس يهجو أبا المهوش الأسدی^(١) :
وعيرتنا تمر العراق وبره وزادك أير الكلب شيطه الجمر

(أكل لحوم الناس وما قيل في ذلك من الشعر)

وقال معروف الذبيري^(٢) في أكلهم لحوم الناس :
إذا ماضفت يوماً فقعسيّاً فلا تطعم له أبداً طعاماً
فإنّ اللحم إنسانٌ فدعه وخير الزاد ما منع الحراماً
وقد هجيت هذيلٌ وأسد وبلعنبر وباهلة بأكل لحوم الناس ،
قال حسّان بن ثابت يذكر هذيلاً :

إنّ سرّك الغدر صيراً لا مزاج له فأت الرجيع وسل عن دار الحيان
قومٌ تواصلوا بأكل الجار بينهم فالكلب والشاة والإنسان سيان
وقال الشاعر في مثل ذلك في هذيل :

وأتمّ أكلتم شحمة بن مخدّم زباب فلا يأمنكم أحدٌ بعد^(٣)
تداعوا له من بين خمسٍ وأربعٍ وقدنصل الأظفار وأنسباً الجلد^(٤)

(١) أبو المهوش الأسدی : هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من الخضرمين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزانة ٣ : ٨٦ بولاق والإصابة ٢٠١٥ . . وفي ط : « المهوس » وصوابه في الخزانة و ل ، والبخلاء ١٩٨ .

(٢) ط : « الأسدی » وأثبت مافي ل والبخلاء ١٩٩ .

(٣) ل : « شخفة بن مخدّم » . وفي البخلاء ١٩٨ : « صحفة بن مخدّم » وفي ط :

« زمانا » موضع « زباب » . والزباب : ضرب من الفأر ، وهو ما يهجي به . قال :

وهم زباب حائر لا تسمع الأذان رعداً

(٤) ط : « نسل » وليس بشيء . وصوابه في ل والبخلاء .

وَرَفَعْتُمْ جُرْدَانَهُ لِرئيسِكُمْ مُعَاوِيَةَ الْفُلَحَاءِ يَا لَكَ مَا شَكَّدِ (١)
وقال الشاعر في ذلك في باهلة :

إِنَّ غَفَاقًا أَكَلَتْهُ بَاهِلُهُ تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وَكَاهَلَهُ
* وَأَصْبَحَتْ أُمُّ غَفَاقٍ ثَاكِلَهُ (٢) *

وهجا شاعر آخر بلعنبر، وهو يريد ثوب بن شحمة (٣)، وكان شريفاً وكان ١٣٠
يقال له مجير الطير. فأما مجير الجراد فهو مدلج بن سويد بن مرشد بن خبيري (٤)
فغير الشاعر ثوب بن شحمة (٣) بأكل الرجل العنبري (٥) لحم المرأة إلى أن أتى
ثوب (٦) من الجبل فقال :

عَجَلْتُمْ مَا صَادَكُمْ عِلَاجٌ مِنَ الْعُنُوقِ وَمِنَ النَّعَاجِ
* حَتَّى أَكَلْتُمْ طَفْلَةً كَالْعَاجِ *

فلما عيَّره قال ثوب (٧) :

يَا بِنْتَ عَمِّيَ مَا أَدْرَاكِ مَا حَسْبِي إِذْ لَا تَجْنُ نَحِيثَ الزَّادِ أَضْلَاعِي (٨)
إِنِّي لَذُو مِرَّةٍ مُتَحَشِّي بُوَادِرِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ بِنَصْلِ السَّيْفِ قِرَاعِ
ومن ظريف الشعر قول أبي عدنان (٩) :

(١) ط : ودفعتم جيرانه لرئيسكم معاوية الفصاء يالك ماشكد

والصواب في ل والبخلاء . و « يالك ما » كذا وردت والوجه « يالك من » .

(٢) ط : « غفاقا » و « أم غفاق » بالعين، وأثبت ما في ل والبخلاء .

(٣) كذا في القاموس والبخلاء ١٩٨ . وفي ط : « ثور بن شحمة » وفي ل : « ثوب

ابن سحمة » وكلاهما محرف . وكان ثوب سيداً شريفاً قد أجاز الطير فكان لا يشار

ولا يصاد بأرضه ، فسمى مجير الطير . ثمار القلوب ٣٥٥ .

(٤) ط : « جبير » . وانظر خبر مجير الجراد في أمثال الميداني (١ : ٢٠٢) وبلوغ

الأرب (١ : ١٤٤) .

(٥) ل : « القنبي » ، وفي البخلاء « بأكل الفتى » .

(٦) ط : « ثورا » وصوابه في ل .

(٧) ط : « ثور » .

(٨) ط « ما يدريك » وهما سسيان ، ط : « لاتجر » ل : « لايجز » وتصحيحه

من البخلاء .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤ .

فما كلبه سوداء تغرى بناها عراقاً من الموتى مراراً وتكراراً^(١)
أُتِجَ لها كلبٌ فضنَّتْ بعرقِها فهارشها وهي على العرقِ تعذِمُ^(٢)
فقفَّ على هذا الشعر فإنه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُنَيْحُ بن رباح شار الزنجي^(٣) :

مَا بِالْ كَلْبِ بَنِي كَلْبِ سَبْنَا أَن لَمْ يُوَازِنْ حَاجِبًا وَعِقْلًا

(قتيل الكلاب)

وتنازع مالك بن مسمع وشقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما رفعت
قَبْرُ بَدْسْتَرِ^(٤) فقال شقيق : حين وضعك قبراً بالمشقر ، يا ابن قتيل النساء
وقتيل الكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيان قتيل^(٥) الكلاب ، وذلك أنه
جأ في البردة إلى قومٍ من عبد القيس ، فكان كلبهم ينبحُ عليه فخاف أن
يدلَّ على مكانه فقتله فقتل به .

(أمثال أخرى في الكلب)

قال : والعرب تقول : « أسرع من لحسة كلبٍ أنفه » . ويقال :

-
- (١) ط : « تغرى بناها » وهو تحريف . وفيها « مراداً وتسكدم » وصوابهما في ل .
(٢) تعذم : تعض أو تأكل بجفاء .
(٣) ط : « وقال الشاذريجي » ل « وقال السارزنجي » وهذا تحريف كتبت بدله .
ما في رسائل الجاحظ ٦١ ساسي . وفي السكامل ١٥ ؛ ليبسك « رباح بن سنيج الزنجي » .
وانظر الرسائل ٦٢ وكامل ابن الأثير ٤ : ١٦١ .
(٤) ط : « بتشير » .
(٥) في ثمار القلوب ٣١٨ : « مسع بن سنان » .

« أحرصُ من لَعْوَةٍ » وهى السكلبة ، وجمعها لِعَاءٌ^(١) . وفى المثل : « ألام من كلبٍ على عَرَقٍ » ، و « نَعِمَ كلبٌ فى بؤسِ أهله » . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مع الكلب » .

(رؤيا الكلب وتأويلها)

وقال ابن سيرين : السكلبُ فى النوم رجلٌ فاحش ، فإن كان أسودَ فهو عربىٌ ، وإن كان أبقعَ فهو عجمىٌ .

وقال الأصمعى عن حماد بن سلمة عن ابنِ أختِ أبي بلالِ مرداسِ ابنِ أديّة^(٢) قال : رأيتُ أبا بلالٍ فى النومِ كلباً تذرِفُ عيناه ، وقال : إننا حوّلنا بعدكم كلاباً من كلابِ النار .

قال : ولما خرج شمر بن ذى الجوشن [الضَّبَّابى] لقتالِ الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، فرأى الحسينُ فيما يرى النائمُ أن كلباً أبقعَ يبلغُ فى ٩٣١ دمائمهم ، فأولَ ذلك أن يقتلهم^(٣) شمر [بن ذى الجوشن] . وكان مُتسلخاً برصاً^(٤) .

قال : والمسلمون كلُّهم يسمون الخوارجَ : كلابَ النار^(٥) .

(١) فى ط : « لقوة » و « لقاء » وصوابهما فى ل .

(٢) ط : « أبى بلال بن مرداس بن أديّة » . وأبو بلال كنية مرداس نفسه كما فى

الأغانى وجمهرة ابن حزم ٢١١ .

(٣) ط : « فأول ذلك بقتلهم شمر » .

(٤) ل : « متسلخا برصا » .

(٥) ل : « أهل النار » والصواب ما فى ط وثمار القلوب ٣١ .

(شعر في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب (١) يصفه بالسرعة في الحضر ،
وبالصبر على طول العدو ، وبسعة الإهاب ، وأنه إذا عدا ضبع وبسط يديه
ورجليه حتى يمس قصصه الأرض ، وحتى يشرط أذنيه بشباً (٢) أظفاره ،
وأنه لا يحتشى ريحاً مع ما (٣) يصيب الكلاب من اللهث . فإن كان كما تقولون
فلم وصف الشعراء الفرس وشبهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاء
وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب في المنسأ (٤) لا يلتفت أحد لفته (٥) ؟ !
وقال أبو دُواد الإيادي في ذلك :

عن لسان كجشة الورل الأحمر مجّ الندى عليه العرار (٦)

ولم يذكره في شيء . وقال خالد بن عجرة السكابي (٧) :

كأن لسانه ورلٌ عليه بدار مضية مج العرار

وقال امرؤ القيس :

وخذ أسيل كالمسن وبركة كجوجو هيق دفه قد تمورا

- (١) ط : « لصاحب الكلب » وصوابه في ل .
(٢) شيا : جمع شياة . وهي الحد . وفي ط : « بسباء » محرفاً .
(٣) ل : « لا يحتشى ريحاً مع ما » و ط : « لا يحتشى ريحاً ما » وسويت القول
كما ترى .
(٤) المنسأ : المزجر . وفي ل : « المنسى » وفي ط : « المنسا » .
(٥) لفته : جهته . وفي ط : « لا يلتفت إليه أحد » .
(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصحمة ، وهي
غبرة مشربة سواداً وإذا سخن اصفر صدره » ، وروى البيت برواية : « كجشة الورل
الأصفر » ونسب البيت إلى عدى بن الرقاع .
(٧) ط : « حماد عجرد السكابي » . والبيت في النوادر لأبي زيد ١١٦ غير منسوب
وهذه الرواية :
- كأن لسانه ورل عليه بدار مضنة مج العرار
وفي ل : « ندى رمصيه » .

ولم يذكره في شيء. وقال عُمَيْبَةُ بن سابق :

عريض الخدِّ والجبهَةِ والصَّهْوَةِ والجنبِ

ولم يذكره في شيء. وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرف العتقَ فيهما كسامعتي مذعورة وسطَ رُهب

ولم يذكره في شيء من ذلك. وقال عُمَيْبَةُ بن سابق :

ولها بركةٌ كجَوْجُو هَيْقٍ ولَبَانٌ مَضْرَجٌ بِالْحَضَابِ

ولم يذكره في شيء. وقال خُفَّاف بن نَدْبَةَ :

عَبَلُ الدَّرَاعِينَ سَلِيمُ الشَّظَا كَالسَّيِّدِ يَوْمَ القِرَّةِ الصَّارِدِ^(١)

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سَلِيمُ الشَّظَا عَبَلُ الشَّوَى شَنِجِجِ النَّسَا أَقْبَّ كَتَيْسِ الحَلْبِ الغَدَوَانِ^(٢)

ولم يذكره في شيء من ذلك. وقال عُمَيْبَةُ بن سابق .

١٣٢

وأرساغ كأعناقِ ظِبَاءِ أُرْبَعِ غُلْبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك. وقال الجَعْدِيُّ :

كَأَنَّ تَمَائِيلَ أَرْسَاغِهِ رِقَابُ وُعُولٍ لَدَى مَشْرَبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك. وقال امرؤ القيس :

لَهَا مَثْنَتَانِ خَطَّاتَانَا كَمَا أَكْبَّ عَلَى سَاعِدِيهِ النَّعْمِرُ

ولم يذكره في شيء من ذلك. وقال أَبُو دُوَاد :

(١) ط : « يوم نفرة الصادر » وهو تحريف ما في ل . وفي ل : « أمين الشظا » .

(٢) الحلب : نبت تعادها الظباء ، يخرج منه شيء شبيه باللبن إذا قطع . والغدوان :

النشيط المسرع ، وفي ط : « الغدوان » من العدو ، وهو الجرى . وهما روايتان .

الديوان ١٢٣ .

يمشى كمشى نعامتين تَتَابِعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٌ
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال ابن الصِّعَقِ (١) :

بِمَحْنَبٍ مِثْلِ الْعُقَا بِ تَخَالَهُ لِلضُّمْرِ قِدْحًا (٢)
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال ربيعة بن جُشم [النمرى] ، وروى لامرئ القيس (٣) :
وساقان كعباهما أصمعا نِ لِحْمِ حَمَاتَيْهِمَا مِنْبِتْرٌ
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري :
كَأَنَّ حَمَاتَيْهِمَا أَرْنَبَانِ تَقْبِضَتَا خَيْفَةَ الْأَجْدَلِ (٤)
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن في مثل ذلك (٥) :
كَأَنَّ حَمَاتَهَا كَرْدُوسٌ فَحَلِيٌّ مَقْلَصَةٌ عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ
ولم يذكره في شيء من ذلك .

وقال الأعشى :

أَمَا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَبِكَأَنَّهُ جِدْعٌ سَمًا فَوْقَ النَّخِيلِ مَشْدَبٌ
وَإِذَا تَصَفَّحَهُ الْفَوَارِسُ مَعْرَضًا فَتَقُولُ سِرْحَانُ الْغَضَا الْمُتَصَوَّبُ (٦)
أَمَا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ فَتَسْوِقُهُ سَاقٌ يَقْمَصُهَا وَظِيفٌ أَحْدَبُ

(١) هو يزيد بن عمرو بن خويلد . له ترجمة في الخزانة ١ : ٣٨٨ .

(٢) المحنب : المعوج الساقين . وفي : ط « بمحنب » وليس بشيء .

(٣) جملة « وروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .

(٤) الحماة : عضلة الساق . وفي ط : « كأن حمايتها » وهو تحريف .
والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن في مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « وإذا تصفحه الفوارس مغضبا » .

منه وجاعرة كأن حاتها لما كشفت الجبل عنه أرنب^(١)
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الأسعر الجعني^(٢) :

أما إذا استقبلته فكأنه بازٍ يكفكف أن يطير وقد رأى

أما إذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثل سرحان الغضا

أما إذا استدبرته ففسوقه ساق فموص الوقع عارية النساء ١٣٣

ولم يذكره في شيء . وقال أبو دواد :

كالسيد ما استقبلته وإذا ولي تقول مللم ضرب^(٣)

لأم إذا استعرضته ومشى متتابعاً ما خانته عقب

يمشي كمشي نعامة تبع أخرى إذا هي راعها خطب

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

له أبطلاً ظبي وساقاً نعامة وإرخاء سرحانٍ وتقريب تتفل

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال ابن سنان العبدى :

أما إذا ما أقبلت فطارة كالجدع شذبه نقي المنجل

أما إذا ما عرضت فنبيلة ضخم مكان جزامها والمر كل^(٤)

أما إذا تشددت فهي نعامة تنفي سنا بكها صلاب الجندل^(٥)

(قول أبي عبيدة في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : ومما يشبه خلقه من خلق النعامة طول وظيفها وقصر

(١) الجبل : غطاء الفرس . وفي ط : « الجبل » محرفاً . وفي ل : « هنة وجاعرة » .

(٢) الأبيات في الخزانة ٤ : ٢٢ بولاق بتقديم الفالك على الثاني .

(٣) الضرب : الخفيف اللحم . وفي ل : « صرب » .

(٤) ط : « فقليلة » .

(٥) ل : « أما إذا ما أدبرت نعامة »

ساقيا وعُرى نَسِيها^(١) . ومما يشبهه من خلقه خلق الأرنب صِغَر كعبيها .
ومما يشبهه من خلقه خلق الحمار الوحشي غِلظ لحمه ، وظمأ فصوصه
وسرّاته ، وتمحص عصبه^(٢) ، وتمكّن أرساغه ، وعرض صهوته .

قال صاحب السكلب : قد قال أبو عبيدة : إن مما يشبهه من خلقه
خلق السكلب هَرّت شدقيه ، وطول لسانه ، وكثرة ريقه ، وانحدار
قصه^(٣) ، وسبوغ ضلوعه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جلده ، ولحوق بطنه .
وقال طفيل الغنوي ، يصف الخيل :

تبارى مَراخِها الزجاج كَأَها ضِرَاءُ أَحَسَّتْ نَبَأَهُ مِنْ مَكَلَّبِ^(٤)
وقال طفيل أيضاً :

كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثُوبَ مَائِحٍ وَإِنْ يَلْقَى كَلْبَ بَيْنِ لَحْيَيْهِ يَدَّهَبِ^(٥)
وقال صاحب الديك : وأين يقع البيتُ والبيتان والثلاثة ، من جميع
أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب السكلب : لعلنا إن تتبّعنا ذلك وجدناه كثيراً ،
ولسكنك تقدّمت في أمر ولم تُشعر بالذي تعني ، فنلتقط^(٦) من الجميع
١٣٤ أكثر مما التقتط . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضع منه مواضع
من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلا قوله :

(١) ط : « نسيها » وليس بشيء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفي ط : « تمحيص » .

(٣) القص والنقص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه المراخي - وهن المسرعات واحدها مرخاء - تبارى الزجاج :
جمع زج . أي تكاد تسبق ما يحملها أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :

يطرد الزج يبارى ظله بأسيل كالسنان المنتحل

وفي ط ، ل : « تبادى » . وفي ط « مراخيا » . وذلك تحريف . انظر الحيوان (٢ : ٨١) .

(٥) المائح : الذي ينزل البئر فيملاّ الدلو ، والمائح : الذي يجذب الدلو ليخرجها . وفي ل
« كأن على أعطافها ثوب مائح » وفي ط : « كأن على أعطافه ثوب مائح » . وانظر
أدب الكاتب ٨٧ والاقْتَضَاب ٢٢٧ .

(٦) في الأصل : « فلتتقط » .

وترى السميتَ أمامه وكأنَّه رجلٌ مُغاضِبٌ ١٣٤

وقال الشاعر في ذلك :

خُوصٌ تَرَّاحٌ إِلَى الصَّرَاخِ إِذَا غَدَتِ فِعْلَ الضَّرَّاءِ تَرَّاحٌ لِلْكَلَّابِ (١)
وقد شبهوا بالكلب كلَّ شيء .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل ، الكلب ، والمزنوق ، والورد .

(شعر في وصف الناقة ونشاطها)

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر ، ووصف الناقة ونشاطها
والذي يهيجها فقال :

كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا وَالتَّفَّ دِيكٌ بِرَجْلَيْهَا وَخِنْزِيرٌ (٢)
فهلاً قال : والتف كلبٌ كما قال : والتفَّ ديكٌ !! وقال أبو حنيفة :

[و] تَزَوَّرَتْ عَنْهُ كَأَنَّ بَدْفُهَا هَرًّا يَنْشَبُ ضَبْعَهَا بِالْأَظْفَرِ (٣)

وقال الأعشى :

بِجَلَالَةِ سُرْحٍ كَأَنَّ بَدْفُهَا (٤) هَرًّا إِذَا انْتَعَلَ الْمَطِيُّ ظِلَالَهَا

وقال عنتره بن شداد العبسي :

وَكَأَنَّما يَبْنأى بِجَانِبِ دَفِّهَا الْوَحْشِيُّ مِنْ هَزَجِ الْعَشِيِّ مُؤَمِّمٌ (٥)

(١) ل : « إلى الصباح » وكذلك في اللسان مادة (روح) .

(٢) لابن طباطبا نقده في هذا البيت ذكره المرزباني في الموشح ٨٦ ، ولابن رشيق كلام فيه في العمدة ٢ : ٢٢٥ ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٤٧ .

(٣) ينشب : يعلق به . وفي ط : « تنشب » .

(٤) ل : « بقرضها » ، والغرز : زكاب من جلد . والدف : الجانب .

(٥) في الأصل : « دفها الوحشي في هزج . . . » . وانظر التبريزي ١٨٧ .

هَرٌّ جَنِيْبٌ كَلَّمَا عَطَفَتْ لَهُ غَضَبِي اتَقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْفَمِ^(١)
وقال المثقَّب العَبْدِيُّ :

فَسَلُّ الِهْمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ عُدَافِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ القُمُيُونِ
وَبِصَادِقَةِ الوَجِيفِ كَأَنَّ هَرًّا يُبَارِيهَا وَيَأْخُذُ بِالوَصِيْنِ^(٢)

قال صاحب السكلب : إنما يذكرون في هذا الباب السَّبَاعَ المنعوتة
بالخالب وطول الأظفار ، كما ذكر الهرَّ وابن آوى . والسكلب ليس
يوصف بالخالب ، وليس أَنَّ الهرَّ أقوى منه . ألا ترى أَنَّ أوسَ بن حجرٍ
قال في ذلك :

* كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا *

فذكر الموضع الذى يوصف بالخالب والحدش والحمش والتظفير ، فلما
أراد أن يفزعها ويثورَّها حتى تذهب جافلة في وجهها^(٣) ، أو ناذة ،
١٣٥ أو كأنها مجنونة من حاقَّ المرح والنشاط^(٤) قال :

* وَالثَّفَّ دِيكٌ بِرَجْلَيْهَا وَخَنِيْرٌ^(٥) *

وقال أبو النجم :

لَوْ جَرَّ شَنْ وَسَطِهَا لَمْ تُجْفَلِ^(٦) مِنْ شَهْوَةِ المَاءِ وَرِزٌّ مَعْضَلٌ^(٧)
[ويروى : تحفل] . ولو قال أوس :

(١) ط : « اتقاها » .

(٢) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المنضيات ٢٩٠ .

(٣) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقه . وفي ط : « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدرة :

* كأن هرا جنيبا عند مغرضها *

(٦) ط : « لو جرشن خلفها لم يحفل » .

(٧) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت ، وعنى به الروع ، كما في اللسان (ررز) عند

إنشاد الرجز . وفي الأصول : « رزه » ، تحريف .

* والتفَّ شَنُّ برجلِها وخنزير *

اسكان جائزاً ، لولا يُدبَسُ الشَّنُّ وقحُولُه ، وأَنه ليس مما يلتوى على
رجليها . وقال آخر :

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوثِقٌ تَحْتَ غَرْزِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكَلِّمْ بَنَابِيَهَ ظَفَرًا
وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَحِلُّ
لِرَجُلٍ [أَنْ] ^(١) يُعْطِيَ عَطِيَّةً وَيَرْجِعُ فِيهَا ، إِلَّا الْوَالِدُ فِيمَا يُعْطَى وَلَدَهُ .
ومثل الذي يُعْطَى العَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَأْكُلُ ، حَتَّى إِذَا
شَبِعَ قَاءَهُ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ » ^(٢) .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَا يَرْجِعُ فِي هِبَتِهِ إِلَّا الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ . وَالْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْئِهِ » .
وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَمَرَ
بِقَتْلِ الْكِلَابِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : وَكَانَتْ أُمِّي تَحْتَ أَبِي بَكْرٍ ،
وَكَانَ جَرَوْهُ لِي تَحْتَ سَرِيرِهِ ^(٣) فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَتِ ، وَكَلْبِي أَيْضًا ؟ فَقَالَ :
لَا تَقْتُلُوا كَلْبَ ابْنِي ، ثُمَّ أَشَارَ بِإصْبَعِهِ إِلَى الْكَلْبِ - أَيْ خَذُوهُ مِنْ تَحْتِ
السَّرِيرِ - وَأَنَا لَا أَدْرِي ، فَقَتَلُ .

وإسماعيل بن أمية قال : أُمَّتَانِ مِنَ الْجِنِّ مُسِيخَتَا ، وَهُمَا
الْكِلَابُ وَالْحَيَّاتُ .

ابن المبارك قال : إِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ قَدْرَ نَفْسِهِ صَارَ عِنْدَ نَفْسِهِ
أَذْلًا مِنَ الْكَلْبِ .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ل : « قاءه ثم عاد في قيه » .

(٣) ط : « تحت للسريير » .

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك - وذَكَرَ الكلب فقال - : من لؤمِه أَنَّهُ إِذَا أُسْمِنَتْهُ أَكَلَك ، وَإِنْ أُجْعَتَهُ أَنْكَرَكَ . ومن لؤمه اتَّبَعَهُ مَنْ أَهَانَهُ ، وَإِلْفَهُ مَنْ أَجَاعَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَجْهَلُ مَنْ أَنْ يَأْنِسَ بِمَا يُؤْنِسُ بِهِ (١) وَأَشْرَهُ وَأَنْهَمُّ وَأَحْرَصُ وَأَلْجُ مَنْ أَنْ يَذْهَبَ بِمَطْمَعَتِهِ (٢) مَا يَذْهَبُ بِمَطَامِعِ السَّبَاعِ .

ومن جهله أيضا أَنَّا لَمْ نَجِدْهُ يَحْرُسُ الْمُحْسِنِينَ إِلَيْهِ بِنَبَاحِهِ ، وَأَرْبَابَهُ الَّذِينَ رَبَّوْهُ وَتَبَنَوْهُ (٣) إِلَّا كَحِرَاسَتِهِ لِمَنْ عَرَفَهُ سَاعَةً وَاحِدَةً ، بَلْ لِمَنْ أَذَلَّهُ وَأَجَاعَهُ وَأَعْطَشَهُ . بل ليس ذلك منه حراسةً ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيهِ مِنْ فَضْلِ الْبَدَاءِ أَوْ الْفُحْشِ ، وَشِدَّةِ التَّحَرُّشِ وَالتَّسْرُعِ . وقد قال الشاعر في ذلك :

١٣٦ إِذَا تَحَازَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ ثُمَّ كَسَّرْتَ الْعَيْنَ مِنْ غَيْرِ عَوَرٍ (٤)
أَبْدَى إِذَا بُودِيَتْ مِنْ كَلْبٍ ذَكَرَهُ (٥) أَسْوَدَ قَزَاحٍ يُعَوِّي فِي السَّحَرِ (٦)
وَإِنَّمَا ذَلِكَ شَكْلٌ مِنْ شَكْلِ الْجَبَنِ ، وَكَالَّذِي (٧) يَعْتَرِي نِسَاءَ السَّفَلَةِ
مِنَ الصَّخْبِ .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأةٌ ولؤمٌ . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التهيُّبِ

(١) ل : « منه » .

(٢) مطمعته : طمعه . وفي ط : « بمطمعه » .

(٣) ط : « وواسوه » والوجه ما في ل .

(٤) ل : « الطرف » موضع « العين » .

(٥) أبدى ، من البذاء . ط : « أبزى إذا بوديت » صوابه في ل . وانظر الأمل

(١ : ٩٦) وأمثال الميداني (٢ : ١٢٧) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص

عند الدميري (١ : ٤١٠) .

(٦) القزاح : الذي يدفع ببوله دفعا . وفي ط : « فراع » . وفي ط : « تعوى في السحر »

وفي ل : « يفضى في السحر » .

(٧) ط : « ولا الذي » وهو تحريف .

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنه يفزع من كل شيء وينبحه .

والبردون ربما رمح البردون مبتدئا ، وقلق وصهل صهيلا في اختلاط ،
وليس ذلك من فضل قوة يجدها في نفسه على المرموح ، وليكنه يكون جبانا ،
فإذا رأى البردون الذي يظن أنه يعجز عنه أراه الجبن أنه واقع به ، فعندها
يقلق وإذا قلق رمح . وهذه العلة تعرض للمجنون ؛ فإن المجنون الذي
تستولى عليه السوداء ، ربما وثب على من لا يعرفه . وليس ذلك إلا لأن
المرء أوهمه أنه يريد بسوء ، وأن الرأي أن يبدأه^(١) بالضرب . وعلى مثل
ذلك يرمي بنفسه في الماء والنار .

(مما حدث للنظام)

فأما الذي شهدت أنا من أبي إسحاق بن سيار النظام ، فإننا خرجنا ليلة
في بعض طرقات الأبلّة ، وتقدمته شيئا ، وألح عليه كلب من شكل كلاب
الرعاء ، وكره أن يعدو فيغريه ويضربه^(٢) ، وأنف أيضا من ذلك - وكان أنفاً
شديد الشكيمة أبناء للهزيمة - وكره أن يجلس مخافة أن يشغره عليه^(٣)
أو لعله أن يعضه فيهتت ثوبه ، وألح عليه فلم ينله بسوء^(٤) . فلما جُزنا حدّه
وتخلصنا منه ، قال إبراهيم في كلام له كثير ، يعدد خصاله المذمومة ،
فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سبغ فاذهب مع السباع ، وعليك
بالبرارى والغياض ، وإن كنت بهيمة فاسكت عتاً سكوت البهائم !

(١) ط : « أنه يبدأه » .

(٢) يضريه : يغريه . وفي الأصل : « ويضربه » .

(٣) في ط : « يشغره عليه ببوله » وهو تحريف .

(٤) ل : « أن يأكله فهتت ثوبه وألح عليه ولم يرد سواه » .

التي في الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فن أخطأ وأظلمُ ممن يكلف السباعَ أخلاقَ الناسِ وعاداتِ
البهائمِ ! ! وقد علمنا أن سباعَ الأرضِ عن آخرها إنما تهيج وتسرّح وتلتمس
المعيشة وتلتاق على السفاد والعظام ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناسُ بالليل عن حوائجهم ، لأن التمييز والتفصيل والتبيين^(١)
لا يمكنهم إلا نهاراً ، وليس للمتعب المتحرّك بدُّ من سكون يكون جَماماً له .
ولولا صرفُهم^(٢) التماسَ الجِمامِ إلى الوقت الذي لو لم يناموا فيه والوقتُ مانع
١٣٨ من التمييز والتبيين^(٣) ، لسكانت الطباعُ تنتقض . فجعلوا النَّومَ بالليل
لضربين : أحدهما لأنَّ الليلَ إذ كان من طبعه البرد والرُّكود والخُثورة ،
كان ذلك أنزَع إلى النوم وما دعا إليه ، لأنّه من شكله . و [أمّا]^(٤)
الوجه الآخر فلأنَّ الليلَ موحِشٌ مخُوف الجوانب من الحوامِّ والسباع ،
ولأنَّ الأشياء المبتاعة والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدرهم ، والحبوب ،
والبزور ، والجواهر ، وأخلاط العطر ، والبرِّهارة^(٥) وما لا يحصى عدده .
فقدتهم طبائعهم وساقتهم غرائزهم إلى وضع النوم في موضعه ، والانتشار

(١) ط : « والتفصيل والتبيين » والوجه ما في ل .

(٢) ل : « فصرفهم » .

(٣) ط : « التبيين » .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) البرِّهارة : الأدوية التي تجلب من الهند من الخشيش والعقاقير ونحوها ، يقول البحرية
وأهل البصرة طا : البرِّهارة . أنساب السمعاني ٧١ . وانظر ماسياتي في حواشي ٣ : ٤٣٥

والتصرف^(١) في موضعه على ماقدّر الله تعالى من ذلك وأحبّه . وأمّا السباع
فإنها تتصرّف وتبصر بالليل ، ولها أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرها .

(نوم الملوك)

وأما ماذكرتموه من نوم الملوك بالنهار وسهرهم بالليل ، فإن^(٢) الملوك لم تجهلوا
فضل النوم بالليل والحركة بالنهار ، ولكن الملوك لكثرة أشغالها فضلت
حوادثها عن^(٣) مقدار النهار ولم يتسع لها ، فلما استعانت بالليل ولم يكن لها
بد من الخلوّة بالتدبير المكتوم والسرّ المخزون ، جمعت المقدار الفاضل عن
اتساع النهار إلى المقدار الذي لا بد للخلوّة بالأسرار منه ؛ أخذت من الليل
صدرها صالحاً . فلما طال ذلك عليها أعانها المران^(٤) ، وخفت ذلك
عليها بالدربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى تناول من الشراب وإلى أن سماع الصوت
الحسن مما يزيد في المنّة ، ويكون مادةً للقوة . وعلموا أنّ العوام إذا كانت
لا تتناول الشراب ولا تتكلّف السماع على هذا المعنى ، أن ظنّها سيسوء^(٥) ،
وقولها سيكثر ؛ فأروا أنّ الليل أسرّ وأجدر أن يتمّ به التدبير^(٦) ،
وقال الراجز :

* اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ *

وقالوا في المثل : « اللَّيْلُ أَخْفَى (٧) لِلْوَيْلِ » .

-
- (١) ط : « والانتشار بالتصرف » وهو تحريف .
(٢) في الأصل : « وإن » والوجه ما أثبت .
(٣) ط : « على » موضع « عن »
(٤) ط : « المرآت » وهو تحريف .
(٥) ط : « متيسر » وهو تحريف ما في ل .
(٦) ط : « به باقي التدبير »
(٧) ط : « أني للويل » . وانظر أمثال الميداني (٢ : ١٢٧) .

(تلهى المحزون بالسماع)

وما زالت ملوكُ العجم تلهى المحزون بالسماع ، وتعذلُّ المريض ، وتشفله
عن التفكير ، حتَّى أخذت ذلك ملوكُ العرب عن ملوك العجم . ولذلك
قال ابن عسلة الشيباني (١) :

وسماع مُدجِنَةٍ تعلَّنا حتَّى ننامَ تناوَمَ العُجمِ
فصحوت والنمريُّ يُحسبُها عمَّ السَّكِّ وخالةُ النجمِ (٢)

النجم : واحد وجمع ، وإِنما يعنى فى البيت الثرىيا . ومدجنة : يعنى
سحابة دائمة .

(قول أم تأبط شرا فى ولدها)

وفىما يحكى عن امرأةٍ من عقلاء نساء العرب - وإذا كان نساء العرب
١٣٩ فى الجملة أعتل من رجال العجم ، فما ظنك بالمرأة منهم إذا كانت مقدّمة
فيهم (٣) - فرووا جميعاً أنّ أم تأبط شراً قالت : « والله ما ولدته يَدناً ، ولا سقيته
غَيْلاً ولا أبته على مَأْفَةِ » .

فأمّا البتين فخرج رجل المولود قبل رأسه ، وذلك علامة سوء ،
ودليل على الفساد . وأمّا سقى الغَيْل ، فارتضاع لبن الحبلى ، وذلك
فسادٌ شديد .

(١) سبق هذا الشعر ص ٢١٢ كما سبقت ترجمة ابن عسلة .

(٢) صواب روايته : « لصحوت » كما سبق فى حواشى ٢١٢ .

(٣) ل : « عندهم » .

(ما ينبغي للأم في سياسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها في المأفة ، فإنَّ الصبيَّ يبكي بكاءً شديداً متعباً موجعاً ، فإذا كانت الأمُّ جاهلةً حرَّكته في المهد حركةً تورثه الدُّوار ، أو نومته بأن تضرب يدها على جنبه . ومتى نام الصبيُّ وتلك الفرعةُ أو اللوعةُ أو المكروه قائمٌ في جوفه ، ولم يعللَّ ببعض ما يلهيه ويضحكه ويسرُّه ، حتى يكون نومه على سرورٍ ، فيسرى فيه ويعمل في طباعه ، ولا يكون نومه على فزعٍ أو غيظٍ أو غمٍّ ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يعمل في الفساد . والأمُّ الجاهلةُ والمرقصةُ الحرقاءُ ، إذ لم تعرف فرقَ ما بين هاتين الحالتين ، كثيرٌ منها ذلك الفساد ، وترادفَ ، وأعان الثاني الأوَّلَ والثالثُ الثانيَ حتى يخرجَ الصبيُّ ماثماً . وفي المثل : « صاحبى متيق وأنا تتيق » ، يضرب هذا المثل للمسافر الأحمق الرقيقِ والزَّميلِ ، وقد استفرغه الضَّجْرَ لطول السفر^(١) فقلبه ملآن ، فأوَّلُ شيءٍ يكون في ذلك المتيق من المكروه لم يحتماه^(٢) بل يفيض ضجره عليه ، لامتلائه من طول ما قاسى من مكروه السفر .

(ما يحتاج إليه الملوك)

فاحتاج حذاقُ الملوكِ وأصحابُ العناياتِ التامةِ ، أن يداووا أنفسهم بالسَّماعِ الحسنِ ، ويشدُّوا من متنبهم بالشرابِ ، الذي إذا وقعَ في الجوفِ حرَّكَ الدَّمَّ ، وإذا حرَّكَ الدَّمَّ حرَّكَ طباعَ السرورِ ، ثمَّ لا يزالُ زائداً

(١) ل : « بطول السفر »

(٢) ط : « ولم يحتمله » ، والواو مقحمة .

تقِي مِكْيَالِ الدَّمِ ، زَائِدًا فِي الْحَرَكَةِ الْمَوْلُودَةِ لِلسَّرُورِ . هَذِهِ صِفَةُ الْمَلُوكِ . وَعَلَيْهِ
يُنَوِّأُ أَمْرَهُمْ ، جَهْلٌ ذَلِكَ مَنْ جَهَلَهُ ، وَعَلِمَهُ مِنْ عِلْمِهِ .

وَقَالَ صَاحِبُ السِّكْلِيبِ : أَمَّا تَرْكُهُ الْإِعْتِرَاضَ عَلَى اللَّصِّ الَّذِي أَطْعَمَهُ
أَيَّامًا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ مِرَارًا ، فَإِنَّمَا وَجِبَ عَلَيْهِ حِفْظُ أَهْلِهِ لِإِحْسَانِهِمْ إِلَيْهِ ،
وَتَعَاهُدِهِمْ ^(١) لَهُ . فَإِذَا كَانَ عَهْدُهُ بِبِرِّ اللَّصِّ أَحْدَثَ مِنْ عَهْدِهِ بِبِرِّ أَهْلِهِ ^(٢) ،
لَمْ يَكْلَفِ السِّكْلِيبُ النَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَمَوَازِنَةِ الْأُمُورِ ^(٣) . وَالَّذِي أَضْمَرَ
اللَّصُّ مِنَ الْبَيَّاتِ غَيْبٌ قَدْ سُتِرَ عَنْهُ ؛ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَجَاءَ لِيَأْخُذَ أَمْ جَاءَ
لِيُعْطَى ، أَوْ هُمْ أَمْرُوهُ أَوْ هُوَ الْمُتَكَلِّفُ لَذَلِكَ ؛ وَلَعَلَّ أَهْلَهُ أَيْضًا [أَنْ] يَكُونُوا
قَدْ اسْتَحَقُّوا ذَلِكَ مِنْهُ بِالضَّرْبِ وَالْإِجَاعَةِ ، وَبِالسَّبِّ وَالْإِهَانَةِ .

وَأَمَّا سِمَاجَةُ الصَّوْتِ فَالْبَغْلُ أَسْمَجٌ صَوْتًا مِنْهُ ، كَذَلِكَ الطَّاوُوسُ عَلَى
١٤٠ أَنَّهُمْ يَتَشَاءَمُونَ بِهِ . وَلَيْسَ الصَّوْتُ الْحَسَنُ إِلَّا لِأَصْنَافِ الْحَمَامِ مِنَ الْقَمَارِيِّ
وَالدَّبَّاسِيِّ ، وَأَصْنَافِ الشَّغَانِيِّينَ ^(٤) وَالْوَرَّاشِيِّينَ . فَأَمَّا الْأَسَدُ وَالذَّنْبُ ؛
وَابْنُ آوَى وَالْحَنْزِيرُ ، وَجَمِيعُ الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ وَالْبَهَائِمِ فَكَذَلِكَ . وَإِنَّمَا لَكَ
أَنْ تَذُمَّ السِّكْلِيبَ فِي الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ . وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : لَيْسَ فِي النَّاسِ
شَيْءٌ أَقْلَمُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : الْبَيَّانِ الْحَسَنِ ، وَالصَّوْتِ الْحَسَنِ ، وَالصُّورَةِ
الْحَسَنَةِ ؛ ثُمَّ النَّاسُ بَعْدُ مُخْتَلِطُونَ مِمْتَزَجُونَ . وَرَبَّمَا كَانَ مِنَ النَّاسِ بَلْ
كَثِيرًا مَا تَجِدُهُ وَصَوْتَهُ أَقْبَحُ مِنْ صَوْتِ السِّكْلِيبِ ، فَلَمْ تَخْصُصْ السِّكْلِيبَ
بِشَيْءٍ عَامَّةً الْخَلْقِ فِيهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْكَلْبِ ؟ !

وَأَمَّا عَوَاوُهُ مِنْ وَطْءِ الدَّابَّةِ وَسَوْءِ جَزَعِهِ مِنْ ضَرْبِ الصَّبَّيَّانِ ، فَجَزَعُ

(١) ل : « وتعهدهم له » وهما بمعنى .

(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده بينه وبين أهله » وأثبت

ما في ل ، مع إبدال « بينه وبين » بكلمة « ببر » .

(٣) ط : « وموازنة الأمور » .

(٤) ط : « الشغانين » وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص ١٩٤ .

الفرس من وقع عذبة السوط ، أسوأ من جزعه من وقع حافر برذون ؛
وهو في هذا الموضع للفرس أشد^(١) مناسبة منه للحمار .
على أن الذبك لا يُذكر بصبرٍ ولا جزع .

(نوادر ديسيموس اليوناني)

قال صاحب الديك : حدثني العتبي^(٢) قال : كان في اليونانيين ممرور
له نوادرٌ عجيبة ، وكان يسمّى ديسيموس^(٣) ، قال : والحكماء يروون له
أكثر من ثمانين نادرة [مامنها] إلا وهي غرّة وعينٌ من عُيون النوادر :
فإنها أنه كان كلّمًا خرج من بيته مع الفجر إلى شاطئ الفرات للغائط
والظهور ، ألقي في أصل باب داره وفي دُوارته حجرًا ، كي لا ينصفق الباب ،
فيحتاج إلى معالجة فتحه ، وإلى دفعه^(٤) كلّمًا رجّع من حاجته ، فكان
كلّمًا رجّع^(٥) لم يجد الحجر في موضعه ، ووجد الباب منصفقًا . فكان
له في بعض الأيام^(٦) ليرى هذا الذي يصنع^(٧) ما يصنع . فبينما هو في
انتظاره إذ أقبل رجلٌ حتى تناول الحجر ، فلمّا نحا عن مكانه انصفق

(١) ل : « إلى الفرس » وفي الأصل : « أشد منه » . وكلمة « منه » مقحمة .

(٢) ل : « العتبي » وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة العتبي ص ٥٤ .

(٣) كتابة هذا العلم بالدال هي الصواب كما في ل ، ورسائل الجاحظ ١٤٣ . وهو علم
يوناني متداول ، وحرف بالراء في ط والبخلاء ١٥٨ ، والبيان ٢ : ٢٢٥ : ٢٢٦ .

(٤) ط : « رفعه » والوجه ما في ل .

(٥) ل : « إذا رجّع » .

(٦) ط : « في بعض الأمكنة في بعض الأيام » .

(٧) ط : « الباب يصنع » وهو تحريف .

الياب ، فقال له : مالك ولهذا الحجر ؟ وما لك تأخذه ؟ فقال : لم أعلم أنه لك . قال : فقد علمت أنه ليس لك !

قال : وقال بعضهم : ما بال ديسيموس يعلم الناس الشعر ولا يقول الشعر ؟ قال : ديسيموس كالمسن الذي يشحد ولا يقطع .

ورآه رجل يأكل في السوق فقال : أأأكل في السوق ؟ فقال : إذا جاع ديسيموس في السوق أكل من السوق .

قال : وأسمعه رجل كلاما غليظا وسطا عليه ، وفحش في القول ، وتحلم عنه فلم يجبه ، فقيل له : مامنك من مكافأته وهو لك معرض ؟ قال : أرأيت لو رحك حماراً أكنت ترمه ؟ قال : لا . قال : فإن ينبح عليك كلب تنبح^(١) عليه ؟ قال : لا ، قال : فإن السفية إما أن يكون حماراً ، وإما أن يكون كلباً ؛ لأنه لا يخلو من شرارة تكون فيه أو جهل ، وما أكثر ما يجتمعان فيه^(٢) .

(أمثال أخرى في الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنما هو كلب ، وإنما أنت كلب نباح ، وما زال ينبح علينا منذ اليوم ، وكتب من هذا ؟ ويا كلب ابن الكلب ، وأخساً كلباً^(٣) .

وقالوا في المثل : « احتاج إلى الصوف من جز كلبه » ، و « أجمع كلبك يتبعك » ، و « أحب شيء إلى الكلب خازقته » ، و « سمن كلبك يأكلك »

(١) ل : « فإن نبج عليك الكلب » الخ . . .
(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ما في ل .
(٣) ل : « ويا كلب ابن الكلبة واخس كلبا » .

و « أَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ »^(١) ، و « كَالسَّكْبِ يَرِيضُ فِي الْآرِيِّ فَلَا هُوَ
يَأْكُلُ وَلَا يَدَعُ الدَّابَّةَ تَعْتَلِفُ » .

(براقش)

وفي أمثالهم في الشؤم : « على أهلها دلت براقش » .
وبراقش : كلبة نبحت على جيشٍ مروا في جوف الليل وهم لا يشعرون بموضع
الحيِّ ، فاستدلُّوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم^(٢) .

(الجن والجن)

وقال صاحب الديك : روى إسماعيلُ المكيُّ عن أبي عطاءِ العطاردي
قال : سمعت ابن عبَّاسٍ يقول : السُّود من الكلاب الجنِّ ، والبُقَع منها الجنُّ .
ويقال إنَّ الجنَّ ضعفة الجنِّ ، كما أنَّ الجنِّيَّ إذا كفر وظلم وتعدَّى وأفسد ،
قيل شيطان ؛ وإن قوى على البنیان والحمل الثقيل ، وعلى استراق السمع
قيل مارد ، فإنَّ زاد فهو عفريت ، فإنَّ زاد فهو عبقرى . كما أنَّ الرجلَ إذا
قاتل في الحرب وأقدم ولم يحجم فهو الشجاع^(٣) ، فإنَّ زاد فهو البطل ، فإنَّ
زاد قالوا : بهُمة ، فإنَّ زاد قالوا : أليس^(٤) . فهذا قول أبي عبيدة .

وبعض النَّاس يزعم أنَّ الجنَّ والجنَّ صِنْفان مختلفان ، وذهبوا إلى قول
الأعرابي حين أتى بعضَ أبواب الملوك ليكتتب في الزَّمني ، فقال في ذلك :
إِنْ تَكْتَبُوا الزَّمَنِي فَإِنِّي لَزَمَنٌ مِنْ ظَاهِرِ الدَّاءِ وَدَاءِ مُسْتَسْكِنٍ

(١) انظر ثمار القلوب ٣١٥ والتبثيل والمحاضرة ٣٥٥ والميداني ١ : ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) انظر تحقيقاً طريفاً للمثل في إكليل الهمداني ٨ : ١٢٦ .

(٣) ل : « ولم ينجم . . . » وهما بمعنى .

(٤) الأليس من الليس بمعنى الشجاعة . وفي ط : « ليث » وهو تحريف .

أبيت أهوى في شياطين تُرِنٌ مختلفٍ نجارهم حنٌ وجنٌ

(ماورد من الحديث والخبر في قتل الكلاب)

وعن أبي عنبسة^(١) عن أبي الزبير عن جابر : (٢) قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، حتى أن المرأة لتقدم بكلبها من البادية فقتله ، ثم نهانا عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهيم ذى النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

وعن أبي الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، فكنا نقتلها كلها حتى قال : « إنها أمة من الأمم ؛ فاقتلوا البهيم الأسود ذا النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

١٤٢ وعبدالله وأبو بكر ابنا نافع^(٣) عن ابن عمر ، ونافع عن أبي رافع قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقتل الكلاب ، فكُنَّا نقتلها ؛ فانتهيت إلى ظاهر بنى عامر ، وإذا عجوزٌ مسكينة معها كلب وليس قربها إنسان^(٤) فقالت : ارجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن هذا الكلب يؤنسنى ، وليس قربى أحد . فرجع إليه فأخبره ، فأمر أن يقتل كلبها فقتله . وقال في حديث آخر^(٥) : إنه لما فرغ من قتل كلاب المدينة وقتل كلب المرأة قال : الآن استرحت . قالوا : فقد صحَّ الخبر عن قتل جميع الكلاب ، ثم صحَّ الخبر بنسخ بعضه وقتل الأسود البهيم منها ، مع الخبر بأنها من الجنِّ والحنِّ ، وأنَّ أمتين مُسختا ، وهما الحيات والكلاب .

(١) ل : « ويحيى بن أبي أنيسة » .

(٢) في ل بعد هذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم . وعن أبي الزبير عن جابر » . كما أن الحديث الآتي في ل روى بعد الذى يليه هنا .

(٣) ماعدل ل : « أنبانا نافع » . (٤) ط : « يقرها إنسان » .

(٥) ل : « قال وفي حديث » .

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطبَ عثمانَ خُطبةً إلا أمرَ بقتل الكلابِ وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمانَ بن عفَّانَ يقول : اقتلوا الكلابَ واذبحوا الحمام .

قال : وقال عطاءٌ : في قتل كَلْبِ الصيدِ إذا كان صائداً أربعون درهما ، وفي كلبِ الزرعِ شاة .

(ما ورد من الحديث والخبر في دية الكلب)

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاءٍ عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر^(١) قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلب الصيدِ بأربعين درهما ، وفي كلب الغنمِ بشاة ، وفي كلبِ الزرعِ بفرق من طعام^(٢) ، وفي كلبِ الدارِ بفرق من تراب ، حَقَّ على القتال أن يؤدِّيَه ، وحُقَّ على صاحبِ الدار أن يقبضه .

قالوا : والتراب لا يكون عقلا إذا كان في مقدار الفرق .
وفي قوله : وحُقَّ على صاحبِ الدار أن يقبضه ، دليلٌ على أنه عقوبة على اتخاذه^(٣) وأن ذلك على التصغير لأمر الكلب وتحقيره ، [و] على وجه الإرغام لما أسكته . ولو كان عوضاً أو ثواباً ، أو كان في طريق الأموال المحروص عليها ، لما أكرهه على قبضه أحد ، وإسكان العفو أفضل .

(١) في الأصل : « حسان بن عبد الله بن عمر » .

(٢) الفرق ، بالفتح ، وبالتحريرك : مكيال ضخم لأهل المدينة يقال إنه يسع ستة عشر رطلا . وفي ل : « من الزرع » .

(٣) ط : « على النهي عن اتخاذه » ، وتصحيحه من ل .

(ما ورد من الحديث والخبر في شأن الكلب)

قال : وسئل عن الكلب يكون في الدار وفي الدار من هو له كاره .
ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي الحكم : أن ابن عمر سئل عن ذلك
فقال : المأثم على رب الدار الذي يملكها .

وعن ابن عمر قال : من اتخذ كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا صيد
نقص من أجره كل يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذ رجلاً وهو كاره ؟
قال : إنما إثمه على صاحب الدار .

وصدقة بن طيسلة^(١) المازني قال : سألت الحسن قلت : إن دورنا في
الجبان^(٢) وهي مَعوِرة وليس عليها أبواب ، أفترى أن نتخذ فيها كلاباً ؟
قال : لا لا .

وعن ابن أبي أنيسة^(٣) عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من اقتنى كلباً إلا كلب صيدٍ أو كلب ماشية ، نقص من أجره
كل يوم قيراطان » .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلباً^(٤) فإنه
ينقص من عمله كل يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق^(٥) قال : حدثنا هنيذة بن خالد^(٦) الخزاعي
قال : انطلقت مع نفرٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، نعود رجلاً من

(١) ط : « طيلسة » وأثبت ما في ل .

(٢) الجبان والجبانة : المقبرة والصحراء . وفي ط : « الجبان » وهو تحريف .

(٣) اسمه يحيى . ما عدل : « ابن أبي شيبه » تحريف .

(٤) ل : « من أمسك كلباً » .

(٥) ل « ويونس عن أبي إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق

قال : حدثنا هبيرة » .

(٦) ط : « هنييرة » ، وهو تحريف صوابه في ل والإصابة ٩٠١٠ .

الأنصار ، فلَمَّا انتَهوا إلى باب الدار ثارت أكلبٌ في وجوه القوم ، فقال بعضهم لبعض : ما يُبقي هؤلاء من عمل فلانٍ شيئاً ، كلُّ كلبٍ منها ينقص قيراطاً في كل يومٍ .

هشام بن حسان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اتخذ كلباً ليسَ بكلبٍ صيدٍ ولا زرعٍ ولا ضرعٍ ، فإنه ينقص من أجره كلَّ يومٍ قيراطٌ ، والقيراطُ ^(١) مثلُ جبلٍ أُحدٍ » .

يونس عن أبي إسحاق ^(٢) عن مجاهد ^(٣) قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتى نزل ناحية مكة ، وكانت امرأة عمِّ له تهاديه ، فلما كانت ذات يوم قالت له : لو أرسلتَ إلى الغنم فاستأنستُ برعائها وكلابها فقد نزلتُ قاصيةً ! فقال : لولا كلابها لفعلتُ ؛ إن الملائكة لا تدخلُ داراً فيها كلب .

الثوريُّ عن سماك بن حرب ، أن ابنَ عباس قال على منبر البصرة : إن السكلاب من الحين ^(٤) وإن الحين من ضعفه الجن ، فإذا غشيك منها شيء فآلقوا إليها شيئاً أو اطرده ^(٥) ، فإن لها أنفُسَ سوء .

وهشيم عن المغيرة عن إبراهيم قالوا : لم يكونوا ينهوننا عن شيء من اللعب ونحنُ غلمان ^(٦) إلا السكلاب .

قال صاحب الديك : روى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي ، عن محمد ابن المنكدر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : تقامر رجلان على عهد

(١) ل : « وقيراط » .

(٢) ل : « يونس بن أبي إسحاق » .

(٣) ل : « عن أبيه عن مجاهد » .

(٤) ط : « الجن » بالجمع ، والصواب بالخاء كما في ل .

(٥) كذا جاء في الأصل بتغاير الضميرين .

(٦) ط : « وعن غلمان » وليس بشيء وانظر الجزء الثاني ص ٢٩٢ .

عمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقتل (١) فأتاه رجلٌ من الأنصار فقال : أمرت بقتل أمةٍ من الأمم تسبِّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .
وعن قتادة أن أبا موسى قال : لا تتخذوا الدجاج في الدُّور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ما قال الله تعالى في أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندي من أبي موسى ليس على ما يظنُّه الناس ، لأنَّ تأويله هذا ليس على وجهه ، ولسكنه كرهه للفرسان ورجال الحرب (٢) اتخاذاً ما يتخذُه الفلاح وأصحاب التعيش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرُّغهم لحروب العجم ، وأخذهم في تأهب الفرسان وفي دُرْبَةِ رجال الحرب . فإن كان ذهب إلى الذي يظهرُ في اللفظ فهذا تأويلٌ مرغوب عنه .

١٤٤ وقال صاحب الكلاب لصاحب الديك : فقد أمر عمر بقتل الديكة ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، ونهى أبو موسى عن اتخاذ الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، والديكة تدخل في هذا الاسم ، واسم الدجاج يجمعها جميعاً . ورويت في قتل الحمام مثل روايتكم في قتل الكلاب ، ولم أركم رويتم أن الحمام مسخ ، ولا أن بعضه من الجن وبعضه من الجن ، ولا أن أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعمتم أن عمر إنتما (٣) أمر بقتل الديكة حين كره الهراش بها والقمار بها . فاعل كلاب المدينة في تلك الأيام كثر فيها العقور (٤) وأكثر أهلها من الهراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أن ولاة المدينة ربّما دمروا على صاحب الحمام (٥) إذا خيف قبلكه

(١) ط : « نقل » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « وللرجال » .

(٣) في الأصل « لسا » والوجه ما كتبت .

(٤) ل : « العقر » وهو جمع عقور .

(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجأة .

القمار^(١) وظنوا أنه الشرف^(٢) : وذكروا عنه الرَّمَى بالبندق وخديعة أولادهم بالفراخ . فما بالكُم لم تُخْرَجوا للكلاب من التأويل والعذر ، مثل الذي خرَّجهم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم في الجرَّى^(٣) والضباب أنهما كانتا أمّتين مُسختا . وروى بعضهم في الإربيانة أنها كانت خيَاطة تسرق السلوك ، وأنها مُسخت وترك عليها بعضُ خيوطها لتسكون علامةً لها ودليلاً على جنس سرقتها . ورويتم في الفأرة أنها كانت طحّانة ، وفي سهيل أنه كان عشاراً باليمن^(٤) وفي الحية أنها كانت في صورة جمل ، وأن الله تعالى عاقبها حتى لا طها بالأرض ، وقسم عقابها على عشرة أقسام ، حين احتملت دخول إبليس في جوفها حتّى وسّوس إلى آدم من فيها . وقلتم في الوزغة وفي الحكاة^(٥) ما قلتم . وزعمتم أن الإبل خلقت من أعنان الشياطين^(٦) وتأولتم في ذلك أقبح التأويل . وزعمتم أن الكلاب أمة من الجنّ مُسخت . والذئب أحقُّ بأن يكون شيطاناً من الكلب ، لأنّه وحشىٌّ وصاحبُ قفار ، وبه يُضرب

(١) ط : « من قبل القمار » والصواب ما في ل .

(٢) الشرف : الإشفاء على خطر من خير أو شر . وفي ل : « به التشرف » ، وفي ط : « أنه السرف » .

(٣) الجرّى : ضرب من السمك . وفي ط : « الجدى » وهو تحريف .

(٤) العشار : من يأخذ العشر .

(٥) الحكاة : عظاءة منخلطة بخمسة خطوط سود ، تعرف في مصر بالسحلية الخضاري .

معجم المملوف ١٥٥ . وفي ط : « الخداة » وهو تحريف .

(٦) الأعنان : النواحي والجوانب . وفي الأصل : « أعناق » وهو تصحيف نبت عليه ص ١٥٢ .

وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٣ .

المثل في التعدي ، والكلب أوف وصاحب ديار ، وبه يُضربُ المثل .
والذئب خنُور غدار ، والكلب وفي مناصح . وقد أقام الناسُ في الديار
الكلابَ مُقامَ السنانير للفأر^(١) . والذئب مضرّةٌ كلّه ، والكلبُ منافعُه
فاضلةٌ على مضارّه ، بل هي غالبةٌ عليها وغامرةٌ لها ، وهذه صفةٌ جميع هذه
الأشياء النافعة .

والناس لم يطبقوا على اتّخاذها عبثاً ولا جهلاً ، والقضاة والفتهاء والعباد
والولاة والنسّاك ، الذين يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والمحتسبة
وأصحاب التكلّف والتسليم جميعاً ، لم يطبقوا على ترك النكير على^(٢)
١٤٥ ما يشاهدونه منها في دورٍ من لا يعصمهم ولا يمتنع عليهم إلا وقد علموا
أنّه قد كان لقتل الكلابِ بأعيانها في ذلك الدهر ، معنى . وإلاّ فالناسُ
في جميع أقطار الأرض لا يُجمعون على مسألة أصحاب المعاصي ، الذين قد
خلعوا عُذرهم وأبرزوا صفحتهم^(٣) . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهدٍ عند
قاض بأنّ في داره كلباً ، ولا ترى حكماً يردّ بذلك شهادة . بل لو كان اتّخاذُ
الكلابِ مأموراً به ، لما كان إلاّ كذلك .

ولو أنّكم حملتم حكم جميع الهداهد على حكم هدهد سليمان ، وجميع
الغربان على حكم غراب نوح ، وجميع الحمام على حكم حمامة السفينة^(٤) ،
وجميع الذئاب على حكم ذئب أهبان بن أوس ، وجميع الحمير على حكم حمار
عزير - لكان ذلك حكماً مردوداً .

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) في الأصل : « وعلى » وللواو مقحمة .

(٣) ط : « ضجتهم » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « حمام السفينة » ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣٢١

(ما لا يحدث إلا في دهر الأنبياء ونزول الوحي)

وقد تعرض لخصائص الأمور أسباب في دهر الأنبياء ونزول الوحي ، لا يعرض مثلها في غير زمانهم : قد كان جبريل عليه السلام يمشى في الأرض على صورة دحية الكلبي ، وكان إبليس يترأى في السكك^(١) في صورة سراقة المدلجي ، وظهر في صورة الشيخ النجدي . ومثل هذا كثير .

(ما يسمى شيطانا وليس به)

فإن زعمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجل يتبع حماماً طياراً فقال : « شيطانٌ يتبع شيطانا » ، فخبرونا عن يتخذ الحمام^(٢) من بين جميع سكان الآفاق ونازلة البلدان من الحرمين والبصريين^(٣) ومن بنى هاشم إلى من دونهم ، أزعمون أنهم شياطين على الحقيقة ، وأنهم من نجل الشياطين ؛ أو أزعمون أنهم كانوا إنساً فمسخوا بعدُ جنًا ؛ أم يكون قوله لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله ﴿ شَيَاطِينِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ وعلى قول عمر : لأنزعن شيطانه من نخرتيه^(٤) ، وعلى قول منظور بن رواحة^(٥) : فلما أتاني ما تقولُ ترَقَّصتُ شياطينُ رأسي وانتشين من الخمر

(١) ل : « يتخرق السكك » .

(٢) ط : « يتبع الحمام » .

(٣) ل : « الحرمين والمصريين » .

(٤) النخرة ، بالضم وكهمزة : مقم الأنف . ط : « نعرته » تصحيف . وانظر ٦ : ١٩٣ .

(٥) ط : « منصور بن رواحة » . وانظر ص ٣٠١ .

وقد قال مرّة أبو الوجيه العُكَلِيّ : « وكان ذلك حين ركبني شيطاني »
قيل له : وأيّ الشياطينِ تعني ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمي كلَّ حيّةٍ شيطاناً . وأنشد الأصمعي :
تلاعب مني حضرَمي كأنَّهُ تعمّج شيطانٍ بذي خِرْوَعٍ قَفَرٍ^(١)
وقالت العرب : ما هو إلاّ شيطان الحماطة . ويقولون : « ما هو إلاّ شيطان »
يريدون القبح ؛ و « ما هو إلاّ شيطان » ، يريدون الفطنة وشدّة العارضة .
وروى عن بعض الأعراب في وقعة كانت : والله ما قتلنا إلاّ شيطاناً برِصاً^(٢)
١٤٦ لأنّ الرجل الذي قاتلهم كان اسمه شيطان ، وكان به برص .

وفي بني سعد بنو شيطان . قال طفيل الغنوي :

* وشيطان إذ يدعوهم ويثوب^(٣) *

وقال ابن ميادة :

فأما أتاني ما تقول محاربٌ تغنّت شياطيني^(٤) وجنّ جنونها

وقال الراجز :

إني وإن كنتُ حديث السنِّ وكان في العين نُبوءٌ عٌ
فإنّ شيطاني كبيرُ الجنِّ

وقال أبو النّجم :

إني وكلّ شاعرٍ من البَشَرِ شيطانُهُ أنثى وشيطاني ذَكَرٌ
وهذا كلُّه [منهم] على وجه المثل ، وعلى قول منظور بن رَوَاحَةَ :
أتاني وأهلي بالدمّاحِ فَعَمْرَةٌ مسبُّ عُويفِ اللّؤمِ حنيّ بنِي بَدْرِ^(٤)

(١) تمعج : تلوى . وفي ط : « تمنعج » وهو تحريف ، وانظر ص ١٥٣ .

(٢) ل : « شياطينا برصا » والوجه ما في ط .

(٣) شيطان هو ابن الحسك ، فارس الخذواء . وصدر البيت كما في اللسان (شطن ، شيط ، خذا) :

* وقد منت الخذواء منا عليهم *

(٤) ط : « شياطين » وصوابه في ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .

(٥) ط : « بالرمّاح » ل : « بالدمّاح » . وانظر ياقوت (دمّاح ، غمرة) . ل : « حني بنِي بَدْرِ » :

فلما أتاني ما يقولُ ترقَّصتُ شياطينُ رأسي وانتشيتُ من الخمرِ

(خرافةُ العذريُّ)

وفد رويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بنى عذرة استهوته الشياطين ، فتحدت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوماً] بحديث فقالت امرأة من نسائه : هذا من حديث خرافة قال : « لا وخرافة حق » .

(حديث عمر مع الذي استهوته الجن)

ورويتم أن شريك بن خناسة دخل الجنة وخرج منها ومعه ورقة من ورقها ، (١) وأن عمر سأل الرجل المفقود الذي استهوته الجن فقال : ما كان طعامهم (٢) ؟ قال : الفول والرمة . (٣) وسأل عن شرابهم فقال : الجذف (٤) . وقال الأعشى :

وإني وما (٥) كلفتموني وربكم لأعلم من أمسى أعق وأحوبا
لكالتور والجنى يضرب ظهره (٦) وما ذنبه أن عافت الماء مشربا

(١) « من ورقها » ساقطة من ل .

(٢) ط : « طعامكم » .

(٣) ط : « البعر والبول والرمة » .

(٤) الجذف بالتحريك : نبات يكون باليمن لا يحتاج آكله معه إلى شرب ماء . ابن الأثير .
وفي ط : « الجذق » وهو تحريف .

(٥) ط . س : « وإن » وتصحيحه من ل وهذا الجزء ص ١٩ .

(٦) ط : « ظهره » وهو تحريف .

(من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعمتم أن الجن خنقت حرب بن أمية ، وخنقت مرداس بن أبي عامر ،
وخنقت الغريض المغني ، وأنها قتلت سعد بن عبادة ، واستهوت عمرو بن عدى
واستهوت عمارة بن الوليد ؛ فأنتم أملياء بالخرافات (١) أقوياء على ردِّ الصحيح
وتصحيح السقيم ، وردِّ تأويل الحديث (٢) المشهور إلى أهوائكم . وقد
١٤٧ عارضناكم وقابلناكم وقارضناكم .

وقالوا : في الحديث أنه « من اقتنى كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع
ولا قصص فقد أثم (٣) » . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرع
والضرع والقصص . وبعد فهل اتخذوا كلب الضرع إلا ليحرس الماشية
وأولادها من السباع ؟ وهل عند الكلب عند طروق الأسد والنمر والذئب
وجميع ما يقتات اللحمان من رؤساء السباع ، إلا صياحه ونباحه وإنذاره
ودلالته ، وأن يشغلها بعض الشغل ، ويهيج بها بعض المهججة ، إلى أن
يلحق بها من يحميها ، ويتوafى إليها (٤) من يذود عنها ، إذ ليس في هذا
القياس أنا متى وجدنا دهرأ تكثر فيه اللصوص ويفشو فيه السراق ،
وتظهر فيه الثقب ، ويشيع فيه التسلق ، ممن إذا أفضى إلى منزل القوم لم
يرض إلا بالحرية (٥) ليس دونها شيء ، أو يأتي على الأنفس ، وهو لا يصل
إلى ما يريد حتى يمر على النساء مكشفات ، ومن عسى إذا أخذ المرأة أخذ يد
الأ يرضى أن يتوعد بذبح الأولاد [و] أن يتقى بالمال ، (٦) حتى يذبح ،

(١) ل : « ملأ بالخرافات » وهما بمعنى .

(٢) ط : « ورد بأن التنزيل والحديث » والصواب في ل .

(٣) ط : « فهو أثم » .

(٤) ل : « إليه » .

(٥) الحرية : المال الذي يعيش به الإنسان ، أو المال الذي يسلب منه . وفي ط : « بالحرية » .

(٦) ل : « وإن لم يتقى بالمال » والوجه ما في ط .

ومن عسى إن تمسك شيئاً أو أمين قليلاً ، أن يركب الحرّم بالسوءة العظمى
وبالتى لاشوى لها (١) . فهذا الحال أحق بالحراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلم صار نساء الحرمين يتزاورن ليلاً ، ونساء المصريين (٢)
يتزاورن نهاراً ، ونساء الحرمين لا يرين نهاراً ، ونساء المصريين (٢) لا يرين
ليلاً ؛ إلا للمكابرات ولمسكان كثيرة من يستغنى ويتحوب (٣) للنقب
والتسلق . وإذا كان الأمر كذلك فأى الأمور أحق بالتحصين (٤) والحياطة ،
وأيهما أشبه بالتغريير والإضاعة : اتخاذ الكلاب التى لاتنام عند نوم من
قد دأب نهاره ، أو ترك اتخاذها ؟ ويقظة السراق على قدر نوم المسروقين .

وعلى أننا لو حللنا (٥) بين حرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب
الناس (٦) ، وبين اتخاذ الكلاب ، لامتنعوا من ضمان الحراسة ، ولا تمتنع
كل محروس من إعطائهم (٧) تلك الأجرة ، ولو وجد اللصوص ذلك من أعظم
الغنم وأجود الفرس (٨) . أو ما تعلمون أن هذا الحرّم ، وهذه الحرمات (٩) وهذه
العقائل من الأموال ، أحق بالمنع والحراسة والدفع عنها بكل حيلة ، من
حفظ الغنم وحرّم الراعى وحرمة الأجير ؟ !

وبعد فإن الذئب لاجتمع على قطيع واحد ، والذى يخاف من الذئب
السلة والخطفة (١٠) ، والاستلاب والاختلاس . والأموال التى فى حوانيت

(١) يريد بالإصابة التى لا تخطى .

(٢) ط : « المصريين » وهو تحريف .

(٣) ط : « ومن يتخوف » .

(٤) ط : « بالتحصيل » وهو تحريف .

(٥) ط : « جعلنا » وهو تحريف .

(٦) ط : « جراءة الناس » وهو تحريف . وسبق قريباً تفسير الحرمة .

(٧) فى الأصل : « إعطائهم » والضمير ضمير الحرس . فالصواب ما كتبت .

(٨) فى الأصل : « الفرس » .

(٩) ط : « الحريمات » .

(١٠) ل : « والخطف » وهما بمعنى .

١٤٨- التجار وفي منازل أهل اليسار يأتيها من العدد والعدة ، ومن تُجب أصحاب النجدة ، من يحتملها بخدافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثم يجالدون دون ذلك^(١) بسيف الهزد وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليقة لولا^(٢) أنهم قد أحسوا من أنفسهم الجراءة وثبات العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أن قلوبهم أشد من قلوب الأسد لما خرجوا ، على أن جميع الخلق يطالبونهم ، وعلى أن السلطان لم يؤل^(٣) إلا لمكانهم . و [الكلاب لم تتخذ إلا ل] الإندار بهم ، وعلى أنهم إن أُنذَر بهم قاتلوا قتال من لا ينجيه إلا القتال ، وعلى أنهم إذا أخذوا ماتوا كراما .

ولعل المدينة قد كانت [في] ذلك الدهر مأمونا عليها من أهل الفساد^(٤) وكان أكثر كلابها عقورا ، وأكثر فتيانها من بين مُهارش أو مقامر . والكلب العقور والكلب السكلب أشد مضرّة من الذئب المأمور بقتله .

وقد يعرض للكلاب السكلب والجنون لأمر : منها أن تأكل لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذي يعرض لسائر الحيوان .

(قتل العامة للوزغ)

وجّهال الناس [اليوم] يقتلون الوزغ ، على أن آباءها وأمهاها^(٥) كانت تنفخ على نار إبراهيم ، وتنقل إليها الحطب . فأحسب أن آباءها

(١) ط : « على ذلك » .

(٢) ل : « أولى » والصواب في ط .

(٣) ط : « يولم » .

(٤) ل : « مأمونة من أهل الفساد » وأثبت ما في ط .

(٥) ط : « أباءها وأمهاها » والوجه ما في ل .

وأُمَّهَاتِهَا قَدْ كُنَّ يَعْرِفْنَ فَصَلَّ (١) مَا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُنْتَبِيِّ ، وَأَتَيْنَ اعْتَقَدْنَ
عِدَاوَةَ إِبْرَاهِيمَ ، عَلَى تَقْصِيرٍ فِي أَصْلِ النَّظَرِ ، أَوْ عَنِ مَعَانِدَةٍ بَعْدَ الْإِسْتِبَانَةِ
حَتَّى فَعَلْنَ ذَلِكَ - كَيْفَ جَازَ لَنَا أَنْ تَزِرَ وَازِرَةٌ وَزِرَ أُخْرَى ؟ ! إِلَّا أَنْ
تَدْعُوا أَنَّ هَذِهِ الَّتِي نَقْتُلُهَا هِيَ تِلْكَ الْجَاهِدَةُ لِلنَّبِيِّ ، وَالْكَافِرَةُ بِالرَّبُّوبِيَّةِ ،
وَأَنَّهَا لَا تَتَنَا كَحِ وَلَا تَتَوَالِدُ .

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ (٢) أَنْ تَقْتُلَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ، إِمَّا
مِنْ طَرِيقِ الْحِنَةِ وَالتَّعْبُدِ (٣) وَإِمَّا إِذْ (٤) كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَضَى عَلَى
جَمَاعَتِهَا الْمَوْتَ ، أَنْ يَجْرَى ذَلِكَ الْمَجْرَى عَلَى أَيْدِي النَّاسِ ، كَمَا أُجْرَى مَوْتَ
جَمِيعِ النَّاسِ عَلَى يَدِ مَلِكٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَلِكُ الْمَوْتِ .

وَبَعْدَ فَعَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ [إِنْ] كَانَ قَالَهُ ،
عَلَى الْحِكَايَةِ لِأَقَاوِيلِ قَوْمٍ . وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى مَعْنَى كَانَ يَوْمَئِذٍ مَعْلُومًا
فَتَرَكَ النَّاسُ الْمُعَلَّةُ وَرَوُوا الْخَبَرَ (٥) سَالِمًا مِنَ الْعِلَلِ ، مَجْرَدًا غَيْرَ مُضْمَنٍ (٦) .
وَلَعَلَّ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ شَهِدَ آخَرَ السَّكَلَامِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَوْلَاهُ ، وَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَصَدَ بِهَذَا السَّكَلَامِ إِلَى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ تَدَّ كَانَ دَارَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَهُ فِيهِ شَيْءٌ . وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا كُنَّ سَائِعٌ (٧) غَيْرَ مُسْتَنْكَرٍ وَلَا مَدْفُوعٍ .

(١) فصل : فرق . وفي الأصل : « فصل » .

(٢) ل : « في البدي الأمر » .

(٣) ط : « المحبة والتعبد » ووجهه في ل .

(٤) ط : « وإما إذا » .

(٥) ط : « وردوا الخبر » وهو تحريف .

(٦) ط : « غير مئز » .

(٧) ل : « شائع » وهو تحريف ما في ط .

وقد رويتم [في الفواسق ما قد رويتم في ^(١) الحية والحدأة والعقرب
والفأرة والغراب ، ورويتم] في الكلب العقور ، وكيف يُقتلن ^(٢) في الحِل
والحرَم . فإن كنتم فقهاء فقد علمتم أن تسمية الغراب بالفِسق ، والفأرة
١٤٩ بالفؤسقة ؛ أن ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق ^(٣) ، ولا من شكل
تسمية إبليس .

وقد قالوا : ما فجرها إلا فاجر ، ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لا يفارقه .
وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم :
« من أكل من هذه الشجرة الخبيثة ^(٤) فلا يقربن مصلانا » وهو على غير
قوله عز وجل ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ . وقد قال بعض الرُجَّاز
وذكر ذنباً :

أما أذاك عني الحديثُ إذ أنا بالغائطِ أستغيثُ
والذئبُ وَسَطَ غنمي يعيثُ وصحتُ بالغائطِ يا خبيثُ

وهذا الباب كثير ، وليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في كتاب
الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ في صورة تقطيع الصوت ، وفي الخطِّ
في القرطاس ، وإن اختلفت أما كنهه ودلائله . فإذا كان كذلك فإتّما يعرف
فضله بالمتكلمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عُنوا بالكلام .
وهذه جملة ، وتفسيرها يطول .

(١) في الأصل : « من » .

(٢) ط : « يقتل » والوجه ما في ل .

(٣) ط : « القاذق » . ل : « القاذف » والوجه ما أثبت .

(٤) قال ابن الأثير : يريد الثوم والبصل والكراث .

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أمرنا بقتل الحيّة والعقرب ، والمذئب والأسد ، على معنّى ينتظم معنيين^(١) : أحدهما الامتحان والتعبّد بفسكر القلب وعمل الجارحة ، لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأمرنا بضرب الباغى بالسيف إذا كانت العصى لا تُغنى فيه على جهة الدّفْع وعلى جهة العقاب ، ولم نُؤمّر بالقصد إلى قتله ، وإتمام الغاية في دفع بأسه عنا ، فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه ، كان كسارقٍ مات من قطع يده ، وقاذفٍ مات عن جلد ظهره^(٢) . وقد أمرنا بالقصد إلى قتل الحيّات والعقارب وإن لم تعرض لنا في ذلك الوقت ؛ لأنّ جنسها الجنسُ المتلف متى همّ بذلك . وليس لنا أن نضرب الباغى بالسيف إلا وهو مقبلٌ غير مدبر ، ولنا أن نقتل الحيّة مقبلةً ومدبرةً ، كما يُقتل الكافر مقبلاً ومدبراً ؛ إلا أنّ قتل الكافر يجمع الامتحان^(٣) والعقوبة ، وليس في قتل الحيّة إلا الامتحان . وقد كان يجوز أن تمتحن بحبسها^(٤) والاحتياط لمنعها ، دون قتلها . وإذا ولّى الباغى من غير أن يكون يريد الرجوع إلى فئة ، فحكمه الأسر والحبس [أبداً] إلى أن يُؤنَسَ منه النُّزوعُ . وسبيل الأحناسِ والسُّباعِ وذواتِ السموم من الهمج والحشرات ، القتلُ مقبلةً ومدبرةً . وقد أبيض لنا قتلُ ضروبٍ من الحيوان عند ما يبلغ

(١) في الأصل : « بمعنيين » ، وهو تحريف .

(٢) ط : « من جلد ظهره » .

(٣) ط : « الانتقام » .

(٤) ط : « يمتحن لجنسها » وهو تحريف .

من جناباتها علينا الخدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ،
والبراغيث والقمل .

١٥٠ والبعيرُ قتلُهُ فسادٌ ، فإنَّ صالَ على الناس كان قتلُهُ صلاحاً . والإنسان
قتله حرام ، فإنَّ خيفَ منه كان قتلُهُ حلالاً .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضبِّ والجريِّ ، وعن مسخ السكلابِ والحكَّاةِ
وأنَّ الحمامَ شيطان ، من جنس المزاح الذي كنَّا كتبنا به إلى بعض
إخواننا^(١) مَن يدعى علمَ كلِّ شيء ، فجعلنا هذه الخرافاتِ وهذه الغمظانَ
الصغارَ ، من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشنقناقُ والشيصبانُ^(٢) وتنكوير^(٣) ودركاذاب^(٤)
ومَن قاتل امرأة ابنِ مقبل ؟ ومن خانق الغريص^(٥) ؟ ومن هاتف سعد^(٦) ؟

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذي صنع فيه الجاحظ رسالة « التربيع والتدوير » .
(٢) الشنقناق والشيصبان - زعموا - : رئيسان عظيمان من الجن . وسيحدث عنهما الجاحظ
في الجزء السادس . وانظر الثمار ص ٥٥ . وفي ل : « الشيصبان » محرفاً .

(٣) ل : « تنكوير » وفي رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .

(٤) ل : « ركازات » وفي الرسائل : « دركاداب » .

(٥) الغريص هو عبد الملك ، كان مولداً من مولدى البربر ، وولاه للثريا صاحبة عمر
ابن أبي ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له
في الأغاني ٢ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي ، صحابي كان سيد الخزرج ، وكان
يلقب في الجاهلية بالسكامل ، لمعرفة الكتابة والرمي والسباحة . توفي سنة ١٥ وزعموا
أن الجن قتله ، وسمع هانفهم يقول :

قد قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين فلم نخط فواده

وخبّرنا عن بنى أقيش^(١) وعن بنى لبنى ، ومَنْ زَوْجُهَا ؟ وعن بنى غزوان
ومَنْ امرأته ؟ وعن سملقة وزوبعة^(٢) ، والميدعان^(٣) ، وعن النقار ذى الرقبة^(٤)
وعن آصف ، ومن منهم أشار بأصفر سليم^(٥) ، وعن أطيقس اسم كلب
أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لا تنبح من سماه^(٦) ؟ وأين
بلغ كتابُ شَرطهم ؟ وكيف حدّثوا عن ابن عباسٍ فى الفأر والقرد والخنزير
والفيل والأرنب والعنكبوت والجُرّيّ ، أُنهنَّ كلهنَّ مسخ [وكيف خُصّصت
هذه بالمسخ ؟] وهل يحلُّ لنا أن نُصدّق بهذا الحديث عن ابن عبّاس ؟
وكيف صارت الطباءُ ماشيةً الجنِّ ؟ وكيف صارت الغيلان تُغيّر كلَّ شيء
إلا حوافرها ؟ ولم ماتت من ضربةٍ وعاشت من ضربتين^(٧) ؟ ولم صارت
الأرانب والكلاب والنعامُ مراكبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرواقيد مطايا
للسّواحر ؟ وبأى شيء زوّج أهلُ السّعلة ابن يربوع ؟ وما فرق ما بينه وبين
عبد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التى كانت سميت بصبر على يد حرمى

(١) ط : « ابن أقيش » ! وبنو أقيش : حى من الجن .

(٢) زوبعة ، هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحا مردا من قوارير التيجان ١٦٦ . وانظر ٦ : ٢٣١ .

(٣) ط : « والميدعات » .

(٤) ل : « النقار ذى الرقبة » .

(٥) أصفر سليم . قال الثعالبي فى ثمار القلوب ١١٩ : « كان سليم صيدلانيا بالبصرة ،
وقد عجن دواء أصفر لكل ما شرب له ، فكان يستشفى به كل مبرود ومحرور ،
فصار مثلا فى البركة وحسن الموقع » اهـ . وقال ابن قتيبة فى المعارف ٢٦٥ : « كان
لعبيد الله بن أبي بكرة ثلاثة وكلاء : يقال لهم سليم الناصح ، وسليم الغاش ،
وسليم الساحر ، وهذا هو الذى عمل أصفر سليم » . فى ط : « أشعار بأصفر
سليم » وهو تحريف صوابه فى ل ، س و م .

(٦) ط : « أطيغش » . وفى ل : « من سماها » وهو تحريف . وانظر قول الدميرى فى كلب
أصحاب الكهف ٢ : ٤٢٨ .

(٧) سيتحدث الجاحظ عن هذا فى الجزء السادس ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

وأبى منصور^(١) ؟ ولم غضب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه شفشف^(٢) ؟ وما الفرق بين الفيلان والسعالى ، وبين شيطان الخضراء^(٣) وشيطان الحماطة ؟ ولم علق السمك المالح بأذنايه [والطرى بأذانه]^(٤) وما بال الفراخ تُحمَل بأجنحتها والفراريح بأرجلها ؟ وما بال كل شيء أصل لسانه مما يلي الحلق^(٥) وطرفه مما يلي الهواء ، إلا لسان الفيل ؟ ولم قالت الهند : لولا أن لسانه مقلوب لتسكلم ؟ ولم صار كل ما ضغ وآكل يُحرّك فكّه الأسفل ، إلا التمساح [فإنه^(٦)] يُحرّك فكّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان الإنسان الأشفار ، وليس ذلك للدواب إلا في الأجفان العالية ؟ وما بال عين الجراداة وعين الأفعى لا تدوران ؟ وما بيضة العُقر^(٧) وما بيضة الديك ؟ ولم اذنتع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأباتى العقوق^(٨) وما بال لسان سمك البحر [عديما] ؟ وما بال الغريق من الرجال يطفو على قفاه ، ومن النساء على وجهه^(٩) ؟ ولم صار القتيل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقبله ذكّره ؛

(١) ل : « سمية نصير على يد جرمي . الخ » .

(٢) ل : « شفشف » .

(٣) ط : « الحصر » .

(٤) ط : « المالح بأذنايه » . وتعليق السمك الطرى بأذانه عبارة تهكية ، فليس للسمك أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلي الفم » ل : « مما يلي داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « العصفور » وهو تحريف . وبيضة العقوق هي التي تمتحن بها المرأة عند الافتضاض أو أول بيضة للدجاجة ، أو آخرها ، أو بيضة الديك يبيضها في السنة مرة .

(٨) الأبلق : الفرس فيه سواد وبياض ، وهو ذكر . والعقوق : الحامل أو الحائل ، وهي أنثى . ولا يكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : « ومن النساء على وجهها » .

وأين تذهب (١) شَيْشِقَةَ البعير وغُرمول الحمار [والبغل] وكَيْدُ الكوسج
باليوم ، ودَمُ الميت ؟ [ولم انتصب خَلَقَ الإنسان من بين سائر الحيوان] ؟
وخبرني عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل (٢) وإذا أوقدت النارُ
أَمَسَكَتْ (٤) ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجري مجرى الفساد والخرافة . لنردِّكم إلى
الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج للظاهر (٤) .

فإن أعجبتك هذه المسائلُ ، واستطَرَفَتَ هذا المذهب ، فاقرأ رسالتي (٥)
إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب ، [فهي مجموعةٌ هناك] .

(أصناف الكلاب)

والكلاب أصنافٌ لا يحيط بها (٦) إلا من أطالَ الكلام . وجملة
ذلك أن ما كان منها للصيد فهي الضُّراء ، وواحدُها ضِرْوَةٌ (٧) ، وهي
الجوارح والكواسب ، ونحن لانعرفها إلا السُّلُوقِيَّةَ ؛ وهي من أحرار الكلاب
وعتاقها (٨) ، والجلاسية (٩) هجنها ومقاريفها . وكلابُ الرعاء من زينيِّها

(١) ط : « وما بال » .

(٢) النقيق : صوت الضئدع . وفي ط : « تنق » ، والتعيق إنما هو لليوم والغريبان .

(٣) ل : « إذا أبصرت النهار أمسكت » وهو تحريف ، صوابه في ط وفي
الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٤) هذه الفقرة دخيلة وليس هذا موضعها .

(٥) في الأصل : « فاقد رسالتي » والرجع « فاقرأ » .

(٦) ل : « لا يحصيا » .

(٧) ط : « ضار » وهو تحريف .

(٨) في الأصل : « وهي في أحرار الكلاب وعتاقها » ومصححه كما ترى .

(٩) ط : « الجلّاسية » وهو تصحيف .

وكرديها فهي كرادتها^(١) .
وقد تصيد الكلابُ غيرُ السَّلوقِيَّةِ ، ولكنها تقصِّرُ عن السَّلوقِيَّةِ
بعيداً . وسَلوق من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيِّد الطبع ، كريم العنصر
حرُّ الجوهر . وقد قال النابغة^(٢) :

تَمَدُّ السَّوْقِيَّ المِضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوَقَّدُ بِالصَّفَّاحِ نَارَ الحُبَابِجِ
وقال الأصمعيُّ : سَمِعْتُ بعضَ الملوك وهو يركض خلفَ كَلْبٍ وقد دنا
خَطْمه من عَجَبِ ذنبِ الظبي^(٣) وهو يقول : إيه فدتك^(٤) نفسي !!
وأَنشد لبعض الرجاز^(٥) :

* مفديّات وملعنات^(٦) *

قال صاحب الديك : فلماً صار الكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللؤم
والنذالة ، والحرصِ والشَّره^(٧) ، والبذاء والتسرُّعِ وأشباه ذلك ، صاروا
يشتقُّون من اسمه لمن هجَّوه بهذه الخصال . وقال بشار :

وَاسْتَعْنِ بِالوَجِبَاتِ عَن ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ قَبْلَكَ لَامِرِيٌّ ذَهْبُهُ^(٨)
يَرُدُّ الحَرِيصَ عَلَى مِتَالِفِهِ وَاللَيْثُ يَبْعَثُ حِينَئِذٍ كَلْبَهُ

(١) كذا وفي ل : « حوادبها ومحامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبياني التي مطلعها :

كَلْبِي لَمْ يَأْمِئَةً نَاصِبٌ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ السُّكَاكِبِ

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « إيها » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفديّات ومحميات » .

(٧) في الأصل : « الشده » ، وإنما هو الشره قرين الحرص .

(٨) المرتضى في أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال

فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل في اليوم والليلة وجبة » . وفي ل : « الوجبات »
وهو تحريف .

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لما^(١) اشتقوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر -

قال عامر بن الطفيل^(٢) :

ومدجج يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب^(٣)

ومن ولد ربيعة بن نزار كلب^(٤) بن ربيعة ، و كلاب بن ربيعة ،
ومكالب بن ربيعة ، ومكلبة بنو ربيعة [بن نزار] . وفيهم من السباع
أسد ، وضبيعة ، وذئب ، وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من
جميع السباع ، ومن الثمانية أربعة مشتقة من اسم الكلب . ومن هذا
الباب كليب^(٥) بن يربوع ، و كلاب بن ربيعة ، و كلب بن وبرة . ومنه
بنو الكلبة ، قال الشاعر :

سيكفيلك من ابني نزارٍ لراغبٍ بنو الكلبة الشم الطوال الأشاجع^(٦) ٩٥٢
والكلبة لقب مية بنت علاج بن شحمة العنبري . وبنوها بنو الكلبة
الذين سمعت بهم - تزوجها خزيمة بن [النعمان] من بني ضبيعة بن
ربيعة بن نزار ، فهي أمهم . وفيها يقول شُبَيْل بن عَزْرَةَ^(٧) الضبعي

(١) في الأغاني (١٢ : ٥٠) أن الشعر للحارث بن الطفيل .

(٢) في الأصل : « كلما » والوجه ما أثبت .

(٣) المدجج عنى به القنفذ ، للشوك الذي عليه . اللسان (دجج) والمخصص ٨ : ٩٥ .

(٤) ل : « أكلب »

(٥) ل : « كلب » .

(٦) ماعدال : « لواغب » . وانظر الاشتقاق ١٩٣ .

(٧) هذا العلم كثيرا ما يقع فيه التحريف والتصحيف ؛ فقد ورد في خزانة الأدب (انظر

١ : ٩٢) برسم (شبل بن عمرو) ، وفي الأمال (١ : ٤٨) (شبيل بن عروة)

وفي فهرست ابن النديم ٦٨ مصر (شبيل بن عرعة) وفي القاموس (شبيل

ابن عروة) وفي ط من الحيوان (شبيل بن غزرة) ، وصواب هذا

كله ما أثبتته من ل ، وما نبه عليه الزبيدي في تاج العروس ، وكما ضبطه ابن دريد

في الاشتقاق ١٩٤ جوتنجن . وقد نهت على ذلك في تصحیحی للخرزانه . =

صاحب الغريب - وكان شيعياً من الغالية (١) ، فصار خارجياً من الصُّفوية - :

بنو كلبية هَرارة وأبوهم خزيمة عبدُ خاملُ الأصلُ أو كَسُ
وفي مَيَّة [الكلبية] يقول أبوها ، وهو علاج بن شحمة (٢) :

إنَّ تكُّ قد بانت بمَيَّةَ غربة فقد كان مِمَّالاً يَمَلُّ مزارُها (٣)
دعتها رجالٌ من ضُبَيْعة كَلْبِيَّةً وما كان يُشكى في المَحولِ جوارُها (٤)

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القرى والبُلدان والناس وغير ذلك ، قولهم في الرقعة التي كانت بإرم الكلبية (٥) . ومن ذلك قولهم : حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبية .

وكان سبب خروج مالك بن فهم بن غنم بن دوس إلى أزد شنوءة من السراة (٦) أن بنى أخته قتلوا كلباً لجاره ، وكانوا أعدَّ منه (٧) فغضب ومضى ، فسمي ذلك النجد الهذلي هَبَطَ منه نَجْدُ الكَلْبِيَّةِ .

[وبطسُوج بأدوريا نهر يقال له : نهر الكلبية] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشبيل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وله قصيدة في الغريب ، وكان أولاً رافضياً ثم انتقل إلى الشراة وبرى من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له ، وهي تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله في س .

(٢) ل : « شحمة » .

(٣) ط : « ميالا يمل » وهو تحريف .

(٤) ل : « في المحل » .

(٥) إرم الكلبية : موضع قريب من النجاج بين البصرة والحجاز ، وللعرب فيه يوم قتل فيه بجير بن عبد الله بن سلمة ، قتله قعب الرياحي . معجم البلدان .

(٦) ل : « من أزد شنوءة بالسراة » .

(٧) أعد منه : أكثر عددا . وفي ل : « أنجد » . وفي ط : « لجارهم » موضع « لجاره » .

عباد بن أنف الكلب . ومن ذلك أبو عمر الكلبُ الجرمي النحوي^(١) ،
وكان رجلاً من العلية عالمًا ، عروضيًا [نحويًا] فرضيًا . وعلويه^(٢) كلب المطبخ ،
وكان أشرب الناس للنبيد ، وقد راهنوا بينه وبين محمد بن علي .

والكلب : كلب الماء ، وكلب الرحي^(٣) والضبة التي يقال لها الكلب .
وكذلك الكلبة والكلبتان ، والكلاب والكلوب .

وقال راشد بن شهاب في ذلك المعنى :

أمكن كلاب القنا من ثغورها وأخضب ما يبدون استاهها بدم^(٤)
[وقال] :

فسوف يرى الأقوم ديني ودينكم إذا كلبتا قين ومقراضه أزم^(٥)
وقال الراجز :

ما زال مذكان غلامًا يستتر^(٦) له على العير إكاف^٥ وثفر^٥
* والكلبتان والعلاة والوتر *
وقال أشهب بن ربيعة ، وكان أول من رمى بنى مجاشع بأسم قيون : ١٥٣

يا عجبًا هل يركب القين الفرس وعرق القين على الخيل بحس^(٧)
ولمّا أداته إذا جلس الكلبتان والعلاة والقبس^٥
وكان اسم المزنوق فرس عامر بن الطفيل : الكلب .

(١) هو صالح بن إسحاق الجرمي ، مولى جرم بن ريان ، أخذ عن الأخفش ويونس وأبي عبيدة ،
وحدث عنه المبرد ومات سنة ٢٢٥ . وفي الأصل : « أبو عمرو » وهو تحريف . انظر
زهة الألباء ١٩٨ وبغية الوعاة ٢٦٨ ووفيات الأعيان ١ : ٢٢٨ .

(٢) ط : « علمويه » . محرف . وانظر الحيوان ٢ : ٢٢٨ .

(٣) ط : « الرحاء » وهو تحريف .

(٤) ط : « من نحوره » .

(٥) ط : « كلبت قين » وهو تحريف . وفي ل : « بدم » بدل « أزم » وهو تحريف .

(٦) ل : « تستبر » .

(٧) ل : « لحس » وهو تحريف ، وأشهب يهجو بهذا الشعر الفرزدق . وانظر خبر الشعر
في خزنة الأدب ٢ : ٥١٠ بولاق .

وقد زعمت العلماء أن حرب أيام هراميت^(١) إنما كان سببه كلب -
قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج : كلاب النار ، وللنوائح :
كلاب النار .

وقد قال جندل بن الراعي [لأبيه] في وقوفه على جرير : مالك تطيل
الوقوف على كلب بنى كليب ؟ !
وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عابِكُمُ وأصابِكُمُ مِنَّا عذابُ مُرسلُ
إنَّ السَّماوةَ لاسِماوةَ فالْحَقِي بمنايِبِ الزَّيتونِ وابْنِي بِجَدلُ^(٢)
وبأرضِ علكٍ في السواحلِ إنَّها أرضُ تَدوبُ بها اللِّقاحُ وتُهزَلُ
وقال حُصين بن القَعقاع^(٣) يرثي عُتَيْبة بن الحارث :

بَكَرَ النِّعَى بِخَيْرِ خِنْدِفَ كَلِّها بعُتَيْبةَ بنِ الحارثِ بنِ شِهابِ
قَتَلُوا ذُوأَباً بَعْدَ مَقْتَلِ سَبْعَةٍ فَشَفَى الغَلِيلَ وَرَبِيبَةَ المِرتابِ
يَوْمَ الحَلِيسِ بَدَى الفَقارِ كَأَنَّهُ كَلِبٌ بِضَرْبِ جِماجِمِ وَرِقابِ
وقال آخر^(٤) :

لِلَّهِ دَرٌّ بَنِي الحَداءِ مِنْ نَفَرٍ وَكَلٌّ جاريَ عَلى جِيرانِهِ كَلِبُ
إِذا غَدُوا وَعِصَى الطَّلحِ أَرَجُلُهُم كَما تَنصَبُ وَسَطَ البِيعَةِ الصُّلبُ
وَإِذا كانَ العُودُ سَريعَ العُلوقِ في كَلِّ زَمانٍ أَوَكَلَّ أرضُ^(٥) ، أو

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ، وهو من أيام العرب في الإسلام .
وكان في زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان (هراميت) والعمدة لابن رشيق
٢ : ١٦٧ . والحرب مؤنثة ، وقد تذكر . القاموس .

(٢) ط : « جندل » وكذلك في ل . وأثبت ما في س والأغانى ١٧ : ١١٣ .

(٣) ط : « حصين بن القا » .

(٤) هو بشر بن أبي خازم كما في البيان ٣ : ٧٥ . وانظر كلام الجاحظ في هذا الشعر .

(٥) في الأصل : « وكل أرض » والوجه ما أثبت .

بمعنى عامة ذلك قالوا : ما هو إلا كلب .

وقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم [في وَرَرِ بْنِ] جابر (١) حين
خرجَ من عنده واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدرُكهُ أمُّ كَلْبَةَ »
يعنى الحمى .

ومَّا ذكروا به العضو من أعضاء السكلب والسكلبة والخلق منهما أو
الصفة الواحدة من صفاتها ، أو الفعل الواحد من أفعالهما ، قال رؤبة :

* لاقيت مَطْلًا كُنْعَاسِ السَّكَلْبِ (٢) *

يقول : مطلاً مَقْرَمَطًا (٣) دأماً . وقال الشاعر في ذلك :

يكون بها دليل القومِ نَجْمٌ كَعَيْنِ السَّكَلْبِ فِي هُبِّي قِبَاعِ (٤)

قال : هذه أرضٌ ذات غبرة من الجذب (٥) لا يبصر القوم فيها النجم ١٥٤

الذى يُهْتَدَى به إلا وهو كأنه عين السكلب ، لأنَّ السكلب أبدأ مُغْمِضٌ
غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والمُسْبِي : الظلمة واحداها هابٍ ، والجمع هُبِّي
مثل غازٍ وغزَّى . والقِبَاع : التي قَبَعَتْ في القتام ، واحداها قابع ، كما يقبَع
القنفذ وما أشبهه في جُحره . وأنشد لابن مقبل :

ولا أطرقُ الجاراتِ بالليلِ قابعاً قُبُوعَ القَرْنَبِيِّ أخلفته مجاعره (٦)

والقُبُوع : الاجتماع والتقبُّض . والقَرْنَبِيُّ : دُوَيْبَّةٌ أعظم من الحنْفَساء .

(١) كان من وفد مع زيد الخيل إلى الرسول . وانظر الحيوان ٢ : ٣٠٨ .

(٢) للشعبي قول في هذا البيت بثمار القلوب ٣١٦ ، وانظر أمثال الميداني (أنوم
من كلب) ٢ : ٢٨٠ .

(٣) في ط : « مرقطاً » وليس له معنى يصح . وأصل الترمطة : مقارنة الخطو .

(٤) ط : « هبا » والصواب في ل . وانظر الميداني (كمين السكلب الناعس) .

(٥) ط : « الحر » .

(٦) في الأصل : « أسلمته مجاحره » وانظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(شعر في الهجاء له سبب بالكلب)

وقال الآخر في صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضَرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتها أم بُلَّتْ حيثُ تناطَحَ البهرانِ
إنَّ الأراقمَ لا ينالُ قديمَها كلبٌ عوى متهمٌ الأسنانِ (١)

وقال الشاعر في منظور بن زيان :

لبئس ما خَلَفَ الآباءَ بعدهمُ في الأمَّاتِ عِجانُ الكلبِ منظورُ

ومن هذا الضرب قول الأعرابي (٢) :

لقد شَانَ صغرى والياها وزيننا لصغرى فتى من أهلها لا يزينها

كلاب لعاب الكلب (٣) إن ساق هَجَمَة

يعذبُ فيها نفسَه ويُهينُها

وقال عمرو بن معديكرب (٤) :

لحا اللهُ جرماً كلِّما ذرَّ شارِقِ وجوهَ كِلابٍ هارشتُ فازبأرتِ

وقال أبو سفيان بن حرب :

واوشئتُ نُجَّتني كُमितُ طِمرَةَ ولم أجعلِ النِّعماءَ لابنِ شعوبِ

وما زال مُهرى مزجراً الكلبِ منهمُ لدنُ غدوةٍ حَتَّى دنتُ لِغروبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد :

(١) ل : « إن ينال قديمها » . والشعر للفرزدق كما في البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق البيت الأول ص ١٣ .

(٢) من هنا يبتنى سقط كبير في ل ، وسأنبه على نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة في الخزانة ٢ : ٣٨٨ - ٣٩٠ والبيت من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكري

٤٢ وحامسة أبي تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكري ٢٨ - ٢٩ .

دَعَتْهُ بِمَسْرُوقِ الْحَدِيثِ وَظَالِعٍ
من الطرف حتى خاف بَصْبِصَةَ الْكَلْبِ

وقال شريح بن أوس (١) :

وَعَيْرَتْنَا تَمْرَ الْعِرَاقِ وَنَحْلَهُ
وزادك أير السكّاب شيطه الجمر

وقال آخر (٢) وهو يهجو قوما :

فَجَاءَا بَجْرَشَاوَى شَعِيرٍ عَلَيَّهِمَا
كراديس من أوصال أعقد سافد

وقال الحارث بن الوليد :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا
هشوا وقالوا : مرحباً بالمقبيل

وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ
ولغ الكلاب تهارشت في منهل

وقال سبرة بن عمرو الفقعسي ، حين ارتشى ضمرة النهشلي ، ونفر عليه

عباد بن أنف الكلب الصيداوي (٣) فقال سبرة :

يَا ضَمْرُ كَيْفَ حَكِمْتَ أَمْلَكَ هَابِلٌ
والحكيم مَسْئُولٌ بِهِ الْمُتَعَمِّدُ

أَحْفِظْتَ عَهْدًا أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً
أم هل سمعت بمثلها لا يُنْشَدُ

شِعَاءً فَاقِرَةٌ تَجِدُّ لُ نَهْشَلًا
ذَنَسًا تَغُورُ بِهِ الرَّفَاقُ وَتُنْجِدُ

إِنَّ الرَّفَاقَ أَمَالَ حَكَمَكَ حُبُّهَا
فلك اللقاء وراكب متجرّد

فَضَحَ الْعَشِيرَةَ وَاسْتَمَرَ كَأَنَّهُ
كلب يبصيص للعظال ويطرّد

لَا شَيْءَ يَعْدِلُهَا وَأَكُنْ دُونَهَا
خرط القتاد تهاب شوكتها اليد

جَوْعَانٌ يَلْحَسُ أَسْكَتَنَا زَيْفِيَّةً
غلم يشور على البران أعقد

وقال مزرد بن ضرار :

وَإِنَّ كَنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ
تهر عليها أممكم وتكالب

(١) الشعر في هجاء أبي المهوش الأسدي . وقد سبق القول فيه ص ٢٦٨ .

(٢) هو اللعين المنقري كما في ص ٢٦٢ .

(٣) ط : « عبادة » . وفي أمال المرتضى ٣ : ٤٠ « عباد بن أنف الكلبى » ، بحرفة .

وفي الأصل : « الصيداني » ، وإنما هو منسوب إلى بني الصياد . المعمرين ٤٣ .

وليتَ الذى ألقى فناؤك رحله لتتقرّيه بالتّ عايه الثّعالبُ
وهذان البيتان من باب الاشتقاق لامن باب الصفات وذِكرِ الأعضاء .
وقال :

ياسبرُ يا عبدَ بنى كلابٍ يا أيرَ كلبٍ مؤثّقٍ ببابِ
أكان هذا أوّلَ الثّوابِ يا ورلاً رقرقَ فى سرابِ
* لا يعلّقنّكم ظفري ونابى *

وقال الآخر (١) :

كأنّ بنى طهيّة رهطَ سلّمى حجارةُ خارى يرمى الكلابا
وقال صاحب السكّلب : ومما اشتقّ من اسم السكّلب فى موضع ١٥٦
النباهة ، كليب بن ربيعة ، هو كليب وائلٍ . ويقال إنّه قيل فى رجلين
من بنى ربيعة ما لم يُقلّ فى أحدٍ من العرب ، حتّى ضرب بهما المثل ، وهو
قولهم : « أعزّ من كليبٍ وائلٍ » ، والآخر : « لاجرٌ بوادى عوفٍ » .
قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّض حوضاً ،
وكان يحمى السكّلا ولا يتكلم عنده إلاّ خفصا ، ويجير الصيد ويقول :
صيدُ أرضٍ كذا وكذا فى جوارى لايباح . وكان له جرو كلب قد كتّعه (٢)
فرمما قدّف به فى الروضة تعجبه ، فيحميها إلى منتهى عوائه ، ويلقيه بحريم
الحوض فلا يرده بعير حتّى تصدُرَ إبله .

(١) هو جرير كما فى البيان ٢ : ٢٥٠ . ولبيت حديث فيه . وانظر ثمار القلوب ٣٩٩ .

(٢) كتّعه بمعنى شدّ قوائمه . وانظر أمثال الميدانى ١ : ٤٤٦ وانما ٧٧ .

(ما قيل من الشعر في كليب)

وفى ذلك يقول معبد بن شعبة التميمي (١) :

أظنَّ ضِرارُ أُنّى سأطيعه وأُنّى سأعطيه الذى كنتُ أُمْنَعُ
إذِ اغرورقت عيناه واحمرَّ وجهُه وقد كادَ غيظاً وجهُه يتبصَّعُ (٢)
تقدَّم فى الظلم المبيِّنَ عامِداً ذراعاً إذا ما قدَّمتَ لك إصبعُ (٣)
كفعلِ كُليبٍ كنتُ أنبئتُ أنه يخلطُ أكلاءَ المياهِ ويمنعُ (٤)
يُجير على أفناءِ بكرِ بنِ وائلٍ أرانبِ ضاحِ والطبائِ فترتَعُ
وقال دريد بن الصمة :

لعمركَ ما كُليبٌ حينَ دلىَّ بجبلٍ كلبه فيمن يميحُ (٥)
بأعظمَ من بنى سفيانَ بغيّاً وكلُّ عدوِّهم منهم مريحُ (٦)
وقال العباس بن مرداس :

كما كان يبغيها كليبٌ بظلمه من العزِّ حتى طاح وهو قَتيلُها
على وائلٍ إذ يُنزِلُ الكلبَ مأحاً وإذ يُمنعُ الأكلاءَ منها حلولُها (٧)
وقال عباس أيضاً لكُليب بن عهمة الظفرى (٨) :

(١) هنا ينتهى السقط فى ل .

(٢) ط : « يتبصع » .

(٣) ل : « إذا ما أرخيت لك إصبع » .

(٤) (يخلط) لعلها (يخلئ) .

(٥) ط : « كلبية فيمن يميح » .

(٦) ط : « منه » .

(٧) ط : « يبرك الكلب » وتصحيحه من ل . وفى ل : « فيها حلولها » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط : « عيمة » وفى الإصابة ٧٤٤٨ : « عيمة » .

أَكْلِبُ إِنَّكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَلَمْتُ وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونٌ
تَبْغِي بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بَوَائِلُ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ
وإِخَالُ أَنْكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتَيْكَ سَنَانُهُ الْمَسْنُونُ^(١)
وقال النابغة الجعدي :

١٥٧

كَلِيبٌ لِعَمْرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرَّجَ بِالْدَّمِ
رَمَى ضَرَعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بِطَعْنَةٍ كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِي الْمَسْهُمِ
وقال قَطِرَانُ الْعَبْسِيُّ ، [وَيُقَالُ الْعَبْسِيُّ^(٢)] :

أَلَمْ تَرِ جَسَّاسَ بْنَ مُرَّةٍ لَمْ يَرِدْ حِمَى وَائِلٍ حَتَّى احْتَدَاهُ جَهْوَلُهَا^(٣)
أَجْرٌ كَلِيبًا إِذْ رَمَى النَّابَ طَعْنَةً جَدَّتْ وَائِلًا حَتَّى اسْتَحْفَتْ عَقْوَلُهَا^(٤)
بَاهُونَ مِمَّا قَلْتَ إِذْ أَنْتَ سَادِرٌ وَلِلدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ وَالِ يُدِيلُهَا^(٥)
وقال رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة^(٦) :

نَحْنُ أَبْسَنَا تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ بِقَتْلِ كَلِيبٍ إِذْ طَغَى وَتَحْيَلًا^(٧)
أَبَانَاهُ بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرَعَهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْحِمَى مُتَذَلَّلًا^(٨)
وقال رجل من بني سدوس :

وَأَنْتَ كَلِيبِي لِكَلْبٍ وَكَلْبَةٍ لَهَا حَوْلَ أَطْنَابِ الْبَيْوتِ هَرِيرُ

(١) ل : « سنانها مسنون » .

(٢) كذا . ولعله « العبسي » .

(٣) ط : « اعتداه » .

(٤) ط : « حدث وائلا » .

(٥) ط : « دال » .

(٦) في الأغاني ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام ، وهي

تنسب للأعشى » .

(٧) أبسنا : قهرنا وأذلنا . وفي ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .

(٨) أباناه : جعلناه عدلا فقتلناه بها . وفي ط : « أنابته بالناب » وليس بشيء .

وقال ابن مقبل العجلاني :

بكت أم بكرٍ إذ تبدد رهطها وأن أصبحوا منهم شريد وهالك
وإن كلاً حبيك فيهم بقية لو أن المنايا حالها متماسك (١)
كلاب وكعب لا يبيت أخوهم ذليلاً ولا تعيى عليه المسالك (٢)
وقال رجل من بني كلاب من الخوارج (٣) ، لمعاوية بن أبي سفيان :
قد سرت سيرَ كليبٍ في عشيرته لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جساس
الطاعن الطعنة النجلاء عاندها كطرة البرد، أعيافتها الآسى (٤)

(أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق : كان أوّل عمل وليه
الحجاج بن يوسف تبالة ، فلما سار إليها وقرب منها قال للدليل : أين هي ،
وعلى أيّ سمت هي ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أراني أميراً
إلا على موضعٍ تسترني منه أكمة ، أهون بها عليّ ؟ ! وكرّ راجعاً ، فقيل
في المثل : « أهون من تبالة على الحجاج » .

والعامة تقول : لهُ أهونٌ عليّ من الاعراب على عركوك (٥) .

١٥٨

(١) ل : « وإن كلى حبيك منهم » وهو تحريف .

(٢) ل : « ولا تعيا عليه المسالك » .

(٣) في نوادر أبي زيد ١٥١ أن قائل الشعر هو بشير بن أبي العبيس .

(٤) المائد : العرق يسيل فلا يرقأ . وفي ط : « عاندها » وهو تحريف ، وفي ل : « عن

عرض » . وفي النوادر : « يعيا فتقها » بنصب « فتقها » ، قال : أراد يعيا بفتقها .

هذا ينتهي الجزء الأول من النسخة التي رمزت إليها بحرف ل ، وتستمر المقابلة على

النسخة س .

(٥) كذا .

(الحجاج والمنجم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولما حضرت الحجاج الوفاة وقد ولى قبل ذلك ما ولى ،
وافتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجم : هل ترى ملكاً يموت ؟
قال : نعم ولست به ، أرى ملكاً يموت اسمه كليب ، وأنت اسمك الحجاج .
قال : فأنا والله كليب ، أمي سمّنتني به وأنا صبي . فمات ، و [كان]
استخلفَ على الخراج^(١) يزيد بن أبي مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن
أبي كبشة .

(ما كان العرب يسمّون به أولادهم)

قال : والعرب إنما كانت تسمّى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجعل ،
وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج
يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى^(٢) حجراً
سمّى ابنه به وتفاعل فيه الشدة^(٣) والصلابة ، والبقاء والصبر ، وأنه يحطم
ما لقي . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئباً ، تأوّل فيه الفطنة
والخبّ والمسكّر والسكسب . وإن كان حماراً تأوّل فيه طول العمر والوقاحة
والقوة والجلد . وإن كان كلباً تأوّل فيه الحراسة واليقظة وبعده الصوت ،
والسكسب وغير ذلك .

(١) في الأصل : « الخوارج » وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ١٧٤ . وقد زدت

كلمة كان ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « ورأى » .

(٣) لعلها « بالشدة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ - ٦

ولذلك صَوَّرَ عبید الله بن زياد في دِهليزه كلباً وكبشاً وأسدأً ، وقال :
كلب نابج ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطَيَّرَ إلى ذلك فطارت عليه .
وقال آخر : لو كان الرجل منهم إثمًا كان يسمَّى ابنه بحجر وجبل ،
وكلب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجعل ، على هذا المعنى فهلاًَّ سَمَّى
بِبِرْدُون^(١) ، وبغل ، وعُقاب ، وأشباه ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .
قال الأوَّل : إثمًا لم يكن ذلك ، لأنَّه لا يكاد يرى بغلا وبِرْدونا ،
ولعلَّه لا يكون رآهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عتيده لأموِرٍ لعلَّهم
يحتاجون إليها يوما ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير ، كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد
كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقا محمودة . بل كيف صار ذلك كذلك
ونحن نجده يسمَّى بنجم ولا يسمَّى بكوكب ! إلاَّ أنَّ بعضهم قد سمَّى بذلك
عبداً له ، وفيه يقول :

كَوْكَبٌ إِنْ مُتْ فَهَيْ مَيْتِي لَا مُتَّ إِلَّا هَرِمًا يَا كَوْكَبُ
ووجدناهم يسمون بجبل وسند ، وطود^(٢) ، ولا يسمون بأحد ولا بشير
وأجيا وسلمى ورضوى ، وصنديد وحميم^(٣) ، وهو تلقاء عيونهم متى أطلعوا
رؤوسهم من خيامهم . ويسمون بْبُرْجٍ ولا يسمون بفَلَكٍ ، ويسمون بقمر
وشمس على جهة اللقب أو على جهة المديح ، ولم يسموا بأرض وسماء ، وهو ١٥٩
وماء ، إلاَّ على ما وصفنا . وهذه الأصول في الزجر أبلغ ، كما أنَّ جبلاً أبلغ

(١) في الأصل : « سمي بردون » والوجه ما أثبت .

(٢) في ط : « طور » وهما بمعنى .

(٣) لعاه « حنين » وجبال حنين يقول فيها القائل :

سقوني وقالوا لاتغن ولو سقوا (جبال حنين) ماسقيت لغنت

من حجر ، وطوداً^(١) أجمع من صخر . وتركوا أسماء جبالهم المعروفة .
وقد سَمَّوا بأسد وليث وأسامَةَ وِضْرَغامَة^(٢) . وتركوا أن يسمَّوا بسبع
وسبعة . [وسبع]^(٣) هو الاسم الجامع لكلِّ ذى ناب ومخلب .
قال الأول : قد تسمَّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمَّوا بأبَّان وسلَمَى .
قال آخرون : إنّما هذه أسماء ناسٍ سمَّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت
لها أسماء تركت لثقلها ، أو لعلَّة من العلل ؛ وإلَّا فسكيف سمَّوا^(٤) بسلمى
وتركوا أجاً ورَضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربَّما فعلوا ذلك على أن يتَّفَقَ لواحدٍ ولودٍ
ولمعظَّمٍ جليل ، أن يسمع أو يرى حمارة ، فيسمَّى ابنه بذلك ؛ وكذلك
السكلب والذئب ، ولن يتَّفَقَ في ذلك الرقت أن يسمع بذِكر فرس ولا حِجْرٍ
أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمار ، أو نور ، أو كلب اسمَ رجلٍ معظَّمٍ ،
تتابعت عليه العرب تطييراً إليه ، ثم يكثر ذلك في ولده خاصَّةً بعده . وعلى
ذلك سمَّت^(٥) الرعية بنيتها وبناتها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ، وعلى ذلك
صار كلُّ علىٍّ يكنى بأبي الحسن ، وكلُّ عُمرٍ يكنى بأبي حفص ، وأشباه ذلك .
فالأسماء ضروب ، منها شيء أصليٌّ كالسَّمَاء والأرض والهواء والماء والنار ،
وأسماءٌ أُخرٌ مشتقَّاتٌ منها على جهة الفعال ، وعلى شكل اسم الأب ، كالرجل

(١) في ط : « وطور » وهما بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامَة والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٤) ط : « بسموا » وصوابه في س .

(٥) في الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبتته .

يكون اسمه عمر فيسمى ابنه عميرا ، ويسمى عمير ابنه عمران ، ويسمى عمران ابنه معمراً . وربما كانت الأسماء بإسماء الله عز وجل مثل ما سمي الله عز وجل أبا إبراهيم آزر ، وسمي إبليس بفاسق ، وربما كانت الأسماء مأخوذة من أمورٍ تحدث في الأسماء ؛ مثل يوم العروبة سميت في الإسلام يوم الجمعة ، واشتق له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

(ما ترك الناس من ألفاظ الجاهلية)

وسنقول في المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعود إلى موضعنا الأول إن شاء الله تعالى .

ترك الناس مما كان مستعملاً في الجاهلية أموراً كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم للخراج إتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : الحملان والمكس .
وقال جابر بن حنّ (١) :

أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
وكما قال العبيد في الجارود (٢) :

أيا ابن المعلّى خلتنا أم حسبتنا صراريّ نعطى الماكسين مكوساً (٣)

(١) في الأصل : « خارجي » وهو تحريف عجيب . والبيت في اللسان (مكس) ، وقصيدته في المفضليات ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٢) العبيد هو يزيد بن خذاق : كما في المفضليات ٢٩٨ . والجارود هو ابن المعل ، صحابي كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول في وفد عبد القيس الأخير سنة عشر وأسلم وحسن إسلامه ، وابنه المنذر بن الجارود ، وحفيده الحكم بن المنذر بن الجارود الذي يقول فيه الأعشى :

ياحكم بن المنذر بن الجارود سراقك المجد عليك ممدود

قتل الجارود سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر . الإصابة ١٠٣٨ .

(٣) ط : « أكابر » ، س : « أكابن » . وانظر المفضليات .

١٦٠ وكما تركوا انعم صباحاً، وانعم ظلاماً، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟ وكيف أمسيتم؟

وقال قيس بن زهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعم ظلاماً
أبا ضمرة! قال: نعمت فن أنت؟ قال: قيس بن زهير.

وعلى ذلك قال امرؤ القيس:

ألا عيم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
وعلى ذلك قال الأوّل (١):

أتوا نارى فقلتُ مدونَ قالوا سرّاة الجنّ قلتُ عموا ظلاماً
وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السيّد المطاع: أبيت اللعن،
كما قيل (٢):

* مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه *

وقد زعموا أن حذيفة بن بدر كان يُحياً بتحية الملوك ويقال له: أبيت
اللعن. وتركوا ذلك في الإسلام من غير أن يكون كفرًا.

وقد ترك العبد أن يقول لسيدهِ ربّي، كما يقال ربُّ الدار، وربُّ
البيت. وكذلك حاشية السيّد والملِك تركوا أن يقولوا ربّنا. كما قال
الحارث بن حلزة:

ربّنا وابننا وأفضل من يم شي ومن دون ما لديه الشناء

(١) البيت لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبي كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب
٣: ٣ بولاق.

(٢) البيت للبيد من أبيات لها خبر في الأغاني (١٤: ٩١ - ٩٢).

وكما قال لييد حين ذكر حُدَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ :
وأهْلِكُنَّ يَوْمًا رَبًّا كِنْدَةَ وابْنَهُ وَرَبًّا مَعَدًّا بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرَعْرِ
وكما عَيَّرَ زَيْدُ الخَلِيلِ حَاتِمًا الطَّائِيَّ فِي خُرُوجِهِ مِنْ طَيْئٍ وَمِنْ حَرْبِ
الْفَسَادِ ، إِلَى بَنِي بَدْرِ ، حَيْثُ يَقُولُ (١) :

وَفَرَّ مِنَ الحَرْبِ العَوَانِ وَلَمْ يَكُنْ بِهَا حَاتِمٌ طَبًّا وَلَا مَتَطَبًّا
وَرِيبٌ حَصْنَا بَعْدَ أَنْ كَانَ آيًّا أَبُوَّةَ حِصْنٍ فَاسْتَقَالَ وَأَعْتَبَا
أَقِمَّ فِي بَنِي بَدْرِ وَلَا مَا يَهْمُنَا إِذَا مَا تَقَضَّتْ حَرْبُنَا أَنْ تَطْرَبَا
وَقَالَ عَوْفُ بنِ مَحَلِّمٍ (٢) ، حِينَ رَأَى المَلِكَ : إِنَّهُ رَبِّي وَرَبُّ الكَعْبَةِ .
وَزَوْجُهُ أُمُّ أَنَاسِ بنتِ عَوْفٍ .

وكما تركوا أن يقولوا لقوام الملوك السدنة وقالوا الحجبة (٣) .
وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أبي عبد الرحمن يونس (٤) بن حبيب
النحوى حين أنشده شعر الأسدي :

ومركضة صريحي أبوها تهان لها الغلامه والغلام (٥) ٩٦١

(١) حرب الفساد كانت في الجاهلية بين جديلة والغوث . وانظر نسخة دواوين العرب
١٠٧ والأغانى (١١ : ١٢٧) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٨) .

(٢) هو الذى يقال فيه : « لاجر بوادى عوف » . أمثال الميداني ١٦٧ : ٢ . وهو
من بنى ذهل بن شيبان ، ومن أشرف العرب في الجاهلية توفى نحو ٤٥ ق . ه .
قاموس الأعلام ٧٤٧ . وهو غير عوف بن محلم الخزاعى ، فإن هذا إسلامى كان
ينادم طاهر بن الحسين وابنه عبد الله ، وفارقه بقصيدته المشهورة التى فيها :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمى إلى ترجمان

(٣) في الأصل : « بالسدنة وقالوا لحيحة » وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « عن أبي عبد الرحمن بن يونس » وكلمة « ابن » مقحمة ، فإن
أبا عبد الرحمن كنية يونس بن حبيب كما في بغية الوعاة ٩٣٥ والمعارف ٢٣٥ وقد
أخذ عنه أبو عبيدة كما في البغية ٣٩٥ . توفى يونس سنة ١٨٢ عن ثمان وثمانين سنة .

(٥) الجوهرى : صريح : اسم فحل منجب . وأنشد هذا البيت .

قال: فقلت له : فتقول : للجارية غلامه ؟ قال : لا ، هذا من الكلام المتروك ، وأسماءه زالت مع زوال معانيها ، كالمربع والنشيطه وبقى ^(١) الصفايا ؛ فالمربع : رُبِع جميع الغنيمة الذي كان خالصاً للرئيس ، وصار في الإسلام الخمس ، على ماسنّه الله تعالى . وأما النشيطه فإنه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلقَ النفيسَ يراه إذا استحلّاه . وبقى ^(١) الصّفِيّ وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مَغْمٍ ، وهو كالسيف اللّهزم ^(٢) والفرس العتيق ، والدرع الحصينة ، والشئ النادر .

وقال ابن عَنَمَة الضبّي ^(٣) حليف بني شيبان ، في مرثيته بسطام

ابن قيس :

لك المربعُ منها والصفايا وحُكْمُك والنشيطَةُ والفضولُ
والفضول : فضول المقاسم ، كالأشياء إذا قسم وفضات فضلة
استهاكت ، كاللؤاؤة ، والسيف ، والدرع ، والبيضة ، والجارية ،
وغير ذلك .

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماءٌ حدثت ولم تسكن ، وإنما اشتقت لهم من أسماءٍ متقدمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن أدركَ الجاهليّة والإسلام مُخْضَرَم كَأبي رجاءٍ العطاردي ^(٤) ، بن سالمه ^(١) ، وشقيق بن سالمه ؛ ومن الشعراء النابغة الجعدي

(١) كذا ولعلها «نقى» .

(٢) س : « الهذام » وهما بمعنى .

(٣) ط : « ابن غنمة » وصوابه في س . وابن عنمة هذا هو عبد الله ، وهو من شهد القادسية ، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام في الحماسة ١ : ٤٢٠ .

(٤) لأبي رجاء ترجمة في الإصابة ج ٧ : ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم .

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أن هذا الاسم أحدث في الإسلام ، أنهم في الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أن ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أن الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سمَّى الأرضَ التي لم تُخفَر قطُّ ولم تحرث إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغة حيث يقول :

إلا الأوارى لأياً ما أئينها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد

ومنه قيل سقاء مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحادرة :

ظلم البطاح له انهلال حريصة فصفا النطاف له بعيد المقلع

وقال الآخر :

قالت له متى بأعلى ذى سلم لو ما تزورنا إذا الشعب ألم

* ألا بلى يامى واليوم ظلم^(١) *

يقول ظلم حين وضع الشيء في غير موضعه . وقال الآخر : ١٦٢

* أنا أبو زينب واليوم ظلم^(٢) *

وقال ابن مقبل :

عاد الأذلة في دارٍ وكان بها هرت الشقاشق ظلامون للجزر

وقال آخر :

وصاحب صدقٍ لم تبنى أذاته ظلمت رفى ظلمي له عامداً أجر

وقال آخر :

لا يظلمون إذا ضيفوا وطابهم وهم لجودهم في جزرهم ظلم

(١) اليوم ظلم : أى حقا كما تقول لاجرم أى حقا . وانظر اللسان (ظلم) والرجز فيه .

(٢) فى الأصل : « والنوم ظلم » ، وانظر التنبيه السابق .

وظلم الجزور: أن يعرقبوها ، وكان في الحق أن تنحر نحراً . وظلمهم
الجزر^(١) أيضا أن ينحروها صحاحا سماناً لاعلة بها .

قال : ومن ذلك قولهم : الحرب غشوم ؛ وإنما سميت بهذا لأنها تنال
غير الجاني .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ » ، يقول : قد وضع
الشبه في موضعه .

ومن الحديث المشتق ، اسم منافق لمن رآعى بالإسلام واستسرى بالكفر
أخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والداماء^(٢) ، ومثل المشرك والكافر ، ومثل
التيثم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تحروا ذلك وتوخوه .
وقال : ﴿ فَاَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فكثرت هذا في الكلام حتى
صار التيمم هو المسح نفسه . وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء إذا طالت
صحبته وملاستهم له^(٣) .

وكما سموا رجع الإنسان الغائط ، وإنما الغيطان البطون التي كانوا
ينحدرون فيها إذا أرادوا قضاء الحاجة للستر .

ومنه العذرة ، وإنما العذرة الفناء ، والأفنية هي العذرات ، ولكن
لما طال إلقاؤهم النجس والزبل في أفئنتهم ، سميت تلك الأشياء التي رموا
بها ، باسم المكان الذي رميت به . وفي الحديث : « أَنْقُوا عَذْرَاتِكُمْ » .
وقال ابن الرقييات :

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ^(٤)

(١) في الأصل : « الجزور » والوجه الجمع .

(٢) هي من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دم) .

(٣) في الأصل : « صحبته وملاسته له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعي ، أحد أجواد العرب توفي سنة ٦٥ .

وانظر ص ٢٥٥ .

كان لا يحجبُ الصديقَ ولا يع تَلُّ بالبخلِ طيِّبَ العَدِرَاتِ
ولسكنَّهم لسكرةٍ ما كانوا يُلقونَ نجوهم في أفئدتهم سموها باسمها .
ومنه النُّجو : وذلك أنَّ الرجلَ كان إذا أراد قضاءَ الحاجةِ تَسْتَرُ بنجوة . ١٦٣
والنُّجو : الارتفاعُ من الأرض ، قالوا من ذلك : ذهبَ يَنْجُو ، كما قالوا ذهب
يتغوَّطُ إذا ذهب إلى الغائطِ لذلك الأمر ، ثمَّ اشتقوا منه فقالوا إذا غسل
موضعَ النجو قد استنجى .

وقالوا : ذهب إلى المخرَج ، وإلى المنوَضَّ ، وإلى المذهب ، وإلى الخلاء ،
وإلى الحُشِّ ، وإِنَّمَا الحشُّ القطعةُ من النَّخْلِ وهي الحِشَّان . وكانوا بالمدينة
إذا أرادوا قضاءَ الحاجةِ دخلوا النخل ؛ لأنَّ ذلك أستر ، فسموا المتوضأ
الحشِّ ، وإن كان بعيداً من النخل ؛ كلَّ ذلك هرباً من أن يقولوا ذهب
للخَرِّ ، لأنَّ الاسمَ الخَرُّ ، وكلُّ شيءٍ سواه من ^(١) ورجيع وبراز وزبل وغائط
فشكله كناية .

ومن هذا الباب المَلَّةُ ، والمَلَّةُ موضعُ أُجْبَزَة ، فسموا أُجْبَزَة باسم موضعها .
وهذا عند الأصمعيِّ خطأ .

ومن هذا الشكلِ الراوية ، والراوية هو الجملُ نفسه ، وهو حاملُ المَزَادَة
فسميتِ المَزَادَة باسم حاملِ المَزَادَة . ولهذا المعنى سموا حاملَ الشعر
والحديثِ راوية .

ومنه قولهم : ساق إلى المرأةِ صَدَاقَها . قالوا : وإِنَّمَا كان يقال ذلك

(١) في الأصل فراغ يتسع لكلمة واحدة .

حين كانوا يدفعون في الصِّدَاقِ إبلا ، وتلك الإبِلُ يقال لها النافجة .
وقال شاعرهم :

وليس تِلادى من وِرائةِ والدى ولا شادَ مالِ مُستَفادِ النوافِجِ
وكانوا يقولون : تهنِّيكِ النافجة . قال : فإذا كانوا يدفعون الصِّدَاقَ
عينا وورقا فلا يقال ساق إليها الصِّدَاقُ .

ومن ذلك أنهم كانوا يضربون على العروس البناء ، كالقبة والخيمة
والخيام^(١) ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عليها ، اشتقاقاً من البناء ، ولا
يقال ذلك اليوم . والعروس إمّا أن تكون مقيمةً في مكانها أو تتحوّل
إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم في البَغْيِ المكتسبة بالفُجور : قَحْبَةٌ ، وإِنَّمَا
القُحَابُ السعال . وكانوا إذا أرادوا الكناية عن من زنت وتكسبت
بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

* إِنَّ السُّعَالَ هُوَ القُحَابُ *

[وقال (٢)] :

وإذا ما قحبت واحداً جاوبَ المِعْدُ منها^(٣) فحَضَفَ

وكذلك كان كنايةهم في انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا

متاعه وعورته وشواره . والشوار : المتاع^(٤) . وكذلك الفرج وإِنَّمَا [يعنون^(٥)]]
الأير والحِرَّ والاسْت .

(١) كذا في ط ، س ، م .

(٢) زيادة يقتضها الكلام .

(٣) ط : « فقحبت » وأثبت ما في س و م . ومعنى حَضَفَ خرط .

(٤) في القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .

(٥) زيادة يقتضها الكلام .

(كلمات للنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد^(١) : من ذلك ٦٦٤ قوله : « إذا لاينتطح فيها عزان » . ومن ذلك قوله : « مات حتف أنفه » . ومن ذلك قوله : « ياخيّل الله اركبى » ومن ذلك قوله : « كلُّ الصيّد في جوف النمرأ » ، وقوله : « لايلسع المؤمن من جحرٍ مرتين » .

(شنشنة أعرها من أخزم)

وقال عمر رضى الله تعالى عنه : « شنشنة أعرها من أخزم » ، يعنى شبه ابن العباس بالعبّاس . وأخزم : فحل معروف بالكرم .

(مايكراه من الكلام)

وأما الكلام الذى جاءت به كراهية من طريق الروايات ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايقولنَّ أحدُكم خبثت نفسى ولكن ليقُلْ لَقِسْت نفسى » ، كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضيف المؤمنُ الظاهرُ إلى نفسه الخُبث والفساد بوجهٍ من الوجوه .

وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما النهى عن قول القائل : استأثر الله بفلان ، بل يقال مات فلان . ويقال^(٢) استأثر الله بعلم الغيب واستأثر الله بكذا وكذا .

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ - ١٦ وكتاب المغال ٢٢٣ .

(٢) ط : « ولا يقال » وصوابه قول .

قال النَّخَعِيُّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله ، وقراءة سالم ، وقراءة أبي ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنة أبي بكر وعمر ، بل يقال سنة الله وسنة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسَيِّجِدٌ ومُصَيِّحِفٌ ، للمسجد القليل الذَّرْعُ ، والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنه بذلك شبيهه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربما صَغَرُوا الشَّيْءَ من طريق الشَّفَقَةِ والرَّقَّةِ ، كقول عمر : أخافُ على هذا العُريبِ . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنا فلانُ أَخَيٌّ وصُدَيْقِيٌّ ؛ وليس التصغير له يريد . وذكر عمرُ ابنَ مسعودٍ فقال كُنَيْفٌ مُلَى عَلِيًّا^(١) . وقال الحباب بن المنذر^(٢) يوم السَّقِيْفَةِ : أنا جُدَيْلُهَا المحكك ، وعُدَيْقُهَا المرجَّب . وهذا كقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة : الحُمَيْرَاءُ ، وكقولهم لأبي قابوسَ الملك : أبو قُمَيْسٍ . وكقولهم : دَبَّتْ إِلَيْهِ دُوَيْهِيَّةُ الدَّهْرِ ، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقَّة المسلك .

(١) كنيف : تصغير كنف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) في الأصل : « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتي هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكما كتبه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٩٦ في حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الخضرى ١ : ٢٥٣ .

ويقال إنَّ كلَّ فَعِيلٍ في أسماء العرب فإنَّما هو على هذا المعنى ، كقولهم
المُعِيدِيَّ ، وكنحو سُلَيْم ، وضمير ، وكليب ، وعُمَيْر ، وجُعِيل ، وحميد ،
وسعيد ، وجبير ؛ وكنحو عُبَيْد ، وعُبَيْد الله ، وعُبَيْد الرماح ^(١) . وطريق التحقير
والتصغير إنَّما هو كقولهم : نُجَيْل ونُذِيل . قالوا : ورُبَّ اسمٍ إذا صَغَّرْتَهُ كان
أملاً للَصَدْر ، مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر في السماع من أبي عبد الله ،
وكعب بن جُعِيل ، هو أفخم من كعب بن جعل . وربَّما كان التصغير خِلقة ١٦٥
وبنية ، لايتغَيَّر ، كنحو الحُمَيَّا والسُّكَيْتِ ، وجُنَيْدة ، والقطيعا ،
والمريطاء ، والسُّميراء ، والمليساء — وليس هو كقولهم القُصَيْرِيَّ ، وفي
كبيدات السماء والثريا .

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : دَقَقْتُ البابَ على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من هذا ؟ فقالت : أنا . فقال : أنا !
كأنَّه كره قولِي أنا .

وحدَّثني أبو عليُّ الأنصاري ، وعبد الكريم الغفاريُّ قالا : حدَّثنا
عيسى بن حاضر قال : كان عمرو بن عُبيد ^(٢) يجلس في داره ، وكان
لايَدَعُ بابَه مفتوحا ، فإذا قرَعَه إنسان قامَ بنفسه حتَّى يفتحه له . فأتيتُ
البابَ يوماً فقرَعْتُهُ فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : ما أعرف أحداً
يسمِّي أنا . فلم أَقُلْ شيئاً وقتُ خلفَ الباب ، إذ جاء رجلٌ من أهل

(١) كذا .

(٢) ط : « عبيدة » وصوابه في س . وعمرو هذا من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد
المشهورين وله أخبار مع المنصور ، توفي بمران سنة ١٤٤ ، ورثاه المنصور . قالوا
ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ .

خراسان ففرع الباب ، فقال عمرو : من هذا ؟ فقال : رجلٌ غريبٌ قدم عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب ، فلما وجدت فرجةً أردت أن ألق الباب ، فدفع الباب في وجهي بعنف ، فأقت عنده أياماً^(١) ثم قلت في نفسي : والله إنني يوم أتغضب على عمرو بن عبيد ، لغير رشيد الرأي . فأتيت الباب ففرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقامت عيسى بن حاضر . فقام ففتح لي الباب .

وقال رجل عند الشعبي : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما علمك ؟ وقال الربيع بن خثيم : اتقوا تكذيب الله ، ليتق أحدكم أن يقول قال الله في كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبت لم أقله .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لا يقل أحدكم أهريق الماء ولكن يقول أبول .

وسأل عمر رجلاً عن شيء ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خزيننا إن كنا لانعلم أن الله أعلم ؛ إذا سئِلَ أحدكم عن شيء فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لا يعلمه قال : لا أعلم لي بذلك .

وسمع عمر رجلاً يدعو ويقول ؛ اللهم اجعلني من الأقلين ! قال : ما هذا للدعاء ؟ قال : إنني سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا آمَنْ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرف .

وكره عمر بن عبدالعزيز قول الرجل لصاحبه : ضعه تحت إبطك ، وقال :

هَلَّا قَلْتَ تَحْتَ يَدِكَ وَتَحْتَ مَنَكِبِكَ ! وَقَالَ مَرَّةً - وَرِاثَ فَرَسٍ بِحَضْرَةِ
سَالِمَانَ - (١) فَقَالَ : اِرْفَعُوا ذَلِكَ النَّثِيلَ . وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ الرَّوْثُ .

وَقَالَ الْحِجَّاجُ لِأُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ (٢) : عَمَدْتَ إِلَى مَالِ اللَّهِ
فَوَضَعْتَهُ تَحْتَ . كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ : تَحْتَ اسْتِكَ ، ١٦٦
فَتَلْجُلِجُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ قَدَعًا أَوْ رَفَنًا ، ثُمَّ قَالَ : تَحْتَ ذِيكَ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِمَمْلُوكِهِ عَبْدِي
وَأُمِّي ، وَلَسْكَنُ يَقُولُ : فَتَايَ وَفَتَاتِي ، وَلَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي ،
وَلَسْكَنُ يَقُولُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي » .

وَكَرِهَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَوْلَ الْقَائِلِ لِلسَّكَابِ : اللَّهُمَّ أَخْزِهِ .
وَكَرِهَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ : « أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ
عَيْنًا » ؛ وَ« لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا » .

وَقَدْ كَرِهُوا أَشْيَاءَ مِمَّا جَاءَتْ فِي الرِّوَايَاتِ لَا تُعْرَفُ وَجُوهُهَا ، فَرَأَى
أَصْحَابُنَا : لَا يَكْرَهُونَهَا . وَلَا اسْتَطِيعَ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ نَسْمَعْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ
أَكْثَرَ مِنَ السُّكْرَاهَةِ . وَلَوْ كَانُوا يَرَوْنَ الْأُمُورَ مَعَ عِلْمِهَا وَبِرَهَانَاتِهَا خَفَّتْ
الْمُؤَنَةُ ، وَلَسْكَنُ أَكْثَرَ الرِّوَايَاتِ مَجْرَدَةً ، وَقَدْ اقْتَصَرُوا عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ
دُونَ حِكَايَةِ الْعِلَّةِ ، وَدُونَ الْإِنْخِبَارِ عَنِ الْبِرْهَانِ . وَإِنْ كَانُوا قَدْ شَاهَدُوا
النُّوعَيْنِ مَشَاهِدَةً وَاحِدَةً .

(١) هُوَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ سَلِيمَانُ اسْتَوَزَرَ عَمْرًا ، وَوَلَّى عَمْرَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ
بَعْدَ مَنِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْأَشْعَثُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ حُرُوبٌ قَاوِمٌ فِيهَا الْحِجَّاجُ
وَأَنْتَهتْ بِقَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ ٨٥ هـ كَانَ أَهْمُهَا وَقَعَةُ دِيرِ الْجَمَّاجِ الَّتِي دَامَتْ مِائَةَ
وِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لا تسمُّوا العنَبَ الكَرَمَ ؛ فَإِنَّ الكَرَمَ هو الرجلُ المسلمَ » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله : « لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هو الله » فما أحسن ما فسَّر ذلك عبد الرحمن بن مهدي^(١) قال : وجهُ هذا عندنا ، أنَّ القومَ قالوا : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ فلما قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك الله » . يعنى أن الذى أهلك القرون هو الله عزَّ وجلَّ ، فتوهم منه المتوهم أنه إنما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : « قُلْ وَمَعَكَ رُوحَ الْقُدُسِ » فقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : قُلْ وَمَعَكَ جِبْرِيلُ ؛ لأنَّ رُوحَ الْقُدُسِ أيضاً من أسماء جبريل . ألا ترى أن موسى قال : « لَيْتَ أَنْ رُوحَ اللَّهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ » ، وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبئ : معه روح دكالا^(٢) ، ومعه روح سيفرت^(٣) . وتقول اليهود : معه روح بَعْلزَبول^(٤) ، يريدون شيطاننا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس ، وروحه روح الله ، وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ، يعنى القرآن .

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري ، من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعي : لا أعرف له نظيراً في الدنيا . توفى بالبصرة ١٩٨ .

(٢) في رسائل الجاحظ ١٠٤ : « دلالة » .

(٣) في الرسائل : « شيقرة » .

(٤) في الأصل : « بلعربوث » وصوابه من إنجيل متى ١٠ : ٢٥ و ١٢ : ٢٤ ومرقس

٣ : ٢٢ ولوقا ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفي الرسائل : « بلعد بوث » .

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سهيل وبرُد الليل . فكره ذلك وقال :
إن سهيلاً لم يأتِ بحرٌ ولا ببردٍ قطُّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب ، وقد
كره الحسنُ كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقولَ الرجلُ للغيمِ والمسحابة : ما أخلقها للمطر !
وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنهم من خوفهم عليهم العودَ
في شيءٍ من أمر الجاهليّة ، احتاطوا في أمورهم ، فنعوه من الكلام الذي فيه ١٦٧
أدنى متعلق .

وروا أن ابن عباسٍ قال : لا تقولوا والذي خاتمته على فمى ، فإنّما
يختم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قوس قزح . وقال : قزح
شيطان ، وإنّما ذهبوا إلى التعريب والتلوين ، كأنه كره ما كانوا عليه من
عادات الجاهليّة . وكان أحبَّ أن يقال قوس الله ، فيرفع من قدره ، كما
يقال بيت الله ، وزوّار الله ، وأرض الله ، وسما الله ، وأسد الله (١) .

وقالت عائشة رضی الله عنها : «قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم
النبيين ، ولا تقولوا : لا نبيَّ بعده» . فالأ تكثرُ ذهبتُ إلى نزول المسيح
فما أعرف له وجهاً إلاّ أن تكون قالت لا تغيروا ما سمعتم ، وقولوا كما قيل
لكم ، والفظوا بمثله سواء .

وكره ابن عمر رضی الله عنهما قول القائل : أسلمت في كذا وكذا ،
وقال : ليس الإسلام إلاّ لله (٢) عزّ وجلّ . وهذا الكلام مجازُه عند الناس
سهل ، وقد كرهه ابنُ عمر ، وهو أعلم بذلك .

(١) انظر مثل هذا الكلام في الحيوان ٢ : ١٨١ وكذا ثمار القلوب ٨ - ٢٨ حيث فسر
العماليى ما أضيف إلى لفظ الجلالة .

(٢) في الأصل : « الله » .

وكره ابن عباسٍ رضى الله عنهما قولَ القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسمُوا الطريقَ السُّكَّةَ .

وكره أبو العالية قولَ القائل : كنت في جنازة ، وقال : قل تبعت جنازة .
كأنَّهُ ذهب إلى أنَّه عنى أنه كان في جوفها ، وقال قل تبعت جنازة .
والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ،
وهى عندى شبيهة بقول من كره أن يقول : أعطاني فلان نصف درهم .
وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القَفِيز
بُدُنْيِير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة .
وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عباس قولَ القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة ، قال
يل قولوا : قد قَضَوْا الصلاة ، وقد فرَغوا من الصلاة ، وقد صلَّوا ؛ لقوله :
﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذلك حين
انصرفنا من الجنازة ، وقد انصرفوا من السوق ، وانصرف الخليفة ، وصرف
الخليفة الناس من الدار اليومَ بخير ، وكنت في أوَّل المنصرفين . وقد كرهه
ابن عباس . ولو أخبرونا بعلته انتفعنا بذلك .

وكره حبيب بن أبي ثابت ، أن يقال للحائض طامث ، وكره مجاهد
قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان ، وقال : قولوا شهر رمضان ،
فعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قبل قواه تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي

أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ ﴿ فقد قال الناس يوم التَّروية ، ويوم عَرَفة ولم ١٦٨ يقولوا عرفة .

(رأى النظام في طائفة من المفسرين
وصور من تسكُّفهم في التأويل)

كان أبو إسحاق يقول : لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين ، وإن نصبوا أنفسهم للعامة ، وأجابوا في كل مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس ، وكلما كان المفسر أغربَ عندهم كان أحبَّ إليهم ، وليكن عندهم عكرمة ، والكلبي ، والشدي ، والضحاك ، ومقاتل بن سليمان ، وأبو بكر الأصبم ، في سبيل واحدة . فكيف أثق بتفسيرهم (١) وأسكن إلى صوابهم ، وقد قالوا في قوله عز وجل : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ : إن الله عز وجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلى فيها ، بل إنما عني الجباه وكل ما سجد الناس عليه : من يدٍ ورجلٍ ، وجبهةٍ وأنفٍ وثفنة .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ : إنه ليس يعنى الجمال والنوق ، وإنما يعنى السحاب .

وإذا سئلوا عن قوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ قالوا : الطلح هو الموز .

وجعلوا الدليل على أن شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الأمم وأن الناس غيره ، قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .

(١) في الأصل : « بتفسير » .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾^(١)
قالوا : يعنى أنه حشَرَهُ بِإِلَاحِجَّةٍ .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَيَلِّ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ في جهنم .
ثم قَعَدُوا يَصِفُونَ ذلك الوادى . ومعنى الويل في كلام العرب معروف ، وكيف
كان في الجاهليَّة قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلق :
وادٍ في جهنم ، ثمَّ قَعَدُوا يَصِفُونَهُ . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرَةُ^(١)
بلغة اليمن .

وقال آخرون في قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ قالوا : أخطأ
من وصلَ بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإِنَّمَا هِيَ : سَلٌّ سَبِيلًا إِلَيْهَا
يا محمد . فإن كان كما قالوا فأين معنى تَسَمَّى ، وعلى أىِّ شَيْءٍ وقع قوله
تَسَمَّى فتَسَمَّى ماذا ، وما ذلك الشئ ؟

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْجُلُودُ هُمُ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود
كناية عن الفروج . كأنه كان لا يرى أن كلام الجلد من أعجب العجب !
وقالوا في قوله تعالى : ﴿ كَأَنزَايَا كُلَّانِ الطَّعَامِ ﴾ : إنَّ هذا إِنَّمَا كان
كنايةً عن الغائط . كأنه لا يرى أن في الجوع وما ينال أهله من الذلَّة
والعجز والفاقة ، وأنَّه ليس في الحاجة إلى الغذاء — ما يُسَكِّنْفِي بِهِ في الدلالة
على أنَّهما مخلوقان ، حتَّى يدعى على الكلام ويدعى له شيئاً قد أغناه
الله تعالى عنه .

(١) في القاموس : المِقْطَرَةُ : الحميرة ، وخشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : إِنَّهُ إِنَّمَا عَنَى قَلْبِهِ . ١٦٩

وَمَنْ أَعْجَبَ التَّأْوِيلَ قَوْلَ اللَّحْيَانِي : (الْجَبَّارُ) مِنَ الرِّجَالِ يَكُونُ عَلَى وَجْهِهِ : يَكُونُ جَبَّاراً فِي الضَّمْحَمِ وَالْقُوَّةِ ، فَتَأْوَلُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ قَالَ : وَيَكُونُ جَبَّاراً عَلَى مَعْنَى قِتَالًا ، وَتَأْوَلُ فِي ذَلِكَ : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ ، وَقَوْلَهُ لِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ أَيْ قِتَالًا بغيرِ حَقٍّ . وَالْجَبَّارُ : الْمُسَكَّبُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَأْوَلُ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (١) ، وَتَأْوَلُ فِي ذَلِكَ قَوْلَ عِيسَى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أَيْ لَمْ يَجْعَلْنِي مُتَكَبِّرًا عَنْ عِبَادَتِهِ ، قَالَ الْجَبَّارُ : الْمُسَلِّطُ الْقَاهِرُ ، وَقَالَ : وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أَيْ مُسَلِّطُ فَتَقَهَّرَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ . وَالْجَبَّارُ : اللَّهُ .

وَتَأْوَلُ أَيْضًا (الْخَوْفُ) عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَوْ وَجَدَهُ فِي أَلْفِ مَكَانٍ لِقَالَ : وَالْخَوْفُ عَلَى أَلْفِ وَجْهِهِ ، وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ . وَهَذَا كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(تَكْلَفُ بَعْضُ الْقَضَاةِ فِي أَحْكَامِهِمْ)

وقال رجل لعبيد الله بن الحسن القاضي (٢) : إِنَّ أَبِي أَوْصَى بِثَلَاثِ مَالِهِ فِي الْحَصُونِ . قَالَ : أَذْهَبُ فَاشْتَرِ بِهِ خَيْلًا ، فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنَّهُ إِنَّمَا ذَكَرَ الْحَصُونِ ! قَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْأَسْعَرِ الْجُعْفِيِّ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَلَمْ أَكْ » وَليْسَ فِي الْكِتَابِ آيَةٌ هَذَا الرَّسْمِ . مَرِيَمُ ١٤ .
(٢) هُوَ عَبِيدَةُ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ حَصِينِ الْعَنْبَرِيِّ ، قَاضٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْعُلَمَاءِ بِالْحَدِيثِ ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ١٦٨ .

ولقد علمتُ على تجنبي الردى^(١) أن الحصون الخليل لا مدد القرى
فينبغي في مثل هذا القياس على هذا التأويل ، أنه ما قيل للمدن
والحصون حصون إلا على التشبيه بالخليل .

وخبرني النوررواني قال : قلت للحسن القاضي : أوصى جدِّي بثلاث
ماله لأولاده ، وأنا من أولاده . قال : ليس لك شيء . قلت : ولم ؟ قال :
أو ما سمعت قول الشاعر^(٢) :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنَّ أبناء الرجال الأبعد

قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادني شرًّا .

وقالوا في قوله : ماساءك وناءك : [ناءك] : أبعذك . قالوا : وساءك^(٣)
أبرصك . قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ . وبئس التكلُّف .
وقال ابن قتيبة^(٤) :

وحال أئقال إذا هي أعرضت على الأصل لا يسطيعها المتكلف
وقال الله وهو يخبر عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يؤتى القوم إلا من الطمع ، ومن شدة إعجابهم بالغريب
من التأويل .

(١) في ط : « الورى » وهو تحريف ما في س .

(٢) هذا البيت الآتي مع كثرة الاستشهاد به في كتب العربية وفي كتب الفروض ، لم
يعرف له قائل ، كما صرح بذلك العيني ، والسيوطي في شرح شواهد المغني ٢٨٧ .
لكن وجدت البغدادي في الخزانة ١ : ٤٠٢ قد نقل عن الكرماني أن قائله
هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماساءك وناءك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التي بين مكثفين
ليستقيم الكلام . وفي ط : « برصك » وصوابه في س .

(٤) ط : « ابن قتيبة » وصوابه : « ابن قتيبة » والبيت في البيان ٢ : ١٨ .

(رأى في أبي حنيفة)

وسئل حفص بن غياث ، عن فقه أبي حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم يكن ، وأجهل الناس بما كان (١) !

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ تَمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قالوا : النعيم : ١٧٠ الماء الحارُّ في الشتاء ، والبارد في الصيف .

(الصَّرورة)

ومن الأسماء المحدثّة التي قامت مقامَ الأسماء الجاهليّة ، قولهم في الإسلام لمن لم يحجَّ : صرورة .

وأنتَ إذا قرأتَ أشعارَ الجاهليّة وجدتهم قد وضعوا هذا الاسمَ على خلافِ هذا الموضع . قال ابن مقروم الضبّي (٢) :

لو أنّها عرّضتْ لأشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ الإلهِ صرورةٍ مُتَبَتِّلٍ
لِدُنَا (٣) لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلَهَمٍّ مِنْ تَأْمُورِهِ بِتَنْزِيلِ

والصرورة عندهم إذا كانَ أرفعَ الناسِ في مراتبِ العبادة ، وهو اليومَ اسمٌ للذي لم يحجَّ إمّا لعجزٍ ، وإمّا لتضييعٍ ، وإمّا لإنكار (٤) . فهما مختلفان كما ترى .

(١) انظر ٣ : ١٩ .

(٢) هو : ربيعة بن مقروم بن قيس الضبّي ، من نخصرى الجاهلية والإسلام ، وهو من شعراء الحماسة ، وشهد وقعة القادسية سنة ١٦ وتوفي نحو سنة ٢٠ .

(٣) هي في شعر شبيه بهذا للتأبغة « لرنا » .

(٤) في الأصل : « وأما الإنكار » .

(ألفاظ القرآن الكريم)

فإذا كانت العرب يشتقون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ،
واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكّنهم وألمهم وعلمهم ، وكان ذلك
منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذي أعارهم هذه النعمة أحق بالاشتقاق
وأوجب طاعة . وكما أن له أن يتبدى الأسماء ؛ فكذلك له أن يتبدى
مما أحب . . . قد سمى كتابه المنزل قرآناً ، وهذا الاسم لم يكن حتى كان ،
وجعل السجود للشمس كفراً ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفراً
إلا وترك ذلك السجود بعينه يكون إيماناً ، والترك للشيء لا يكون إلا
بالجارحة التي (١) كان بها الشيء ، وفي مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه
وعقبا . فواحدة أن يسمى السجود كفراً ، وإذا كان كفراً كان جحوداً
وإذا كان جحوداً كان شركاً ، والسجود ليس بجحد ، والجحد ليس بإشراك
إلا أن تصرفه إلى الوجه الذي يصير [به (٢)] إشراكا .

(ما اشتق من نباح السكلاب وما قيل من الشعر فيه)

وقال طفيل الغنوي (٣) :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَاراً تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ
وإنما أخذ ذلك للجميع من نباح السكلاب .

(١) في الأصل : « حتى » .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت في الشعراء لابن قتيبة ٢٨٨ منسوب إلى ابن مقبل . وفي ثمار القلوب ٤٦٢ :

* عوازب لم تسمع بنوح حمامة *

وذكروا أن الطَّبِيَّ إِذَا أَسَنَّ وَنَبَتَتْ لِقَرُونَهُ شُعْبٌ نَبَّحٌ ، وهو قول
أبي دُوَادٍ (١) :

وقصرى شَنِجِجَ الأَنْسَاءِ ۚ نَبَّاحٌ مِنَ الشَّعْبِ

يعنى من جهة الشعب ؛ وأنشد بعضهم :

وَيَنْبَحُ بَيْنَ الشَّعْبِ نَبْحًا كَأَنَّهُ نُبَّاحٌ سَلُوقٍ أَبْصَرَتْ مَا يُرِيئُهَا
وَيَبِيضُهَا الْهَزْلُ الْمَسُودُ غَيْرَهَا كَمَا أَيْضًا عَنْ حَمَضِ الْمَرَا حَمِ نَبِيئُهَا (٢)
لأن الطَّبِيَّ إِذَا هَزَلَ أَيْضًا ، وَالْبَعِيرُ يَشِيْبُ وَجْهَهُ مِنْ أَكْلِ الْحَمَضِ .
وكذلك قال ابن جَلَّأ (٣) :

* شَابَتْ وَلَمَّا تَدُنُ مِنْ ذَكَامِهَا (٤) *

كما قال الآخر :

أَكَلْنُ حَمَضًا فَالْوَجُوهُ شَيْبُ شَرِبْنِ حَتَّى نَزَحَ القَلْبِيبُ

وقد تصير النَّاقَةُ الحَمْرَاءُ إِذَا أَمَّتْ حَبَشِيَّةً . ولذلك قال الشاعر :

* حَمْرَاءُ لِاحْبَشِيَّةِ الإِمَامِ *

وما أشبه ذلك بقول العبدى (٥) :

وداويتها حَتَّى شَدَّتْ حَبَشِيَّةً كَأَنَّ عَلِيمًا سُنْدُسًا وَسَدُوسًا

(١) فى الأصل : « ابن داود » وإنما هو أبو داود كما فى اللسان (نبح) . والقصرى :

أول الأضلاع أو آخرها . وكان البيت محرفا على الوجه الآتى فصححته منه :

وقصرى سح الأثنا نباح من الشعب

(٢) انظر رواية البيت فى المعانى الكبير ص ٦٩٥ .

(٣) هو عمر بن لجأ من بنى تيم بن عبدمناة بن أد بن طابخة ، وكان قد ليج الهجاء بينه

وبين جرير لتنافس حدث بينهما فى الشعر ، فكانت خصومتها أدبية فى أول الأمر

ثم استحالت إلى خصومة الفخر بالنسب ، والقبيلة . ابن سلام ٣٦٢ وابن قتيبة ٢٦٢ .

(٤) الذكاء : علو السن . وفى الأصل : « من ركاها » . وانظر المعانى الكبير .

(٥) هو يزيد بن خذاق . الاقتضاب . . ٤ والمفضليات ١٤٣ وانظر أدب الكاتب ٣١٧

والدَّواء : اللبن ، فلذلك تصير الفرس إذا أَلقت شعرها وطرَّت ، تستديل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْعَب النَّهْدِيُّ (١) :

هَبَطْنَا بَعْدَ عَهْدِكَ بَطْنًا خَبْتٍ تَطَلُّ حَمَامُهُ مِثْلَ الْخُصُومِ
كَأَنَّ عَرِينَ أَيْكْتِهِ تَلَّاقٍ بِهِ جَمْعَانِ مِنْ نَبَطٍ وَرُومٍ (٢)
نُبَاحُ الْهَدْهَدِ الْحَوِيِّ فِيهِ كَنْبُوحُ الْكَلْبِ فِي الْأَنْسِ الْمُتَقِيمِ (٣)

ويقال إنَّ الهدهد ينبحُ . وربما جعلوا الهدهدَ ، (الذي ينبح) ،

الحمامَ الذكر . قال الشاعر - وهو يصف الحمامَ الذَّكَرَ كيف يصنع فيها - :

وإذا استترنَ أَرَنَّ فيها هُدْهُدٌ مِثْلُ الْمَدَاكِ خَضْبَتُهُ بِجِسَادٍ (٤)

وقال طُفَيْلٌ فِي الشُّبُوحِ وَالْمَجَاعَاتِ (٥) :

وَأَشَعَتْ تَزْهَاهُ الشُّبُوحُ مُدْفَعٌ عَنِ الزَّادِ مِمَّا جَلَّفَ الدَّهْرُ مُحْتَلٍ (٦)

وقال الجعديُّ (٧) :

فلما دَنَوْنَا لَصَوْتِ النَّبَاحِ وَلَا نُبْصِرُ الْحَيَّ إِلَّا التَّمَّاسَا

وقال ابن عبدل :

آلَيْتُ إِذْ آلَيْتُ مَجْتَهِدًا وَرَفَعْتُ صَوْتًا مَابَهُ بَحْحُ
لَا يُدْرِكُ الشُّعْرَاءُ مَنْزِلَتِي فِي الشُّعْرِ إِنْ سَكَنُوا وَإِنْ نَبَحُوا

وقال عمرو بن كلثوم :

١٧٢

(١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجري في حماسته وفسرها (٢٨٩ - ٢٩١) .

(٢) في الأصل : « عريك » و « تلاق » و « قبط » وتصحيحه من الحامسة .

(٣) هذه في ط . وليست في س .

(٤) ط : « وإذا استترن » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .

(٥) في الأصل : « المجاعات » .

(٦) المحتل : السبيُّ الحال ، ورواية اللسان : « من حرف الدهر » . وفي الأصل :

« خلف الدهر » ، صوابه بالجيم كما في المخصص ٢ : ١٣٦ .

(٧) هو النابغة الجعدي . وانظر الأغاني (٤ : ١١٩) .

وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا

وقال بعض العلماء : كلاب الحي شعراؤهم ، وهم الذين ينبحون دونهم ،
ويحمون أعراضهم . وقال آخرون : إن كلاب الحي كلُّ عقورٍ ، وكلُّ
ذئبٍ عيون أربع (١) .

وأما قوله (٢) :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ بِنِي مَقِيدَةَ الْحِمَارِ (٣)

وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ الْجَنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَارِ (٤)

فالطواعين (٥) هي عند العرب رماح الجن . وفي الحديث : « إنَّ

الطاعونَ وَخَزَ مِنَ الشَّيْطَانِ » .

وقال أبو سلمى (٦) :

لَا بَدَّ لِلسُّودِّدِ مِنْ أَرْمَاحِ رَهْنِ سَفِيهِ دَائِمِ النَّبَاحِ

وَمِنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ

وقال الأعشى :

مِثْلَ أَيَّامِ لَنَا نَعْرِفُهَا هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحَ

رُزْنُ الْأَحْلَامِ فِي مَجْلِسِهِمْ كَلَّمَا كَلْبٌ مِنَ النَّاسِ نَبَحَ

(١) كذا .

(٢) الشعر في الحيوان (٦ : ٢١٩) منسوب إلى « الأسدى » يقوله للحارث الغساني
وفي آكام المرجان ١٦ إلى « الأزدي » وفي ثمار القلوب ٥٣ إلى امرأة .

(٣) بنو مقيدة الحار : العقارب ، لأنها أكثر ما تكون في الحرة . اللسان (رمح ،
جر) .

(٤) ط : « رماح الحي » . وتصحيحه من س ، والمراجع المتقدمة في التنبيه السابق .

(٥) في الأصل : « والطواعين » .

(٦) الرجز في البيان ٣ : ٣٣٥ وسيعاد في ٣ : ٧٩ .

وقال :

سَيَنْبَحُ كَلْبِي جَاهِدًا مِنْ وِرَائِكُمْ وَأَعْنِي غَنَائِي عَنْكُمْ أَنْ أُؤْتَبَا

وقال أبو ذؤيب :

وَلَا هَرَّهَا كَلْبِي لِيَبْعِدَ تَعْرَهَا (١) وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كَلَابُهَا

كلابها : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبي خازم :

وَأِنِّي وَالشَّكَاةَ لَأَلِ لَأَمٍ كَذَاتِ الضُّغْنِ تَمْشِي فِي الرَّفَاقِ

وقال أبو زبيد (٢) :

أَلَمْ تَرَنِي سَكَنْتُ لِأَيَّا كَلَابِهِمْ وَكَفَكَفْتِ عَنْكُمْ كَلْبِي وَهِيَ عُقْرٌ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١٧٣٣ قال صاحب السكلب : قد علمنا أنكم تتبعم على السكلب كل

شيء هجى به ، وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد رأينا الشعراء قد هجوا الأصناف كلها ، فلم يفلت منهم إنسان ولا سبع ، ولا بهيمة ولا طائر ولا همج ولا حشرة ، ولا رفيع من الناس ولا وضع ،

(١) تعر ، كنع ، صاح . وفى ط : « تعرها » مخرفة .

(٢) هو أبو زبيد الطائي ، واسمه حرملة بن المنذر ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان لسنا فضيحا بليغ الوصف : وصف الأسد بجضرة عثمان ووصفاً بلغ فيه الغاية . الأغاني ١١ : ٢٣ - ٢٥ وقد ترجم له البغدادي فى الخزائن ٤ : ١٤٣ والسجستاني فى المعمرين ٩٨ ليدن ، وابن حجر فى الإصابة ٨٠ : ٤ قمم السكى وزبيد بهيئة الصغير .

إِلَّا أَنْ يَسْلَمَ بَعْضُ ذَلِكَ عَلَيْهِم بِالْخَمُولِ ، فَكَفَاكَ بِالْخَمُولِ دِقَّةً وَلَوْماً وَقِلَّةً
وَنَدَالَةً . وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدَةَ لِإِيَّاسَ بْنِ سَهْمٍ :

فَأُبْلِغْ إِيَّاساً أَنَّ عَرِضَ ابْنِ أُخْتِكُمْ

رِدَاؤُكَ فَاصْطَنْ حَسَنَهُ أَوْ تَبَدَّلْ^(١)

فَإِنَّ تَكُذَا طَوَّلِ فَإِنَّ ابْنَ أُخْتِكُمْ

وَكَلُّ ابْنِ أُخْتٍ مِنْ نَدَى الْخَالِ مَغْتَلِي^(٢)

فَسَكُنْ أَسَدًا أَوْ ثَعْلَبًا أَوْ شَيْبَةً

فَهُمَا تَسْكُنُ أَنْسَبَ إِلَيْكَ وَأَشْكَلِ

فَمَا ثَعْلَبٌ إِلَّا ابْنُ أُخْتٍ ثُعَالَةٍ^(٣)

وَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ اللَّيْثِ رِيْبَالُ أُشْبِيلِ

وَلَنْ تَجِدَ الْآسَادَ أَحْوَالَ ثَعْلَبٍ إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَا تَلَوْدُ بَمَدْخَلِ

فَهَذَا مِنَ الثَّعْلَبِ . وَقَالَ مَزْرَدُ بْنُ ضَرَّارٍ^(٤) :

وَإِنَّ كِنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ تَهْرٌ عَلَيْهَا^(٥) أُمَّكُمْ وَتَسْكَالِبِ

وَلَيْتَ الَّذِي أَلْقَى فَنَاوُكَ رَحْلَهُ لَتَقْرِيَهُ بِالتُّ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

فَقَدْ وَضَعَ الثَّعْلَبُ كَمَا تَرَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي كَفَاكَ بِهِ نَدَالَةً . قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :

فَمَا عَادَتْ بَنِي يَمَنَ رُءُوسًا وَلَا ضَرَّتْ لِفِرْقَتِهَا نِزَارًا

(١) فِي الْأَصْلِ : فَاصْبِرْ خَشِيَةً وَتَبَدَّلْ ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ عِيُونَ الْأَخْبَارِ ٣ : ٨٩ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مَغْتَلٌ » وَالصَّوَابُ « مَغْتَلِي » كَمَا فِي أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ أَوْ « مَعْتَلِي » كَمَا فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ . وَاعْتَلَى وَاعْتَلَى : ارْتَفَعَ .

(٣) فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ : « ثَعَالِبٌ » .

(٤) فِي ط : « مَزْرُ بْنُ ضَرَّارٍ » وَإِنَّمَا هُوَ « مَزْرَدُ بْنُ ضَرَّارٍ » أَخُو الشَّيْخِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَيْنَا » .

كعنزِ السَّوءِ تنطعُ من خلاها (١) وترأمُ من يُجدُّ لها الشَّفارا

وهذا قول الشاعر في العنز . وقال ابن أحرر :

إنا وجدنا بني سَهْمٍ وجامِلهم كالعنزِ تَعَطِفُ رَوقِها فترتضعُ

وقال الفرزدق :

على حينَ لم أتركْ على الأرضِ حَيَّةً ولا نابجاً إلا استقرَّ عَقُورها

وكان نَفِيعٌ إذ هجاني لأهلِهِ كباحثةٍ عن مُدْيَةٍ تستثيرُها

فهذا قولهم في العنز . ولا نعلم في الأرض أقلَّ شراً ولا أكثر خيراً

من شاة .

وقال الخريمي (٢) :

يا للرجال لقومٍ قد ملَّتهم أرى جوارهمُ إحدى البليات

ذئبٌ رضيعٌ وخنزيرٌ تُعارضُها عقاربٌ وُجنتَ وُجناً بجياتٍ (٣)

ما ظنَّكم بأناسٍ خيرٌ كسبهمُ مُصرَّحٍ السُّحتِ سموه الأمانات

١٧٤

فهذا قولهم في العقارب والحيات والضباع والخنازير .

وقال حماد عجرد في بشار :

قد كان في حَيٍّ غزاةً شاغلٌ للقرد عن شتمى وفي ثوبانٍ

أو في سمِعةٍ أختها وشرادها لمجونها مع سيفلة المجان

أو بيت ضيق عرسه وركوبها شرَّ البيغاء بأوكس الأثمان (٤)

(١) ط : « فلاها » وتصحيحه من س . والشعر سبق في ص ٢٣١ .

(٢) في الأصل : « الخريمي » وهو « الخريمي » كما سبق التنبيه في ص ٢٢٤ .

(٣) أصل الوجن : الدق ، ومنه ميجنة القصار ، وجمله الشاعر هنا للخلط .

(٤) في الشعر تحريف .

هذا قول حماد في القرد . وقال حماد في بشار بن برد أيضاً :

ولكن معاذ الله لستُ بقاذِفٍ بَرِيئاً لسَواقِ لِقومٍ نَواحِ
وما قلتُ في الأعمى لِجَهلِ وأمه ولكن بأمْرِ بَينِ لى واضِحِ
سأعْرِضُ صَفحاً عن حُصينِ لأمه ولست عن القرد ابن بردِ بصا فحِ
وقال الآخر :

لما أتيت ابني يزيد بن خنعم أرى القرد والخنزيرَ مُحْتَبِيانِ
أمامَ بُيوتِ القومِ من آلِ خنعمِ وراءَ قَبيحاتِ الوجوهِ بَطانِ
وقال العتّابي :

اسجدُ لِقردِ السوءِ في زَمَانِهِ وإن تَلَقَّكَ بِخَنزَرِ وَانِهِ (١)
* لا سيّما ما دام في سلطانه *

وقال أبو الشمقمق :

إن رِيحَ اللُّؤمِ من شَحَّةِ (٢) لا يَطْمَعُ الخنزيرُ في سَلْحِهِ
كفاه قُفْلٌ ضَلَّ مِفْتَاحَهُ قد يَثُسُ الحِدادُ من فَتْحِهِ
وقال خلف بن خليفة (٣) :

فسبحانَ من رَزَقَهُ واسِعِ يعمُّ به القردُ والقردَةُ

(١) الخنزوان بفتح الخاء : القرد ، وذكر الخنازير ؛ وبضمها : الكبر . وانظر

اللسان (قرا ص ٣٦) والمغرب للجواليقي ٢٢٧ .

(٢) في ط : « شه » وهو تحريف صوابه في س .

(٣) شاعر إسلامي مجيد محسن مقل ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان يقال له الأقطع

لأنه قطعت يده في سرقة ، وهو من شعراء الحماسة .

وهذا كثير . ولعمري لو جُمِعَ كلُّه لكان مثل هِجاءِ الناسِ للكلبِ ،
وكذلك لو جمع جميع ما مُدِح به الأسدُ فما دُونُه ، والأمثالُ السائرةُ التي
وقعت في حمد هذه الأشياءِ ، لما كانت كلها في مقدارِ مديحِ الكلبِ . فهذه
حُجَّتُنَا في مرتبةِ الكلبِ على جميعِ السباعِ والبهائمِ .

١٧٥ ولما قال معبدٌ في قتل الكلبِ ، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْعَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ
مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قال أبو إسحاق : وإن
كنتَ إنما جعلتَ الكلبَ شرًّا الخلقِ بهذه العلةِ ، فقد قال على نسقِ هذا
الكلامِ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فالذي قال في الإبلِ والبقرِ والغنمِ أعظمُ ، فَاسْقِطْ
من أقدارها بقدر معنى الكلامِ . وأدنى ذلكَ أن تُشْرِكَ بين الجميعِ في الذمِّ
فإنَّكَ متى أنصفتَ في هذا الوجهِ ، دعاكَ ذلكَ إلى أن تُنصِفَها في تبَّعِ ما لها
من الأشعارِ والأمثالِ والأخبارِ والآياتِ ، كما تنبَّعت ما عليها .

(الشرف والجهول في قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلا بيننا يكون عدلا : إذا استوى
القبيلان في تقادم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرة^(١) والفرسان
والحكماء والأجواد والشعراء ، وكثير السادات في العشائر ، وكثير الرؤساء
[في] الأرحاء^(٢) وكان الآخر قليل الذرة^(١) والعدد ، ولم يكن فيم خير
كثير ولا شر كثير ، خلوا أو دخلوا في غمار العرب ، وغرقوا في معظم
الناس^(٣) ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيين ، فسلموا من ضروب الهجاء
ومن أكثر ذلك ، وسلموا من أن يُضربَ بهم المثل في قلة ونذالة إذا لم
يكن شرًّا ، وكان محلهم من القلوب محلًّا من لا يغيب الشعراء^(٤) ، ولا يحسد
الأكفاء ؛ وكانوا كما قال حميد بن ثور :

وقولا إذا جاوزتما أرضَ عامرٍ وجاوزتما الحيين نهدًا وخشعما
تريعان من جرم بن ربان إنهم أبوا أن يريقوا في الهزاهز محججا^(٥)
وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الذرة^(١) وكان فيهم خير كثير وشر
كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يسلموا من أن يهجوا ويُضربَ بهم المثل ،
ولعلَّ أيضا أن تتفق لهم أشعار تتصل بمحبة الرواة ، وأمثال تسير على السنة

(١) الذرة : النسل . وفي الأصل : « الذرة » محرفة .

(٢) الأرحاء : جمع رحي ، وهي القبيلة المستقلة . وفي الأصل « وكثير الرؤساء والأرجاء » .
وقد صححت المصحف : واجتلبت الكلمة التي بين معكفين ليستقيم الكلام .

(٣) في ط : « غرقوا » وفي م : « عرقوا » ، وصوابهما ما أثبت من س .

(٤) أي يغيبهم الشعراء . وفي الأصل : « من لا يغيب الشعراء » .

(٥) ط : « تريعان من جرم بن ربان » س : « تريعان من جرم بن ربان » .

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لاخير فيه ولا شرًّا ، أمثلَ حالاً في العامة ،
مَن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص ، ولا سيما إذا جاؤروا من يأكلهم
١٧٦ وحالفوا من لاينصفهم ، كما لقيت غنيًّا أو باهلة .

ولو أنَّ عبسًا أقامت في بني عامر ضعفَ ما أقامت ؛ لذهب شَطْرُ
شرفها ؛ ولكنَّ قيسَ بنَ زهيرٍ لما رأى دلائلَ الشرِّ قال لأصحابه :
الذلُّ في بني غطفان خير من العزِّ في بني عامر !

وقد يكون القوم حُلولاً مع بني أعمامهم ، فإذا رأوا فضلهم عليهم حسدوهم
وإن تركوا شيئاً من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاضمهم ، بأكثر من
قدره ، فدعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين
نهكهم وحملوا عليهم ، فوقَ الذي كانوا فيه من بني أعمامهم ، حتى يدعُوهم
ذلك إلى الندم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرجوع ، حميةً واتقاءً (١) ،
ومخافةً أن يعودوا لهم إلى شيء مما كانوا عليه ، وإلى المقام (٢) في حلفائهم
الذين يرون من احتقارهم ، ومن شدة الصلوة عليهم .

(بكلِّ وادِ بنو سعد)

وقد خرج الأضبط بن قريع السَّعْدِيُّ من بني سعد ، فجاورَ ناساً ،
فلما رأى مذهبهم وظلمهم ونهكهم (٣) ، قال : « بكلِّ وادِ بنو سعد ! »
فأرسلها مثلاً .

(١) لعلها : « حمية وإبقاء » .

(٢) في الأصل : « ولا المقام » .

(٣) في الأصل : « ونهكهم » وهو تحريف .

وقد كان عباس بن ربيعة الرُّعْلَى سَيِّدَ بَنِي سُلَيْمٍ ، وقد ناله ضيمٌ في بعض الأُمُر ، فأبى الضَّيْمُ ، فلما حاولَ مفارقتَهُمْ [إلى] بَنِي غَنَمٍ عَزَّ عَلَيْهِ (١) فقال في كلمة له :

وَأُمُّكُمْ تُزَجِّجِي التَّوَامَ لِبَعْلِهَا وَأُمُّ أَحِيكَمَ كَزَّةُ الرَّحْمِ عَاقِرٌ
وزعموا أن أبا عمرو أنشد هذا الشعر (٢) ، وخبر عن هذه القصة في يومٍ من أيامه ، فدمعت عينه ، فحلف شُبَيْلُ بْنُ عَزْرَةَ (٣) بالطلاق : إِنَّهُ لَعَرَبِيٌّ فِي الْحَقِيقَةِ لَغِيَّةٌ أَوْ لِرِشْدَةٍ !

(قبائل في شطرها خير كثير)

(وفي الشطر الآخر شرف وضعة)

فن القبائل المتقدمة الميلاد التي في شطرها خير كثير ، وفي الشطر الآخر شرف وضعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرة وثعلبة . ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غنم (٤) وباهلة ، واليعسوب والظفاوة فالشرف والخطر في عبس وذبيان ، والمبتلى والملقى والمحروم والمظلوم ، مثل (٥) باهلة وغنم ، مما لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتى كأنهم آلة (٦) لمدارج الأقدام ، ينسكب فيها كلُّ ساعٍ ، ويعثر بها كلُّ ماش .

(١) في الأصل : « فلما حاول مفارقتهم بني غنم أعز منه » .

(٢) في الأصل : « وزعم أن أبا عمرو أنشده هذا الشعر » وليس بشيء .

(٣) في ط : « عروة » وتصحيحه من س : وانظر التنبيه رقم ٦ ص ٣١٣ .

(٤) في الأصل : « يحيى » وإنما هو « غنم » وسيتكرر الحديث عن غنم وباهلة .

(٥) في الأصل : « ومثل » والوجه حذف الواو .

(٦) كذا .

وربما ذكروا اليعسوب والطفافة ، وهاربة البقعاء^(١) وأشجع الخنثى
ببعض الذكر . وذلك مشهور في خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورهم .
وجلُّ معظم البلاء لم يقع [إلا]^(٢) بغنى وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر
فضولاً ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرَّ عنده أحسنَ حالاً ممن
فيه الخير الكثير وبعض الشرِّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر^(٣) :

١٧٧ اضرب ندى طلحةِ الطلحات مبتدئا

ببخل أشعثٍ واستثبتٍ وكُن حكما^(٤)

تخرج خُزاعة من لؤمٍ ومن كرمٍ

ولا تعدُّ لها لؤماً ولا كرمًا^(٥)

وقد ظرف في شعره فظلم خُزاعةً ظلماً عبقرياً .

وقال في مثل ذلك الأشعر الرقبان^(٦) الأسديّ :

(١) هاربة البقعاء هي هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس (هرب) ومعجم البلدان (الهاربة)
مع المعارف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيص) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعبيل بن علي الخزاعي كما في الأغاني ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) في ط : « بنى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغاني . والرواية فيها :

* بلؤم (مطلب) فينا وكن حكما *

والمطلب الذي يعنيه هو ابن عبد الله بن مالك ، كان واليا على مصر . وقد كان ولي دعبلا

على أسوان ، فلما سمعه يهجوه بهذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) في الأصل : « ولا تغرکہا » وليس بشيء وصوابه في الأغاني .

(٦) في ط : « وقال في ذلك الشعر الرقيان » وفي س : « وقال في مثل ذلك الشعر الرقيان »

والوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرقيان ، وهو شاعر جاهلي . والشعر في نوادر

أبي زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمالى القالي ٢ : ٢١١ . وانظر

اللسان وتاج العروس (ضرر ، مسخ) .

بِحَسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ
وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلْحَمِ الْخَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ

وكما قال الشاعر في علباء بن حبيب حيث يقول :

أرى العلباء كالعلباء لا حلو ولا مرٌّ
شَيْخٌ مِنْ بَنِي الْجَارِوِ دِ لَا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ
فهذا ونحوه من أشدَّ الهجاء .

والحمول اسمٌ لجميع أصناف النقص كلها أو عامتها ، ولكنه كالسرو
عند العلماء . وليس ينفك العامة إذا ضرتك الخاصة .

ومن هذا الضرب تميم بن مرٍّ ، وثور وعُكل ، وتيم ومزينة . ففي
عُكل وتيم ومزينة من الشرف والفضل ، ما ليس في ثور ، وقد سلم ثور إلا
من الشئ اليسير ، مما لا يرويه إلا العلماء ، ثم حلت البيئة وركد الشرُّ ،
والتحف الهجاء على عُكل وتيم ، وقد شعثوا بين مزينة شيئاً ، ولكنهم
حببهم إلى المسلمين قاطبةً ما تهبأ لهم من الإسلام ، حين قلَّ حظُّ تيم فيه .
وقد نالوا من ضبَّة ، مع مافي ضبَّة من الخصال الشريفة ؛ لأنَّ الأب متى
نقص ولده في العدد عن ولد أخيه^(١) فقد ركبهم الآخرون بكلِّ عظمة ،
حتى يروا تسليم المرباع إليهم حظاً ، والسير تحت اللواء ، والحمل على أموالهم
في النوائب ؛ وحتى ربَّما كانوا كالعصاريط والعُسفاء ، والأتباع ، وفي الأتباع
والدخلاء ، ثم لا يجدون من ذلك بدءاً ؛ كأنهم متى امتنعوا خذلواهم ،
فاستباحوهم ، فرأوا أن النعمة أربحُ لهم .

(١) في الأصل : « متى نصر ولده في العدد على ولد أخيه » ، وأصلحته كما ترى .

وقد أعان غيلان^(١) على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبيدٌ
في الجاهليَّة ، أتباعٌ في الإسلام .

فإن هربوا تفرَّقوا فصاروا أشلاءً في البلاد ، فصار حكمهم حكم من
درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقب . وإن هم حالفوا القرباء فذلك
حيث لا يرفعون رؤوسهم من الذلِّ والغرم .

(الحلف عند العرب)

والحِلفُ^(٢) ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضبَّة ، وأسد وغطفان
فإنَّ هؤلاء أقوياء لم يُنْهكوا كما نُهكت باهلة وغنَّى ، لحاجةِ القوم إليهم ،
١٧٨ ولخشونة مسهم إن تذكروا^(٣) على حال ؛ فقد لقيت ضبَّةً من سعدٍ ، وعبسٌ
من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن ما^(٤) لقوا .

وقد رأيت مشقَّةً ذلك على النابغة ، وكيف كره خروج أسد من
بني ذبيان .

وعيينة بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف ، فإنَّ النابغة
كان أحزم وأعقل .

(١) لعلها : « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة .

انظر حديثه مع الأحنف في البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .

(٢) ط : « الخلف » وصوابه في س .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « ما » .

وقد سلمت ثور وابتليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خثيم^(١) وسُفيان
الثورى ، لما علمت العامة أن في العرب قبيلة يقال لها ثور . ولشريف^٢
واحد ممن قبلت^(٢) تيم أكثر من ثور وما ولد .

وكذلك بلعنبر ، قد ابتليت وظلمت وبُخست ، مع ما فيها من الفُرسان
والشُعراء ، ومن الزُّهاد ، ومن الفقهاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر
الرجالِ إسلاميين وجاهليين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من الهجاء إلا الخمس^(٣)
والنتف .

ورب قومٍ قدرضوا بجمولهم مع السلامة على العامة ، فلا يشعرون
حتى يصب الله تعالى على قمر رعوسهم حجارة القذف ، بأبيات يسيرها
شاعر ، وسوط عذاب يسير به الراكب والمثل ، كما قال الشاعر :

إن منافاً فقحةً لدارم^(٤) كما الظلمُ فقحةُ البراجيم

وقال الشاعر^(٥) :

وجدنا الحمر من شر المطايا كما الحيطات شر بني تميم

فما الميسم في جلد البعير ، بأعلق من بعض الشعر .

(١) في الأصل : « خثيم » . وانظر الاشتقاق ١١٢ ، ١١٣ وتقريب التهذيب .

(٢) في الأصل : « قتلت » ، وجعلتها « قبلت » من قبلت القابلة الولد : أخرجه .

(٣) الخمس بمعنى الخدش . وفي الأصل : « الخمس » .

(٤) في الأصل : « إن مناف فقحة لدارم » .

(٥) البيت من أبيات ثلاثة لزياد الأعجم أوردها العيني ، ونقلها عنه البغدادي في خزنة

الأدب ٤ : ٢٨٠ ، وهي - وفي البيت الأوسط إقواء :

وأعلم أنني وأبا حميد كما النشوان والرجل الحليم

أريد حباه ويريد قتلى وأعلم أنه الرجل اللئيم

فإن الحمر من شر المطايا كما الحيطات شر بني تميم

(أثر الشعر في نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر في قوم لهم النباهة والعدد
والفعل ، مثل نمير ، يصير أهله إلى ما صارت إليه نمير وغير نمير ، فما ظنك
بالظلم وبمناف وبالخبطات ، وقد بلغ مضرّة جرير عليهم حيث قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَ كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كَلَابَا

إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قومه آخرين :

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَائِي كَمَا وَضَعَ الْهِجَاءُ بَنِي نُمَيْرٍ

وحتى قال أبو الرُّدَيْبِيِّ :

أَتُوَعِدُنِي لَتَقْتُلَنِي نُمَيْرٌ مَتَى قَتَلْتَ نُمَيْرٌ مَنْ هَجَاهَا

(بكاء العرب من الهجاء وذ كر بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، وهذا من
أوّل كرمها ، كما بكى مخارق بن شهاب^(١) ، وكما بكى علقمة بن علاقة ،
١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيت نخدّاش^(٢) بن زهير . وما زال يهجو
من غير أن يكون [رآه ، ولو]^(٣) كان رآه ورأى جماله وبهائه ونبله [و]^(٤) الذي
يقع في النفوس من تفضيله ومحبته [و]^(٤) من إجلاله والرفقة عليه - أمسك . ألا

(١) الذي أبكاه هو محرز بن المكبر العنبري ، وانظر الحديث في البيان ٤ : ٤١ - ٤٢ .

(٢) في الأصل : « نخراش » .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام وليست بالأصل .

(٤) ليس بالأصل .

ترى أن النَّبِيتِ وَغَسَّانَ بن مالك بن عمرو بن تميم^(١) ، ليس يعرفهم بالعجز والقلَّة
إِلَّا دَغْفَلَ بن حنظلة^(٢) ، وإِلَّا النِّخَّارَ العُذْرِيَّ وإِلَّا الكَيْسَ النَّمْرِيَّ^(٣) ،
وإِلَّا صُحَّارَ العبدى ، وإِلَّا ابنَ شَرِيَّةَ وأبو السَّطَّاحِ^(٤) وأشباههم ومن شابه
طريقهم والافتباس من موارِيثهم ، وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب
فالرجل منهم عربي تميمي ، فهو يعطى حقَّ القوم في الجملة ولا يقتضى ماعليه
وعلى رهطه في الخاصة . والحرماني أسوأ حالا في العامة من هذه القبائل
الحاملة وهم أعدَّ وأجلد .

(ما تبثلى به القبائل فيصيبها بالحمول)

وبليَّة أخرى : أن يكون القبيلُ متقادِم الميلاذ ، قليل الذلة قليل
السيادة ، وتهبأ أن يصير في ولدِ إخوتهم الشرف الكامل والعدد التام ،
فيستبين لمكانهم منهم من قلتهم وضعفهم لكلِّ من رآهم أو سمع بهم ،
أضعافُ الذى هم عليه لو لم يكونوا ابتلوا بشرف إخوتهم .
ومن شؤم الإخوة أنَّ شرفهم ضعةُ إخوتهم ، ومن يُمين الأولاد أنَّ
شرفهم شرفُ من قبلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم : كعبد الله بن دارم
وجرير بن دارم . فلو أنَّ الفقِيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان جاراً ، كان
خيراً له .

(١) في الأصل : « تميم » . وانظر الاشتقاق ١٢٤ .

(٢) في الأصل : « من حنظلة » وقد جمع ابن النديم تراجم النسابين في فهرسته ١٣١ .

(٣) في الأصل : « النمرى » وتصحيحه من المعارف لابن قتيبة ٢٣٣ والفهرست ١٣٢ .

(٤) في الأصل : « ابن أبي السطاح » وانظر البيان (١ : ٣٦٢) وما سيأتى في ٣ : ٢٠٩ .

ولقد ضعُعت قُرَيْشٌ - لما جاءتْ به من الخصال الشريفة الثامنة ؛
من أركان كنانة - سَنَامَ الأَرْضِ وجبلها^(١) وعينها التي تبصر بها ، وأنفها
التي بها تعطس ، فما ظنُّك بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى
نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثم رأى بنى فقيم بن جرير
ابن دارم ؟ !

وكذلك كلُّ أخوين إذا برع أحدهما وسبق وعلا الرجال ؛ في الجود
والإفضال ، أو في الفروسية^(٢) أو في البيان ، فإن كان الآخر وسطاً من
الرجال ، قصدوا بحسن ما ثره في الطبقة السفلى لتبيين البراعة في أخيه ،
فصارت قرابته التي كانت مفخرةً هي التي بلغت به أسفل السافلين .
وكذلك عَنَزَةَ بن أسد في ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرةً في عنزة
ومرةً في ضبيعة أضجم ، لكان خيراً لهم اليوم ، ولو دَّ كثير من هؤلاء
القبائل التي سامت على الشعراء أو على العوامِّ أن يكون فيهم شطرٌ
مالمعززيين من الشرف ، ولو أنَّ الناس وازنوا بين خصال [هذه^(٣)] القبائل
خيرها وشرها لكانوا سَوَاءً^(٤) .

١٨١ وقال صاحب السكاب : ذكرت عيوب السكاب فقلت : السكاب
إذا كان في الدار محقَّ أجور أهل الدار حتى يأتي على أقصاها ، لأنَّ الأجور
إذا أخذ منها كلُّ يوم وزن قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك
أن يأتي على آخرها . وقلت : في السكاب أشدُّ الأذى على الجار والضيف

(١) كذا .

(٢) الفروسية والفروسية : الخدق بركوب الخيل .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأصل : « سعاد » وليس بشيء .

والدخيل ، يمنعه النَّوْمُ لَيْلاً والقائلةً نهاراً ، وأن يسمَعَ الحديث . ثمَّ الذي على سامع النَّبَاحِ من المؤنَّة من الصوت الشديد .
ولو لم يكن في الكلب ما يؤذى بشدَّة صوتِه إلاَّ بإدامة مجاوبة الكلاب لكان في ذلك ممَّا ينغص العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

(شعر في النباح والاستنباح)

وقال أُرطاة بن سُهَيْبَة في بعض افتخاره :

وإني لَقَوَّامٌ إلى الضَّيْفِ موهنا إذا أغدِفَ السَّترَ البَخيلُ المَواكِلُ^(١)
دعاً فأجابتهُ كلابٌ كَثيرةٌ على ثقةٍ مِنِّي بما أنا فاعلُ
وما دونَ ضيبي ، من تَلادٍ تحوزُه يدُ الضيف ، إلاَّ أن تُصانَ الحلائِلُ
وقال ابن هرمة :

ومستبجٍ نبهتُ كلبِي لصوتهِ وقلتُ له قُمْ في اليَنفَاعِ فجأوبِ
فجاءَ خَفِيَّ الصوتِ قد مسَّهُ الضَّوَى بضربةٍ مسنونِ الغرارينِ قاضِبِ
فرحبتُ واستبشرتُ حتَّى بسطتهُ^(٢) وتلك التي ألقى بها كلَّ آتبِ

وقال آخر :

هجمناً عليه وهو يَكعمُ كلبه

دعِ الكلبِ يَنبجُ إنَّما الكلبُ نايحُ^(٣)

(١) ط : « إلى الضيف » ، « إذا أغدق » . وتصحيح البيت من س . وعيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) .

(٢) ط : « بسطه » وصوابه في س .

(٣) قال المرتضى في أماليه : ٣ : ١١٤ : « يكعم كلبه : يشد فاه خوفاً من أن ينبج ، فيدل عليه » . والبيت للراعي كما في العمدة ٢ : ١٥١ يهجو به الحطيئة ، وانظر ماسيات في نهاية هذا الجزء من الحيوان .

وقال مزرد بن ضرار :

نشأتُ غلاماً أتقى الذمَّ بالقِرى إذا ضاف ضيف من فزارة راغبُ
فإنَّ أبَّ سارٍ أسمعَ الكلبَ صوتَه
أنى دون نَبْحِ الكلبِ ، والكلبِ دائبُ

وقال بشار بن برد :

سقى الله القِبابَ بتلَّ عبيدى وبالشرقين أيامَ القِبابِ (١)
وأياماً لنا قصرتُ وطالتُ على فُرعانِ نائمةٍ للكلابِ
وقال رجل من بني عبد الله بن غطفان (٢) :

١٨٦
إذ أنتَ لم تستبِقِ وُدَّ صحابةٍ على دخنٍ أكثرتْ بثَّ المعائبِ (٣)
وإني لأستبِقِ أمراً السوءِ عدَّةً لعدوةٍ عريضٍ من الناسِ جانبِ (٤)
أخافُ كلابَ الأبعدينَ ونبحهاً إذا لم تجاوبها كلابُ الأقاربِ
وقال أحيحة بن الجلاح (٥) :

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكةٍ واللَّ بآتِ إذ زانها ترائبها
يا ليتنى ليلةً إذا هجع ال ناسُ ونامَ الكلابُ صاحبها
وقلتُ : وفي الكلبِ قذارةٌ (٦) في نفسه ، وإقذاره أهله لكثرةِ سُلُاحه
وبوله ، على أنه لا يرضى بالسُّلاحِ على السطوح ، حتى يحفر ببرائنه وينقبُ
بأظافره ، وفي ذلك التخريب .

(١) في الأصل : « آثار القِباب » ، صوابه من ديوان بشار ١ : ٢٤٩ .

(٢) نسب في حاسة البحري ٣٩٤ إلى النعمان بن حنظلة العبيدى .

(٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من الدخل .

(٤) العريض ، كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) انظر الشعر في الخزانة ٣ : ٣٢١ .

(٦) في الأصل : « قذرة » .

ولولم يكن إلا أنه يكون سبب الوكف ، وفي الوكف من منع النوم ومن
إفساد حرّ المتاع ، ما لا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عضّ الصبيان وتفزع
المولدان ، وشقّ الثياب ، والتعرّض للزوّار ، ومع ما في خلقه أيضاً من الطبع
المستدعى للصبيان إلى ضربه ورجحه وتهيجه بالعبث ، ويكون سبباً لعقرهم
والوثوب عليهم (١) .

وقلت : وبئس الشيء هو في الدار ، وفيها الحرم والأزواج ، والسّراري
والحظيّات المعشوقات ؛ وذلك أن ذكره أيرّ ظاهر الحجم ، وهو إما مُقْبَع
وإما قائم ، وليس معه ما يواريه ، وربما أشظّ (٢) وأنعظّ بمحضرتهنّ ، ولعلهنّ
يكنّ مغيبات (٣) أو محتاجاتٍ إلى ما يحتاج إليه النساء عند غيبة فحلهنّ ، وإذا
عجز عن أن يعمهنّ .

(وفد قرحان)

وقد رمى ضابئ بن الحرث البرجمي أمّ أناس من العرب ، أن الكلب
الذي كان يسمّى قرحان (٤) ، كان يأتي أمهم ، حتى استعدوا عليه ، وحبسه
في ذلك عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . ولولا أن المعنى الذي رماهم به

(١) جواب لو محذوف ، وذلك من دأب الجاحظ .

(٢) أشظّ الرجل : أنعظ . وفي الأصل : « انتشط » .

(٣) مغيبات : غاب عنهن أزواجهن .

(٤) انظر قصة « قرحان » في الخزانة ٤ : ٨٠ بولاق والتقاوض ٢١٩ ليدن ومعاهد

التنصيص ١ : ٦٦ والشعراء ٣٠٩ .

كان مما يكون ويجوز ويُخافُ مثله ، لما بلغ منه عثمانُ ما بلغ ، حتّى مات
في حبسه (١) . وفي ذلك يقول ضابئ بن الحارث :

تَجَسَّمْ نَحْوِي وَفَدُّ قَرْحَانَ شُقَّةً تَظَلُّ بِهَا الْوَجْنَاءُ وَهِيَ حَسِيرٌ
فَزَوَّدْتُهُمْ كَلْبًا فَرَاخُوا كَأَمَّا حَبَاهِمُ بَتَّاجِ الْمَرْمَزَانِ أَمِيرٌ (٢)
فَأَمَّكُمْ لَا تَرَكُوهَا وَكَلْبَكُمْ فَإِنَّ عَقُوقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرٌ
إِذَا عَثْنَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةَ بَيْتِ لَه فَوْقَ السَّرِيرِ هَرِيرٌ (٣)

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليعقوبيُّ أنه أبصرَ رجلاً يكومُ كلبَةً من كِلابِ الرعاء ، ومَرَّ
بذلك الزُّبُّ العَظِيمُ في نَفَرِهَا - وَالثَّفَرُ مِنْهَا وَمِنَ السَّبْعِ ، كَالْحَرِّ مِنَ الْمِرَاةِ
وَالطَّبْيَةِ مِنَ الْأَتَانِ وَالْحِجْرِ ، وَالْحِيَاءِ مِنَ النَّاقَةِ وَالشَّاةِ - فزعم أنَّها لم تعقِد
عليه ، ولا ندرى أمكنته أم اغتصبها نفسها .

وأما النَّاسُ فِي مُلْحِ أَحَادِيثِهِمْ : أَنَّ رَجُلًا أَشْرَفَ عَلَى رَجُلٍ وَقَدْ نَاكَ
كَلْبَةٌ فَعَقَدَتْ عَلَيْهِ ، فَبَقِيَ أَسِيرًا مُسْتَحْزِيًا (٤) يَدُورُ مَعَهَا حَيْثُ دَارَتْ . قَالَ : فَصَاحَ
بِهِ الرَّجُلُ : اضْرِبْ جَنْبِيهَا . فَأَطْلَقْتَهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَخْزَاهُ اللَّهُ
أَيُّ نِيَّاكَ كَلْبَاتٍ هُوَ !

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابئاً كسر ضلع عثمان
يوم الدار وأن الحجاج قتل ضابئاً لما ولي العراق » .

(٢) في الخزانة والنقائض : « بتاج الهرمزان » ، وفي الأصل : « بتاج المرزبان » ، والبتاج
لا يكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفي الطبري ٥ : ١٣٧ :
« بيت المرزبان » .

(٣) عثنت : دخنت ، وفي الأصل : « عاينت » وصوابه في الخزانة والنقائض .

(٤) ط : « مستحذيا » وصوابه في س .

وخبّرني من لا أردُّ خبره ، أنه أشرفَ من سطحٍ له قصير الحائط ،
فإذا هو بسوادٍ في ظلِّ القمر في أصل حائط ، وإذا أئينُ كلبة ، فرأى
رأسَ إنسان يدخل في القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظلِّ (١) القمر ،
فتأمل في ذلك (٢) فإذا هو بحارس يذيك كلبة . قال : فرجمته وأعلمته أنني
قد رأيتُه ، فصبّحني من الغد يقرع الباب على ، فقلت له : ما حاجتك ؟ وما
جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنك ستركب البحر أو تمضي على وجهك إلى
البراري . قال : جُعِلتُ فِداك ، أسألك أن تسرَّ علي ، سترَ الله عليك ،
وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت ويحك ، فما اشتبهت من كلبة ؟ ! قال :
جُعِلت فِداك ، كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولانجل (٣) ، فهو يذيك إناثَ
الكلاب (٤) إذ كنَّ عظامَ الأجسام . قال : فقلت : فما يخاف أن تعضه ؟
قال : لو رامَ ذلك منها غيرُ الحارس التي هي له وقد باتت معه فأدخلها
في كيسائه في ليالي البرد والمطر ، لما تركته . وعلى أنه إن أراد [أن] (٥)
يوعبه كلّه لم تستقرَّ له . قال : ونسيتُ أن أسأله : فهل تعتد على أيور
الناس كما تعتد على أيور الكلاب ؟ فلقمته بعد ثلاثين سنة ، فقال :
لا أدري لعلها لا تعتد عليه ، لأنّه لا يُدخِلُه فيها إلى أصله ، ولعلّ ذلك أيضاً
إنما هو شيءٌ يحدث بين الكلاب والكلبة ، فإذا اختلفا لم يقع
الالتحام . قال : فقلتُ : فطيبُّ هو ؟ قال : قد نكّت عامّة إناثِ
الحيوانات فوجدتُه من كلهنَّ أطيبَّ من النساء . قلتُ : وكيف ذلك ؟ قال :

(١) في الأصل : « ظلمة » والوجه ما أثبت .

(٢) في الأصل : « فتأمل إنسان في ذلك » .

(٣) كذا .

(٤) ط : « إناثا الكلاب » .

(٥) الزيادة من س .

ما ذاك إلا لشدة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أنس فقلت له : فإذا
١٨٣ دار الماء في صُلبك وقرب الفراغ ؟ قال : فربما التزمت السكلبة
وأهويت إلى تقبيلها . ثم قال : أما إن الكلابَ أطيبُ شيءٍ أفواهاً ،
وأعذبُ شيءٍ ريقاً ؛ ولكن لا يمكن أن أنيكها من قدامٍ ، ولو ذهبتُ
أن أنيكها من خلفٍ وثنيتُ رأسها إلى أن أقبلها ، لم آمن أن تظنَّ بي أني
أريدُ غيرَ ذلك فتسكدم في وجهي . قال : فقلت : فإني أسألك بالذي
يسترُ عليك ، هل نزعْتَ عن هذا العملِ منذُ أعطيتني صفقةَ يدك بالتوبة ؟
قال : ربَّما حننتُ إلى ذلك فأحتبسُ^(١) بعهدك . قال : وقلتُ : وإنك
لتحنُّ إليها ؟ قال : والله إنني لأحنُّ إليها ، ولقد تزوجتُ بعدك امرأتين ،
ولى منهما رجالٌ ونساء ، ومن تعودَ شيئاً لم يكد يصبرُ عنه ! قال :
فقلت له : هل تعرف اليومَ في الحُرَّاسِ من ينك السكلبات ؟ قال : نعم ،
خذ محموديه الأحمر ، وخذ يشجب الحارس ، وخذ قفا الشاة ، وخذ فارسا
الحَمَامِيَّ فَإِنَّ فارساً كان حارساً وكان قِيمَ حَمَامٍ ، وكان حَلَقِيَّاً ، فزعم أنه
ناكَ السكلابَ خمسين سنة ، وشاخ وهزل وقُبِحَ وتشنَّج ، حتى كان
لا يُنيكه أحد . قال : فلم يزلُ يحتالُ لسكلبِ عنده حتى ناكه . قال :
وكان معه بخير حتى قتله للصمصص ، ثمَّ أشرفَ على فارسٍ^(٢) ، هذا المحتسبُ
الأحذبُ ، وهو ينك كلبه فرماه بحجر فدمعه^(٣) .

قال : فالسكلاب كما ترى تُتَّهَمُ بالنساء ، وينيكها الرجال ، وتنيك
الرجال ، وليس شيءٌ أحقَّ بالنقى والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

(١) لعلها : « فأخيس » .

(٢) في الأصل : « فاس » وصوابه ما أثبت .

(٣) دمعه : أصاب دماغه .

من السباع العاديّة الوحشيّة في راحة ، إلاّ في الفَرَط (١) فإنّ لها عُراماً على بعض الماشية ، وجنايةً على شرار العامّة (٢) وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطءٍ بغير ونطح كبش ، أو خمش سنورٍ أو رمح حمار ، ولعلّ ذلك يكون في الدهر المرّة والمرتين ، ولعلّ ذلك أيضاً لا ينال إلاّ عبداً أو خادماً أو سائساً ، وذلك محتمل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاء الناس في دورهم وأهاليهم !!

قال صاحب الكلب : إن كنتم إلى الأذى بالسُّلاح تذهبون ، وإلى قشَريّين السطوح بالبرائن تميلون ، وإلى نتن السُّلاح وقذِر المأكول والمشروب تقصدون ، فالسنورُ أكثرُ في ذلك . وقد رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أنّه قال : « هُنَّ مِنَ الطَّوَأَاتِ عَلَيْكُمْ » . فإذا كان ذلك في السنانير مغتفراً ، لانفعاهم بها في أكل الفأر ، ففنافع الكلاب أكثرُ ، وهي بالاعتقاد أحقّ . وفي إطلاق ذلك في السنور دليلٌ على أنّه في الكلاب أجوز .

وأما ما ذكرتم من إنعاظه ، فلعمري إنّه ما ينبغي للغيور أن يُقيم الفرس ولا البيرذونَ والبغلَ والحمارَ والتَّيسَ في المواضع التي تراها النساءُ . والكلبُ ١٨٤ في ذلك أحسنُ حالاً . وقد كره ناسٌ إدخال منازلهم الحمامَ والدِّيكةَ والدجاجَ والبطَّ خاصةً ؛ لأنّ له عند السفاد قضيبياً يظهر ، وكذلك التيس من الطبائِ ، فضلاً عن تُيوس الصفايا . فهذا المعنى الذي ذكرتم يجرى في وجوه كثيرة

(١) للفراط : الندره . وفي ط : « الفرق » .

(٢) كذا .

وعلى أن للحمام^(١) خاصّةً من الاستشارة^(٢) ، والكسّم بالذنب ، والتقبيل
الذى ليس للناس^(٣) مثله ، ثمّ التقبيل والتغزل والتنفّش^(٤) ، والابتهاج
بما يكون منه بعد الفراغ ، وركوب الأثني للذكر و [عدم]^(٥) إمكانها
غير ذكرها ، ما يكون أهيج للنساء ممّا ذكرتم^(٦) . فلم أفردتم الكلب
بالذكر دون هذه الأمور ، التى إذا عاينت المرأة غرْمولَ واحدٍ منها ،
حقّرت بعلها أو سيّدتها ، ولم يزل ظلُّ ذلك الغرْمول يعارضها فى النوم ،
وينبّئها ساعة الغفلة ، ويحدّث لها التمتّى لما لا تقدر عليه ، والاحتقار لما
تقدر عليه ، وتركتم ذكر ما هو أجلُّ وأعظمُّ إلى ما هو أخسُّ وأصغرُّ !

فإن كنتم تذهبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان^(٧) عند
العَبْث والتعرُّض ، والتحكك والتهبّيج^(٨) والنحرش ، فلو أن الذى
يأتى صبيانكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصناف العَبْث - والصبيان
أقسى الخلق وأقلهم رحمةً - أنزلوه بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ،
بل بحاجب بن زرارَة وحِصن بن حذيفة ، نَحْرَجُوا^(٩) إلى أقبح ممّا يخرج
إليه الكلب . ومن ترك منهم الأخذَ فوق يدِ ابنه ، فهو أحقُّ باللامّة .

(١) ط : « الحمام » وصوابه فى س .

(٢) الاستشارة : إظهار الحسن . من استشارت الإبل : سمت وحسنت .

(٣) فى الأصل : « الناس » .

(٤) فى الأصل : « والتنفّس » .

(٥) زيادة يقتضها الكلام وليست فى الأصل .

(٦) ط : « ما ذكرتم » وصوابه فى س .

(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ما أثبت .

(٨) فى الأصل : « والتهبّيج » ، والوجه : « التهبّيج » .

(٩) ط : « يخرجوا » وصوابه فى س .

وبعدَ فما وجدنا كلباً وثبَ على صبيٍّ فعقره من تلقاء نفسه ، وإنه ليردُّ عليه وهو في المهد ، وهو لحمٌ على وضم ، فلا يشمه ولا يدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمُّماً واسترواحاً ؛ وما في الأرضِ كلبٌ يلتقي كلباً غريباً إلاَّ شمَّ كلُّ واحدٍ منهما است صاحبه ، ولا في الأرضِ مجوسٌ يموت فيحزن على موته ويحمل إلى النابوس إلاَّ بعد أن يُدنى منه كلبٌ يشمه ، فإنه لا يخفى عليه في شمه عندهم ، أحيٌ هو أم ميتٌ ؛ للطفةِ حسه ، وأنه لا يأكل الأحياء^(١) . فأما اليهود فإنهم يتعرفون ذلك من الميت ، بأن يدهنوا استه . ولذلك قال الشاعر^(٢) وهو يرمي ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميتٌ مسحوا آستهُ بدهنٍ وحفوا حوله بقرامٍ .

(جنایات الديك)

وقالوا : فإذا ذكرتِ جنایاتِ الكلاب ، فواحدٌ من جنایاتِ الديكةِ أعظمٌ من جنایاتِ الكلاب ؛ لأنَّ عبد الله بن عثمان بن عفان ، ابن بنت ١٨٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنَّما مات من نقرِ ديكٍ في دار عثمان ، نقر عينه فكان سببَ موته . فقتلُ الديك لعيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعظمٌ من كثيرٍ ممَّا تستعظمونه من جنایاتِ الكلاب . وقد نقر ديكٌ عينَ ابنِ حَسَكَةَ بنِ عَتَّاب^(٣) ، أو عين ابن أخته .

(١) ط : « الأحياء » .

(٢) هو سالم بن دارة يهجو طريف بن عمرو ، كما في اللسان (حم) . وقبل البيت :

إني وإن خوفت بالسجن ذاكر لشم بني الطمّاح أهل حمام

(٣) في الأصل : « عباد » صوابه في الاشتقاق ٣٢٩ والبيان : ٤ : ٣٦ .

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ
فَجَاوِبُهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ مَعَ إِتْيَانِ الْمُهَيِّنِ مَطْعَمٌ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً يَكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

بِهِ الذَّنْبُ مَحْزُونًا كَأَنَّ عَوَاءَهُ عَوَاءُ فَصِيلِ آخِرِ اللَّيْلِ مُحْتَلٍ
وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْهَلٍ طَامَسَةِ أَعْلَامِهِ يَعْوَى بِهِ الذَّنْبُ وَتَزَقُّو هَامَهُ
وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ يَهْجُو زَبَّانَ بْنَ مَنْظُورٍ .

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي قَوْمٍ يَسُودُهُمْ ذَنْبُ عَوَى وَهُوَ مُشْدُودٌ عَلَى كُورٍ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مَازِنٍ إِلَّا شَرَارُهُمْ فَوْقَ الْحَصَى حَوْلَ زَبَّانِ بْنِ مَنْظُورٍ
وَقَالَ غَيْلَانُ بْنُ سَلْمَةَ (١) :

وَمَعْرُسٌ حِينَ الْعِشَاءِ بِهِ الْحَبْسُ فَالْأَنْوَاءُ فَالْعَقْلُ (٢)
قَدْ بَثَّهُ وَهِنًا وَأَرْقَنِي ذَنْبُ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ جِدْلُ
فَتَرَكْتَهُ يَعْوَى بِقَفَرْتِهِ وَلِكُلِّ صَاحِبِ قَفْرَةٍ شَكْلُ
بِتَنْوِفَةٍ جَرْدَاءٍ يَجْزَعُهَا لِحَبِّ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلُ (٣)
وَقَالَ مَغْلَسُ بْنُ لَقِيْطٍ (٤) :

عَوَى مِنْهُمْ ذَنْبٌ فَطَرَّبَ عَادِيًا عَلَى فَعْلِيَّاتٍ مُسْتَشَارٍ سَخِيمًا (٥)

(١) كان من حكماء العرب في الجاهلية وحكامهم. انظر الإصابة ٦٩١٨ والأغاني ١٢ : ٤٣-٤٧ .
(٢) كذا في الأصول .
(٣) يجزعها : يقطعها ، وفي ط : « لجب » وصوابه بالخاء كما في س و م .
(٤) مغلس بن لقيط : شاعر من شعراء الجاهلية ، له ترجمة في الخزائن ٢ : ٤١٩ بولاق .
(٥) ط : « مستشار » .

إِذَا هُنَّ لَمْ يَلْحَسْنَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ دَمًا هَلِسَتْ أَجْسَادُهَا وَلِحُومُهَا (١)
وقال الأحيمر السعدي (٢) :

١٨٧

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى

وصوتَ إنسانٍ فكِدْتُ أُطِيرُ

وقال آخر (٣) :

وعاوى عوىً واللَّيْلُ مستحلِسُ الندى

وقد زَحَفَتْ للغورِ تاليةُ النُّجْمِ (٤)

وذلك أن الرجلَ إذا كانَ باغياً أو زائراً ، أو ممن يلمس القرى ،
ولم ير بالليل نارا ، عوى ونبح ، لتجيبه الكلاب ، فيهدى بذلك إلى
موضع الناس .

وقال الشاعر :

وَمُسْتَنْبِحِ أَهْلِ الثَّرَى يَلْمَسُ الْقَرَى

إلينا ومساء من الأرض نازح

وقال عمرو بن الأهتم :

وَمُسْتَنْبِحِ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارِي الشَّاءِ طُرُوقُ

فهذا من عواء الفصيل والذئب والكلب .

(١) في معجم المرزباني ٣٩١ :

إذا هن لم يلحسن من ذي قرابة دما هلست أجسادها ولحومها

(٢) ط : « الأحمر » وصوابه في س . وهو شاعر من لصوص العرب .

(٣) البيت لحميد الأرقط كما في البخلاء ٢٠٠ .

(٤) ط : « للفور » وصوابه في س . وفي الأصل : « مستجلس الندى » وصوابه في البخلاء

٢٠٠ . استحلس الندى : تراكم .

(ما قالوا في أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : ومما قالوا في أنس الكلب وإلفه ، وحبّه لأهله ولمن أحسن إليه قول ابن الطّثريّة (١) :

يا أمّ عمرو أنجزى الموعدوا وارعى بذلك أمانةً وعهودا
ولقد طرقت كلاب أهلك بالضّحى حتى تركت عقورهنّ رُقودا
يضرّبن بالأذنان من فرح بنا متوسّداً أذرعاً وخدودا

وقال الآخر (٢) :

لو كنتُ أحملُ خمراً يومَ زرتكم لم يُنكرِ الكلبُ أنّي صاحب الدّارِ
لكنّ أتيتُ وريحُ المسكِ يفعمني والعنبرُ الورْدُ أذكيه على النارِ (٣)
فأنكر الكلب ريحي حين أبصرني وكان يعرف ريح الزّرق والقار

وقال أبو الطّمحان القينيّ في الإلف ، وهو يمدح مالك بن حمار الشّمخي (٤) :

سأمدحُ مالِكاً في كلِّ ركبٍ لقيتهمُ وأتركُ كلَّ رذُلٍ

-
- (١) في الأصل : « وقال ابن الطّثريّة » والوجه ما أثبت . والشعر في البخلاء ٢٠٣ .
(٢) الشعر في البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢ . وهو في الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزاري ، وهو شاعر إسلامي غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو من عرف بالجمال في العرب : ترجم له أبو الفرج في أغانيه ١٦ : ٤٠ - ٤٦ .
(٣) فعنه الطيب وفعمه : ملا خياشيمه . وفي الأصل : « ينمّني » ، وصوابه في البخلاء ٢٠٢ . وفي الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يفعمّني » بالعين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .
(٤) هو قتيل خفاف بن ندبة ، وله أخبار في الأغاني والاشتقاق ١٧٢ .

فها أنا والبكارَةُ من مخاضٍ عِظامٍ جِلَّةٍ سُدسٍ وُبزَلِ
وقد عرَفْتُ كلابَهُمُ ثيابي كأُتَّى منهمُ ونسيتُ أهلي
نَمَتْ بك من بني شَمخِ زِنَادٍ لها ، اشئتَ من فرعٍ وأصلِ

١٨٨

وقال الشاعر في أنس الكلاب وإلفها ، يذكر رجلا :

عنيف بتسواقِ العشارِ ورَعِيها ولكن بتلقامِ الأثريدِ رفيقُ
سَدِيدِ يظلُّ السكلبِ يمضغُ ثوبه له في ديارِ الغانياتِ طريقُ
وقال الآخر :

بات الحويرثُ والكلابُ تشمُّه وسرتُ بأبيضِ كالهلالِ على الطوى
وقال ذو الرمة :

رأنتي كلابُ الحى حتى أَلِفَنِي ومُدَّتْ نَسوجَ العنكبوتِ على رحلي^(١)

وقال حسان بن ثابت :

أولادِ جَفَنَةَ حولَ قَبْرِ أبيهمُ قَبْرِ ابنِ ماريةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ
بيضُ الوجوهِ نَقِيَّةٌ حُجْراتُهُمُ شَمُّ الأَنُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأَوَّلِ^(٢)
يُغَشُونَ حَتَّى ما تَهَرُّ كلابُهُمُ لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ

وفي هذا المعنى قال الشاعر :

وبوأت^(٣) بيتك في معلِّمٍ رَحِيبِ المِباءَةِ والمَسْرَحِ
كفيت العُفَاةَ طِلابَ القَرَى ونَبَحَ الكلابِ لَسْتَنبِجِ^(٤)

(١) في الأصل : « رأيت » والوجه « رأيتي » كما في البخلاء ٢٠٢ . وفي الديوان ٤٩١ : « أتتني » .
وفي ط : « على رحل » وصوابه في س والديوان .

(٢) الحجة : معقد الإزار . وفي الأصل : « حجراتهم » وليس بشيء .

(٣) في الأصل : « وبوات » تحريفه ، وأصله من بوأتة في المنزل : أنزلته به .

(٤) في الأصل : كلاب الضرام « وقبح » ، صوابه في الحيوان ٥ : ١٣٥ . وانظر اللسان ٢ : ٢١٩ س ٨ .

تَرَى دَعَسَ آثَارِ تِلْكَ الْمَطِيِّ أَخَادِيدَ كَاللَّقَمِ الْأَفِيحِ
وَلَوْ كُنْتُ فِي نَفَقِ زَائِعٍ لَكُنْتُ عَلَى الشَّرْكِ الْأَوْضَحِ (١)

وفى مثل ذلك ، وليس فى ذكر إلف السكلاب ، ولكنه مما ينبغى
أن يكون مجموعاً إلى هذه الأشعار ، وبك إلى ذلك حاجة شديدة ، قال
أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

لَا الْغِيَايَاتُ مُنْتَوَاكَ وَلَكِنْ فِي ذُرَى مُشْرِفِ الْقُصُورِ ذَرَاكَا
وَقَالَ الْبَزَّارُ الْحَلِّيُّ ، فِي الْمَعْنَى الْأُولَى :

أَلِفَ النَّاسَ فَمَا يَنْبَحُهُمْ مِنْ أَسِيفٍ يَبْتَغِي الْخَيْرَ وَحُرَّ (٢)
وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ عَصَامٍ :

١٨٩ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ غَامِرَةٍ (٣)
فِيَابِكَ أَلِينُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ أَهْلَةٌ عَامِرَةٌ
وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالْمَعْتَفِينَ مِنَ الْأُمَّمِ بِابْنَتِهَا الزَّائِرَةُ
وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِيَةَ نِ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةُ
فِيْنِكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا الشَّنَاءُ بِكُلِّ مُحَبَّرَةٍ سَارَةُ
وَقَالَ هَلَالُ بْنُ خَثْعَمٍ (٤) :

إِنِّي لَعَفٌُّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوئٌ إِلَى اغْتِيَابِهَا

(١) ط : « ولو كنت فى نفع » والوجه ما فى س و م .

(٢) فى الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه ، صوابه فى البخلاء ٢٠٢
مع نسبة الشعر فيه إلى المزار الحماقي .

(٣) للشعر فى الأغاني ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان .

(٤) كذا نسب الشعر فى البخلاء ٢٠٢ . ويروى لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة
فى عيون الأخبار ٣ : ١٨٣ وكذا ابن الشجرى فى الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

إذا غابَ عنها بعلها لم أكن لها زَمْووراً ولم تأنسْ إلى كلابها
وما أنا بالدَّارِى أَحاديثَ سرِّها ولا عالمٍ منْ أَىِّ حوكٍ ثيابها (١)
ولإنَّ قرابَ البطنِ يكفيكِ ملوهُ ويكفيكِ سوءاتِ الأمورِ اجتنابها
وقال حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عبد الله ، ويكنى أبا سَفَّانة ، وكان
أسره ثوب بن شحمة العنبريُّ مُجبر الطير (٢) :

إذا ما بنجلُ الناسِ هَرَّتْ كلابُه وشقَّ على الضَّيفِ الغريبِ عَقورُها
فإنِّي جبانُ السكلبِ بيتي موطاً جواد إذا ما النفسُ شَحَّ ضميرُها
ولسكن كلابي قد أقرَّتْ وعودت قليل على من يعترها هريرُها

(هجو الناس يهجو كلابهم)

وقال صاحب السكلب : إن كثيراً من هجاء السكلب ، ليس يراد به
السكلب ، وإنما يراد به هجاء رجلٍ ، فيجعل السكلبُ وُصلةً في الكلام
ليبلغ ما يريدُ من شتمه . وهذا أيضاً مما يرتفق الناسُ به من أسباب
السكلب . ولذلك قال الشاعر (٣) :

من دونِ سَيِّكِ لُونُ ليلِ مظلمٍ وحَفيفِ نَافجةٍ وِكلبِ مُوسدٍ (٤)
وأخوكَ محتملِ عليكِ ضغينة ومُسيِّفُ قومكِ لائمٌ لا يَحمدُ

(١) في الأصل : « حول » وأثبت ما في عيون الأخبار .

(٢) في الأصل : « ثور » وانظر التنبيه رقم (٣) ص ٢٦٩ .

(٣) هو حسيل بن عرفطة ، شاعر جاهلي . النوادر لأبي زيد ٧٥ . وانظر الحيوان

٤ : ٨٢ وديوان المعاني ٢ : ١٠٦ .

(٤) النافجة : الريح تجيء بقوة . وفي الأصل : « نافخة » وإنما الخفيف للريح . وتصحيحها

من النوادر لأبي زيد . ويقال أوسد كلبه : أغراه بالصيد ، فهو موسد .

والضيفُ عندَكَ مثلُ أسودَ سالخ لا بلُّ أحبُّهما إليك الأسودُ
فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وما يكُ في من عيبٍ فإني جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيل
فهو لم يردُّ مدحَ الكلبِ بالجبن ، وإنما أراد نفسه حين قال :

١٩٠

* وحفيف نافجة و كلب موسى (١) *

فإن كان الكلبُ إنما أسرَه أهله ، فإِنما اللومُ على من أسرَه . وإنما
هذا الضرب كقولهِ (٢) :

قوم إذا استنبح الأضيافُ كلبهم قالوا لأُمَّهم بُولى على النَّارِ
ومعلوم أن هذا لا يكون ، ولكن حقرَّ أمرهم وصغرَّهم .
وقال ابن هرمة :

وإذا تنورَ طارقُ مستنبح نبحتُ فدلتُهُ على كلابي (٣)
وقال ابن مهية :

جلبنا الخيلَ من شعبي تشكى حوافرها الدوابرَ والنسورا
فلما أن طلَّعن بعين جعدى وأهل الجوف ان قتلوا غرورا
ولم يكُ كلبهم ليفيق حتى يُهارشَ كلبهم كلبا عقورا
ومعلوم أن هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابي :

(١) في الأصل : « نافجة » ، وانظر التنبيه السابق .
(٢) البيت للأخطل يمجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ما هجينا بشعر هو أشد علينا
من هذا البيت ! » . ديوان المغانى ١ : ١٧٥ .
(٣) في الأصل : « كلاب » .

أخو ثقةٍ قد يحسبُ المجدَ فرصةً إلى أهله أو ذمّةً لا تُحَفَرُ
حبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ نباحه كريةً إلى الكوماءِ والكلبُ أبصرُ
وقال ابن هرمة :

وفرحة من كلابِ الحىّ يتبعُها شحمٌ يزِفُ به الداعى وترعيبُ
فهذا قول هؤلاء . وقال الآخر :

هَجَمْنَا عليه وهو يَسْكَمُ كلبه
دَعِ الكلبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الكلبُ نَابِحٌ (١)

وقال الآخر :

وتَكَمَّ كلبَ الحىّ من خشيةِ القرى
وناركُ كالعذراءِ من دُونها سِتْرٌ (٢)

وقال أعشى بنى تغلب :

إذا احتلّت معاوية بن عمرو على الأطواء خنقتِ الكلابا
فالكاب مرّةً مكعوم (٣) ، ومرّةً منحوق ، ومرّةً مُوسدٍ ومحَرَّش ، ومرّةً
يجعله جباناً ، ومرّةً وثاباً ، كما قال الراعى فى الحطيئة :

ألا قَبِحَ اللهُ الحطيئةَ إنّه على كلِّ ضيفٍ ضافه فهو سالحُ
وقعنا إليه وهو يَخْتِقُ كلبه دَعِ الكلبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الكلبُ نَابِحُ

وقال أعشى بنى تغلب :

(١) ط ، س : « يطعم » وصوابه فى م . وانظر التنبيه رقم ٣ ص ٣٦٧

(٢) فى الأصل : « وتطعم » صوابه فى اللسان (كمم) .

(٣) فى الأصل : « مطعوم » ، والوجه ما أثبت .

بَكَيْتَ عَلَى زَادٍ خَيْثُ قَرِيْبَتِهِ أَأَكَلُ عَبْسِيٌّ عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ^(١)

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلا إلى قَتِيٍّ إِذَا مَا أَبَى أَنْ يَنْبَحَ الْكَلْبُ أَوْ قَدَا

(وقال الآخر :

* دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ *

وقال الآخر :

* أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَالَكَ نَابِحٌ *

وقال الفرزدق :

* إِذَا مَا أَبَى أَنْ يَنْبَحَ الْكَلْبُ أَوْ قَدَا^(٢) *

ومتى صار الكلب يأبى النباح ؟ ! فهذا يدلُّ على أنَّهم يتشَفَّونَ بذكر

الكلب ، ويرتَفِقُونَ بِهِ ، لا على أنَّ هذا الأمرَ الذي ذكروه قد كان

على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جرير^(٣) :

ولو كنت في نَجْرَانَ أَوْ بَعْمَايَةَ إِذْ نَلَأْتَانِي مِنْ رَبِيعَةِ رَاكِبٍ^(٤)

(١) البيت في العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعي . وقد رواه تاليا للبيت السابق ، برواية :

* أَلَا كُلُّ عَبْسِيٍّ عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ *

وانظر البخلاء ٢٠٣ .

(٢) ما وضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة ، ولست أدري لم أعيدت .

(٣) « وهو جرير » ، الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أقلام الناسخين أو القارئ .

والأبيات في ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران : مخلاف باليمن . وبعماية : جبل بالبحرين . وزواية الديوان : « ولو كنت في غمدان » .

يُشير الكلابَ آخَرَ اللَّيْلِ وَطَوَّهَ كَضَبَ الْعَرَادِ خَطْوَهُ مُتَقَارِبٌ^(١)

فَبَاتَ يُمَسِّنِنَا الرَّبِيعَ وَضَوْبَهُ وَيَنْظُرُ مِنْ لُقَاعَةٍ وَهُوَ كَاذِبٌ^(٢)

فذكر تقاربَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنه مع ذلك قد أثار^(٣)
الكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتها ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها
ودقَّة حسِّها .

وفما ذكروا من حالة الكلاب لسبب القرى من البرد ، والذي يلقي ،
وكيف الشأن في ذلك ، قال أعشى باهلة :

وَأُجْحَرَ الْكَلْبَ مُبَيِّضُ الصَّقِيعِ بِهِ

وَأَلْجَأَ الْحَيَّ مِنْ تِنْفَاحِهِ الْحُجْرُ^(٤)

(١) العراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . والعرب تقول : قيل للضب وردا
وردا ، فقال :

أصبح قلبي سردا لايشتهي أن يردا

إلا عرادا عردا وصليانا بردا

وعسكنا ملتبدا

وفي الأصل : « كضب العرار » وهو تحريف ، جاء على الصواب الذي أثبت
في الديوان .

(٢) اللقاعة : الكثير الكلام . ورواية الديوان : « يسطر من لقاعة » ، وفي تاج العروس :
« وتنظر من لقاعة » .

(٣) ط : « آثر » وصوابه في س .

(٤) يقول : إنه لا ينقطع عن إطعام الطعام في شدة البرد ، حينما يضطر الكلب مايتلبد على
شعره من الجليد الأبيض إلى الدخول في الحجر ، وحينما تكون الحجر ملجأ للحى
يتقون بها تنفاح الصقيع أى ضربه . . وقصيدة الأعشى هذه مشروحة في الحزاة ٢ :
١٧٨ - ١٨٦ ، وشرحها كذلك الشيخ حمزة فتح الله في المواهب .

وقال الحطيئة :

إذا أوجر الكلب الصقيعُ اتَّقِينَه

بأباجٍ لا خورٍ ولا قفيراتٍ^(١)

وقال ابن هرمة :

وسلى الجارَ والمعصَّب والأض ياف وهناً إذا تحيَّوا لدياً^(٢)

كيف يلقونني إذا نبَّح الكلبُ وراء الكُسورِ نبَّحاً خفياً

ومشى الخالبُ المُبسُّ إلى النَّا بٍ فلم يقر أصفر الحى رياً

لم تكنْ خارجيةً من تراثٍ حادثٍ ، بل ورثتُ ذاك علياً

وقال الأعشى :

وتبردُ وبردُ بردٍ رداءِ العرو

س في الصَّيفِ رقرقت فيه العيرا^(٣)

وتسخن ليلةً لا يستطيعُ معُ نباحاً بها الكلب إلا هريراً

وقال الهذلي^(٤) :

وليلةٍ يصطلى بالفَرثِ جازرُها يختصُّ بالنَّقري المثرين داعيها

لا ينبَّحُ السكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الشتاءِ ولا تسرى أفاعيها

(١) أوجره وجحره : أدخله في الجحر . وفي ط : « أوجر » وصوابه في س ، والبيت من قصيدة في ديوان الحطيئة ٥٦ .

(٢) في ط : « أصل الجار » ، وصوابه في س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ . المعصب : الذي يتمصب بالخرق جوعاً ، والرجل الفقير . وفي الأصل : « الجار المعصب » وتصحيحه من الحيوان (٢ : ٧٢) . وفي الأصل : « تحبوا » بباء موحدة وهي على الصواب في الجزء الثاني

(٣) ط : « فيها البعيرا » وصوابه في س و م .

(٤) انظر ماسياًق من تعليق في ٣ : ٧٥

وقال الفرزدق (١) :

إذا احمرَّ آفاقُ السَّماءِ وهتَّكتْ

كُسُورَ بُيُوتِ الحَيِّ نَكْبَاءُ حَرْجَفٍ

وجاءَ قريعُ الشَّوْلِ قبلَ إفاها ١ يَزِفُ وِجاءَتْ خَلْفَهُ وَهِيَ زُحْفٌ (٢)

هتَّكتِ الأطنابَ كلُّ ذِفْرَةٍ ٢ لها تامكٌ من عاتقِ النِّبِّ أعرَفٌ (٣)

وباشرَ راعيها الصَّلَى بلبانه ٣ وكفَّ لحرِّ النارِ ما يتحرَّفُ

وقاتلَ كلبُ الحَيِّ عن نارِ أهله ٤ ليربِضَ فيها، والصِّلا متكنَّفٌ (٤)

وأصبحَ مبيضُ الصَّقيعِ كأنَّه ٥ على سَروَاتِ النَّيبِ قُطنٌ مُندَفٌ (٥)

تمَّ الجزءُ الأوَّلُ

ويليه الجزءُ الثَّانِي (٦)

وأوله : باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة

(١) من قصيدته الفائية المشهورة ، التي مطلعها :

عزفت بأعشاش وماكدت تعزف وأنكرت من حدراء ماكنت تعرف

(٢) في الأصول : « قبله » وتصحيحه من الديوان ٥٥٩ . وفي ديوان جرير (والقصيدة فيه) : « بعده » .

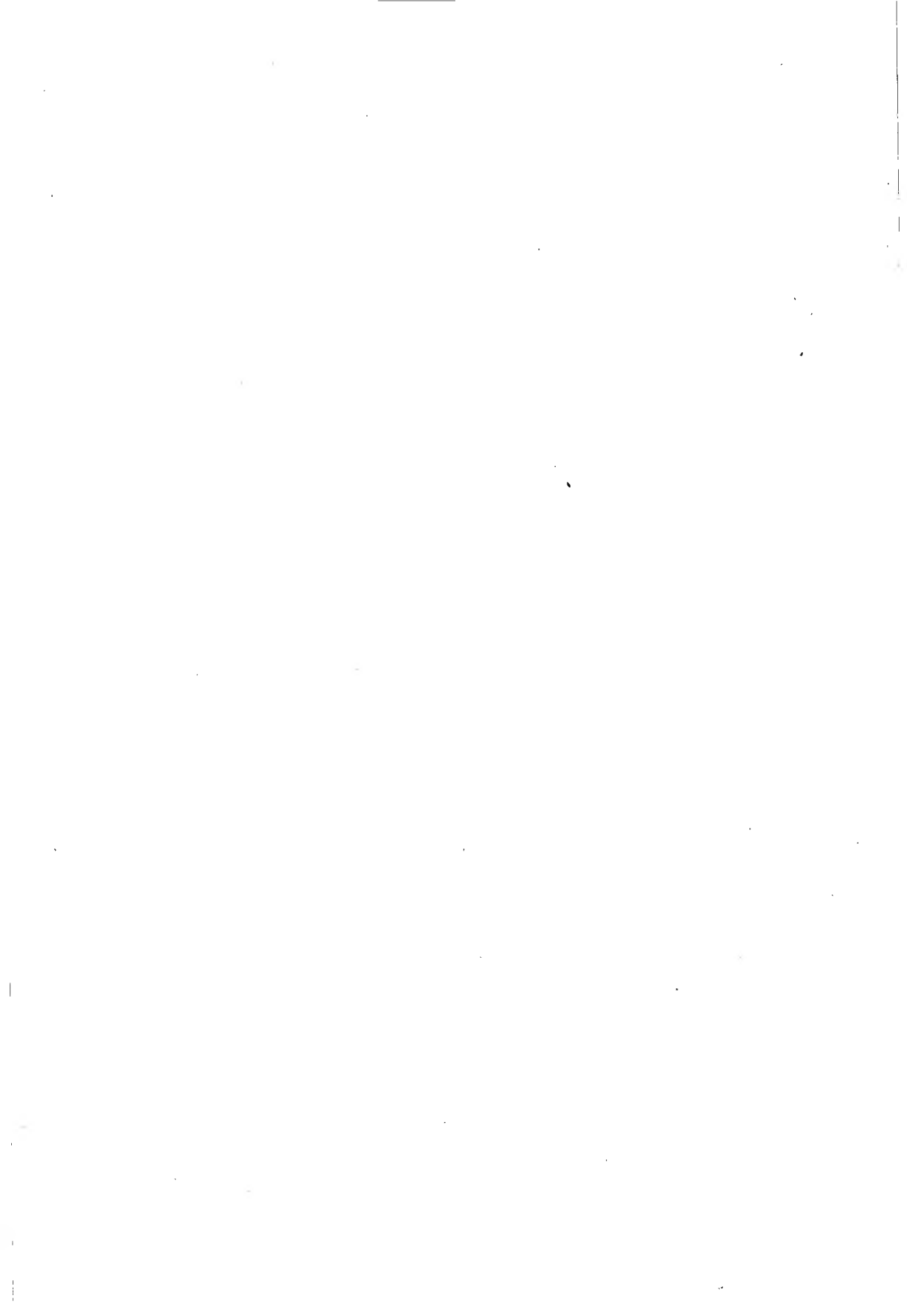
(٣) الذفرة : الناقة النجيبة . والتامك : السنام العظيم . والأعراف : المرتفع .

(٤) يقول : صار كلب الحى لشدة البرد يدافع أهله عن النار ، ليقع في موضع يدفته ، وقد أحاط القوم بالنار وتكنفوها ليظفروا بالدفء . وفي الأصل :

« ليربض منها والصلا متكنف » وليس بشيء ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) يقول : قد وقع الثلج على أسنمة هذه الإبل المسان فأضحى كأنه القطن قد ندف . ويروى : « موضوع الصقيع » كما في الديوان .

(٦) في نهاية س « تم المصحف الأول ويتلوه المصحف الثاني من كتاب الحيوان » .



معارضات على نسخة الأبروزيانا

	س	ص
: « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .	١٨	٢٠
٢-١ : « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهى توافق رواية ل ، وهى الصواب . والطابن : الحدّاع الحلبّ .		٢١
: « شكّ العضاه » .	٨	
: « قد ابتلى أيضا بأنّ أخته » .	١٣	
: « وعبّاس » .	٨	٢٢
: « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .	٨	٢٣
: « وظن سمار به كل خيرة » .	١٤	
: « بغير جرم » . (١٠) : « وأقلّ رَمادك » .	٥	٢٤
: « يمسى ويصبح سالما » .	١٧	
: « ومساءة الجلساء » .	٨	٢٥
: « ويجعلونها متخيّرة غير مسخرة » .	١٢-١١	٢٦
: « لانضاف إلى النمو والحسن » .	٤	٢٧
: « والباذنجان » كما فى ل . وجاء فى لسان العرب [حرر (٢٥٦) : « الأزهرى عن شمر ، يقال لهذا الطائر الذى يقال له بالعراق باذنجان ، لأصغر ما يكون : جُمَيْلٌ حُرٌّ » .	٧	٢٨
: « كالكلب والفهد [والذئب والأسد » .	١	٢٩
: « ما يكون سلاحه سُلّاحه » ، كما فى ل .	٧	

	س	ص
: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »	٢	٣٠
: « مشهوران بالحبل » .	١١	
: « والبند » بدل « البينيب » .	١٦	
: « والبلبل » ، وقد نبهت على خطئه في الحاشية .	١	٣١
: « ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .	١٠	
: « ويزئر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .	١٠	
: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما في ل .	١١	
: « ويفح » بدل « ويعج » كما اقترحت في الحواشي .	١١	
: « إذا وجد بعضها مع بعض سميت بأنبه النوعين ذكرا » .	٢ ، ١	٣٢
: « خلاف دعائها [عند المائة] لولدها » .	٨	
: « والحكمة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما كما ينخر الهزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة » .	٥ - ٦	٣٤
: « المتقدم في الأمور » .	٦	٣٦
: « ثم لم يوجد لهم » ، كما في ط ، ل .	١٠	
: « وصاحب الحسد والمشانفة ، والمتفقد لشأن العاقبة » .	١٢	
: « وعلى الاتعاظ والانزجار » .	٥	٣٧
: « وجعل الفكر تنشئ » .	٦	
: « مارأيت في أثنائه من مزح » .	١٢	
: « لأن يكون علّة للجد ، وأن البطالة وقار وزمانة » .	١٦	

- ص ٣٨ س ١ : « إلا بما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يصل » .
- ٥ - ٦ : « إلا من قد تجرّد للعلم وفهم معناه على حسب ما يورث .
الطول من الكد » ، مع إسقاط ما في أثناء الكلام .
- ١٤ : « ونعم الجليس والقعدة » .
- ٣٩ ٢ - ٣ : « من غرائب فوائده ، وإن شئت أهتكت بوادره » .
- ١٣ : « أو روضة تتقلّب » .
- ٤٠ ١ : « ويترجم كلام الأحياء » .
- ٦ : « حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تقنصم » .
- ٧ : « فهي أقبل ماتكون للطابع » ، وهو الوجه .
- ٨ - ٩ : « حين هذه الخصال لم يلبس جديدها ، ولم يقل غربها » .
وليس ، في معنى أخلق . وفي اللسان : « وثوب ليس ،
إذا كثر لبسه ، وقيل قد لبس فأخلق » .
- ٤١ ١ : « بعد الذي أبصرت من يسه » .
- ٥ : « أدبت عرسي » .
- ٨ : « في طلبها ليلة » .
- ١٢ : « ولا أحفل أخلاقا » ، سقطت من النسخة .
- ٤٢ ٢ : « أحسن مواتاة » .
- ٨ : « والمذاهب القديمة » .
- ١٩ : « لازمة لطبايعهم » .
- ٤٣ ١ : « ويأخذ بأرماقهم أو يصلح بهم » .

ص	س	
	٣	« معرفة ما يحضرهم ، والتوازر على ما يحتاجون [إليه] من الارتفاق » .
	٦ - ٤	« واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحيال متقيدة » .
		والتكلمة التي في س٧ لم ترد في النسخة :
٤٤	٤	« مذالاً ميسراً » ، وهذا يوجّه ماني ط . والمذال : المهان الممتن .
	١١-١٠	« وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبيت » .
	١٥	« ومعرفاً لمواقع سد الخلة ودفْع الشبهة » .
	١٦	« الأشباح المثل » .
٤٥	٤	« وأسكن إليه وأضبُّ به » ، بالضاد المعجمة .
	١٤	« تكمل بجنسه الذي » .
	١٧	« والساكنة الثابتة التي لاتنيس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك » .
٤٦	٤	« والذائق [في ذلك] نصيباً » .
	١٠	« هذه الآلة لكان » .
٤٧	٢	« مجرى البيان ؛ [وألحق البيان] بالقرآن » .
	١١-١٠	« لعواجل حاجاتهم وأواجلها ، وهو الوجه .
٤٨	٥	« فضل على انتهاء » .
	٦	« إلى الحاجة بالتفاهم بالحطوط » .

ص	س	
٤٩	١	: « فالشأن الآن في منافع اليد » ، فقط .
٩		: « لبطل الطَّرب كلّه » .
١٢		: « لكان [ذلك] من أعظم الخطوط » .
٥٠	٣	: « فصل » ، بالصاد المهملة كما نبهت في الحاشية .
٦		: « والكتاب هو الذى قيد على الناس » .
٧		: « خفة ثقله » .
٥١	١	: « والمستمبح الذى لا يستزيدك » .
١٢-١١		: « إن افتقرت لم يحقرك » ، وبإسقاط « إليه » .
٥٢	٧	: « وأصحاب الكفائيات » ، بدل « الفكاهات » .
٩-٨		: « ليلهم هو الشيء الذى لا يرى له فيهم مع الليل أثر في ازدياد ولا في تجربة ولا في عقل ولا في مروءة » .
١٥		: « ذهبت المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١	: « ولا اتكأت » ساقطة من النسخة .
٩		: « وانقطاع المادة من قبَله » ، وهو الوجه .
١٠		: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
١١		: « القينى » بدل « العتبي » في كل موضع ورد فيه هذا العلم ، كما هو الشأن في نسخة ل .
٥٤	١	: « إلا [الشيء] الذى زهدك فيه » .
١٠		: « به هذا الظن [كله] » .
١١		: « كذا [وكذا] » ، في الموضعين .

ص	س
٤	: « كما يعترى النادم من قرع السن » .
٦	: « إذا تذكرت منى » .
٧	: « الحزين في الأرض » .
٦٤	١ : « يخططن » .
٥	: هذا البيت الثاني ساقط من النسخة .
٦	: « وقال الحزين الكندي » .
١١	: « ماتنقضى عبراتي » .
١٤	: « في نواح » ، و « لم تَعَلَّلْ لهم » ، أى لم تتعلَّلْ بعلَّة .
١٥	: « تنلَّقَط الحصى » .
٦٥	٧ : « يمتدح فيها » .
١٠	: « إذا تشابه آيها » ، وهو الوجه .
٦٦	١ : « من ترشامه » ، لعل صوابها « من ترسامه » نفعال من الرسم -
٢	: عجزه في النسخة : « فهو الصواب به على استيهامه » .
٨	: لم يرد هذا البيت في النسخة في هذا الموضع ، وإنما ورد
	بعد البيت التالى بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .
١١	: « حده لحسامه » .
١٣	: « في الخط [والقلم] : » .
٦٧	١ : « يرقل عامدا » .
٢	: « مخلولف السن » .
١١	: « بآثاره » بدل « بآثارها » ، وهى رواية الديوان ٢٥٧ .

- ص ١٥ س : « إذا استغزرت ذهن الجلي » ، وهو تحريف سمعي مخالف لما في ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢
- ٦٨ ٤-٦ : ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذي ذكر فيه الجاحظ البحتري في كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحتري في رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .
- ٨ . : « نقرأ » بدل « حفرأ » .
- ٩ : « هو الحفر » مكان « هو النائي » .
- ١٠ : « هو النائي » مكان « هو الحفر » .
- ١٢ : هذه التكملة ليست في النسخة .
- ٦٩ ٣-٤ : « وأمنعها للدروس ، وأجدر أن يراها من مر » .
- ٧ : « وكل إيغار » بدل « وكل إنفاق » . والإيغار : أن يوغر الملك لرجل الأرض يجعلها له من غير خراج .
- ٩ : « ذكر [حق] الحلف والهدنة ، تعظيماً للأمر ، وتبعيداً [له] من النسيان » .
- ٧٠ ٦-٧ : « ولا بين العقود و [بين] الرقوم والخطوط فرق » .
- ١٠ : « وبين الحروف المجموعة [و] المصورة من » .
- ١٨ : « عرفوا معاني ضروب صور الإشارات » .
- ٧١ ٢ : « وردع المجنون الوعيد والتهديد » .

- ص س
- ٨ : « أو بها مُسكة » .
- ١١ : « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » .
- ١٤ : « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ،
وحصر مناقبها » .
- ٤ - ٥ : « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ،
وفضيلة السيد المرغوب إليه الممدوح به . قال : وذهبت
العجم » .
- ٦ : « مثل كردينذاذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .
- ١٠ : « والأبلى الفرد ، وفي الأبلق الفرد ومارد » .
- ٢ ٧٣ : « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .
- ١٢ : « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » .
- ٧٤ ١٢-١٣ : « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام
خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار »
مع سقوط « فائتي عام » بعدها .
- ٢ - ٣ ٧٥ : « موضع التعجب [منه] ، وصار كالكلام المنشور » مع
سقوط « والكلام المنشور » بعده .
- ٤ : « المنشور الذي حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »
- ١٢ : « لبطل ذلك المفخر » ، وهو الوجه .
- ١٣ : « لمعاشهم » بدل « لمعاشهم » .
- ٧ - ٦ ٧٦ : « وابن بهريز ووهيلي » مع سقوط ما بين ذلك من كلمات :

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تكلم بلغتين انقسمت القوة] عليهما » .
٧٨	٤ - ٥	: « أضر من الخطأ في [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ، وفي بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٦ - ١٧	: « لم يجد المعين والرافد [بدءاً من] التقصير » .
٧٩	١ - ٢	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك »
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	١ - ٢	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه الدهر » ، وهو للوجه .
	١٤	: « في سير البُخْتِيَّة » ، كما في ل .
	١٥	: « وضروبا من المرفوع » ، كما في ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
	٤	: « حتى شدوا من معرفة ذلك شدوا » .
	٥	: « وكذلك جميع أمركم لا يخلو » .
	٩	: « على من أزرى على واضع الكتب » .
	١١	: « مئوتهم في تعريفهم » .
٨٥	٦	: « ويرتجح قلمه » .
	١١	: « ويفنى العقل ويبقى أثره » .
	١٢	: « ولولا مارسمت لنا الأوائل »
	١٦	: « ولو أَلجئنا »

	س	ص
: « لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المنة » .	٢ - ١	٨٦
: « الله التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة » .	٦	
: « فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .	١٢	
: « وليس يجد الإنسان في كل حال إنسانا يدرسه » . صواب	٢	٨٧
ضبطه « يدرسه » ، يقال درسه الكتاب وأدرسه إياه ،		
كما في اللسان (درس ٣٨٢) ، وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧		
بتحقيقنا ففيه : « ويُدْرَسهم مناقبهم » .		
: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل » .	٧	
: « فنظن أنه باب بعض العمال » ، كما في ل .	١٥	
: « يدع كتابه يغبّ ويختمر ، ولا يثق بالرأى بالفطير » .	٤	٨٨
: « وتوقف عند فصوله » .	٦	
: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله في النسخة عبارة	٩	٩٣
لا يدرى صلتها ، وهي : « الفترة المانعة من البلوغ في الفهم		
وتعرف ما يحتاج إلى التعرف منه » .		
: « ودربة العلماء »	٣	٩٤
: « إلى النواويس فالماخور » :	١٢	
: « علما بأولها » . وس ١٢ : « في العلم همته » .	٩	٩٥
: « خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .	١٣	
: « يكون منه إذا مامات يُكتَسَب » .	١	٩٦
: « فيعلمها أهل البصرة » .	١	٩٧

	س	ص
: « التكملة التي تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأمبروزيانا	٣	
إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد		
نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم		
يتفقان في مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » في ص ١٠١		
س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية		
س ٦ من صفحة ١٢١		
: « وصاحب المال بعرض فساد » .	٨	٩٩
: « تسكن النفس ويثلج الصدر »	١٦	
: « والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة ل .	١٧	
: « وقالوا : ومتى ورثته كتابا » .	١٠	١٠٠
: « مابعد كلمة « حظاً » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .	١	١٠١
: « طريق تدبج له » .	٤	
: « لن يعلم البانون » ، وهي رواية جيدة وإن كان فيها الخرم .	٧	١٢١
: كلمة « المرى » ليست في النسخة .	١١	
: كلمة « الخنثين » ساقطة من النسخة .	١	١٢٢
: « كأنها تمررة فقال اليقطرى » ، مع إسقاط ما بين هذا الكلام .	٣ - ٢	
: « إلا بالخصاء دون الإحصاء » .	٥ - ٤	
: « وسمى بالسنوط » بدل « ولقب » .	١٣	
: « وقال يوما » .	١	١٢٣
: « لا يحمل إلا التمر ، وبعضه لا يحمل إلا المنصف ، وبعضه	٣ - ٢	
لا يحمل إلا الحلال » .		

	ص	س
: « والحصى » بدل « والحصيتين » .	٦	
: « وقد زعم لنا ناس »	١١	
: « وإنما ولدوا له بعد أن نزعتم بيضته اليسرى » ، وهو الوجه .	١٢	
: « محالسة الأعراب » بالحاء المهملة .	١٨	
: « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفي اللسان :	١	١٢٤
ونضاضة الرجل : آخر ولده . وفي السطر نفسه		
« محرز » بالحاء المهملة ، و « ابن كرز » كما في ل .		
: « فقد يزعمون أنهم »	٧	
: « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصى » .	٨	
: « بفرط قوته » .	٩	
: « و [من] رقة الكبد والقلب »	١٢	
: « وإن كان الحصى أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .	٢	١٢٥
: « بطرسوس وبادية » ، تحريف	٣	
: « قد أرميت على المائة » ، وأرنبى وأرمى بمعنى .	٦	١٢٦
: « وهى الكبرة »	٧	
٩ - ١٠ : « تركهن زهدا ، وتخلّى منهن سنين ودهراً »		
: « هجرانى للملابسة النساء »	١٢	
: « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .	١٥	
: « موت الخاطر »	١	١٢٧
: « وفيما تحويه من النساء »	٢	

ص	س
٨	: « من الخطار »
٩	: « والدواعى لاتطوره »
١ ١٢٨	: « ولم تمتلىء عروقى »
٥	: « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن »
١٨	: « وقد كان عثمان بن مظعون »
٣ ١٢٩	: « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة »
٤	: « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفزع »
٥	: « لا يمكن ردها [إلى مكانها] إلا بعلاج طويل »
٦	: « وظلم يربى [على الظلم الأول و] على كل ظلم »
٧	: « فإذا برأ وهو محبوب القضيبي ذو بيضة واحدة »
٩	: « موضع الخاص من بيوتهم »
١٠	: « مقربا [ومن لذة الإنسال والتمتع] وخصب العيش منعجا »
١١	: « ومن لذة الإنسال والتمتع بشم »
١٣-١٢	: « فلا يزال عند الفحول محقرا ، وعند الخصيان محرجا مطردا »
١ ١٣٠	: « قتلة سريحة » ، كما فى ل
٤	: « مجامع [جلد] الخصية »
٦	: « وتتحشف » بدل « تنخسف » ، وهو الوجه .
١٠ - ٩	: « وبشدة التحزيق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد القتل »
١٦ - ١٥	: « [و] قال أبو زيد: خصيت الدابة أخصيه خصاء، ووجأته
	أجؤه وجاء » والدابة . يذكر ويؤنث :

- ص ١٣١ س ١ : « أما الخصاء فهو سِل الخَصِيَّتَيْنِ . والوجاء : أن توجأ العروق والخُصَيَانِ » . يقال خُصِيَ كما يقال خُصِيَّة .
- ٢-٣ : « حتى تسقط الخَصِيَّتَانِ والخُصَيَانِ . الواحد خَصِيَّة . ويقال ملست الخَصِيَّتَيْنِ أَمَلَسَهُمَا » .
- ٨ : « وَقَدِيًّا غَدِيًّا » . القَدِيُّ : الطيب الطعم والرائحة .
- ١١-١٢ : « وأكثر السفاد يورث الضعف والهزال » .
- ٧ ١٣٢ : « وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه » .
- ١٤ : « وإذا كمنوا الكمان »
- ٣ ١٣٥ : « عادات » بدل « عادة »
- ٥ : « الهرمى » موضع « الهرمين » .
- ١ ١٣٦ : « على طول الركوب » .
- ١٨-١٩ : « من أهل التجربة المميزين ، أنهم اعتبروا أعمار ضروب الناس »
- ٣ ١٣٧ : « ولم يجدوا مع طول العمر فيهم »
- ٦-٧ : « قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس في دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة » .
- ٥ ١٣٨ : « إلهارديا قصير العنق » .
- ٧-٨ : « تكلف المأكل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضراب »
- ١١ : « وهزلا » بدل « وهزالا » .

- ص س
- ١٥ : « [وهى الصرصرانية] » زيادة كلمة « هى » على ما فى ل :
- ٧ : « [أنها] أطول الحمير أعماراً » . ١٣٩
- ٩ - ١٠ : « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ،
وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .
- ١٣ : « ولا يعرفون حمارا أهليا » . فلعلها « أهليا أو وحشيا » .
- ٤ - ٦ : « وهم يزعمون أن فيروز بن تباذ طلب حماراً أخدريا
فظاوله ، فلجّ به الاعتزام » مع سقوط ما بين ذلك من
ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هى الوجه فى « الاغترام » .
- ١ : سقطت كلمة « لدرست » . ١٤١
- ٤ : « و [من] تركهم التشاغل » .
- ٥ : « حبب إلى هذا »
- ٦ - ٧ : « صياد أفاعى يبيعها للترياقات ، وسخر هذا لأن يكون
من سواس الأسد » ، مع سقوط ما بين ذلك من كلام وسقوط
كلمة « والفهود » ، وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثيرا
ما يستعمله الجاحظ انظر ص ٣٩٢
- ١٣ : « وإنما نأبى التيسير للمعاصى » كما فى ل
- ٧ : « وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيسير
مع شدة غلمته » ١٤٢
- ١٠ : « فضلا على أن يكون بينهما نتائج »
- ٢ : « يلند » موضع « بلنك » فى كل موضع ، وهو تحريف . ١٤٣

	ص	س
: « اشتر مرك »	٩	
: « بشيئين متفاوتين » ، وهو الصواب .	١٠	
: « للناقة من الحوش فيسفدها »	١٣	
: « ففهم من جحد البتة أن تسكون الزرافة » . ومما لحظته	١٦	
أن « الزرافة » حيثما وردت في النسخة ضبطت بضم		
الزاي ، وهي إحدى لغات فيها ، وفي اللسان :		
« وهي الزرافة والزرافة ، والفتح والتخفيف		
أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هي بفتح الزاي		
وضمها مخففة الفاء »		
: « من شأن الورداني والراعي »	٣	١٤٤
: « بسماع الغرائب »	٥	
: « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا	٦ - ٥	
والتوحي حفا سلمت الكتب »		
: « يحيى بن الجيم » ، و « فيخرج [من بينهما] ولد » .	٩	١٤٥
: « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له	١	١٤٦
حواشي ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤ .		
: « أراد هو التبديد به » بدل « بعينه »	٨	
: « [هو] آدم السنانير وتلك السنورة [أن تسكون] حواء	١٤	
السنانير ، قال أبو عبيدة لكيسان [وضحك منه] :		
أو لم تعلم » .		

	ص	س
: « ولا يتبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .	٧	١٤٧
: « عظاما كان أم غيره ، [و] مصمما كان أم أجوف » .	٩	
: « في شدقه شفرته وناره » .	١١	
: « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » ، تحريف .	١٤	
: « الخمار » بدل « الخارين » .	١	١٤٨
: « لبعض من [نسكره] ذكره » .	٢	
: « بعده في النسخة » يعني عبد الرحمن بن يزيد !	٤	
: « من خلوة النساء [من جميع الأجناس ، قال] : قلت لا والله لأعرفه ، قال : بلى اعلم أنه لا يكون » .	٩	
: « زناها وسحقها » .	١٥	
: « بضروب » موضع « ضروبا » .	٢	١٤٩
: « في تركيبه و [في] إنسالة » .	٤	
: « لهاعظيم » .	٧	
: « المجاش » موضع « المجانيق » ، كما في ل .	١٣	
: « دفعت » بدل « اندفعت » و « فاطَّبخوا واشتوا و [ملَّوا ، و] ملَّحوا وادَّخروا » .	١	١٥٠
: « قليل الإناث ، ولا يكدن أيضا يجمعن البيض » .	١٥-١٤	
: « وإذ قالوا في الزُّرافة ما قالوا فلا تأمنهم » .	١٣-١٢	١٥١
: « الذي دعا إلى القول في الزُّرافة تركيب اسمه ، [فجعلوا تركيب الاسم] دليلا على تركيب » .	١٦	

ص	س
١٥٢	١
	: « كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقرى » .
٢	: « فيه شبه الكباش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أن » .
١١	: « من أعناق الشياطين ، فجهلوا المثل والحجاز ، [وحملوا
	الكلام] على غير » .
١٣	: « تغنت شياطيني وحن جنونها » .
١٥٣	٤
	: « إذا كانت داهية شيطانا » .
٨	: « من أسطع جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤
	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجزيرة » .
١٥٥	١
	: « فإن لجّ خبلته »
٢	: « وأما الذين زعموا »
٥	: « وعلم أنها [كانت] تكون في الأنهار ومناقع المياه ، من
	الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هي الصواب في
	« منايع »
٧	: « إنما هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء
	والزمان » .
١٥٧	٢
	: « وهو الذى يخلق » بدل « يتخلق »
١٢	: « وجدوا طول أعمار الناس »
١٣	: « وإن في الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٨ ، ٢
	: « وبذال » بدل « ويزال » .
٥	: « الموقوفين على النبيذ »

	ص	س
٧ - ٨ : « من كان يشرب النبيذ حيا ، وعامة من كان لا يشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة « عامتهم » .		
٩ : « فقد كانا من المعمرين »		
١٠ : « وتميَّز الصدق فيه من الكذب »		
١٦ : « إيثار المُخْفِس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .		
١ ١٥٩ : « ما بعد كلمة « للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .		
٢ : « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ » ، و « الدافق » تصحيح « الرائق » .		
٩ : « والحبي الشريف » .		
١٢ : « وإن كان يقايس هذا الأديب الكريم » .		
٢ ١٦٠ : « وقد كانت إبل الصدقة موسومة »		
٨ : « والنقض لمرائر القوى » ، وهو الصواب . والمرائر : جمع مريرة ، وهي القوة من قوى الحبل ، تُمرّ وتُفتَل .		
١٣ : « ومن جنس البط »		
٤ ١٦١ : « فتؤدّي ، وتصاب في الهواشة فترد » .		
٦ : « أن نعمَّها بالحرق بالنار » .		
٧ - ٨ : « من ألف بعير بعير ، ثم عسى أن يحتاج إلى ذلك في جميع عمره إلى شربة واحدة » .		
١٥ - ١٦ : « فيما يرد على الشيء المصبور من العذاب مردا بوجه من الوجوه »		

	ص	س
: « لا تملك الشيء » ، كما في ل .	١٦٢	٣
١٢-١١ : « فإن [كان] ذلك في سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك المتكلف يعرف وجه العلاج ، فالمذهب في ذلك معروف » .		
وهو الصواب		
: « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »	١٦٣	٣
: « ثم زاده على قيمته » .	١٧	
: « المعروفين بابتیاع متاع اللصوص » .	١٦٤	١-٢
: « من شهد السعائین » ، وهو تصحيح ماورد في ل :	٢	
« السعائین » . والسعائین : عيد من أعياد النصارى .		
: « وأصحاب المخارجات » كما في ط .	٣	
: « وخطاء مترافدون » ، وهو الوجه .	٧	
: « قد قبل من المقوقس [الحصى] كما قبل مارية ، و [أنه]	٩	
استخدمه » .		
: « أجمل منه وأشرف وأخدم لم يزد » .	١٨	
: « لا يحل اطراده ونفيه » .	١٦٥	٣
: « ولا يزال عنه ملكه إلا مثل ماوجب به له ملكه » .	٦-٧	
: « تدبيراً أو حكمة » .	٩	
: « مطرداً » مكان « مطروداً »	١٦٦	٦
: « فالفاجر لا يكون المبغى عليه » ؛ وهو الوجه .	٧-٨	
: بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « ولكن ذلك المساء	٢١	
لا يخرج منه إلا بعد جهد شديد وعلاج طويل » .		

ص	س
١٦٧	١
	: « شئ يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .
	: « وتعظيم البعولة »
	: « مرة فوق ومرة أسفل ، وأسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ما عندها »
١٦٨	٥
	: « الصاحب السوء »
	: « ومتى ألقى إلى الفتيات شئ من أمور النساء » ، وهو الوجه .
	: « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شئ من أمور الغلمان » .
	: « التكملة المقتبسة من ل ليست في النسخة »
١٦٩	١
	: « داعية إلى الميراثية » !!
	: « سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :
	لأتحقرن من الأشرار ذا صغر فالذئب ليس بمأمون على الغم
	ولا عجزوا على أهل فتنسدها ولا خصيباً على مال ولا حرام
	: « فصادف قلبي فارغاً فتمكنا » .
١٧٠	١ - ٢
	: « لامرأة [و] قد تمكن من كلامها ومكنته من سمعها ثم قال : قد والله يامولأى وسيدتى ، أشهرت ليلي » .
	: « أشد لها إشغالا » .
	: « ملهى في النساء » .
	: « وقال سعيد بن سلم » ، وهو الصواب كما في ٥ : ١٦١ .

	س	ص
« غير متكشف » :	١	١٧١
٧-٦ : « لم يكن عليه من فقد مارآه في النوم أو مثلته له الأمانى مؤونة » .		
« ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التى بعدهذا الكلام ، وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .	٤	١٧٢
١٠- ١١ : « فلما أبصر ذلك بزق وثفل وسقط فى يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .		
« ممن كان يخلفه » :	١٣	
« قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية فى هذا السطر .	١٤	
سقطت التكملتان من النسخة :	١	١٧٣
« الماشى المعبى » :	٦	
« من الشنو والبغضة » :	٩	
« وتلقحه الجنايات » ، وهو الأوفق .	١٢	
١٤-١٥ : « إذا بدا لأحدهم فى النزوع ونى ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه .		
« فخرج لهم حب التشفى شدة الاعتزام على قتالهم » :	١	١٧٤
« أن يحج [البيت] » :	٢	
« من تعظيمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .	٩	
« ولرضى منهم بالمسألة » :	١١	
« لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .	١	١٧٥

ص	س
	٣ : التكملة ساقطة من النسخة .
٥	: « أليس زان خصي » .
١٢	: « فلا سنان ينيك ولا يدعني أنيك »
١٧٦	١ : « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
٧	: « ولا والله لا والا لا أقلع أو أخصي »
١٠	: « بلغّني ركب النساء » ، وهو الوجه .
١١	: « حين تلقى » .
١٢	: « عجل بالخصاء » .
١٧٧	٣ : « عثرة وجدود » .
١١	: « أرى أن المثلة تحل له ما حرم الله » .
١٧٨	٣ : الذي في النسخة يوافق ما أثبت في الحاشية عن نسخة ل .
١٤	: « عن نافع [بن عمر] » ، صوابه : « [مولى ابن عمر] » .
١٨٠	٧ : « ولا يخص ويعم بالقصود »
١٣٠١١	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
١٨١	٣٠١ : « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
٥	: « وعمرو ويونس عن الحسن » .
١٨٢	٢٠١ : « إلا بعرض لها ، ويزعمون أنه ليس شيء له عدو كعدوا السَّمع » .
٦٠٥	: « عن عرضٍ بذى سيب » ، وهو الوجه .
	والسَّيب : شعر الذنب والعرف والناصية . ويقال خرجوا يضربون الناس عن عرض ، أى عن شق وناصية لا يزالون من ضربوا . اللسان (عرض ٣٨ - ٣٩) .

	ص	س
: « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .	٨	
: « التكملة كذلك في النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .	١٥	
: « كأن شبا طرفه » .	٦	١٨٣
: « في ديسم الغيري » ، تحريف . وانظر الأغاني ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .	١١	
: سقط الكلام من أول السطر لإكلمة « وزعموا » فإن بدلها « وزعم » .	٦	١٨٤
: « لا يَلْقَن ولا يألف » ، وهو الوجه .	٧	
: « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح . ويقال أيضا صأى يَصْئى . وهذا يوجه رواية ط « تصبى به » ، إذ صوابها « تَصْئى به » .	٣	١٨٥
: « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .	١٥	
: « وأنشد » فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .	٤	١٨٦
: « منون قالوا سراة الجن » .	٥	
: « ولم تقل جى » .	١٤	
: « أو ملك الأعجم » .	١٥	
: « عمرا وقابوس » .	٢	١٨٧
: « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] : وكان » .	٤	

	س	ص
: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »	١٢	
: « وأبوه غيرى » .	١	١٨٨
: « ينادى [رجلاً ويقول]: ياذا القرنين، فقال: فرغم » .	٣	
: « على جهة العشق » .	١٠	
: « تركب من الناس والنسناس » .	٥	١٨٩
: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .	٦	
: « يَهَنَّا » بدل « مهنا » .	١٦	
: « من ولد مهنة ومُهَيَّنَنَة » .	١	١٩٠
: « ذكرت [لك] كثيرا » .	٦	
: « وزعم ابن ميمم » .	٨	
: حتى « [إنه] ربما وثب على صاحبه » .	٢	١٩١
: « حاجب بن ذبيان » .	٧	
: « إذا أسلمَ الحبل » .	٨	
: « حين فارقه الهزل » ، وهو الصواب ، والهزل بالضم ، الهزال	١٠	
: « فيهزل أهل البيت » .	٦	١٩٢
: « وذلك عند السواف » بإسقاط « أنه » .	٧	
: التكملة التى فى آخر السطر ليست فى النسخة .	٨	
: « كثير الجنابة على إلفه ، وإنما قبلوه حين قبلوه على أن ينذرهم موضع السارق » .	١٠	

- | | س | ص |
|---|---------|-----|
| : « وتركوا طرادة » . | ١١ | |
| : « إلا وخطمه في الأرض [أبداً] يتشمم » . | ٤ | ١٩٣ |
| : « وفي أموالهم » . وهذا تحريف قرآني . انظر تحقيق النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص ٤٥ . وهي الآية ٢٤ من المعارج . وفي الآية ١٩ من الذاريات : « وفي أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فمن هنا وقع اللبس . | ١٣ | |
| : « وليس من أحرارها [وكواسبها] ، ولا من عتاقها وجوارحها » . | ١ | ١٩٤ |
| : « ثم كان مما لا يزواج » . | ١٢ | |
| : « وحرم هذا النسب » | ١٣ | |
| : « ولا ينازع إلى دجاجه وطروقه » | ١٣ | ١٩٥ |
| : « ولولم يُخلَق » . | ١ | ١٩٦ |
| : « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » . | ٨-٧ | |
| : « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » . | ٩ | |
| : « وذاهلة طامحة » ، موضع « طامحة وذاهلة » . | ١٢ | |
| : « لا يعرف التي سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن بيضه » . | ١٥ و ١٤ | |
| : « إذا اصطيدت أو قتلت » . | ٢ | ١٩٨ |
| : « إذا اصطيدت أو قتلت » . | ١٠-٩ | ١٩٧ |

	س	ص
: « وأنشدوا قول السكيت » .	٣	
: « لدى الجبل » .	٤	
: « عام جاحد » .	١١	
: « وقدحى بكفى » .	٤	١٩٩
: « صغار ومن ديك تنوس غبا غبه » كما في ل .	١٨	
: « وقال شماخ بن أبي شداد » كما في ٧ : ٨٥ .	١	٢٠٠
: « فتجعل في جبالك » كما في ل .	٣	
: « سقطت كلمة » فإن » .	٥	
: « والأجناس » بدل « والخشاش » .	١١	
: « وألسنتهم لا تنطق » .	١٧	
: « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ، وهو الوجه	١٨	
: « وقلتُ وهذا باب » .	١	٢٠١
: « من طرق المراء » .	٢	
: « ولكل طعام آكل » .	٦	
: « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان فقيه » .	٨	
: « في البدن ، وكما ينمي العرق » .	١١	
: « من الحركة » .	١٢	
: « ولا بد لكل ذي قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه .	١٥ و ١٤	
: « لا بد للمصدور من النفث » ، وبإسقاط الواو من أوله .	١٦	
: « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .	٤	٢٠٢

	ص	س
« فنجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازاً أو مراًفاً ، وآخر يطلب الملك » .	٦-٧	
« وأن يسخو على الطعام » . يقال سَخِيَ يَسْخِي ، وَسَخُو يسَخُو ، وَسَخًا يَسْخُو ، لغات ثلاث .	٣	٢٠٣
« والمكروه بالمحبوب » .	٤	٢٠٤
« ومتى بطل التخيُّر ذهب التمييز » .	٦	
« ومن جهل اليأس جهل الأمر » .	١٣	
« وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .	١٥	
« الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .	١	٢٠٥
« ولأهل التمييز والروية » .	٤	
« والسبع من لطم الدم » .	٥	
« والملمس اللين » .	١٠	
« منافعها هنيئة » .	٣	٢٠٦
« بأحق من الثاني في الحق الذي جوزت فيه » .	١١	
« والأسباب المتقيدة » .	١٣	
« بأدل عليه من الخنزير » . « وإن اختلفا من جهة » .	١٥	
« لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .	١٦	
« أعز عليه من الحداة ، وأن الغزال أحب إليه » .	١	٢٠٧
« فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشيا » .	٤-٣	
« وإن أتى بالغيث » .	١١ و ١٠	

ص	س
	١٣
« ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .	
٢٠٨	٥
« وما نعرف » :	
٧	٧
« وأنه صالح لصاحب السِّلِّ » :	
٩	٩
« شيء من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .	
١١	١١
« وليسهل مخرج » :	
١٢	١٢
« ومن الزيتون على زيته والاصطبغ به » ، أى الائتدام به ، والصَّبْغ والصَّبَاغ : ما يصطبغ به من الإدام ، وفي قوله تعالى « وصَبْغ للآكلين »	
١٣	١٣
« والوقود بشجرتيها و [على] ما أشبه ذلك » .	
٢٢٢	٥
« بقتلها وإطرادها » :	
٧	٧
« وتقرز المسامين من دنوها » ، مع سقوط التسكلة التي بعدها	
١٤	١٤
« وأخذنا في ذكر أسماؤها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال لها »	
٢٢٣	٤
« حفظها وإتقانها » :	
٥	٥
« وإهانة اللثام » :	
٦	٦
« وذكر [طول] ذمها » ، وهو الوجه .	
٦	٦
« وشدة مُنْهبا ومعاهد الذمار » !	
٩ - ٨	٩ - ٨
« ذكورتها والذكورة من غير جنسها »	
١١	١١
« وفهمها وخدمتها » :	

	ص	س
: « وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها	١٤	
وعدد أجزائها » ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها »		
صوابها « أجزائها » بالراء المهملة		
: « وسياستها ، والتي لاتلقن منها »	١	٢٢٤
: « فمن يك عنه »	٦	
: « تظل الكلاب العاويات »	٧	
: « من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .	٨	
: « وقال الخريمي ، وهو إسحاق بن قوهي في قتلى حرب	١٣-١٢	
بغداد » .		
: « ويكنى أبا محمد [في يوسف الشاعر] » .	٥	٢٢٥
: « حلقى بلقى كاهن »	٧	
: « فقال الحسن : أيا عجيبي ممن يلغ »	١١	
: « فقال وكيع فجعل يتخلج في مشيته كما يتخلج الجنون ،	١٣-١٢	
فقال الحسن : لله في كل عضو منه نعمة ، اللهم » .		
: « وكصنان عرقها »	٣	٢٢٦
: « وضرب بالكلب في ذلك مثلا فقال »	٦	
: « إنها امرأة حسناء »	٩	
: « بذى لسانها »	١٠	
: « وقال [في] مثل ذلك »	١٧	
: « بقبر المييد »	١	٢٢٧
: « مثل الفرخ أعظمه »	٣	

- ص س
- ٦ : « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .
- ٧ : « والعقي هو الققة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ،
وقد أورد الخبر في اللسان (فقق) وقال : « الققة :
العقي الذي يخرج من بطن الصبي حين يولد »
- ٨ - ٩ : « إن أخي وضع يده في ققة ، إني لأنزع يدي من
جماعة وأضعها في فرقة » ، مع إسقاط ما بين ذلك من كلام
- ١٤ : « ويشغر ببوله في جوف أنفه ، ويسدده لتقاء خيشومه » .
- ٢ ٢٢٨ : « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .
- ٣ - ٤ : « من اللحم الغرض الغريض »
- ١١-١٢ : « لهُ أشد من الأسد ، وهو أجرى من الليث الغادي » .
- ١ ٢٢٩ : « وبأن أنفه في أسلوب »
- ٧ : « نماه لمجد أب أصيد »
- ٨ : « لم يبعد من طبائع كثير من الناس »
- ١٠ : « وليس بين [مسلوخ] التمسكود وبين المصلوب اليابس
كبير فرق » ، وكلمة « مسلوخ » صوابها « مملوح » . وفي
معجم استينجاس ١٤٢٧ أن التمسكود هو المملح
- ٣ ٢٣٠ : « فسماك بالقحر » .
- ٤ : « ويمذى في لبان »
- ٧ : « ولو أني أشاء قد أرفأنت نعامته ويفهم ما أقول » ، وهو
الوجه ، أرفأنت : سكنت

	ص	س
: « فما نعلم صنيع العنز » .	٨	
: « وقال ابن أحمر » فقط .	٩	
: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .	١	٢٣١
: « وحشيها وإنسيها » .	٦	٢٣٢
: « حيضاً بيئنا » ، وهو الوجه .	٧	
: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحته من تصحيح .	١٠	
: « ما قد قبَّ ظاهره » . وقبَّ بمعنى يبس .	١٢	
: « الاستمراء والقضم ، حتى تتلمس الديدان » .	١٤	
: « القذر » بدل « العذرة » .	١٥	
: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقاً لما أثبتته من ل على الصواب . وانظر ص ٤٠٨ .	١٦	
: « والعُنُقُ الحمر » ، والأعُنُقُ والعُنُقُ كلاهما جمع للعناق ، وهي الأنتى من المعز ، ومثلهما « العُنوق » .	١٣	٢٣٣
: « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة الدجاج لخبث الأطعمة .	١٤-١٣	
: « سباطة » بدل « سبوطاً » .	١٧	
: « القريس النشوط والشبوط » .	١	٢٣٤
: « لأذناها [محسباً] » كما في ل .	٨	
: « قال أبو كلدة : آدم العميان » بإسقاط صدر الكلام وكلمة « هو » .	١٠	

	ص	س
: « لبعض البدع » .	١٣	
: « هلك فيه فتیان منذ كانت الدنيا » .	١	٢٣٥
: « يلتقم العذرة ، وزهما لا يستطيع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .	٣	
: « لا يطيب مالها ولا ممقوراً » .	٥	
: « وقد بلغ من شهرة الرخمة بذلك - واسمها الأنوق - حتى سُمواكل شيء يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها في رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسمَّ بالأنوق لشبهتها للعذرة .	١١	
: « رزق الأنوقين قرنبا وجعل » .	١٤	
وهذه نهاية المقابلة على ما وجد في مخطوطة الأميروزيانا من الجزء الأول من كتاب الحيوان .		

صواب أخطاء الطبع

الصواب	الخطأ	س	ص
من البيان	من البنيان	١٠	٤٥
لا يعتقه	لا يعتقه	٦	١٦٥
من حمى ركبته	من حمى كبته	٢	١٧٣
ولا ذات	ولا ذات	١	٢٣٤
أكلباً	أكلباً	١٣	٢٥٤
تَراح	تَراح	٣	٢٧٧
للنبي	النبي	٢	٣٣٥
ولا كرماً	ولا كرمأ	٩	٣٦٠
مُضر	مُضر	١	٣٦١

استدراك وتذييل

ص	س
٧٤	١١
١٤٩	١١

في العبارة شيء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها يقال : إن امرأ القيس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ، وزرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات يوم أوارة الثاني، وكان ذلك في أيام عمرو بن هند اللخمي ، الذي ولد الرسول في أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربي لا يبعد عهده عن الإسلام كثيراً . انظر مجمع الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان (أوارة) .

(مطر الضفادع) . تصديقاً لما أورده الجاحظ منذ أكثر من ألف سنة . عثرت في صحيفة (الأخبار) العدد ٢١٨٩ بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يولية سنة ١٩٥٩ مانصه :

« دهش السكان في ضواحي أنقرة عندما تساقطت عليهم الضفادع خلال نزول المطر . فسّر إحصائيو الأرصاد الجوية هذه الظاهرة بأنه يحدث في بعض الأحيان أن تقرب السحب إلى درجة كبيرة من الأرض ويصاحبها رياح قادرة على رفع بعض الحيوانات إلى ارتفاع قد يبلغ خمسة آلاف متر » .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة

- ٣ مقدمة الكتاب
- ١٠٦ باب ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخصاء وكيف كان قبل الخصاء
- ١٧٧ ذكر ما جاء في خصاء الدواب
- ٢٢٠ باب مما قدمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق
- ٢٢٢ باب ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معانيها
- ٢٦٧ باب ذكر من هجى بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس
-